هو شاب في أواخر العشرينات من عمره يعيش في منزله الكبير بمفرده مع حراسه الذين يملؤون المنزل لحمايته، يعمل لدى المخابرات وفي نفس الوقت ضابط برتبة عالية، لا يعرف الخوف والجميع يخافه وقاسي القلب لايتهاون مع أحد، بارد، ذو شخصية صلبة وكتلة من الغضب.

تركوه أهله منذ زمن ويعيشون في الولايات المتحدة، والده أكبر رجل أعمال في البلاد ووالدته قاضية، وهو وحيد لوالديه.

آسر زين الدين

هي فتاة جميلة طيبة القلب، مرحة، خجولة، ابتسامتها لاتفارق ثغرها، في التاسعة عشر من عمرها، وهي في الجامعة متخصصة بمجال التصميم والرسم، تذوق العذاب في حياتها من أشخاص عديدين ومن بينهم والدها الذي ترك والدتها بعد يوم واحد من زفافهما عندما عاشرها مرة واحدة وذهب تاركاً إياها خلفه تبكي بحرقة قلب ووصلت ورقة طلاقها بعد أسبوع من رحيل زوجها.

حملت بفتاتها وأنجبتها وربتها واعتنت بها بمساعدة والد الأم إلى أن كبرت وأصبحت فتاة بعمر الزهور، لديها عم واحد وهو يأتي لزيارتها بالشهر مرة واحدة فقط لديه شركة هندسة كبيرة ويعمل بها.

والدتها أشهر طبيبة جراحية في البلاد ووالدها لديه معرض للسيارات ولكنه منذ يوم زواجه من الأم لم يراها ولم يرى ابنته أو يتعرف عليها أبداً.

آسيل العمري

يوسف: وهو صديق آسر منذ الطفولة وأولاد أعمام بنفس الوقت وبنفس العمر تقريباً ذو شخصية جذابة ويملك القدر الحقيقي من الوسامة يعمل كما يعمل آسر بالضبط ولكنه يختلف بطباعه عن آسر بشخصيته المرحة وخفة دمه ولكن عندما يكون في العمل يمثل الصرامة بملامحه الحادة وجديته في العمل.

والداه توفيا في حادث سيارة منذ زمن ويعيش مع أخته ذات العشرين عاماً وهي كل مايملك في هذه الحياة هي وآسر.

أخته فتاة طيبة القلب ومرحة تعشق رقص الباليه ولكنها لم تمارس هوايتها بل دخلت في مجال إدارة الأعمال تدعى ماريا.

شهد: وهي إبنة عمة آسيل صديقة طفولتها تعتبران توأمتان لأنهما بنفس الشخصية وبنفس العمر.

فتاة جميلة ورقيقة وتملك ملامح بريئة.

تتعرض للاغتصاب من قبل شاب ملتوي يرغب بها بشدة ولكنها لاتحبه ولاترغبه لذلك ينتقم منها بذلك الشكل.

أشرقت أشعة الشمس الذهبية لتتسلل خيوطها إلى نافذة تلك الفتاة الراقدة بفراشها بسلام، فتحت عيونها بانزعاج من أشعة الشمس القوية لتسمع صوت أمها تصيح بها:

"آسيل هيا أيتها الكسولة استيقظي هيا"

تململت بانزعاج ونهضت وهي تصيح لأمها بصوتها الرقيق الناعس:

"ها أنا استيقظت يا أمي حسناً"

نهضت سريعاً وفعلت روتينها اليومي، دخلت إلى الحمام غسلت وجهها ونظفت أسنانها لتخرج من الحمام وتتجه إلى خزانتها وتخرج ثيابها.

لترتدي ثيابها وتسرح شعرها الناعم ذو الخصلات البندقية وتتجه إلى الأسفل حيث تجلس والدتها على مائدة الطعام.

لتركض آسيل إلى أمها وتقبلها من خدها وتقول:

"صباح الخير مامي"

ردت والدتها بابتسامة:

"صباح النور يا آسيل"

"كيف حالكِ اليوم.؟"

تحدثت وهي تجلس على كرسيها

"بخير عزيزتي"

أجابت الأم وأطلقت تنهيدة بسيطة

"أمي هل ستذهبين اليوم إلى المستشفى، هل لديكِ عمل اليوم أم أنكِ مازلتي في إجازتكِ"

سألتها آسيل وهي مستمرة في طعامها.

تنهدت الأم وقالت:

"نعم يا ابنتي سوف أذهب اليوم لدي عمليات ولا أستطيع أن أكمل إجازتي لنهاية الأسبوع."

همهمت آسيل بتفهم ونهضت لتقبل وجنتا والدتها لتودعها وتذهب إلى جامعتها راكضة لأنها ستتأخر على محاضرتها.

بينما الأم ظلت تحدق بالفراغ وتعود بذاكرتها بأول ليلة لها مع زوجها ليلة زفافها

:Flash back

"ماذا قلتي يا ابنتي"

تحدث والد سمية الذي كان يجلس بجانب ابنته ويسألها عن قرارها.

تلعثمت سمية وقالت:

"كم.ا.تر.يد. .يا أبي"

لم يشأ أن يغصبها على الزواج لذلك أعاد سؤاله مرة أخرى وهو يقول لها:

" اسمعيني يا ابنتي أنا لن أجبركِ على الزواج أبداً إذا كنتِ لاتريدين الزواج من هشام تحدثي لننهي هذا الموضوع"

ضربات قلبها بدأت تطرق بشدة، هي معجبة بشخصية هشام فقد كان جارهم وكانت تراه دائماً وهو يذهب إلى عمله وهي تراقبه من نافذة غرفتها هو كان يعلم بأنها معجبة به ولكنه لم يكن يعيرها أي اهتمام على الإطلاق ولكن عندما علمت بأن هشام تقدم لخطبتها رقص قلبها فرحاً وسعدت بطلبه جداً.

أشار والدها بيده لتفيق من شرودها وقال:

"ماذا قلتي ياسمية"

بدأت بفرك يديها وهي مطرقة برأسها للأرض وقالت بصوتٍ خافت:

"موافقة يا أبي"

وخرجت مسرعة من الغرفة وقلبها ينبض بعنف بينما ابتسم والدها وذهب ليخبر والد هشام بأنها تمت الموافقة ليحددو موعد الزفاف بأسرع وقت.

#يوم الزفاف

كانت متوترة وخائفة جداً لاتعلم لماذا هناك هاجس يقول لها بأنه لن يكون كل شيء على مايرام ولكنها تجاهلت شعورها وأكملت حفلة زفافها مع زوجها وانتهت الحفلة على خير وذهب هشام بسمية إلى منزلهم لتدخل سمية بتوتر بالغ وواضح على وجهها.

دخلا إلى غرفتهما وكلاهما لم ينطق بحرف ليبتسم هشام ابتسامة ساخرة ويقول:

"ماذا هل أنتِ خائفة أم ماذا ياسمية"

لم تستطع سمية الرد أو حتى النظر لوجهه من شدة حيائها وخجلها ظلت أنظارها مركزة على الأرض لتشعر بيد تحاوط خصرها واليد الأخرى تمتد على وجهها ليرفع وجهها بيده لتتلاقا عيناهما ببعض ويتحدث معها بجمود وبرود قاتل:

"سأخبركِ بشيء مهم ياسمية أنا لا أحبكِ ولا أريد الزواج منكِ ولكن أبي دفعني للزواج منكِ لإنه يرى بكِ الزوجة المثالية"

قال جملته الأخيرة بسخرية بينما هي تابعته بصدمة ناظراً لها بسخرية ليردف قائلاً:

"سوف أفعل معكِ ما أريد، ستكونين لي هذه الليلة، هذه الليلة فقط"

ابتسم بخبث وسقط بها على السرير ومن ثم قبلها بوحشية وغضب مدة طويلة ليجعل شفتاها تنزف وهي تبكي بصمت وتلعن حظها العاثر الذي أوقعها بين يديه وتنظر لجسدها العاري بعد أن مزق لها ثوبها الأبيض ليبدأ هو ويفرغ بها رغبته ومن دون ذرة شفقة على حالها.

بعد مدة من الوقت تجلس على سريرها وهي تضم ركبتيها لصدرها وتبكي من ألمها وتلعنه تحت أنفاسها مئات المرات. أما هو فلم يهتم لها ولا لحالها، هو كل مافعله أنه نهض من سريره واتجه إلى الحمام تاركاً ورائه انثى تبكي بحرقتها.

لم يهتم لحالها، لم يهتم بمشاعرها، لم يعاملها كما يجب على الزوج معاملة زوجته في أول يوم لهما سويا، أخذ عذريتها عنوة ولم يهتم لتوسلاتها والامها أبداً.

تركها في الصباح الباكر نائمة على سريرها متكورة على نفسها وذهب بعيداً بحيث لا رجوع له نهائياً هذا ماكان يجول في خاطره لينصدم الجميع بالشيء الذي حصل وتعود سمية إلى بيت أبيها مكسورة الخاطر، وللمفاجأة الكبرى بأنها تلقت ورقة طلاقها بعد أسبوع من زواجها واختفائه من حياتها للأبد.

لم تبدي أي ردة فعل عندما علمت بحملها بعد مرور شهران على تلك الحادثة بل على العكس كانت سعيدة جداً بأنها ستصبح أم وأقسمت بداخلها بأنها ستكون حياتها لمولودها الجديد فقط.

مرت أيام وذهبت أيام وهاهي سمية في المستشفى تأن وتتألم بولادتها لتنجب فتاة كالبدر، فرحت بها سمية جداً لم تسمح لأحد بالاقتراب منها سوى أباها وهو الذي ساعدها هو ووالدتها على تربيتها، وها هي آسيل الآن أصبحت فتاة ناضجة واعية ومثقفة والأهم من ذلك جمالها الذي يذهب العقول.

أفاقت من شرودها على صوت قرع جرس الباب لتنهض بتكاسل وتمسح دموعها بظهر يدها وهي تندفع لفتح الباب لترى أمامها أخيها مالك (رجل ملتوي ذو شخصية سلبية وغير محببة لأحد ويبغض آسيل جداً ويسعى لإبعادها عن أمها انتقام لأخته التي ظلمت من قبل زوجها فهو يحقد على آسيل ووالدها بشدة، هو في منتصف الأربعين من عمره متزوج ولديه ولدان أصغر من آسيل بسنوات قليلة).

حدقت به بصمت وأفسحت له الطريق بينما هو ينظر لعيونها الدامعة قائلاً بسخرية:

"ماذا؟ هل مدللتكِ بالجامعة"

لتنظر له بغضب على حديثه تجاه ابنتها وتهم بالحديث ليقاطعها هو ويردف:

"مابكِ لما كنتي تبكين هل تذكرتي والد ابنتكِ السافل"

أنهى جملته بابتسامة ساخرة لتصيح هي بغضب:

"كفاك، ألم تمل من الحديث عنه، ما الذي تريده "

ابتسم بسخرية ليجيب:

"لا أريد شيئاً ياسمية، أريدكِ أن تعيشي حياتكِ بهدوء وسعادة، ابنتكِ أصبحت شابة وتستطيع الاعتماد على نفسها، لم لا تقبلين الزواج من وسيم هو يحبكِ"

ابتسمت بسخرية وأجابت:

"هل تريدني أن أتزوج لأنك تريد أن تراني سعيدة في حياتي أم أنك تريد أن تأخذ نصف ورثتي من أبي رحمه الله"

وقف أمامها ونظر لها ببرود ليقول:

"أنتِ تعلمين ياسمية أن الأموال لاتهمني بقدر ماتهميني أنتِ، أنا أريدكِ أن تعيشي حياة هادئة بعيدة عن ذكريات الماضي"

صمت لوهلة ليردف قائلاً:

"تعلمين جيداً ياسمية أنني أستطيع أن أبعد آسيل عنكِ، أريدكِ أن تفكري جيداً بهذا الموضوع"

خرج بهدوء وبرود تام صافعاً الباب خلفه لتحدق سمية في فراغه والرعب يدب بأوصالها.

هي تعلم جيداً أنه يستطيع أن يبعد ابنتها عنها ولكنها لا تستطيع الابتعاد عن ابنتها، هي كل ماتملك في هذه الحياة لذلك قررت أن تفكر في الأمر بروية وحكمة وتدرس الموضوع جيداً.

قطعت شرودها بتنهيدة حارة أطلقتها من أعماق قلبها متوجهة لتغير ثيابها وبعدها تتوجه إلى عملها.

كانت تركض بأقصى سرعة لديها كي لا تتأخر عن محاضرتها، هي لا تحتاج للمواصلات لإن بيتها قريب من جامعتها.

وصلت عند باب الجامعة وما إن وصلت حتى سمعت صوت أنثوي يحدثها ونبرتها لا تنم على خير أبداً:

"هيا ياذيل المعزة متأخرة كالعادة أيتها الحمقاء"

علمت من صاحبة هذا الصوت فوراً، التفتت للوراء وعلى ثغرها ابتسامة لطيفة لتقول لها آسيل:

"مابكِ أيتها الخرقاء لم أتعمد التأخير، اصمتي ياشهد وهيا أمامي إلى المحاضرة يجب أن يرى الأستاذ تصاميمنا الجديدة هيا هيا"

كانت شهد تعقد ذراعيها حول صدرها وتنظر لآسيل بعبوس كاذب ما إن سحبتها من يدها حتى تمتمت شهد:

"فاشلة"

التفتت لها آسيل وقهقهت وقالت:

"إذا كنت أنا فاشلة فأنتِ الفشل بعينه"

لتضحكا سوياً وتسيران باتجاه محاضرتهما.

من جهة أخرى وتحديداً في مكان يبدو عليه الفخامة والثراء في منزل زين الدين يقف ذاك الشاب بجسده الضخم وملامح وجهه الرجولية الوسيمة في منتصف حديقة المنزل يحمل بيده كأس من النبيذ واليد الأخرى يحمل بها سيجارته التي لاتفارقه.

كان يتأمل الورود علماً بأنه لا يحبها ولكنه يحب أن يتأملها يحب الهدوء ولا يحتمل الضجة والضوضاء قاطع تأمله صوت رنين هاتفه، تأفف بانزعاج ليخرج هاتفه من جيبه وينظر للشاشة ويقلب عيناه ويجيب ببرود بصوته الرجولي الأجش:

"ماذا تريد"

وصله صوت مفعم بالحياة ولكنه صوت رجولي أجش:

"قل مرحباً يارجل"

قال جملته بضحكة مستفزة لآسر ليكز آسر على أسنانه وكأنه رأى يوسف وضحكته المستفزة ليقول بغضب:

"قل ما لديك أيها اللعين ليس لدي وقت لأضيعه معك"

ضحك وقال باستهزاء:

"ماالذي دهاك يارجل! أنت تظل مشغول طوال وقتك، تمنيت لو مرة في حياتك ترفع هاتفك وتهاتفني ولكن لا، آسر لايفعلها أبداً"

كز آسر على أسنانه ليردف بعصبية:

"قل ما لديك فقط"

ليصل لمسامعه صوته وهو يمثل البكاء ويقول ببكاء كاذب:

"آه يا أبي كيف ذهبت وتركتني وحيد مع هذا البارد اللعين رحمك الله يا أبي، قل أمين أيها اللعين"

شعر يوسف بأن آسر سيثور غضبه عليه لذلك أردف قائلاً:

"حسناً حسناً، كنت أريدك أن تأتي معي اليوم لكي نذهب لنسهر في مكان ما أريد أن أرفه عن نفسي فأنا مللت من العمل"

أجاب آسر ببرود:

"حسناً في تمام العاشرة تعال إلي ونذهب سوياً"

وأغلق الخط في وجهه لينظر يوسف للهاتف بوجه عابس وهو يتوعد لآسر بأنه سيفقده عقله اليوم حتى لو كان على حساب ضربه كالعادة من قبل آسر، سيشتمه بأسوء الشتائم.

"ماالذي أسمعه لقد جن الفتى"

كان ذاك صوت أخت يوسف التي كانت تسمعه وهو يتوعد لآسر ويشتمه،

نظر لها بطرف عينه وقال:

"اصمتي ياحمقاء ماكان يجب أن أفكر بصوت عالي لإنك ثرثارة وتهوين تعذيبي من قبل آسر"

صمت لوهلة بينما هية ظلت تضحك عليه ليقاطعها بحديثه:

"أنتِ لن تقولي له بأني شتمته صحيح"

صمتت ولم تجب فقد اكتفت بابتسامة استفزازية ظهرت على ثغرها لينظر لها يوسف ويقول:

"تحدثي لماذا لاتتحدثي يا صغيرتي الجميلة، أنتِ أعظم أخت عرفها التاريخ أقسم لكِ أنا أحبكِ جداً"

نظرت له بطرف عينها لتقول له ببرود:

"ولكن أنا لا أحبك"

ليقول يوسف:

"أجل أعلم ولكن يجب أن تصمتي ولا تخبريه بشيء أنا أخاكِ حبيبكِ، من المؤكد أنني لن أحيى للغد إذا علم بهذا لذلك أنتِ اصمتي وأنا اليوم عندما أعود سوف أجلب لكِ كل ماتريدين"

قفزت بسعادة وقالت:

"أريد المخدرات خاصتي"

تصنع الجدية وحمحم وقال:

"أنسة ماريا أنتِ سوف يقبض عليكي بتهمة تهريب المخدرات"

حاولت أن تتصنع الجدية هي أيضاً وتقول:

"أستاذ يوسف أنت مقبوض عليك من قبل ملك الموت لأنني سوف أذهب لابن عمي وأخبره بأنك شتمته"

تحدثت بكلمتها الأخيرة وهي تقفز وتهرب من يوسف الذي ما إن سمع حديث أخته حتى جحظت عيناه وركض خلفها وهو يتوعد لها بأنه سيخنقها.

ملاحظة: المخدرات خاصة ماريا هية الشيبس والشوكولا والتسالي.

في منزل آسيل حيث جالسة مع أمها تقلب بالقنوات بتملل وتختلس النظر لأمها التي كانت شاردة الذهن طوال وقت عودتها من المستشفى، حمحمت آسيل لوالدتها وقالت:

"مابكِ أمي لما أنتِ شاردة الذهن هل حصل شيء! هل أنتِ مريضة"

ابتسمت سمية لاهتمام ابنتها بها وخوفها عليها لتقول:

"لاعزيزتي أنا بخير"

"إذاً مابكِ أمي"

قالتها آسيل وهي تعقد حاجبيها لتصمت الأم ولاتنطق بحرف لتردف آسيل:

"هل خالي كان هنا اليوم"

قالت جملتها وابتسمت بسخرية، نظرت لها سمية وتنهدت تنهيدة قوية وقالت:

"يريدني أن أتزوج وسيم"

عقدت آسيل حاجبيها لتقول:

"وما المشكلة في ذلك أمي، العم وسيم رجل محترم وذو شخصية ممتازة وبالنسبة لأحواله المادية فهو مرتاح كلياً مامشكلتكِ إذاً أمي"

نظرت لها سمية بعيون دامعة لتقول بنبرة أشبهها للبكاء:

"لا أريد أن أتركِكِ وحدكِ ومن المحتمل أن لا يسمح لكِ بالعيش معي"

بكت سمية لتنهض آسيل إليها وتحتضنها وتردف سمية بصوت باكي:

"خالكِ قال أنه يستطيع أن يأخذكِ مني وأنا لا أريد أن أبعدكِ عني أبداً"

تنهدت آسيل بحرقة فهي تعلم كمية الكره الذي يحمله لها خالها منذ صغرها لأنها ابنة هشام وخالها يكره والدها ويكن له الحقد والكراهية.

مسحت على شعر والدتها التي سكنت بين أحضانها لتقول آسيل:

"لا بأس يا أمي لاتخافي لن يحصل شيء يؤذيني أبداً اطمئني وانا سوف أبقى بجانبكِ دائماً ولن يبعدني عنكِ أحد"

صمتت لوهلة وأردفت آسيل:

"أمي ان شاء الله ستكون الأمور على مايرام ولاتتشائمي قد يسمح لي عمي وسيم بأن أقيم معكما لاتعلمي"

ابتسمت سمية لتبادلها آسيل وتنهض من أمام ابنتها لتبقى في مكانها شاردة بحالها وبحال والدتها وما الذي سوف يحدث لهم في المستقبل، هي لاتعرف ولكن شيئاً بداخلها ينبؤها بأن الأمور لن تسير على مايرام، حاولت تجاهل شعورها هذا ونفضت تلك الأفكار من رأسها لتجر نفسها إلى غرفتها كي تكمل رسوماتها وتصاميمها.

أما عند سمية فقد كانت تفكر بطلب وسيم لها، هل تقبل أم ترفض؟ هل تنصاع لأمر أخيها أم تعاند لتخسر ابنتها وتحرم منها؟ ظلت تفكر إلى أن قررت بأنها سوف تتكلم مع وسيم غداً بخصوص هذا الموضوع ولتعلم ماهي ردة فعله عندما تقول له بأنها ترغب بأخذ آسيل معها ولا تفكر إطلاقاً بأن تدعها لوحدها، غطت في نوم عميق بعد أن أرهقها التفكير ولم تشعر بشيء من بعدها.

من جهة أخرى في منزل متوسط الحجم تجلس تلك الفتاة ذات الملامح البريئة في الصالة تقلب في هاتفها بملل وهي واضعة قدم فوق الأخرى، تأفأفت بملل لتقول لها والدتها هدى:

"ما بكِ ياشهد"

أجابت شهد بغيظ:

"أمي أنا سئمت جلوسي في البيت أريد أن أخرج سئمت سئمت"

قالت كلمتها الأخيرة بصوتٍ عالي لتجيب والدتها:

"يافتاة هدئي من روعكِ أذهبي حيثما تشائين ما الذي يمنعكِ"

وقفت بغيظ وقالت:

"الذي يمنعني هو الست آسيل، هاتفتها منذ قليل وقالت بأنها لن تستطيع الخروج لديها تنفيذ التصاميم الناقصة"

قلبت والدتها عيناها وقالت:

"دعي الفتاة وشأنها، إذا كنتي تريدين الخروج فاخرجي استنشقي الهواء قليلاً وعودي إلى البيت، وسوف يكون قد وصل والدكِ للبيت"

قلبت عيناها شهد وضربت بقدمها على الأرض وقالت بغيظ:

"حاضر هدى هانم"

ذهبت إلى غرفتها بدلت ثيابها وخرجت من المنزل لكي تستنشق الهواء قليلاً وتلهو ريثما يعود والدها إلى البيت.

كانت تمشي شاردة الذهن تراجع ذكرياتها في طفولتها مع آسيل وتبتسم ابتسامة بلهاء، شعرت بأحد خلفها استدارت للخلف ووجدت ذاك الشاب الذي كان يطاردها ويجري خلفها من مكان لمكان، تأفأفت بضجر وأسرعت بخطواتها لتسمع صوته يناديها وهي لا تستمع إليه، شعرت بيد تمسكها من رسغها وتوقفها استدارت ونظرت له بحدة ونفضت يدها من يده وتحدثت بلهجة حادة:

"ماذا تريد"

ابتسم الشاب ابتسامة جانبية وقال:

"كل خير"

قلبت عيناها وقالت:

"لن يحصل خير إذا بقيت واقف مكانك وتلاحقني من مكان لمكان"

أطلق ضحكة رنانة استفزت شهد كثيراً نظر لعينيها بتحدي وقال:

"لن تستطيعين منعي من ملاحقتكِ، سوف أبقى على حالي إلى أن تشفقي على هذا العاشق الولهان وتتقبليني"

قال جملته بدرامية مع مزيج من السخرية، نظرت له ببرود من رأسه حتى أخمص قدميه وقالت بنبرة استفزازية:

"أسفة ولكنني لا أتقبل الحثالة أمثالك"

نظر لها بغضب والشر يتطاير من عينيه وقال:

"أقسم لكِ لو لم تكوني بفتاة لكنت حطمت وجهكِ، سأتجاهل فعلتكِ لكِ هذه المرة ولكن احذري مني ياشهد لأنني لن أتركككِ أبداً حت.."

قاطعته بصفعة على وجنته وهي تنظر له بغضب، رفعت سبابتها بوجهه وقالت له بتحدي ممزوج بالغضب:

"سوف تخرج من حياتي ولن تطاردني بعد الآن وإلا سوف ترى ما الذي سأفعله بك، اللعنة عليك وعلى أمثالك أيها الحشرة"

بصقت كلماتها في وجهه وهو ينظر لها بعينان مشتعلتان ومتوعدة لها بأن القادم لن يعجبها أبداً، بينما هي نظرت له بتقزز وأكملت سيرها مسرعة إلى منزلها تاركة خلفها شيطان يتوعد لها بالمكيدة، إنه سهيل (شاب من أصحاب السوء يتعاطى ويشرب الخمر، طرده والده من منزلهم عندما علم بأنه يتعاطى المخدرات ولجأ إلى أصدقائه رفاق السوء وأصبح ألعن من ذي قبل فقد أصبح يسرق أموال الناس أو المحلات التجاية أو يتاجر بالسيارت المسروقة، عمله لم يكن صالح ابداً، هو يطارد شهد منذ مدة يريد أن يقضي وقته بها لا أكثر، كان يراها هي وآسيل دائماً، أقسم بينه وبين نفسه أنه حالما ينتهي من شهد سيأتي دور آسيل، في كل مرة كان يحاول بأن يتحدث مع شهد كانت لا تفتح له المجال أبداً وتطرده وفي أغلب الاحيان تشتمه وهذا مازاد من حقده عليها اكثر لذلك قرر عدم التراجع وتنفيذ خطته ولكن في الوقت المناسب).

كور قبضته بغضب وهو يتوعد لها بأفظع الافعال، زفر بضيق ورحل والشياطين تحوم حوله.

في مكان تعم فيه الضجة والأصوات الصاخبة مستنقع الفواحش والذنوب، يجلس هناك آسر ويوسف على طاولة البار يشربان ويتحدثان، ليجول يوسف بنظره وتقع عينه على فتاة اتضح له بأنها كانت تختلس النظر له منذ مدة لتعطيه ابتسامة جانبية وترفع الكأس بيدها وتشرب منه ليفعل مثلما فعلت ويشرب كأسه دفعة واحدة ويعيد النظر لها، فتتجه الفتاة إليه وهي تتمايل في مشيتها بكل خفة ودلع بقوامها الممشوق وابتسامتها الواسعة وتقول:

"مرحباً"

ليجيبيها يوسف بابتسامة جانبية:

"أهلاً"

اقتربت الفتاة من يوسف أكثر ليشم رائحة عطرها وعيناه مسلطة على ثوبها المغري الذي ترتديه وتردف بدلع:

"هل يمكنني الجلوس معك قليلاً"

نظر يوسف إلى آسر الذي كان ينظر للفتاة نظرة اشمئزاز وينظر له نظرة تحذيرية ليستدير يوسف ويغمز لها:

"اذهبي الآن سنتحدث بعد قليل"

ابتسامة خبيثة نمت على وجهه وهي تغمز له وتذهب بعيداً عنه وكأنها فهمت مايجول في خاطره، التفت يوسف لآسر الذي يجلس بجانبه ولا يتفوه بكلمة فقط يكتفي بالشرب ليردف يوسف:

"مابك يارجل أنت تشغل نفسك بالشرب فقط ألا ترى الفتيات أمامك، لا أعلم لما أنت بهذا التعقيد"

نظر له آسر نظرة جانبية مستهزئة ليقول:

"هذا ليس تعقيد ولكنني لا أهوى الفتيات الرخيصات مثلك"

ضحك يوسف على كلمته ليقول:

"أنت لاتعلم كيف تعيش حياتك بسعادة، الرخيصات اللاتي لا يعجبن حضرة جنابك يجعلن الرجل في قمة سعادته ولكنك أنت تحب الكآبة والشؤم"

ابتسم آسر بسخرية قائلاً:

"إذاً سوف أتركك لسعادتك أيها اللعين"

أنهى جملته بابتسامة جانبية تاركاً خلفه يوسف الذي ينظر له بغرابة.

نعم آسر يذهب إلى تلك الأماكن ويشرب ولكنه لا يحب أن يمس امرأة كانت في حضن شخص غيره، هو يريد ذلك الشيء ولكن مع واحدة يدق لها قلبه ولكنه لايفكر في الأمر ابداً كونه لم يجرب معنى الحب ولا يريد أن يجربه لأنه يعتبر نفسه بلا قلب، بعكس يوسف تماماً فا يوسف يعشق الفتيات ومتعدد العلاقات ولم يترك فتاة بحالها يوماً وهو سعيد بذلك الشيء، لايخلط أموره ببعضها فـ عمله هو الشيء الأساسي بحياته ولا يقصر فيه أبداً ويبعد عمله عن لهوه وفتياته لأنه يحب الالتزام بكل شيء سواء كان في عمله أو في علاقاته التي لا تعد ولا تحصى.

صباح اليوم التالي

كانت جالسة وشاردة الذهن تنتظر قدوم وسيم كي تتحدث إليه، لم تكن تعلم ما الذي سوف تقوله له وبدأت تفكر بخوف، هل يعقل بأن لا يسمح ببقاء ابنتها معها؟ هل من الممكن أن يأمرها بأن تتركها لإنها أصبحت كبيرة ومسؤولة عن نفسها؟ أسئلة كثيرة بدأت تدور في رأسها وهي خائفة من ردة فعله والحديث معه ولكنها أصرت على قرارها بأنها لن تتخلى عن ابنتها أبداً مهما حدث ولو كلفها الأمر بأن تأخذ ابنتها وتهرب بها بعيداً عن الجميع.

قاطع شرودها بوقوف رجل فاره الطول بملامحه الجميلة ولباقته وابتسامته العذبة يصل عمره لمنتصف الاربعين تقريباً لتستيقظ من شرودها وهي تراه أمامها يمد يده لها بالمصافحة لتنهض وتصافحه بابتسامة خفيفة وتجلس مكانها ليقول:

"كيف حالكِ سمية"

تحدث بهدوء ووقار لتجيبه بكل هدوء:

"بخير، كيف حالك أنت"

ليبتسم لها ابتسامة خفيفة ويقول:

"أنا بخير وبأحسن حال، بما كنتي تفكرين؟ لقد أتيت ووجدتكِ غير منتبهة لأحد وكأنكِ وحدكِ في هذا المكان، ما الذي حدث"

لتبتسم ابتسامة سخرية وتقول:

"وهل يجب علي أن أهتم بالناس، لاتقلق أنا فقط كنت أفكر في العمل"

ليهمهم لها ويهز رأسه بتفهم ويقول:

"سمية سوف أكون صريح معكِ لأبعد حد، أنتِ تعلمين بأنني أريد الزواج منكِ وأعلم بما يدور برأسكِ، أنتِ خائفة على ابنتكِ أنا متأكد من هذا، وخائفة أيضاً من أنني لا أتقبل فكرة العيش معنا ولكن أريد أن أطمئنك لإنني أنا لن أقبل بأن تتربى آسيل لوحدها، لذلك سوف أرحب بها في منزلي، وسوف تكون مثل ابنتي وأهتم بها وأحميها من كل شيء، فقط أنتِ لاتقلقي ولاتتعبين نفسكِ في التفكير، والآن هل تقبلين الزواج بي"

أنهى جملته الأخيرة بابتسامة جانبية لتتوسع عيني سمية وكأنها تكاد لاتصدق ماتسمعه، هي كانت خائفة جداً من عدم تقبله لابنتها ولكن ما الذي يحدث؟ هل حقاً سيحميها ويعاملها وكأنها ابنته؟ هل سوف يعوضها عن حرمان الأب الذي حرمت منه؟ هل سوف يكون الزوج الذي تفتخر به أمام الناس؟ ظل ينظر لها بتمعن وكأنه فهم مايدور في رأسها ليقول:

"سمية لاتقلقي أقسم لكِ بأنكِ سوف تكونين أسعد إنسانة في الوجود وسأعامل ابنتكِ أحسن معاملة، فقط ثقي بي واعطني فرصة واحدة لأثبت لكِ صحة كلامي"

نظرت له نظرة فيها الأمل لتبتسم له وتهز رأسها بـ نعم لتتسع ابتسامته ويردف بقوله:

"إذاً سوف أتحدث مع أخيكِ لنتفق على كل شي"

لتهز رأسها موافقة وتقول:

"كما تريد"

ابتسم لها ابتسامة أراد فيها أن يطمئنها على حالها وحال ابنتها لأنه يعلم جيداً بأنه سوف يفعل قصارى جهده فقط من أجل سعادتها وسعادة ابنتها.

نائم على سريره متمدد عليه بكل أريحية وهو عاري الصدر استيقظ، من نومه على صوت أنثوي، فتح عيناه ببطئ ليراها جالسة بجانبه مع ابتسامة جانبية صغيرة ليبتسم ويقول:

"صباح الخير"

اقتربت منه ووضعت يدها على خده وهي تمرر يدها عليه وتطبع قبلة صغيرة على شفتيه لتقول:

"صباح النور"

اعتدل في جلسته لينهض من فراشه إلى الحمام أما هي فقد نهضت لترتدي ملابسها كي ترحل، خرج من الحمام وهو يلف منشفة حول خصره ويمسك منشفة صغيرة يجفف بها خصلات شعره، ابتسمت له وقالت:

"هل سأراك مرة أخرى، لا أريد أن تكون ليلة عابرة فقط"

ابتسم بسخرية وقال:

"لا أعلم ربما نعم وربما لا، انظري إلي أنا لا أحب أن أتقيد بأحد، أحب التغيير وأحب أن يكون معي كل ليلة فتاة مختلفة على فراشي"

اختفت ابتسامتها بالتدريج وقالت بعبوس:

"ولكنني أنا سوف أكون معك دائماً افعل معي ماتشاء"

تجاهل كلامها وانتهى من ارتداء ملابسه لتردف له بغضب:

"لماذا تتجاهل كلامي أنا أحدثك"

نظر لها بطرف عينه، اقترب منها وقال:

"هل تعانين مشكلة في سمعكِ، حسناً قلت لكِ لا أحب الت ق ي ي د"

شدد على حروف كلمته الأخيرة ليتركها وهي قاطبة حاجبيها ليصفف شعره بعناية ويرتدي ساعة يده، أخرج من صندوقه النقود واتجه نحوها مع ابتسامة مستفزة وقال:

"كل شيء بحسابه"

نظرت إلى يده التي يحمل بها النقود وأعادت النظر إليه بغضب، أمسك يدها ووضع النقود في يدها وقال:

"انتهى وقتكِ تستطيعين الذهاب"

نظرت له وهي تستشيط من الغضب لتخرج من المنزل بأكمله وهي تلعن ذاك المتكبر، بينما هو ابتسم ابتسامة نصر على سذاجة هذه الفتاة وهو يتذكر أحداث أمس.

:Flash back

عندما رحل آسر تاركاً يوسف خلفه نظر له بغرابة، ما إن تذكر تلك الفتاة حتى أصبح يبحث عنها بعينيه ليراها جالسة لوحدها وفي يدها الكأس غمز لها عندما نظرت له وتوجهت إليه قائلة:

"إذاً"

قالت كلمتها ورفعت حاجب ليبتسم لها ابتسامة ماكرة وحدثها بغباء مصطنع:

"ماذا"

ابتسمت له وتحدثت:

"أحبك عندما تصطنع الغباء، ألن نذهب"

قالت جملتها وهي تمرر يدها على وجهه ليضحك ضحكة قصيرة ويغمز لها ويقول:

"ستكون ليلة مدللة، هيا بنا"

ضحكت بدلال واعتدل في وقوفه ليضع يده على خصرها ويذهب بها إلى منزله ليقضو ليلة جامحة ويحفرها في ذاكرتها مدى الحياة.

.End flash back

أفاق من شروده على صوت رنين هاتفه ليجيب بجدية:

"صباح الخير سيدي"

أجابه ذاك الصوت الخشن الهادئ:

"صباح النور، حضرة الضابط أريدك في مكتبي بعد ساعة من الآن"

أنهى جملته أمراً إياه ليتحدث يوسف بهدوء ونظام:

"تحت أمرك سيدي"

أغلق الهاتف واتجه إلى منزله ليبدل ثيابه إلى بدلته العسكرية، وصل إلى البيت ورأى أخته ماريا جالسة على الأريكة، وقف أمامها ليتحدث ولكنها قاطعته بعصبية:

"أين كنت يايوسف؟ من هي تلك الفتاة التي أمضيت ليلتك معها بالأمس ها؟ ألا تخجل من نفسك؟ ألا تتذكر بأن لديك أخت أم أنك نسيت؟ لا أعلم كيف تفعل ذلك وأنت أكبر ضابط في البلاد وتعمل مع المخابرات أيضاً"

أنهت جملتها الأخيرة بسخرية ليقلب عيناه بتملل من ذاك الحديث الذي تقوله له أخته كل مرة، تجاهل كلامها واتجه إلى غرفته ليبدل ملابسه ويخرج سريعاً ويقف أمام أخته ويقول:

"أنتِ تعلمين جيداً أنني هكذا منذ زمن ولن أتغير لذلك لا داعي أن تتحدثي معي بنفس الموشح كل مرة، وبالمناسبة أنا لا أربط عملي بمتعتي أعطي كل شيء حقه بالكامل لذلك كفي عن ثرثرتكِ، وبالنسبة لكِ فأنتِ لم ولن تكوني مثل اللاتي أقضي وقتي معهن"

أنهى حديثه وخرج من المنزل ليتجه إلى القسم أما عند ماريا فـ ابتسمت ابتسامة سخرية على حديث أخيها السخيف الذي لا منطق له من الأساس، نهضت متوجهة إلى غرفتها لتبدل ملابسها وتتجه إلى جامعتها وهي تلعن أخيها من كل قلبها.

في الجامعة عند آسيل وشهد تمشي الفتاتان بهدوء تتحدثان وتضحكان وهما في طريقهما إلى المحاضرة، بعد وقت ليس بقصير تخرج الفتاتان بسعادة بالغة لإنهم أنهتا المحاضرة لتقول شهد:

"آسيل مارأيكِ بأن نذهب إلى المقهى ونشرب القهوة"

طرحت سؤالها بحماس لتجيبها آسيل بالموافقة لتذهبان إلى مقهى خارج الجامعة، جلست الفتاتان وطلبتا قهوة بالحليب، بعد وقت قصير جداً جاء النادل بطلبهما لتخرج شهد علبة سجائرها وتشعل سيجارة لها، نفخت الدخان في وجه آسيل لتكح بانزعاج وتقول:

"أيتها الحمقاء ألن تبطلي هذه العادة سوف تحرقين رئتيكِ يافتاة"

تحدثت آسيل وهي عاقدة حاجبيها لتجيبها شهد بابتسامة باردة:

"لا لن أبطلها فا أنا قد تعودت عليها غير ذلك أنني لن أموت ناقصة عمر إذا شربت السجائر، اتركيكِ مني الآن وقولي لي ماهو الخبر الذي كنتي تريدين أن تقوليه لي"

أجابتها آسيل بانتباه:

"أجل لقد تذكرت، أمي وافقت على العم وسيم وسوف تتزوج في الأسبوع المقبل وسأذهب لأعيش عندها، العم وسيم هو من طلب ذلك"

شهقت شهد وقالت بسعادة:

"مبارك لها يافتاة، بصراحة خالتي سمية تستحق كل خير هي إنسانة محبة وحنونة وأنا أحبها كثيراً، لكن لا أعلم لماذا أنتِ مثل ذيل الكلب الأعوج لما لم تكوني مثلها"

أنهت جملتها الأخيرة ممازحة بابتسامتها الاستفزازية لتجحظ عينان آسيل وتعقد حاجبيها وتقول بغضب مصطنع:

"اصمتي ياذيل المعزة انا التي لا أعلم كيف أنتِ ابنة أباكِ وأمكِ أنتِ لاتشبهيهم بشيء، يا لكِ من حمقاء"

ضحكت شهد على غضب صديقتها المصطنع لتشاركها آسيل في الضحك وتقضيان جلستهما بالمرح والضحك، بعد وقت طويل نهضت الفتاتان لتتوجه كل واحدة إلى بيتها، في طريق العودة للمنزل رأت شهد أكثر وجه تبغضه على وجه الأرض لتعقد حاجبيها بغضب وتتابع سيرها هي وآسيل متجاهلة تماماً ذاك الشخص الذي لم يرتح قلبها له أبداً.

قاطع طريقهم ذاك المدعو سهيل ليوجه حديثه لشهد بابتسامة مستفزة:

"أهلاً بالفتاة الجريئة، إلى أين ذاهبة! ألا تريدين أن نقضي سوياً بعض الوقت ونمرح قليلاً ياجميلة"

أنهى جملته الأخيرة بغمزة لها لتستشيط غضباً منه وتتحدث بغضب:

"أيها الحثالة ألن تكف عن إزعاجي، ألم أقل لك أذهب ولاتريني وجهك القبيح مرة أخرى أم أنك لاتريد أن تجري أمورك على خير"

قهقه بسخرية على جملتها ليقول:

"اسمعيني جيداً، أنا سهيل ولا أحد يقول لي لا، أقسم بأنني سأدفعكِ ثمن تلك الصفعة التي تلقيتها منكِ، أنتِ فقط اصبري واحذري مني جيداً"

في الواقع شهد فتاة قوية ولاتخاف شيء ولكن نبرة سهيل ونظرته لها كانت مليئة بالحقد والتوعد لها بالجحيم اللعين لذلك شعرت بالخوف منه ولكنها لم تبين له هذا الشيء، جاءت لتتحدث وتجيبه فقاطعتها آسيل بحديثها له:

"أذهب للجحيم أيها الحثالة نحن لانخاف أحد، أرى أن تذهب إلى مستنقعك عوضاً من أن تأتي وتوقف فتيات محترمات مثلنا، أنت لست من مستوانا ونحن لانعطي أهمية لأمثالك أيها الوقح"

قالت جملتها وضربته بركبتها على منطقته ليتأوه ويصرخ بألم، ذهبت الفتاتان من أمامه بسرعة البرق بينما هو يتلوى من ألمه ليتوعد لهما بأسوء الأفعال ولكن سيأتيهم بالدور أولاً شهد وبعدها آسيل.

في منزل يظهر عليه الفخامة يجلس ذاك الرجل الذي يصل عمره إلى منتصف الأربعين بهدوئه ووقاره يحمل الجريدة اليومية في يديه ويضع نظارته الطبية ليقرأها باهتمام، اتجهت إليه سيدة في الأربعين من عمرها لتجلس أمامه وتحمحم بهدوء، انتبه لزوجته ليبتسم ابتسامة جانبية وينزل النظارة عن عينيه ويترك الجريدة بجانبه ويتحدث:

"أهلاً أحلام، ها أين الأولاد وأنتِ أين كنتي"

اقتربت منه لتجلس بجانبه وتقول:

"الأولاد في حديقة المنزل بالخارج، أما أنا كنت في النادي مع أصدقائي"

ابتسم لها وهو يهز رأسه لتردف قائلة:

"أنت لم تخرج من البيت اليوم لماذا هشام، حتى أنك لم تذهب إلى عملك هل هناك شيء"

أجاب بهدوء:

"لا عزيزتي لايوجد شيء فقط لم يكن مزاجي جيد فلم أذهب للعمل لاتقلقي"

جاءت لتتحدث ولكن قاطع حديثها رنين هاتف زوجها ليجيب ببرود:

"ما الأمر"

انتبهت أحلام لملامح زوجها التي تحولت للغضب عندما جاءه هذا الاتصال ليصيح على المتصل:

"حسناً اذهب"

عقدت حاجبيها باستغراب لتسأل زوجها بمن كان المتصل ليجيبها:

"لقد كان ذاك الرجل الذي كلفته بمراقبة سمية وابنتي آسيل، كان يقول بأن سمية سوف تتزوج وآسيل ستذهب للعيش معها"

رفعت حاجبها أحلام قائلة باستنكار:

"ونحن ماشئننا أم أنك تغار على الست سمية ولاتريدها أن تتزوج! فلتذهب إلى الجحيم هي وابنتها نحن لا شأن لنا"

نظر لها بغضب الدنيا وصرخ عليها:

"احلام إلزمي حدودكِ أتفهمين، سمية لاتهمني بشيء ولكن ابنتي تهمني، لن أدعها تعيش عند ذاك الغريب أبداً، فلتذهب سمية للجحيم أما آسيل فسوف تأتي للعيش معي هنا"

أنهى جملته بإصرار وكأنه يقول لها لاتحاولي فـ أنا قررت وانتهيت لتجيبه بصدمة:

"ولكن أنا لن أتفق مع ابنتك أبداً"

ابتسم بسخرية وأردف لها:

"لايهمني، المهم أن لاتعيش ابنتي عند رجل غريب"

أنهى جملته تاركاً خلفه إمرأة تستشيط من الغيظ والغضب.

ماذا! هل حقاً يتكلم معي هكذا؟ هل حقاً سوف تأتي وتعيش معنا؟ لماذا غضب عندما علم بزواج سمية؟ هل يحبها؟ هل يحن لها؟ ولكن هو لم يقضي معها سوى يوم واحد؟ هل سيلغي زواجها؟ لا ياربي يجب أن تتزوج ولكن هناك العقبة الكبيرة أمامي آسيل، كيف سأمنعه من جلبها لهنا؟ كيف سيتقبلوها أولادي مرام وغيث كيف؟ هذا ماكان يدور في خاطر أحلام.

لماذا غضب عندما علم بأنها سوف تتزوج؟ لماذا لايمنحها سعادتها التي سلبها إياها هو منذ زمن بعيد؟ تركها خلفه غير آبه بحالها أو حال ابنتها، والآن يغضب عندما يعلم بأن ابنته سوف تعيش مع أمها وزوجها، هو يعلم تماماً بأن ابنته آسيل لن تتقبله أبداً وسوف ترفض المجيء للعيش معه ولكنه سيجبرها على ذلك، لن يحتمل بأن يرى ابنته في أحضان رجل آخر، والأصح هو يستشيط غضباً وغلاً وغيرة على سمية، لايريدها أن تتزوج احداً غيره، هو يحبها نعم يحبها من قبل مجيئه وطلبها للزواج ولكن شيء ما منعه من إكمال حياته معها لذلك كذب عليها وقال لها بأنه لايحبها وتزوجها فقط إطاعة لأوامر أبيه، لم يستطع نسيانها أو إخراجها من رأسه كان يتآكل من الداخل عندما يتخيلها في أحضان رجل غيره وكان يخشى من أن يأتي يوم ويراها على ذمة رجل غيره، ندم أشد الندم على هجرانه لها وطلاقه لها، كان يجب عليه أن لايطلقها فقط يبتعد عنها، لكي لاتصبح لأحد غيره، ولكن تجري الرياح بما لاتشتهي السفن، فا ها هي سمية قررت أن تعيش حياةً طبيعية هادئة مع رجل يقدرها ويعيشها في سعادة.

ولكن ماذا عن هشام؟ نعم هو أناني جداً، نار الغيرة تأكله، هو نادم على فعلته تلك ونادم أيضاً على معاملتها كذلك في أول ليلة لها معه عندما اغتصبها وبث فيها أنواع الآلام المختلفة، نادم على كل شيء، ولكن لماذا، لماذا فعل ذلك؟ لماذا هجرها؟ لماذا طلقها؟ لا أحد يعلم غيره، هذا السر الذي لا يعلمه أحد سواه هو، ولكن هل سيأتي اليوم لتكشف جميع الحقائق، نعم هو يعتبر نفسه معذور على فعلته تلك لإنه كان مجبور، ولكن لماذا؟ سوف يعلم الجميع بالحقيقة ولكن ليس الآن فكل شيء في أوانه.

في منزل آسر

يجلس في صالة المنزل الكبيرة بهدوء وبيده سيجارته التي تعانق شفتيه بين حين وآخر، ينظر للفراغ شارد الذهن يفكر في حياته التي يعيشها بعيداً عن والداه اللذان تركانه وحيداً غير آبهان بحاله، كيف لرجل وامرأة لايملكان سوى ولد واحد بأن يتركانه وحده؟ كيف لهما أن يتخليان عنه؟ لماذا؟ لم يستطع الإجابة على أسئلته التي تدور في رأسه، ولم يجد لهم أي عذر لهما أبداً بتركهما له وحيداً، وهذا ما جعل حقده يزيد في قلبه تجاه والديه، تركاه شاب بعمر التاسعة عشر عندما قرر بأن يتطوع بالكلية الحربية، كان يحلم بأن يكون أكبر ضابط، يحب زي العساكر ويطمح أن يصبح مثلهم، رفض والداه هذا الشيء ولكنه أصر على قراره وظل على عناده إلى أن تطوع بالكلية الحربية وذهب مع مجموعة من الشبان برفقة ابن عمه يوسف إلى التدريب والاختبارات لمدة ثلاثة أشهر، عندما عاد لم يجد والداه في البيت، تخليا عنه وسلماه زمام الأمور لنفسه، تركاه وحيداً فقط لإنه أراد تحقيق حلمه، عندما رحلا وجد آسر في غرفته رسالة من أبيه وكان محتواها:

"بني آسر لا أعلم ما الذي أقوله لك ولكنني لست راضٍ عن قرارك هذا ولا أريدك أن تصبح من الضباط، كنت أحلم بأن أربي ولدي الوحيد ليصبح مثل أبيه ناجح ومتفوق بعمله لتدير أمور شركاتي من بعدي، ولكنك حطمت جميع آمالي بك، لذلك هذا سوف يكون عقابك ياولدي، سوف تحرم منا أنا ووالدتك إلى أن تتراجع عن قرارك وتترك عملك لتكمل دراستك وتدير الشركات برفقتي وبرفقة ابن عمك، وإذا أصريت على قرارك اعلم جيداً بأنك لن ترانا أبداً، وسوف تخرج من المنزل ولن تحصل على الميراث، سوف أتبرع بجميع أموالي عند موتي، لذلك يابني سوف أنتظر قرارك الحاسم إما كل شيء أو لا شيء، فكر ملياً بحكمة وستعلم بأنني لا أريد سوى مصلحتك لإنك ولدي الوحيد، واعلم جيداً بأنك لم ولن تنجح في هذا العمل طيلة حياتك إذا استمريت فيه، وسوف يأتي وقت عليك لن يكون بيدك حيلة سوى اللجوء إلي وطلب العفو والسماح، أنا أعلم جيداً بأنك ستفشل في هذه المهمة ولن تنجح لذلك لاتعاندني وتخلى عن هذه الأحلام المزيفة ولا تخسر والداك، وإذا أصريت على قرارك أخرج من المنزل ولا تعود ثانية"

هل هناك أحد يشعر بما يشعر به آسر الآن؟ والسؤال الأقوى هل يوجد والدان بهذا الشكل؟ لماذا يمنعانه عن تحقيق حلمه؟ لماذا لايدعمانه في قراره؟ لماذا لايقفان بجانب ولدهما الوحيد؟ في تلك الأثناء أصر آسر على قراره أكثر من ذي قبل وخرج من المنزل نهائياً وذهب للعيش مع ابن عمه يوسف الذي رحب به أشد الترحيب وكانا كالأخوة مع بعضهما وكبرت ماريا بينهما لتعلم بأن لديها أخان وليس أخ واحد لذلك كانت تعتبر آسر كأخيها أيضاً، واستمر آسر في عمله مع الكتيبة وأكمل دراسته وتخرج من إدارة الأعمال التي دخلها نظراً لتلبية رغبة أبيه في ذلك، ولكنه ظل مع الكتيبة إلى أن أثبت نفسه وأصبح أكبر ضابط في البلاد من بعدها أصبح يعمل مع المخابرات أيضاً، لم يكتفي في حلمه فقط، أراد أن يثبت أكثر من ذلك ويفاجئ أبيه الذي استهزء به وقلل من شأنه، لذلك كان أكثر إصراراً على قراره ولم يتراجع عنه، إلى أن أصبح آسر شيئاً كبيراً في حياته وحياة الآخرين، حرمانه من أبيه وأمه أثر على شخصيته كثيراً فهو حتى وإن كان بارد وعصبي كان أيضاً طيب القلب ومحب ومرح، ولكن الآن لا يهمه في هذه الدنيا سوى عمله، لم يأبه بحال أبيه عندما علم بأنه في المستشفى ولم يسأل عنه، أصبحت والدته في الفترة الأخيرة تحاول مهاتفته ولكنه كان لايعيرها أي اهتمام ولا يكلف نفسه في الحديث معها، الآن وبعد عشر سنوات من الفراق والهجران لولدهم الوحيد شعرا بالذنب والندم، أرادا أن يعود آسر إليهما ولن يهمهما ماهو عمله سوف يتقبلان ولدهما بجميع أحواله ولكنه رفض ولم يعترف

عليهما بل قسي عليهما بالكلام ومن ضمنه بأنه نادم على أنه جاء من صلب أبيه غير ذلك اعتبر نفسه يتيم الأبوين.

لم يعلم كم ظل من الوقت شارد الذهن ليقطع شروده إحدى حراسه بطلب إذنه بدخول يوسف له ليسمح له بالدخول، دخل يوسف إليه بابتسامته الواسعة التي لاتفارق ثغره أبداً ليبتسم آسر بسخرية على حال صديقه المعتوه الذي اطلق عليه هذا اللقب منذ زمن، ألقى يوسف التحية على صديقه ليجلس بجانبه ويقول:

"اشتقت لك ياحبي"

قالها وهو يكتم ضحكته لينظر له آسر نظرة معناها حقاً وينفجر يوسف بالضحك بينما آسر يحاول تهدئة أعصابه كي لايتهور ويلقن يوسف درساً قاسياً ولكنه تماسك وقلب عيناه بتملل وقال:

"أيها المعتوه هل قلبت موازينك وأصبحت تغرم بالشباب بدل الفتيات التي تقضي معهن أوقاتك الحميمة أم ماذا"

أنهى جملته بعبوس ليطلق يوسف ضحكة صغيرة ويردف:

"لا يامهجة قلبي ولكنني أحب أن أتغزل بك"

قال جملته وهو يراقص حاجبيه ليلكمه آسر لكمة خفيفة على وجهه وهو ينظر له بامتعاض، لم يتكلم يوسف وإنما اكتفى بكتم ضحكته، بادر آسر بالسؤال:

"إذاً كيف حال ماريا لما لم تأتي معك"

اعتدل يوسف في جلسته وقال بهدوء:

"لقد ذهبت إلى جامعتها، غير ذلك هنالك أمراً أردت التحدث به إليك، أنا لم أكن في المنزل كنت عند النقيب في مكتبه، لقد طلب مني جمع معلومات عن بعض الشبان الذين يتاجرون بالمخدرات في الجامعات وغيرها والشبان الذين يهربون الأسلحة أيضاً، أعطاني قائمة بأسمائهم وأوصاني بأن تكون معي في هذه المهمة"

أنهى حديثه الجدي ليعقد آسر حاجبيه ويقول:

"ولماذا لم يتصل بي"

أجابه:

"لقد اتصل بك عدة مرات ولكن هاتفك مغلق هذا ماقاله لي"

هز آسر رأسه بتفهم ليردف قائلاً:

"يبدو أنه مغلق أو لا يوجد تغطية"

أجابه يوسف:

"أجل يبدو كذلك، إذا من أين سنبدأ حبي"

قال جملته بابتسامة على وشك أن تصبح ضحكة قوية ولكنه كتمها بينما آسر نظر له بغضب ونهض من مكانه ليلقنه درساً قاسياً لن ينساه بينما يوسف يضحك بشدة على آسر الذي يظل في حالة عصبية من أمره ولا يعلم لماذا.

في مكان تعم فيه الضجة والاصوات الصاخبة كعادته من كل مرة يجلس ذاك المدعو سهيل في الملهى الليلي مع ثلاثة شبان ينتمون لأخلاقه وأعماله وأفعاله الدنيئة، بينما هم يشربون إلى أن وصل اثنان منهم لحالة الثمل ولم يعودان يفكرام بشيء سوى الضحك والكلام الغير مفهوم الذي يتفوهان به، ألتفت سهيل لصديقه الجالس بجانبه وتحدث:

"أريد أن أدفعها الثمن على تلك الصفعة التي أعطتني إياها سوف آخذ حقي منها تلك اللعينة"

تحدث بغل واضح بعينيه ليبتسم صديقه بخبث ويقول:

"حسناً ولكن ما الذي ستفعله بها"

تحدث سهيل بشرود:

"سوف أذلها سأسرق منها أغلى مالديها، سأغتصبها"

التفت إلى وجه صديقه بكلمته الأخيرة ليبتسم ابتسامة ماكرة ويحدثه:

"وهل سيكون لنا بالطيب نصيب، أقصد يعني هل سوف نتشارك بها أنا متأكد بأنه لا مانع لك أليس كذلك"

أنهى جملته رافعاً حاجبه ليتحدث سهيل بحدة:

"لا لن يكون لكم نصيب بشيء منها هي لي فقط، أنا الذي سيلمسها ويأخذ عذريتها، أنا فقط لا أحد غيري"

همهم صديقه بتفهم وتحدث:

"مابك يارجل لم اقصد شيء، حسناً انتهى وكأنني لم أقل شيء أنسى الأمر لاتقلق"

هز سهيل رأسه بشرود وهو يفكر كيف يمكن أن يخطفها وإلى أين سيذهب بها ولكن عندما يتعلق الأمر بشاب لا يعترف بدينه وليس لديه ذرة أخلاق متسكع مع رفاق السوء لن يصعب عليه شيء، حسناً ولكن لماذا غضب عندما سمع حديث صديقه بمشاركته بها؟ لماذا استشاط من الغضب؟ لماذا ود لو أنه ينهال على صديقه بالضرب المبرح؟ في الواقع هذه ليست أول مرة سهيل يغتصب فتاة مع أصدقائه، صحيح أن الفتيات ينعدون على الأصابع ولكنهم كانوا يتشاركون بها وتبقى ضحية لهؤلاء الشبان القذرين الذين لا يفعلون حساب لربهم، أنهى سهيل سهرته وهو ثمل لا يشعر بشيء ولا يتمتم سوى باسم شهد.

#بعد مرور أسبوع من الأحداث:

تزوج وسيم من سمية بعد ذاك الحوار الذي دار بينه وبين سمية بثلاثة أيام وها هي آسيل جاءت لتعيش مع والدتها في بيت زوجها، وسمية تشعر بالراحة والاطمئنان مع زوجها الجديد، آسيل هذا اليوم الأول لها مع والدتها وزوجها لذلك لم تعلم شيء عن معاملته معها حتى الآن ولكن هي واثقة بأن عمها وسيم سوف يكون الدرع الحامي لها ولوالدتها، بينما هم مجتمعين ثلاثتهم على مائدة الطعام والسعادة ظاهرة عليهم ليدخل بالحديث وسيم قائلاً:

"إذاً ابنتي آسيل كيف حال دراستكِ"

تحدث بابتسامته التي لاتفارقه لتبتسم آسيل في وجهه وتجيبه:

"بخير عمي أنا الآن أموت في التصاميم الكثيرة، سيقضى علي أقسم لك ولكن أبذل قصارى جهدي كي أكون من المتفوقين"

ضحك على جملته تلك ليقول:

"أنا أعلم جيداً بأنكِ فتاة مجتهدة وجيدة، أيضاً يجب عليكِ أن ترفعي رأسي أنا ووالدتكِ لإنكِ من الآن أصبحتي مسؤولة مني وأريد منكِ أن تعتبريني والدكِ بالضبط وكل شيء تحتاجيه تقولي لي فوراً ليكون عندكِ بسرعة"

ابتسمت له بامتنان لتقول:

"شكراً لك عمي"

هز برأسه بابتسامة ليوجه نظره إلى سمية التي كانت تتابع الحديث بابتسامة ليغمز لها وتجحظ عيناها وتجول بنظرها بأنحاء الغرفة بتوتر بينما هو يحاول أن يكتم ضحكته على حالها، أما آسيل فهي لم تنتبه لشيء لإنها كانت مشغولة بأكلها وذاك الشيء كان من صالح وسيم لكي يشاكس سمية قليلاً بنظراته ويضحك على خجلها وتوترها.

حسناً، ها قد تزوجت سمية وهي الآن سعيدة مع زوجها وبوجود ابنتها بجانبها تكاد تطير من الفرح، الآن علمت ماهي السعادة، الآن علمت كيف يكون لها عائلة، شعرت بأن وسيم والد آسيل بحق ويستحق الثقة التي أعطته إياها ولكن ماذا عن زوجها السابق الذي يكاد يموت من غيرته وغيظه وغضبه؟ لم تفكر به أبداً ولم يخطر على بالها نهائياً، هل سوف تمضي حياة سمية بهدوء كما رسمتها مع وسيم أم سيطرا عليها تغيير مفاجئ، بينما هشام يتآكل من داخله والنار تأجج في قلبه، هو يعلم بأنها نسيته ويعلم أيضاً بأنها سعيدة مع زوجها ولكن لن يسكت على فعلتها تلك لن يدعها تعيش بهدوء، ولن يدعها تكون لأحد غيره ولكن كل شيء له وقته.

جالس في مكتبه على كرسيه مرخي رأسه ومغمض عينيه يفكر في زوجته أو بالأصح طليقته، لماذا ظل يحبها؟ لماذا لم يستطع نسيانها؟ لم يذق طعم النوم إلا قليلاً منذ يوم زواجها، هو يعلم كل أخبارها وأخبار ابنته، ويعلم بكل تحركاتهما، لايستطيع تخيلها معه، كل ما كان يتخيلها وهي تبتسم له وتكون معه يكاد قلبه ينفجر من الغيرة والغضب، هو لم يحب زوجته أحلام يوماً ولكنه تزوجها فقط للاحتياج، كان يريد أن يحظى بحياة هادئة مستقرة فقط، ولكنه كان يرغب بهذه الحياة مع زوجته السابقة وليست أحلام، لإنها امرأة تحب المظاهرة والمفاخرة في النفس تحب السلطة والمال وهذا مادفعها للزواج من هشام طمعاً بماله في السابق ولكنها الآن تعشقه، كانت دائماً خائفة من سمية بأن يأتي يوم ويعيدها له ولكنها فرحت بشدة عندما علمت بزواجها، ولكن الآن لديها المشكلة الأكبر التي هي آسيل لإن زوجها مازال مصراً على جلبها للعيش بينهم ولكنه ينتظر الوقت المناسب، شغلت باله، وأتعبت قلبه ببعده عنها، كان دائماً يتخيلها أمامه، حتى وهو على فراشه مع زوجته كان يتخيلها سمية وليست أحلام لدرجة أنه ذات مرة نطق اسمها وهو بين أحضان زوجته عندها كادت أن تنفجر أحلام من شدة غيظها وغضبها ولكنه لم يهتم لها وعاملها ببرود.

هي ملكت قلبه، آسرت روحه في حبها ولم ينساها يوماً، نعم هو يعلم كم ذاقت من عذاب بفعلته تلك، ولكنه كان يذوق أضعاف وأضعاف عذابها هذا، كان تائه لا يعلم ماذا يفعل بدونها، ولكنه كان مجبور على ذلك، هو يعشقها مذ كانت بالثانوية ولكنه لم يبين لها يوماً حبه وعشقه لها، بل العكس كان كل ما ينظر لها او يتحدث معها يحدثها ببرود شديد، ولكن قلبه يكاد ينفجر من تلك الجميلة، حسم قراره ليأتي بابنته للعيش معه أما سمية فسوف يتركها قليلاً إلى أن يدبر أي قصة كي يبعدها عن زوجها.

دخلت عليه أحلام غرفة المكتب لتبتسم له ويقلب عيناه بتملل، لاحظت تغيير مزاجه ولكنها اقتربت منه ووضعت يديها على كتفيه وقالت:

"عزيزي مابك، أرى أنك لم تعد تطيق أن تجلس مع أحد، ألم تشتاق لي"

همست في كلمتها الأخيرة بأذنه ليتململ ويزيح يديها عنه وينهض ليمشي أمامها ذهاباً وإياباً، بينما أحلام لم تستطع أن تتحمل بعد الآن لذلك انفجرت وأردفت:

"هشام ما الذي يحدث معك واللعنة أنت لم تعد كما كنت في السابق، هل تحبها ها أجبني؟ كل هذا التغيير والبرود من أجل هذه الوقحة سم.."

لم تكمل جملتها لتأتيها تلك الصفعة على وجنتها، نظرت له بصدمة لتراه ينظر لها ببرود ممزوج بالغضب، اقترب منها إلى أن أصبحت أنفاسه الحارة تلفح وجهها ليقول:

"إياكِ أن تتحدثي عنها، لاتدعيني أتصرف معكِ تصرف غير لائق هل فهمتي وبالنسبة لابنتي سوف تأتي للعيش معي رغماً عن أنفكِ"

أنهى جملته وخرج من المنزل بأكمله، أما عن أحلام فتصنمت في مكانها والأفكار تدور في رأسها لتقسم بأنها حتى ولو أتت ابنته إلى هنا سوف تريها الجحيم وتطردها من منزلها.

أما عن هشام فخرج من المنزل وركب بسيارته وذهب بعيداً لا يعلم إلى أين، أخرج هاتفه ليجري اتصالاً:

"اسمعني جيداً أنا لم أقتنع بفكرة زواجها أريدها أن تتطلق بأسرع وقت"

تحدث بصراخ وعصبية ليجيبه مالك:

"على رسلك يارجل مابك اسمعني سوف نتركها عند زوجها فترة قصيرة وأنت بهذه الأثناء تأخذ آسيل إليك"

تحدث بهدوء بينما هشام انفجر من غضبه وصرخ عليه:

"واللعنة عليك لاتقول زوجها أنا هو زوجها وليس هو هل تسمعني، أقسم لك بأنني لن يهدأ لي بال إلا عندما أطلقها منه وأرجعها لذمتي هل تفهم! وأنا عند قراري وأنت تعرفني جيداً"

هدأ هشام قليلاً ليحدثه مالك:

"حسناً فقط اهدأ ولا تفعل شيء متهور سنفعل كل شيء حسب الخطة أولاً تأتي آسيل إليك ومن بعدها سمية لاتقلق"

أجابه هشام بهدوء:

"حسناً لنرى"

أغلق الهاتف في وجهه وهو يقود بسرعة جنونية، بينما عند مالك فهو نفسه ذاك الشخص الذي أجبر هشام على الابتعاد عن زوجته وهجرانه لها وهو نفس الشخص الذي يريد أن يهدم العلاقة بينهم، لذلك لن يدع سمية تعود إلى هشام أبداً فقط كان يساير هشام ليصل إلى مبتغاه، اتصل بأحدهم ليجيب:

"نعم"

كان هذا صوت أحلام ليجيب:

"اسمعيني جيداً إذا كنتي تريدين الحفاظ على زوجكِ فا انتبهي جيداً وتخلصي من آسيل بأي شكل، وإذا احتجتي المساعدة أنا في الخدمة إذا أبعدتي آسيل عن والدها فسمية لن تقبل بالعودة إلى هشام أبداً لإنه أحب أن أخبركِ زوجكِ يسعى لطلاق سمية من زوجها ليعيدها له"

صدمت أحلام من الحديث الذي سمعته لتقول:

"ومن أنت وما الذي جعلك تتحدث إلي وتنبهني، هل تعرف آسيل وسمية"

ضحك مالك على حديثها ليقول:

"أجل أعرفهم عز المعرفة وبصراحة أنا لم أتحدث إليكِ لسواد عينيكِ فقط من أجل مصلحتي وأنا أعلم بأنكِ تكرهين سمية وآسيل وتريدين إبعادهما عن طريقكِ أليس كذلك؟ لذلك اسمعيني جيداً ولاتكوني غبية هل فهمتي؟ آسيل سوف تأتي إليكم عن قريب و.."

أخبرها عن الشيء الذي يسعى إليه وكيف تتبع الخطة معه لتسمعه بإمعان وتفهم كل شيء لتبتسم ابتسامتها الخبيثة، بينما مالك يحدثها عن الخطوات التي ستقوم بها وتنفيذها مجرد ما إن تأتي آسيل، لتفرح كثيراً بذاك المخطط الدنيء الذي سوف ينفذوه بحق تلك الفتاة.

في منزل شهد

تجلس تلك الفتاة اللطيفة على سريرها وهي تفكر في ذاك الشاب الذي يهدد بأذيتها، لم تستطع أن تقول شيء لوالديها كي لاتسبب لهما المشاكل ولكنها خائفة جداً فهو أكد لها بأنه لن يصمت عن فعلتها، ولكنها سوف تمثل الشجاعة أمامه إن عاد واعترض طريقها، كان كل مايجول ببالها ماالذي سيفعله بها؟ كيف سيرد حقه منها؟ لم تستطيع أن تذهب فكرته من عقلها، ولم تستطع حتى أن تركز في دراستها.

تنهدت بقوة وهي تحاول أن تخرج تلك الأفكار من رأسها لتمسك بهاتفها وتهاتف صديقتها آسيل:

"مرحباً وردتي"

جاءها صوت آسيل لتضحك على كلمتها وتقول:

"مابكِ هل حياتكِ الجديدة جعلت لسانكِ نظيف"

تحدثت من بين ضحكاتها لتنفجر آسيل وتقول:

"اللعنة عليكِ أنتِ أيتها الحمقاء لاينفع معكِ الكلام الجميل بل كان يجب علي أن أرحب بكِ بلقب ذيل المعزة أو الحمقاء أو الحثالة أي شيء من هذه المصطلحات"

ضحكت شهد على حديث صديقتها لتقول لها:

"مابكِ يافتاة كنت أمزح، إذاً كيف حالكِ ها؟ وكيف هي حياتكِ الجديدة هل أنت سعيدة مع والدتكِ وزوجها"

أجابت آسيل:

"أجل ياحمقاء أنا بأحسن حال وسعيدة جداً ولكن مابكِ أنتِ؟ صوتكِ ليس على مايرام هل حدث شيء قولي ها"

تنهدت شهد وقالت:

"وكأنكِ داخل قلبي يا آسيل، في الحقيقة أنا لست على مايرام، أنا خائفة من ذاك الشاب الذي هددني، أشعر بأن هناك شيء سيحصل معي،خائفة جداً"

أنهت جملتها بصوتٍ رقيق باكي لتقول آسيل:

"لا لا لن يحدث شيء لاتقلقي جميلتي كل شيء سيكون على مايرام وهذا الحثالة لن يستطع فعل أي شيء ثقي بي، وانا سأظل معكِ ولن أفارقكِ وأي شيء سيحدث لكِ سيحدث لي أيضاً لإننا سنظل سوياً طوال العمر"

ابتسمت شهد على حديث صديقة طفولتها وهدأت قليلاً بينما آسيل تحاول بأن تخرجها من هالة خوفها وتكون شجاعة ولا تخاف من شيء، ظلتا تتحدثان مدة طويلة من الوقت بأحاديثهما المضحكة وغيرها لتودعا بعضهما وتلتقيا بالغد.

في مكان آخر

مكان يبعث للراحة والطمأنينة للنفس من شدة جماله وفخامته في الولايات المتحدة، بالتحديد في منزل جلال زين الدين يجلس ذاك الرجل الذي قارب على الستين من عمره بجبروته وملامحه الحادة التي تبرز وسامته رغم كبر سنه، خصلات شعره التي غزاها الشيب، عيناه التي تعطي الحدة مثل عينين الصقر، يجلس ذاك الرجل على الأريكة ويتصفح الجريدة بين يديه إنه والد آسر، وضع الجريدة بجانبه بإهمال ليده على زوجته أمينة وتأتي له بجسدها الذي لا بأس به أيضاً وخصلات شعرها الأشقر وابتسامتها العذبة فا بالرغم من أنها بالخمسين من عمرها فهي لا يظهر عليها الكبر.

اقتربت من زوجها وجلست بجانبه لتقول:

"ماذا هناك عزيزي"

تنهد جلال بقوة وقال:

"هل يوجد أخبار عن آسر؟ ألم يرضى أن يهاتفكِ عندما اتصلتي به أم ماذا"

تنهدت بحزن لتظهر علامات الحزن على وجهها وتقول:

"لا يريد التحدث معي أو معك، لقد انتهى كل شيء ياجلال ابني الوحيد لم يعد يطيقنا ولن يعود إلينا"

أنهت جملتها ببكاء ليعقد حاجبيه وتظهر تلك التجعدات فوق جبينه ليقول:

"لماذا أصبح قاسي القلب هكذا! أعلم بأننا قسينا عليه ولكن الصراحة صدمني عندما علم بأمر دخولي للمستشفى ولم يكلف نفسه للاطمئنان علي، يا للسخرية"

أنهى جملته بابتسامة حزينة، مسحت أمينة دموعها لتردف:

"لا أعلم ما الذي أقوله لك ولكنني سأظل على أمل أن يأتي اليوم الذي يعود فيه إلى حضني، نحن ظلمناه كثيراً ياجلال ظلمناه كثيراً"

قالت جملتها وهي عاقدة حاجبيها بحزن لينظر زوجها للأمام بحزن ويهز رأسه موافقاً على كلامها ويقول:

"سيعود في يوم من الأيام لاتقلقي سيعود"

أومئت بصمت ونهضت من جانبه لتتركه شارد الذهن متحسر على ولده الوحيد، كيف تركه لوحده؟ كيف تخلى عنه بهذه السهولة؟ هو أيضاً لم يكن يعلم بأن الأمور ستسوء إلى هذا الحد، كان يعتقد بأن آسر سوف يتطوع ومن بعدها يفشل ويعود إلى والديه ولكن صدمه بنجاحه وبعمله والتقدم فيه والتخلي عن والديه، ولكن لماذا نادم الآن؟ ألم يجب عليه أن لايتسرع ويتخلى عن ولده الوحيد! ألم يجب عليه أن يكون بجانب ولده ودعمه في قراراته! والآن ليبدأ عرضنا ويبدأ الندم يأكل بجسده، ومن ثم الحنين والشوق لولده الوحيد الذي رأى الدنيا من عينيه.

مر شهرين على حياة أبطالنا:

-آسيل وسمية تعيشان أسعد أوقات حياتهما مع وسيم ولا تخلو الأمور من بعض الغضب أو المشاكل.

-شهد تعيش حياتها طبيعية ولكن هاجس الخوف يقتحمها عندما تتذكر سهيل وتهديداته المستمرة لها لدرجة انها أصبحت لا تمشي بمفردها بالطريق خوفاً من حصول أي مصيبة بل ظلت طوال وقتها ملازمة آسيل أينما ذهبت كحال آسيل التي تظل بجانبها لطمأنتها وتهدئتها.

-سهيل مازال عند وعده وسوف ينفده عاجلاً أم آجلاً ولكن مايعيق تنفيذ خطته هي آسيل التي تظل ملازمة لشهد طوال الوقت، علماً أن شهد كانت تذهب بمفردها في بعض الأحيان قبل أن يدخل إلى حياتها هذا الشاب وهذا مالاحظه سهيل بأنها خائفة منه وقد أفرحه الأمر كثيراً ولكنه يعمل على فكرة إبعاد آسيل قليلاً فهو لايريدها بأن تفضح أمره وتفشل مخططاته ولكنه أصر على تنفيذ وعده ولكن في الوقت المناسب ويظن بأنه اقترب.

-آسر يعيش حياته بشكل هادئ ويعمل بجد ولا يقصر في عمله ولم يتخلص من كتلة البرود التي يضع نفسه فيها إلا أنه يشعر بالفراغ كثيراً ولكنه لن ولم يستطيع المسامحة أبداً، لينفض أفكاره منهما فوراً ويخرجهما من عقله.

-مازال يوسف في علاقاته المتعددة وغضب أخته الصغيرة منه إلا أنه لاينفك عن فعل مايريد ولاتخلو حياته طبعاً من اللهو والمرح ومشاكسة آسر الذي يفقد عقله منه.

-هشام مازال عند قراره بأخذ آسيل من والدتها ومازال على تواصل مع مالك الذي يأتي له بالاخبار كلها، إلا أنه يكاد يفقد عقله من شدة غضبه وغيظه وغيرته على زوجته التي لم تفارق صورتها خياله منذ عشرون عاماً، والأن شعر بأنه أتى الوقت المناسب ليأخذ ابنته من والدتها.

أحلام أيضاً مازالت على تواصل مع مالك يحدثها بين الحين والآخر ومازالا على تنفيذ خطتهما فور جلب آسيل إلى منزل أبيها.

تجلس في غرفتها تلك الجميلة تجهز تصاميمها إلى يوم غد كي تسلمها كاملة دون أي نقصان لتسمع طرقات على باب غرفتها وتجيب:

"أدخل"

كان هذا وسيم دخل عليها بابتسامة لتبادله الابتسامة ويقول لها:

"صغيرتي كيف حالكِ، ماذا تفعلين"

تركت الأوراق من يدها لتجيب:

"كنت أجهز التصاميم إلى يوم غد كي أسلمها للأستاذ"

ابتسم لها واقترب منها ليطبع قبلة على جبينها ويقول:

"إذاً بالتوفيق جميلتي، ولكن أريد أن أسألكِ سؤالاً هل بالإمكان"

هزت رأسها موافقة ليقول:

"أنا أريد أن أعلم هل أنتِ سعيدة بالعيش هنا؟ هل يلزمكِ شيء؟ تحدثي آسيل لاتخجلي مني فا أنا أكن لكِ المحبة ويجب علي أن ألبي كل حاجياتكِ"

ابتسمت له بامتنان، أمسكت يده بين يديها الصغيرة وقالت:

"عمي أنا سعيدة جداً معكما، مجرد أن أمي سعيدة أيضاً فا أنا سأكون سعيدة بالطبع، وأنا أشكرك على اهتمامك فأنا لاينقصني شيء الآن ولكن إذا نقصني أي شيء لن أتردد بالقول لك"

ابتسم لها باتساع وقبل يديها قبلة صغيرة ونظر لها لوهلة وشرد بملامحها الفاتنة، شفتاها الممتلئة، وعيونها التي بلون العسل، وجنتيها الوردية، وجها المدور، وشعرها الحريري الناعم، لم يكن طويل جداً ولا قصير فقط كان يصل إلى أعلى خصرها بقليل، أفاق من شروده هذا على صوتها ويدها التي تلوح بها أمام وجهه لتقول:

"عمي مابك بماذا شردت هل أنت بخير"

انتبه إلى نفسه ونظر إلى يديه التي كانت تحتضن يدها الصغيرة ليترك يدها فوراً ويقف ويقول:

"لا شيء جميلتي فقط شردت في أمر لاتقلقي والآن هيا والدتكِ تحضر العشاء خذي قسطاً من الراحة لتتناولي عشائكِ"

ابتسمت له وهزت رأسها موافقة لتنهض من على كرسيها وتمشي أمامه لينظر لها بطرف عينه وينظر إلى جسدها الرشيق ويقف متصنم ويسرح في خياله، نفض تلك الأفكار اللعينة من رأسه ليقنع نفسه أنها ابنته فقط ويخرج لمائدة الطعام ويتناولوا العشاء سوياً ولكن هذه المرة يختلف حال وسيم جداً، فا وسيم كان كل ما جلس على مائدة الطعام كانت عيونه تراقب سمية ولكن الآن عيونه تراقب آسيل بحركة أكلها وملامحها البريئة وكل شيء فيها، لينتبه على نفسه ويستفيق من ذاك الشعور ويقنع نفسه بانه يحب زوجته فقط ولا يتخلى عنها، لاحظت سمية توتره لذلك حدثته وقالت:

"مابك عزيزي هل أنت بخير"

حمحم بجدية ليقول:

"أجل حبيبتي أنا بخير لاتقلقي فقط كنت أفكر في أمر ما لاتهتمي"

هزت رأسها موافقة وأعادت نظرها إلى طبقها وأكملت طعامها بينما وسيم أعاد نظره إلى آسيل التي كانت تأكل بصمت إلى أن انتبهت إلى نظرته لتبتسم له ويبادلها الابتسامة ويعود بنظره إلى طبقه وهو يشعر بأنه يتصبب عرقاً، استأذن ونهض من على المائدة ليذهب إلى غرفته صافعاً الباب ورائه بقوة ويجول ذهاباً وإياباً في أنحاء الغرفة ويدور بعقله آسيل وملامحها، حاول جاهداً بأن ينفض تلك الأفكار وأن يخرجها من رأسه إلا أن صورتها أبت أن تخرج من رأسه، أمسك رأسه بين يديه وشد على شعره بقوة ليجول بعقله الحوار ويقول:

(لا لا هذا غير ممكن إنها بعمر ابنتي كيف أفكر بها بهذه الطريقة؟ أنا أحب سمية فقط أجل لا بل أنا أعشقها انتهينا، يا إلهي يجب علي أن أتخلص من هذا الأمر لا أستطيع كبح نفسي عنها تلك الفتاة تقودني للجنون، منذ أن جائت إلى هنا وصورتها لاتفارق ذاكرتي، ولكن لماذا يا إلهي، حسناً سوف أتجاهلها لن أجتمع بها سوى على مائدة الطعام فقط لن أحتك بها أبداً، سوف أتحكم في نفسي، هذه أمانة عندي لا يجب علي أن أفكر بها بهذه الطريقة) أنهى حديثه الذي كان يدور في رأسه ليتنهد من أعماق قلبه ويدخل إلى الحمام ويأخذ حماماً يريح به أعصابه.

في منتصف الليل الجميع خلد إلى النوم، إلا أن وسيم كان يمثل النوم فقط، لم يغمض له جفن وهو يفكر في تلك الصغيرة، نهض من فراشه واتجه إلى غرفتها ليفتح الباب ويجد ملاكه الصغير نائمة بسلام، اقترب منها حتى أصبح أمامها وجلس بجوارها وبدأ يمسح على شعرها، تجولت يده في أنحاء وجهها إلى أن لمس شفتيها، أحس بكهرباء تصعقه، ظل على هذا الحال مدة ليست بطويلة، بينما آسيل تململت لتفتح عينيها ببطئ وتجده أمامها ينظر لها، نهضت بنصف جسدها لتنظر إليه، بينما هو توتر جداً عندما استيقظت ولكنه كان محترف في إخفاء توتره، نظرت له بإمعان لتقول:

"عمي هل حدث شيء لماذا أنت هنا"

ضحك بخفة وقال:

"جميلتي أنتِ ابنتي جئت كي اطمئن عليكِ وجدتكِ نائمة ولكنني كنت أغطيكي جيداً لإن الجو بارد"

ابتسمت له وقالت:

"شكراً عمي"

أومأ لها بصمت وابتسامة صغيرة نمت على شفتيه لينهض من جانبها ويطفئ الإنارة ويغلق الباب خلفه ليستند بظهره على الباب ويتنهد تنهيدة حارة، اتجه إلى غرفة المعيشة وهو يفكر بزوجته وابنتها، لايستطيع أن يخرجها من عقله ولكنه يستطيع أن يتحكم في تصرفاته ولو كان هذا على حساب النيران التي تشتعل بداخله رغبة بها ولكنه سوف يبقى يذكر نفسه بأنها ابنته، ابنته فقط.

صباح اليوم التالي استيقظت آسيل بنشاط، فعلت روتينها اليومي واتجهت إلى مائدة الطعام ولكنها استغربت بعدم وجود عمها وسيم، جلست أمام والدتها لتقول:

"صباح الخير أمي"

ابتسمت والدتها وردت:

"صباح الخير عزيزتي هيا تناولي فطورك كي أوصلكِ في طريقي إلى الجامعة لدي عمل مهم في المستشفى"

ابتسمت آسيل لتقول بحماس:

"حسناً أمي ولكن أين عمي وسيم"

ابتسمت سمية لتقول:

"إنه نائم لم يحظى بالنوم الكافي ليلة أمس قال بأنه لديه صداع لذلك لم ينم جيداً البارحة"

تعجبت آسيل وتذكرت ليلة أمس عندما دخل لغرفتها ليطمئن عليها لاحظت بأنه ليس على وجهه أية علامات وجع أو شيء من ذلك القبيل ولكنها تجاهلت الأمر، أكملت فطورها ونهضت مع والدتها لتوصلها في طريقها لجامعتها، تذكرت حال شهد لتشهق بخفة وتوجه حديثها لوالدتها:

"أمي سنمر في طريقنا إلى منزل شهد لنأخذها معنا أرجوكِ"

ابتسمت سمية وهزت رأسها موافقة لتبتسم آسيل بسعادة وتهاتف صديقتها وتخبرها بأن تنتظرها أمام منزلها، وصلت آسيل وسمية إلى منزل شهد لتجدانها بالخارج تنتظرهما وتصعد السيارة وتلقي التحية عليهما ومن ثم توجهت سمية بهما إلى الجامعة.

كان آسر يجلس في مكتبه، يرتدي بذلته العسكرية ليدخل عليه أحد الحراس ويقول:

"سيدي هناك فتاتان تريدان أن تقدم شكوى بحق أحد الشبان"

استغرب آسر وعقد حاجبيه ولكنه قال:

"حسناً أدخلهما إلي"

أومأ الحارس بصمت ليسمح للفتاة ومن معها بالدخول، ما إن رأى آسر هذا الجمال واقف أمامه حتى تصنم وسرح في ملامحها، ليقطع شروده صوت أنثوي:

"صباح الخير سيدي هل لنا أن نتحدث معك قليلاً"

أومأ لها بصمت وعاد إلى بروده وأشار لهما بالجلوس لتجلس الفتاتان والتوتر ظاهر عليهما، نظر إليهما مطولاً ليحمحم ويقول:

"إذاً ما الأمر يا آنسة"

تشجعت آسيل وحمحمت بجدية واستدارت بنصف جسدها إلى آسر وقالت بهدوء:

"ممم سيدي جئنا كي نقدم شكوى بشأن شاب ملتوي لا ينفك عن إزعاجنا، نحن نريد فقط أن يتنبه من قبلكم ولا يزعجنا لإنه يقوم بتهديدنا دائماً"

نظر إليها آسر بهدوء ثم قال:

"حسناً ولكن كيف يهددكم؟ أقصد بأية طريقة يهددكما وماذا يقول لكما ومنذ متى وهو يطاردكما"

تحدثت آسيل:

"سيدي هذا الشاب اسمه سهيل رافع وهو كان يطارد صديقتي منذ أكثر من ثلاثة أشهر، هي لم تتحمل مطاردته ووقاحته معها لذلك صفعته ذات مرة ومن يومها ذاك وهو يتوعد لها، ومن بعدها أصبح يتوعد لنا نحن الاثنتان واليوم هددنا بالسلاح أقسم لك بأنه رفع السلاح علينا اليوم"

عقد آسر حاجبيه وأجابها:

"حسناً تكلمي ماذا فعل وماذا قال لكما"

Flash bakc:

عندما وصلت آسيل وشهد إلى الجامعة دخلتا للمحاضرة وسلمتا تصاميمهما كاملة ومن بعدها خرجتا من الجامعة لكي تتنزها قليلاً لإنهما اليوم لم تقضيا وقتهما كله في الجامعة لذلك كان معهما بعض الوقت للتنزه، بينما الفتاتان كانتا تسيران بهدوء وتتحدثان مع بعضهما رأتا سهيل لتتأفأف كل واحدة منهمل وتسيران بخطوات سريعة إلا أن سهيل كان أسرع منهما واعترض طريقهما وعلى وجهه ابتسامة خبيثة ليقول:

"ماذا هل اشتقتما لي"

غضبت شهد منه بشدة على وقاحته لترد عليه:

"فعلاً أنت حشرة"

غضب من جوابها ليرفع عليهما المسدس، لم تنطقا بحرف إلا أنهما ظلتا صامتتان وهذا ما أثار غضب سهيل ليندفع عليهما ويتفاجئ بتلك الضربة التي جاءت على منطقته ليتلوى بألم، بينما الفتاتان ما إن ضربته شهد حتى لاذتا بالفرار من أمامه بسرعة وركبتا سيارة أجرة وقررتا أن تذهبا إلى القسم وتقدمان شكوى بحقه.

.End flash back

"هذا ماحدث سيدي"

أنهت آسيل حديثها ليتحدث بجدية:

"حسناً، أعيدي لي ما اسمه"

أجابت آسيل:

"اسمه سهيل رافع سيدي"

عقد حاجبيه لينظر إلى للاشيء بشرود وكأنه سمع هذا الاسم من قبل لينظر بانتباه إليهما ويتجه بعدها بنظره إلى الورقة التي أمامه، تلك الورقة التي كانت تحتوي على أسماء الشبان الذين يتاجرون بالسلاح والمخدرات، ليبحث بعينيه عن اسمه ويجده من ضمن تلك الاسماء، أمسك هاتفه بسرعة وتحدث مع يوسف ليأتي إليه بسرعة البرق، تحدث بهدوء:

"حسناً يافتيات الآن سوف يأتي الرسام لكي تعطيانه مواصفات هذا الشاب ويرسمه أمامكما لنتعرف نحن على شخصيته ونقبض عليه لإنه متورط بعدة قضايا"

أومأت الفتيات بصمت ليردف لهما:

"بالمناسبة سوف نكتب ضبط، أريد أن أعلم أسميكما"

تحدثت شهد:

"اسمي شهد عبد الله وهذه ابنة خالي آسيل العمري"

نظر إلى آسيل بطرف عينه وسجل أسميهما على ورقة بجانبه ليسمع طرقات على الباب ويأمر بالدخول، دخل يوسف ببذلته العسكرية أيضاً لينظر إلى الفتيات ويبتسم ابتسامة حاول جاهداً أن يخفيها لينظر نحو آسر ويجده ينظر له بحدة، حمحم يوسف بحرج وقال:

"إذاً ماذا هناك"

أشار آسر له بالجلوس وجلس بجانب شهد ونظر بطرف عينه إليها ليحدث نفسه: (يا إلهي ماهذا الجمال أريد الاثنتان، أرجوك ياربي اجعل آسر يختفي ولو لعشرة دقائق فقط) أفاق من شروده على صوت آسر:

"أنا أحدثك منذ زمن يوسف مابك"

حمحم يوسف وتحدث بجدية:

"مم أنا معك إذاً ما الأمر"

تحدث آسر:

"أريدك أن تجلب لي الرسام كي يعطيانه مواصفات شخص يدعى سهيل"

رفع حاجبه يوسف:

"ما القضية"

حكى آسر له عن كل شيء بينما يوسف كان ينصت له ومن بعدها نهض وجلب الرسام إلى آسر وأعطت الفتاتان ملامح الشاب ليرسم لهم سهيل ذاته، نظر آسر إلى ذاك الشاب ووجه حديثه ليوسف:

"أنا رأيت هذا الشخص ولكن لا أذكر أين رأيته"

هز رأسه يوسف موافقاً ليجيبه:

"وأنا أيضاً رأيته من قبل"

ما إن انتهوا من كتابة الضبط حتى غادرتا الفتاتان تاركتان الشبان شاردين الذهن كل منهما يفكر بشيء ما إلى أن تحدث يوسف بسرعة:

"أجل تذكرت لقد رأيناه في الملهى الليلي، ألا تذكر ذاك الشاب الذي افتعل المشكلة مع حبيب الفتاة القبيحة تلك"

ما إن سمع كلمات يوسف حتى تذكره فوراً، تنهد آسر وقال:

"حسناً إذا رأيناه في الملهى أنا سأتصرف وأقبض عليه ولكن أريدك أن تجلب لي بعض المعلومات عنه وعن حياته وغير ذلك"

أومأ يوسف له ومن بعدها ابتسم ابتسامة ماكرة وقال:

"يارجل ألم ترى كل هذا الجمال ياإلهي كنت أدعو ربي كي يخفيك قليلاً من وجهي"

نظر آسر له بحدة ليقول:

"يوسف أخرج حالاً"

نهض يوسف قائلاً:

"حاضر حبي"

ما إن قال كلمته حتى فر هارباً من أمام آسر ليعود ويفتح الباب ويمد رأسه ويقول:

"ولكنهما جميلتان"

أنهى جملته واغلق الباب ليتنهد آسر بغيظ ويشرد بملامح آسيل وعلى ثغره ابتسامة بسيطة، ولكنه سرعان ما نفض تلك الأفكار من رأسه وعاد ليتابع عمله بجمع المعلومات اللازمة لهؤلاء الشبان.

في منزل هشام يجلس على كرسيه في المكتب ينفث دخان سيجارته ببرود، يفكر كيف سوف يذهب ليراها بعد كل هذه السنين! كيف ستتقبل زيارته؟ هل ستسمح له بأن يأخذ ابنتها ولكنه هو متأكد بأنها لن تسمح له ولكن هشام أقوى من أن تقف في وجهه سمية، حسم أمره ونهض متوجهاً إليها بقلب ينبض بعنف وشوق جارف بان في عينيه.

بينما كانت هناك عينان تراقبه وتشتعلان غضب ولكنها تعلم بأنها سوف تبعد آسيل عن وجهتها نهائياً لإنها رتبت لكل شيء، قررت أن تعاملها بلطف مصطنع كي لا تشك بأمرها أبداً، تنهدت بغضب لتأتي إليها ابنتها مرام ذات السادسة عشر من عمرها لتقول:

"أمي هل ذهب أبي لاصطحاب أختي آسيل إلى هنا"

نظرت لها أحلام بغضب وقالت:

"لاتقولي أختي أيتها الحمقاء، اسمعيني جيداً ستأتي هذه اللعينة إلى هنا ولكن إياكِ ثم إياكِ بأن تحتكي بها هل فهمتي"

أومأت مرام لأمها بصمت وبوجه حزين بينما غيث كان يراقب الموقف بعينين تشتعلان غضباً من أمه وتفكيرها، تقدم بخطوات بطيئة إلى أخته التي تكبره بعامين ليقول:

"سوف تأتي للعيش معنا لذلك يجب علينا احترامها هي أختنا الكبيرة أنا متأكد بأنها ستكون فتاة جميلة ومرحة أليس كذلك"

نظرت لأخيها لتبتسم باتساع وتهز رأسها بحماس وتصفق بيديها وتقول:

"وأخيراً وافقتني الرأي مرة واحدة في حياتك، هيا تعال لنجهز أنفسنا ريثما يصلان، كم أنا متحمسة لرؤيتها يافتى"

ضحك أخاها على حماسها وفرحها ليشاركها هذا الحماس بوجه سعيد وفرح، حسناً يبدو أن مرام وغيث ليس لديهما أي اعتراض على مجيء آسيل للعيش معهم، فهما متحمسان ومتشوقان لرؤية شقيقتهما الكبرى، ولكنهما خائفان من والدتهما لإن غضبها عندما تسمع باسم آسيل شيء لايطمئن أبداً، ولكنهما لن يسمعا كلامها كما أنهما قررا هما الاثنان منذ الآن أن يتخذاها كصديقة لهما وليست أخت فقط.

في منزل شهد

كانت آسيل عند شهد في منزلها، جلستا في الشرفة وبدأتا تتحدثان بين بعضهما، دخلت عليهما والدة شهد بابتسامتها اللطيفة لترحب بآسيل وتضع الضيافة على الطاولة وتذهب، كانتا تضحكان وتمزحان إلا أن آسيل لم يكن قلبها مطمئن، كان قلبها قابض لاتعلم لما ولكنها تجاهلت هذا الأمر واندمجت مع صديقتها لتتحدث شهد بصوتها الناعم:

"هييي يافتاة ألم تنتبهي لذاك الضابط عندما كنا في القسم، بالله عليكي أليس جميل"

عقدت حاجبيها وقالت:

"لقد كانا اثنان ياحمقاء أي منهما تقصدين"

تحدثت شهد بحماس:

"الذي اسمه يوسف مابكِ الذي جلس بجانبي"

شردت آسيل لتتذكر ملامحه وتذكرته قليلاً ولكن ملامح ذاك الذي كان يجلس وراء مكتبه لم تتذكر منه شيء سوى عينيه و حدتها، استيقظت من شرودها على صوت شهد:

"مابكِ ياحمقاء أنا أحدثكِ بماذا تفكرين"

رمشت آسيل عدة رمشات لتجيبها:

"لا شيء مهم"

أردفت شهد:

"حسناً إذاً لم تقولي لي هل أعجبكِ هذا الذي اسمه يوسف أم لا، صراحة الاثنان وسيميان بحق حتى الرسام وسامته لاتوصف يا إلهي لما لانحظى بمثل هؤلاء الشبان"

تحدثت بيأس واستندت بيديها الاثنتين على ركبتيها ووضعت كفيها على وجنتيها وملامح الاستياء بادية على وجهها لتبتسم آسيل وتقول:

"حسناً يافتاة لاتقلقي غداً سأذهب للقسم وأجلب لكِ أرقام هواتفهم لتحديثهم، أنتِ فقط لاتحزني"

نظرت نظرة جانبية لآسيل لتمد لسانها لها وترد آسيل بحركتها الطفولية تلك، ظلت الفتاتان تتحدثان إلى أن نهضت آسيل كي تذهب إلى بيتها، ودعت شهد واحتضنتها لم تعلم لما احتضنتها ولكنها شعرت بشعور غريب، توجهت إلى منزلها شاردة الذهن، قلقة على حالها وعلى والدتها لتتنهد بيأس وتكمل طريق عودتها إلى منزلها.

في جامعة إدارة الأعمال

تجلس هذه الفتاة النشيطة بكل حيوية ومرح بين أصدقائها، تتحدث وتضحك وتمرح معهم، ولكن كانت هناك عيون تراقبها لم تنتبه لها، نهضت ماريا ومن معها إلى خارج محيط الجامعة لترى ابن عمها آسر ينتظرها جانب سيارته ويبتسم لها، ما إن رأت آسر حتى قفزت من السعادة وركضت إليه واحتضنته بقوة ليبادلها وابتسامته تزين ثغره، رغم نظرات الجميع لهم إلا أنها لم تهتم فهي مرت عليها فترة طويلة لم ترى بها آسر، كانت نظرات الفتيات موجهة نحوها وهن يحسدونها على ابن عمها ذاك، ما إن خلص نفسه منها ومن عناقها حتى أركبها بسيارته وصعد بجانبها وانطلقوا إلى وجهتهما.

تحدثت ماريا بحماس:

"إلى أين سوف تأخذني أخي"

ابتسم لها وقال:

"يافتاة أنا مدعو على الغداء عندكم اليوم، أخاكِ الأحمق هو من طلب مني الحضور ولكني أنا تبرعت وأتيت لاصطحابكِ معي"

تحدث وهو يراقص حاجبيه كي يثير استفزازها لتعقد حاجبيها بغضب وتقول:

"ماذا تقصد ها هل تتفضل علي ياهذا سوف أقتلع عينيك الجميلتان هذه وسنرى ما الذي ستفعله"

أنهت جملتها وكتفت يديها لينظر لها ويبتسم ويقول:

"مابكِ كنت أمزح فقط، حسناً في الواقع أنا جئت مخصوص من أجلكِ كي أصطحب البرنسس ماريا معي مارأيكِ"

لم تجبه ولم تتحدث فقط ضمت يديها إلى صدرها أكثر وزمت شفتيها ورفعت رأسها إلى الأعلى، نظر إليها آسر وقال:

"يافتاة ألا تريدين المخدرات خاصتكِ"

ما إن سمعت هذه الجملة حتى قفزت على آسر وكادت تفتعل حادثة في الطريق لتهتف وتصرخ بقول:

"أجل أجل أجل أريد مخدرات هيا هيا آسر أريد المخدرات خاصتي هيييي أنت الأفضل أحبك أخي"

ضحك على حماسها وقال:

"حسناً هل أنتِ متأكدة من أنكِ كبيرة لإنني بدأت أشك بكِ ياذات العشرون عاماً"

أنهى جملته بضحكة مكتومة لتصفق وتردف:

"أجل أنا ذات العشرون عاماً ولكن طول وجسم فقط المخ لايعمل لدي لايوجد أبداً"

أنهت جملتها بمرح ليضحك عليها، بعد قليل من الوقت نظرت ماريا للطريق باستغراب لإن هذا ليس طريق بيتهم لتقول:

"آسر إلى أين سنذهب نحن، هذا ليس طريق المنزل"

حدثها بهدوء:

"أجل أعلم اصمتي قليلاً الآن ستعلمين إلى أين سنذهب"

مر وقت ليس بطويل ليقف آسر بسيارته أمام مطعم كبير وفخم، ما إن رأته ماريا حتى فرحت بشدة لإنها تحب الذهاب إلى المطاعم جداً، دخلت المطعم هي وآسر لتحدثه قائلة:

"ألم تقل لي بأنك مدعو عندنا في البيت لماذا أتينا إلى المطعم"

تحدث آسر:

"مابكِ أيتها الثرثارة ألا تكفين عن الكلام؟ ستسببين لي الصداع اصمتي قليلاً"

قلبت شفتها السفلية دليل على حزنها وضمت يديها إلى صدرها، نظر لها آسر بطرف عينه وابتسم بخفة وأعاد نظره للجانب الآخر وهو شارد الذهن، مر وقت ليس بطويل ليأتي يوسف إليهما ويرحبان به ليجلس معهما ويقول:

"إذاً ما الذي جرى هل تأخرت عليكما ياترى"

تحدث آسر بملل:

"يارجل لو لم تأتي لكان الحال أفضل"

قلب عينيه ليقول:

"ألن تكف عن شتمي وتهزئتي، أنا أكرهك"

ايتسم آسر بسخرية ليجيبه:

"نفس الشعور أقسم لك"

ضحك يوسف على جملته ووجه نظره إلى أخته الجالسة تسمع الحديث ولا تشاركهما ليقول:

"وأنتِ ياقردة قلبي ألن نسمع صوتكِ النشاز اليوم"

ما إن سمعت هذه الجملة حتى شهقت وجحظت عيناها واستعدت للهجوم ولكن آسر منعها من فعل شيء لتتوعد له بأن حسابه في المنزل، طلبوا الغداء وتناولوا غدائهم ولم يخلو الجو من مشاكسة ماريا كل حين وآخر لاستفزازها وضحكهم عليها، انتهت جلستهم وخرجوا من المطعم متوجه كل منهم إلى وجهته.

يقف بملامحه المتوترة أمام منزلها، متردد وخائف بعض الشيء من مواجهتها، كيف ستكون ردة فعلها؟ هل ستغضب عندما تراه؟ هل ستطرده من المنزل؟ هل سيرى بريق الشوق في عينيها أم الغضب والكراهية؟ كل هذه الاسئلة كانت تدور في رأسه، شجع نفسه وطرق عدة طرقات على الباب والتوتر بادي على ملامحه ولكنه حاول أن يخفيها، سمع صوت أقدام تقترب لتفتح الباب ومع كل خطوة تتقدم ينبض قلبه بعنف ويكاد يخرج من صدره.

كان وسيم جالس في صالة البيت إلى أن سمع أحد يطرق على الباب لينهض ويفتح الباب، تقدم وفتح ليرى رجل بعمره تقريباً، عقد حاجبيه باستغراب من هذا الغريب ليقول:

"أهلاً وسهلاً من أنت"

ما إن رآه هشام حتى اشتد فكه واحتدت ملامحه ولكن حاول أن يحافظ على هدوءه ليجيبه:

"أنت لاتعرفني لكن أنا أعرفك وأعرف سمية وآسيل أيضاً"

تعجب وسيم من هذا الشخص كثيراً، أردف إليه هشام:

"ألن تستقبلني! أريد أن أتحدث إليكم جميعاً"

تحدث هشام بسخرية ليفسح وسيم الطريق ويسمح له بالدخول، دخل هشام بخطوات ثابتة وعيناه تجول بأرجاء المنزل، كانت عيناه تبحث عنها فهو متلهف لرؤيتها وبنفس الوقت خائف من مواجهتها، قاطع تفكيره سؤال وسيم:

"أهلاً بك، إذاً أنت قلت بأنك تعرف زوجتي وابنتي، حسناً من أين لك أن تعرفهما"

احتدت ملامح هشام ليتحدث بانفعال:

"ليست زوجتك واللعنة، وآسيل ليست ابنتك إنها ابنتي هل تسمع"

صدم وسيم من حديثه ولم يستوعب ما قاله، كاد أن يتحدث ولكن تلك التي كانت واقفة بصدمة جعلت لسانه ينعقد، كانت سمية جالسة بغرفتها فجأة سمعت صوت رجل لتنتفض من مكانها وتخرج لترى ما الأمر، ما إن جاءت عينها بعينه حتى تجمدت أطرافها وتوسعت عينها، انعقد لسانها ولم تنطق بحرف وهذا الأحمق الذي بصدرها ينبض بعنف، لم تستوعب أي شيء وكأن الزمن توقف عند هذه اللحظة لتسمع صوت هشام وهو يوجه حديثه إليها:

"أهلاً بالمدام سمية، كيف حالكِ؟ ألم تتعرفي علي"

كان حال هشام لايختلف عن حالها بشيء فهو عندما رأها تنظر إليه بدأ قلبه ينبض بعنف كحالها هي، نظر إليها من أخمص قدميها حتى رأسها، لم يستطع وصف شعوره في تلك اللحظة، حاول أن يجمع الكلام ليوجه حديثه إليها مرة أخرى:

"مابكِ هل رأيتي جني"

كان يتحدث ببرود ولكن داخله بركان وسينفجر من شوقه إليها غير ذلك مع كل هذا البرود الذي يتصنعه إلا أن نظرة الحب بانت في عينيه، لسانها عجز عن النطق وقدماها لم تعد تستطيع حمل جسدها لتجلس على الأريكة وتطلق لدموعها العنان بصدمة، أحس هشام بسكاكين تغرز في قلبه ولعن نفسه مئات المرات ولكنه ظل محافظ على هدوءه، بينما وسيم كان يتابع الموقف بأكمله، صدمة سمية ونظرة هشام لها، بهذه الأثناء كان قد استوعب بأن هذا الرجل هو زوج سمية السابق ووالد آسيل، نهض من مكانه متجه إلى سمية لتهدئتها، جلس بجانبها وحدثها:

"عزيزتي ما الذي يحدث معكِ؟ فقط تشجعي"

همس في أذنها بينما هي أفاقت على نفسها لتنظر لوسيم ومن ثم إلى هشام الذي كانت نيران الغيرة تشتعل في قلبه مجرد أنه همس في أذنها ولكنه ابتسم بسخرية ليسمع صوتها وهي تقول:

"مادا تريد ياهشام"

واللعنة اللعينة كم كان متشوق لسماع هذا الصوت وسماع اسمه من بين شفتيها، أجاب ببرود:

"أريد ابنتي"

ما إن سمعت هذه الكلمة حتى تصنمت وتحدثت بصدمة:

"ما الذي تقوله أنت! هل الآن تذكرت أنه لديك ابنة"

ابتسم بسخرية ليقول:

"أجل الآن تذكرت، أنا لن أسمح بأن تعيش ابنتي عند رجل غريب"

تحدثت سمية بانفعال:

"مند عشرون سنة وأنا لم أرى وجهك ولم تكلف نفسك للمجيء لرؤية ابنتك والآن تقول بأنك لن تسمح لابنتك بأن تعيش عند رجل غريب، هذا الرجل الغريب وقف بجانبي وكان رجلي وسندي وكان الأب الحنون لآسيل أما أنت فا ما الذي قدمته لنا"

انفعل هشام بشدة ولم يستطع التحمل، نهض من مكانه وتحدث بانفعال:

"اللعنة عليكِ وعلى زوجكِ، لن أسمع لهذه الترهات، جئت لأخذ ابنتي ولن يستطيع أحد منعي هل فهمتي، ثم أن هذا الذي تتباهين فيه بأنه زوجكِ لن يدوم لكِ تذكري كلامي جيداً"

هنا تدخل وسيم في الحديث ليقول:

"أنت ياسيد لايوجد شيء في الدنيا يبعدني عن زوجتي وأنت ليس لديك شيء عندنا هل سمعت"

احتدت ملامحه عندما سمع هذا الكلام ولكنه ابتسم بسخرية ليخرج من جيبه ورقة ويرميها على الطاولة أمامهما ليقول:

"حسناً كنت أود أن أخذها بالحسنى ولا أريكما هذه الورقة ولكنكما تفتعلان المشاكل، من الجيد أنني جلبتها معي، ظننت أنني لن أحتاجها ولكن لا بأس"

أخذ وسيم الورقة ليرى مابداخلها وسمية تشاركه لتتوسع عينين الاثنين ومن ثم تنهض سمية وتتحدث:

"أرجوك لا تأخذ ابنتي لماذا قدمت هذا البلاغ باسترجاعها لماذا، أرجوك هي سعيدة معي، تستطيع أن تراها متى تشاء ولكن لا تأخذها"

تحدثت سمية ببكاء، حسناً هشام لا يريد رؤية دموعها لإنها تضعفه ولكن هذا الحل الوحيد الذي سيرجعها له في الأيام القادمة لذلك لن يتراجع، تحدث بهدوء وقال:

"سمية اسمعيني جيداً أنا لي كامل الحق بأخذ آسيل لذلك شئتي أم أبيتي سوف أخذها معي وأنتِ متى شئتي تأتي لرؤيتها أنا لن أتراجع عن قراري"

أما عن وسيم فكان مشوش، لا يعلم ما الذي يصنعه، ابتعاد آسيل عنه نقطة لصالحه لإنه لم يستطع إخراجها من رأسه، يخاف أن يفعل بها شيء ومع ذلك سوف يشتاق لرؤيتها ولن يستطع إبعادها عنه ولكن زوجته سوف تتحطم كلياً إن أخذها، وقع بين نارين والآن لا يعلم كيف يتصرف، قاطع شروده صوت فتح الباب لتدخل آسيل وتلقي التحية على ذلك الغريب الذي لاتعرف أنه والدها، نهض هشام واحتضنها بقوة يشم رائحتها ويعتصرها بين يديه، تفاجئت من هذا الموقف لتبتعد سريعاً عنه وتتحدث:

"عفواً يا عم ولكن من أنت وكيف تحتضنني هكذا"

ابتسم هشام ليجيبها:

"وهل على الأب أن لا يحتضن ابنته يا آسيل"

ما إن سمعت هذه الكلمات حتى توسعت عيناها وتراجعت خطوتان للخلف لتقول:

"هل أنت.."

أجابها:

"أجل أنا والدكِ يا آسيل وجئت لآخذكِ معي"

هزت رأسها نافية لتقول:

"لا لا لن أذهب معك، بعد كل هذه السنين تذكرت أن لديك ابنة، أنت لست أبي هل فهمت أنا لا أريدك"

تحدث هشام ببرود:

"حسناً كما تشائين لنجعل الأمر بيد الشرطة وهي التي سوف تجلبكِ إلي ما رأيكِ"

تدخل وسيم في الحديث ليقول:

"واللعنة عليك كيف تتحدث بهذا البرود وكأنك لم تفعل شيء، آسيل لا تريد الذهاب معك"

أومأ لهم بتفهم بملامحه الباردة ليخرج من المنزل بأكمله، لم تستطع سمية منع دموعها من السقوط لتنتحب بشدة بينما آسيل وجهت حديثها إلى وسيم:

"عمي هل سيأخذني معه؟ أنا لا أريده لا أستطيع الابتعاد عن أمي"

أجابها بهدوء:

"اهدأي ابنتي لنرى ما الذي سيحدث، سأحاول جاهداً أن لايأخذكِ"

تحدثت سمية ببكاء:

"أنا أعرف هشام جيداً لن ينوي على خير أبداً"

بدأ وسيم بتهدئتها، أما آسيل فقد توجهت إلى غرفتها واستلقت على سريرها وهي شاردة بحالها.

أما عند هشام فما إن خرج حتى هاتف مالك ليقول:

"حسناً حاولت بالهدوء معهم ولكنهم رفضوا، ابعثهم إلي"

أغلق الهاتف وركب سيارته وظل بها ينتظر هؤلاء الأشخاص الذي حدثه هذا مالك عنهم، مرت ربع ساعة ليراهم جائوا إليه ليقول أحدهم:

"تحت أمرك سيدي"

ابتسم له ليقول هشام:

"أريد أن تلقنوه درساً قاسياً لن ينساه ذلك الرجل القبيح وتأخذوا الفتاة وتصعدوا بها إلى سيارتي ومن ثم نرحل"

أومأ الجميع بصمت ليتجهوا معه إلى منزل وسيم، ما إن سمعوا صوت طرقات الباب حتى انتفضو من مكانهم، اتجه وسيم ليفتح الباب ويستقبله الطارق بلكمة عنيفة ومن ثم لكمات متتالية من قبل الرجال الذين مع هشام، كان يقف بينهم ببرود بينما سمية منهارة من البكاء، ما إن سمعت آسيل هذه الضجة في الخارج حتى خرجت من غرفتها ورأت هذا المنظر، بدأت بالصراخ عليهم ولكن لاحياة لمن تنادي، ليوقفهم صوت هشام ويشير لهم باصبعه لآسيل، اتجهوا لها وحملها أحد الشبان إلى سيارة أبيها بينما هي تتلوى وتصرخ بأن ينزلها، وجه هشام نظره إلى سمية التي كانت تبكي بهستيرية ليتقدم نحوها ويجلس بجانبها، مسح دموعها وكور وجهها بكلتا يديه ليقول:

"أعدكِ بأنكِ ستعودي إلي عما قريب فقط انتظريني لتعلمي كل شيء"

قبل جبينها ونهض ليخرج ويركب سيارته مع ابنته التي كانت تبكي بشدة ليحرك السيارة ويتجه نحو منزله بسرعة البرق، أما عن حال وسيم فقد أغمي عليه من شدة الضرب ولم يعد يشعر بشيء لتنهض سمية وتتجه إليه، حاولت أن توقظه ولكن لم يستيقظ، نهضت لتجلب علبة الاسعافات الأولية فهي طبيبة لذلك استطاعت أن توقظه بعد مدة طويلة ليفتح عينيه بوهن ويعود لإغلاقهم، شعرت بأنفاسه المنتظمة لتعلم بأنه دخل في نوم عميق تنهدت بحرقة وبدأت بالبكاء على حالها وحال ابنتها وحال زوجها، ظنت بأن الحياة ضحكت لها والسعادة أتتها لا تعلم بأن المشاكل بدأت من هنا.

يقود سيارته بسرعة وبجانبه تلك التي كانت تبكي منذ بداية الطريق، لم يذهب من عقله منظر سمية ودموعها وخوفها على زوجها، وهذا ما أثار غضبه وغيظه، لكن هو لن يتراجع أبداً ولن يسمح لهذا الزواج أن يكتمل، ثم أنه لن يحتمل بقائها معه لمدة طويلة، سوف يجعل حياتهما تعيسة لإنها هي له وحده حتى وإن رفضت أن تعود له لن يتركها على ذمة أحد ولن يفقد الأمل، شائت أم أبت سيعيدها لجواره وسيكشف الحقيقة ولكن بالوقت المناسب.

كان منزله يبعد مسافة طويلة عن منزل وسيم ولم تكف آسيل عن البكاء طول الطريق، حدثها هشام بهدوء:

"عزيزتي لاتبكين ستكونين بخير ولن أحرمكِ من والدتكِ، سترينها متى شئتي فقط لاتبكي، خالتكِ أحلام ستعاملكِ معاملة طيبة"

أجابت من بين دموعها:

"أنا لا أستطيع أن أعيش من دون أمي أريد أن أعود إليها، ثم إن الذي حدث لن أسامحك عليه يا أبي"

لم يشأ هشام أن تصل الأمور إلى هذا الحد ولكن غله وغيرته جعلاه يفعل هكذا بوسيم، هو لا يريد شيئاً سوى إعادة آسيل وأن يكسب قلب سمية لتعود له، تنهد بحرقة ليقول:

"لا تلومي والدكِ الذي ذاق العذاب طيلة العشرون سنة يا ابنتي، لم يكن بيدي الأمر"

انتبهت آسيل إلى كلمته الأخيرة لتعقد حاجبيها باستغراب وتقول:

"كيف لم يكن بيدك الأمر، أمي أخبرتني بكل شيء وأنك تزوجتها فقط من أجل تلبية رغبة والدك أليس كذلك"

تحدث بجدية:

"نعم هذا ما قلته لها ولكن ليس هذا الأمر الذي جعلني أبتعد عنها، لن أتحدث أكثر من هذا ستعلمين كل شيء عما قريب"

استغربت آسيل من حديثه، لمست الصدق بكلامه ولكنها لن تضعف ولن تسامحه بهذه السهولة أبداً.

وصل هشام إلى منزله، نزل من سيارته هو وآسيل ليفتح الباب ويرى زوجته وأولاده جالسين ينتظرون قدومهما، منهم من هو سعيد برؤية آسيل ومنهم من هو يكاد يموت من الغيظ والغضب، اقتربت أحلام إليهم بابتسامة صفراء لتقوم باحتضان آسيل وتقول:

"أهلاً بالفتاة الجميلة، أهلاً عزيزي هشام لقد تأخرتما كدت أموت من القلق عليكما، تفضلي حبيبتي تفضلي لا تخجلي"

تقدمت آسيل ببرود ولؤم إلى الداخل ولكنها لم ترتاح لزوجة أبيها، تقدم إليها مرام وغيث أخوتها ليلقيا عليها التحية، قامت باحتضانهما بهدوء كحال أخويها اللذان ما إن رأوها حتى ابتسما باتساع، شعرت آسيل بأن أخويها بعكس والدتهما فهي لم ترتاح لها ولم تطمئن لهذا الترحيب المزيف أبداً ولكن تجاهلت هذا الأمر، جلست معهم وبدأو يتعرفون عليها شيئاً فشيئاً ويعرفوها بأنفسهم، حتى نهضت أحلام لتحضر العشاء ويتناولون العشاء سوياً، بينما الجميع على مائدة الطعام، وجهت أحلام حديثها لآسيل:

"عزيزتي آسيل، إذاً ماذا تدرسين"

تكلمت آسيل:

"أنا أدرس في مجال التصميم والرسم ياخالتي"

هزت أحلام رأسها مع ابتسامة مزيفة، لتهم رنيم بالحديث وتقول لها:

"إذاً آسيل أنتي تجيدين الرسم أليس كذلك"

هزت رأسها آسيل وهي تمضغ طعامها لتصفق رنيم بحماس وتقول:

"ياهووو حسناً أنا أول من سترسميها إذاً أليس كذلك"

حركت رأسها بإيجاب لتنظر إلى غيث الذي عبس بوجهه وانكمشت ملامحه لتقول آسيل:

"حسناً وأنت أيضاً"

ما إن سمع جملتها حتى ابتسم باتساع وقال:

"شكراً لكِ أختي"

ابتسمت آسيل له وأكملت طعامها، بينما والدها كان يتابع الحديث بصمت وابتسامته لاتفارقه كونها آسيل اتفقت مع أخوتها ولكنه كان خائف من أحلام جداً فهي لاتطيقها لآسيل وغير راضية على وجودها بمنزلها، لذلك تعجب هشام من هدوئها فجأة، لا يعلم أن هذا الهدوء يسمونه هدوء ماقبل العاصفة.

أنهت آسيل طعامها لتنهض وتغسل يديها، نهضت معها أحلام لتوصلها لمكان غرفتها وعادت للأسفل، نظرت آسيل لغرفتها الهادئة والمرتبة، لم تكن كبيرة جداً ولا صغيرة أيضاً، كانت جميلة وهادئة ومتوسطة الحجم، كان يوجد بالغرفة حمام خاص، زفرت بضيق لتتجه للخزانة وتفتحها، تفاجئت بوجود بعض الملابس بها أخذت بيجامة ومنشفة ودخلت للحمام، كونها آسيل لم تجلب شيء من أغراضها سوى هاتفها لذلك اضطرت إلى أخذ الملابس هذه، دخلت إلى الحمام وأخدت حمام سريع ودافئ لترخي أعصابها في هذا اليوم العصيب، أنهت حمامها واتجهت للخارج قامت بتمشيط شعرها ومن ثم تمددت على سريرها، نظرت للسقف وهي شاردة، تفكر كيف ستكون حياتها مع خالتها هذه؟ وكيف ستتأقلم مع حياتها بمنزل أبيها وهل ستكمل دراستها أم ماذا؟.

أمسكت هاتفها لتطلب رقم والدتها ولكنها وجدته مغلق، طلبت رقم وسيم وأيضاً وجدته مغلق للتنهد بضيق وتظل شاردة، لم تفكر كثيراً لإنها غطت بنوم عميق بعد فترة قصيرة.

يجلس آسر في منزله بقوامه الصلب وبيده سيجارته ينفث منها الدخان ببرود، رن هاتفه معلناً وصول رسالة ليفتح الرسالة ويقرأ ما بداخلها، تنهد بضيق ورمى هاتفه أمامه لإن الرسالة كانت من والدته وكان محتواها.

«عزيزي آسر لقد اشتقت إليك أنا ووالدك، أتمنى أن تهاتفني بأقرب وقت أحبك بني..»

لم يشأ أن يصل حاله إلى هنا ولكن القدر كان أقوى من كل شيء، ليس القدر وحده بل أنانية وسذاجة والديه هما من جعلا حياته هكذا، ولكنه لن يستطيع المسامحة أبداً كونه ذاق العذاب الكبير ببعدهما عنه وخصوصاً عندما كان يخدم مع الكتيبة الحربية، لم يكن أحداً بجانبه ليخفف عنه شقائه وتعبه، لم يواسيه أحد على الظلم الذي ذاقه، حتى يوسف كان حاله كحال آسر لذلك ظلا بجانب بعضهما، حتى وبعد كل هذا لم يستسلمان وأكملا طريقهما للأمام لتحقيق حلمهما، مدد قدميه على الطاولة وأعاد رأسه للخلف مغمض العينين ليدخل عليه أحد حراسه بعد مدة ليضرب التحية ويقول:

"سيدي جئتك بالأخبار"

لم يفتح عينيه أبداً ولم يغير من جلسته عندما دخل أحد حراسه بل اكتفى بقول كلمته:

"أنا أستمع"

حمحم الحارس بجدية ليقول بالتزام:

"سيدي لقد توصلنا لأخبار ذالك الشاب سهيل رافع وعلمنا من مصادرنا أن والده طرده منذ أكثر من سنة من المنزل لإنه كان يتعاطى المخدرات ومازال، ويتردد كثيراً إلى الملاهي الليلية وهو متهم بخمس حالات اغتصاب هو وأصدقائه الثلاثة، لقد جلبت لك أسمائهم سيدي حالهم لايختلف عن حاله بكثير، علمت أيضاً أنهم مستأجرين شقة أربعتهم ويسكنون فيها ويفعلون مايحلو لهم، والجيران تشتكي منهم ومن أفعالهم كثيراً، وأيضاً سهيل متهم بسرقة الكثير من السيارات التي تفكك وتباع قطعاً وأيضاً سرقة المحلات التجارية، علمنا مكان الشقة وذهبنا إلى هناك ولكننا لم نجد أحداً فقط وجدنا بعض أكياس البودرة البيضاء وزجاجات الشرب، لكننا لم نجدهم أبداً هذا كل شيء سيدي"

أنهى الحارس حديثه ليفتح عينيه ويعتدل بجلسته، عقد آسر حاجبية لم يتوقع أن كل هذا يفعله هذا الشاب، تذكر آسيل على الفور عندما جائت وقدمت شكوى عنه، تنهد بضيق وقال:

"حسناً، من المحتمل أن يأتي أحداً إلى المنزل إذا لم يكونوا يعلمون بأننا نبحث عنهم، أريدك أن تجعل أحداً من رجالنا يراقب منزلهم دون أن ينتبه أحد، هل تفهم"

أومأ الحارس باحترام ليرحل بعد أن قام بتأدية التحية أمام آسر، أعاد جلسته وتمدد بارتياح لتعود لذاكرته آسيل ويتذكر ملامحها وحديثها وثقتها، حاول أن يخرجها من رأسه ولكنها كانت قابعة في رأسه وأبت الخروج، زفر بقوة ونهض ليغير ملابسه ويتجه إلى مكتبة عله يشغل نفسه من التفكير بكل شيء.

في مكان آخر، منزل صغير شبه مهجور، يجلس سهيل ومن معه بأيديهم زجاجات الشرب، يشربون ويدخنون، كان سهيل ينفث دخانه بغل واضح لإنه لم يستطع أن ينفذ انتقامه من شهد بعد، ولكنه لن يتراجع وسينفذ كل شيء حال ما تسنح له الفرصة، شارد الذهن في حاله، يفكر بها، اشتاق لرؤيتها، لإخافتها، لغضبها وكل شيء، بينما ذهب في ذهنه وتذكر كيف علم بأن الشرطة تبحث عنه.

:Falsh bakc

عندما خرجت آسيل وشهد من الفرع بعد أن قدمتا الشكوى عن سهيل، كان هناك أربعة أعين تراقبهما وتترقبهما، كان سهيل قد أمر صديقيه بأن يلحقا بهما ويعلمان إلى أين ذاهبتان، بعد أن خرجتا من الفرع ظلا هذان الشابان يطاردان آسيل وشهد ويمشيان خلفهما إلى أن سمعا حديثهما وتحدثت آسيل:

"هذا الحقير متهم ومتورط بأكثر من قصة لم أعلم بأنه بهذه الخطورة"

أنهت حديثها آسيل لتتابع شهد:

"حسناً حمداً لله أننا قدمنا هذه الشكوى وأعطينا الرسام مواصفاته، الآن سوف يبحثون عنه ويجدونه كونهم سيجلبون كل المعلومات عنه، أتمنى أن يمسكوا به في أقرب وقت"

أجابت آسيل:

"آمل ذلك"

أكملتا طريقهما حتى وصلتا إلى منازلهما، وبعدها عادا الشابين وعكسا طريقهما، أخرج أحدهما هاتفه وتحدث مع سهيل:

"سهيل يجب عليك أن تخرج من المنزل، هاتان الفتاتان قدمتا شكوى بحقك وأعطوهما مواصفاتك، يجب أن نهرب جميعنا، أخرج من المنزل لنتقابل في منزل سعد"

وسع عيناه من الصدمة، لم يصدق أنهما كانتا بهذه الجرأة لكي يقدما شكوى عنه ولكنه خرج من المنزل بعد أن أخذ أغراضه اللازمة ليتقابلون في المنزل المهجور.

End flash back.

أفاق من شروده على صوت صديقه وقال له:

"ماذا قررت سهيلي ألن تنتقم من هذه الفتاة أم أنك استسلمت"

لم يعلم سهيل ما سر هذا الانزعاج الذي يحدث له عندما تأتي سيرة شهد على لسان أحد من أصدقائه، زفر بضيق وقال:

"حسناً سعد هذا شيء لا يخصك اهتم بنفسك فقط لا شأن لك في هذا الأمر"

ضحك سعد على حديثه ليقول:

"ما الأمر يارفيق هل تشعر بالغيرة عليها! بالمناسبة ألن نحصل على مرادنا نحن أيضاً أم ماذا"

ما إن سمع هذه الكلمات حتى هب واقفاً وتحدث بصراخ:

"اللعنة عليك قلت لكم لن يلمسها أحد غيري هي لي فقط هل تفهمون، أقسم لكم إن تجرأ أحدكم واقترب منها سأقتله بدم بارد هل سمعتم"

لم يعجبهم رده ولكنه تحدث طارق مهدئاً إياه وقال:

"ما بك يارجل حسناً كما تشاء لن يلمسها أحد لا تقلق، أنت حدد الموعد المناسب لنساعدك في جلبها وخذها لك وسوف نفرغ لك هذا المكان اتفقنا"

هز سهيل رأسه موافقاً ليقول:

"سأختطفها عما قريب وسأفعل بها ما أشاء فقط انتظروا"

أنهى جملته وخرج من المكان بأكمله ليبتسمون الثلاثة ابتسامة خبث، هم طارق بالحديث وقال:

"هذا المعتوه يظن أنه سوف يتذوق الشهد بمفرده"

ابتسم سعد ابتسامة جانبية ليقول:

"لا ياعزيزي لن يحدث هذا، لن ندعها له فقط، نحن أصدقائه وعلى الأصدقاء أن يتقاسموا كل شيء أليس كذلك ياشباب"

ضحكوا الثلاثة ليهم رأفت في الحديث:

"حسناً أولاً سنتركها له ومن بعدها سنتولى أمره ونستفرد بها مارأيكم"

هزوا رؤوسهم موافقين على كلامه لتصدح أصوات ضحكاتهم الخبيثة ملأ المكان.

صباح اليوم التالي استيقظت آسيل وأشعة الشمس تضرب على وجهها لتتململ بانزعاج وتفتح عيونها بثقل، نهضت من فراشها ودخلت الحمام لتفعل روتينها اليومي ونزلت إلى الأسفل لترى والدها وزوجته جالسان يشربان القهوة، توجهت إليهما وألقت عليهما تحية الصباح ببرود من ثم جلست لتشرب القهوة معهما، تحدث والدها بجدية:

"آسيل صغيرتي ألا تريدين أن تذهبين إلى جامعتكِ"

التفت إليه آسيل لتجيبه:

"بلى أبي أريد ذلك"

هز رأسه موافقاً ليقول:

"حسناً بنيتي، لا داعي لإن تجلبي أغراضكِ من عند والدتكِ سوف تذهبين اليوم أنتِ وخالتكِ أحلام وتجلبي كل ماتريدين"

ابتسمت ابتسامة مصطنعة لتقول:

"لا داعي لذلك يا أبي لإن إقامتي لن تطول عندك، أريد العودة إلى أمي"

لمعت عينان أحلام بالحماس بينما هشام زفر بهدوء مجيباً:

"صغيرتي اسمعي، طالما أن والدتك متزوجة فلا تحلمين بالعودة إليها، إلا إذا تطلقت وعادت لتعيش بمفردها عندها سأسمح لكِ بالعودة إليها"

نظرت له بلؤم لتقول:

"لا يحق لك أن تمنعني عنها، ثم أني لم أشعر بالراحة هنا، كما أنت لا تسمح لي بالسكن عند زوج أمي، فأمي أيضاً لا تسمح لي بأن أسكن عند زوجة أبي"

نظرت لها أحلام بسخرية ودعت بسرها أن يقتنع هشام بذهابها، ليقول هشام ببرود:

"طالما هذا المنزل هو لي فيحق لكِ السكن فيه، ومن لم يعجبه الوضع فليرحل، هذا منزلكِ وستكونين سعيدة بجانبي، وبالنسبة لوالدتكِ فكما أخبرتك لن أحرمكِ منها، سآخذكِ إليها متى شئتي"

صمتت آسيل ليردف هشام:

"أظن بقائكِ بمنزل والدكِ أفضل من بقائكِ في منزل زوج والدتكِ"

أجابته آسيل بلؤم وغيظ:

"هذا إن كنت أعتبرك والدي أساساً"

أنهت جملتها وهمت بالخروج لينهض هشام بعنف ويقول بغضب:

"آسيل لا تختبرين صبري، أنا لا أريد أن أريكِ وجهي الآخر، لقد قررت بشأنكِ وانتهينا، حالما تطلق والدتكِ من ذلك اللعين عودي إليها، غير ذلك لا"

أنهى جملته وتحرك للأعلى ليقول وهو يرحل:

"أحلام تجهزي كي تجلبي لآسيل كل ماينقصها من أجل جامعتها"

تنهدت أحلام بحدة لتنظر لآسيل ببرود والتي كانت تناظرها ببرود مماثل لتتركها وتصعد إلى غرفتها لتنظر لها أحلام شذراً وتهز رأسها بتوعد للتخلص منها للأبد.

كانت شهد جالسة بصالة البيت تحاول مهاتفة آسيل ولكن دون جدوى فهاتفها كان مغلق طوال الوقت، لم تذهب لجامعتها في هذا اليوم كون آسيل لم تمر عليها أو تحدثها وتقول لها ماسبب غيابها، كانت قلقة عليها بشدة، قررت أن تتحدث مع سمية والدة آسيل لتطمئن عليها وتسأل عنها لتمسك هاتفها وتتصل بها وتجيبها:

بينما سمية كانت جالسة في غرفة المعيشة شاردة الذهن والحزن طغى عليها من أجل فقدانها لابنتها، وسيم كان ممدد على الأريكة ولم يستيقظ بعد، سمعت سمية صوت رنين هاتفها لترى المتصل شهد وتجيبها:

"مرحباً"

تحدثت شهد:

"مرحباً عمتي كيف حالكِ"

أجابت سمية:

"أهلاً شهد، بخير وأنتِ كيف حالكِ عزيزتي"

لتجيبها شهد بسرعة:

"أنا بخير عمتي، كنت أود الاطمئنان على آسيل مابها؟ لما هاتفها مغلق؟ هل هي مريضة أم ماذا؟ لما لم تأتي إلي اليوم؟ أنا قلقة عليها كثيراً"

تنهدت سمية بحزن وأدمعت عيناها لتجيبها:

"أجل ابنتي إنها بخير، ولكن أتى والدها وأخذها مني عنوة، لقد قدم بلاغ ضدنا وأصبح يملك كامل الحق باستعادة آسيل إليه لذلك أتى وأخذها"

شهقت شهد بصدمة لتتحدث:

"عمتي ما الذي تقوليه أنتِ! كيف ومتى ولماذا أتى خالي إليكم ولما أخذ آسيل؟ الآن تذكر أن لديه فتاة ها"

أجابت سمية بيأس:

"أجل الآن تذكر، لم أستطع فعل شيء أبداً لقد أخذها رغماً عني"

أجابت شهد:

"ولكن عمتي أين هو عمي وسيم ألم يتدخل بالموضوع أم ماذا"

ابتسمت سمية بسخرية من بين دموعها لتقول:

"لقد أتى خالكِ بعدة رجال وانهالو على وسيم بالضرب، إنه طريح الفراش الآن"

شهقت شهد مرة أخرى لتتحدث بعصبية:

"اللعنة عليهم جميعاً لاتقلقي عمتي ستعود إليكِ بإذن الله، أنتِ فقط اهدئي، سآتي إليكِ أنا"

أجابت سمية بنفي:

"لا عزيزتي لا تأتي فقط ابقي في البيت أنتِ ولا تخرجي الآن، ومن أجل آسيل فسوف أحاول أن أحل هذا الموضوع"

تنهدت شهد بيأس لتقول:

"حسناً عمتي أتمنى أن يكون كل شيء على مايرام، انتبهي لنفسكِ ولعمي وسيم، وداعاً"

تحدثت سمية:

"حسناً بنيتي، وداعاً"

تنهدت سمية بحزن وبدأت دموعها بالهطول إلى أن أجهشت بالبكاء، حاولت السيطرة على نفسها من أجل زوجها، وجهت نظرها إليه لتراه مستيقظ ينظر لها بحزن وقلة حيلة، نهضت بسرعة وتوجهت إليه، حركت أناملها على وجهه لتقول:

"عزيزي هل أنت بخير ما الذي يؤلمك"

نظر لها بوهن وتحدث:

"أجل أنا بخير ولكن جسدي يؤلمني كثيراً"

عقدت حاجبيها بحزن لتقول:

"حسناً لا تقلق سأعطيكِ الدواء الشافي، فقط يجب عليك أن تساعدني كي أنقلك إلى غرفتك"

حاول النهوض بمساعدتها ليطلق تأوه كبير بسبب ألمه، تحامل على نفسه لينهض بجسد متعب لتتوجه به سمية إلى غرفته، ما إن وصل إلى سريره حتى استلقى عليه ليجذب يد سمية إليه ويجلسها بجانبه ليقول بصوتٍ متعب:

"حبيبتي هل آسيل بخير"

تنهدت بأسى لتقول:

"حاولت مهاتفتها ولكن هاتفها مغلق لا أعلم عنها شيء إلى الآن"

هز رأسه متنهداً بحرقة ليردف:

"لا تقلقي عزيزتي ستكون بخير وستعود إلينا فقط اهدئي"

هزت رأسها بحزن، ابتسمت له ابتسامة صغيرة ليبادلها الابتسامة ومن ثم يقبل يدها ويسحبها لتتمدد بجانبه وهو يفكر بآسيل وما الذي سوف يحدث به بعد غيابها.

بينما آسيل من الجهة الأخرى فكانت تتسوق مع خالتها وأختها، تجول بين المحلات التجارية والمكتبات لشراء كل مايلزمها، قررت أنها سوف تحاول التعايش مع والدها وزوجته ولن تحكم على زوجة أبيها فوراً، ستحاول التأقلم معها مازال هذا حالها وسوف تبقى عند والدها فسوف تتحامل على نفسها وتتحمل إن تعرضت لأي موقف محزن، ولكنها لن تتخلى عن والدتها أو صديقتها وستبقى لهما فـ بالنهاية والدتها هي من ربتها وتعبت على تربيتها، انتشلها من شرودها صوت أحلام لتقول لها:

"عزيزتي هل تريدين شيئاً آخر"

أجابت آسيل:

"لا خالتي شكراً لكِ هذا كل ما أحتاجه"

صمتت لبرهة ثم أردفت:

"بالمناسبة شكراً لكِ لأنكِ رافقتني"

ابتسمت لها أحلام ابتسامة ذات مغزى لتقول:

"لا شكر على واجب حبيبتي أنتِ بمثابة ابنتي مرام، حسناً الآن سوف تذهبين معي إلى منزل أهلي وسأعرفكِ على العائلة هناك أنا متأكدة بأنكِ ستحبينهم جميعاً وهم أيضاً، أريد أن أعرفهم على ابنة زوجي الجميلة"

هزت رأسها لتقول:

"يسعدني ذلك"

أحلام:

"حسناً إذاً سنبعث هذه الأغراض مع السائق وسنأخذ سيارة أجرة إلى هناك ومن ثم يلحق بنا السائق بعد أن يوصل الأغراض إلى المنزل"

ابتسمت لها آسيل ووافقتها الحديث ليتجهن إلى منزل أهل أحلام، ولكن ما سر هذه الزيارة؟ آسيل فتاة ذكية وهي تعلم بأن خالتها تخطط لشيءٍ ما، وأن كل هذا الذي تفعله معها ليس إلا تمهيد لشيء ستفعله، ولكن ما هو؟ هذا ماكان يجول في خاطر آسيل، تركت نفسها للقدر لكي يمشيها على هواه ولكنها ستبقى تلك الفتاة القوية ولن تسمح لأحد بأن يضحك عليها بشيء أو أن يستغلها وستكون حذرة من خالتها هذه لإنها لم ترتاح لها، ولكنها لن تظلمها بالحكم عليها بسرعة، سترى ما الذي ستفعله وما الذي ستبديه منها هذه المرأة.

عند آسر في منزله يجلس هو ويوسف يتحدثان عن أمور العمل ومن بينها قصة ذلك الشاب سهيل، بينما تحدث يوسف وهو عاقد حاجبيه:

"لا أعلم ما الذي علينا فعله يارجل، كيف اختفى هكذا وما الذي أدراه بأننا نبحث عنه"

نظر آسر إليه بطرف عينه ليقول:

"يبدو أن الفتاتان كانتا مراقبتان لذلك علم بأننا نبحث عنه أو أنه توخى الحذر من باب الاحتياط وسيعود عما قريب"

هز يوسف رأسه للجانبين باعتراض ليقول:

"لا أظن أنه يتوخى الحذر وسوف يعود أنا متأكد بأنه يعلم بأننا نبحث عنه، ولكن كيف سنعثر عليه"

تحدث آسر بشرود:

"هذا الشاب يخطط لفعل شيء ما ولكن انتظر فسوف نمسكه عما قريب"

هز يوسف رأسه موافقاً ليقول:

"حسناً والآن أنا جائع أين الغداء"

التفت آسر إليه ليقول باستنكار:

"ألم تقول لي بأنك تناولت طعامك وأتيت إلي، ماذا! هل تجوع كل نصف ساعة أنت أم ماذا"

رفع يوسف حاجبيه ليقول:

"لا لا لقد كانت وجبة سريعة ولا تفي بالغرض ثم أنني لم أشبع هيا أريد الطعام"

تنهد آسر ليقول بغيظ:

"حسناً اذهب واجلب ماريا لنتغدا سوياً هيا"

أجابه يوسف وهو ينهض من مكانه:

"حاضر حبيبي"

أنهى كلمته وفر هارباً من أمام آسر الذي كان يستشيط غضباً منه ومن كلامه المعتوه.

أمر آسر الخدم بأن يجهزو الغداء ريثما يصلات يوسف وماريا، بينما ماريا كانت جالسة في المنزل تتحدث مع الشاب الذي أحبته والذي يتضح من حديثه معها بأنه يستغلها ويحدثها من أجل جمالها ومالها فقط، غير ذلك تعجبه سذاجتها وغبائها عندما تصدقه بكل كلمة يقولها لها.

كانت ممدة على بطنها وتحرك قدماها بالهواء وتتحدث معه بأريحية كونها تعلم بعدم وجود أخاها في المنزل ومستغلة هذا الوضع، سمعت صوت إغلاق باب المنزل دالاً على وصول يوسف للمنزل لتغلق الخط فوراً

وتعتدل في جلستها وتمسك بإحدى الكتب مدعية بأنها تدرس، فتح يوسف باب غرفتها ليراها على غير عادتها فهي كانت متوترة ووجهها أحمر وعلامات الذعر بادية عليها، لم ترفع رأسها من الكتاب وتجاهلت دخوله إلى غرفتها، عقد يوسف حاجبيه واقترب منها ليقول:

"ما الأمر ماريا لماذا وجهكِ أحمر هل حدث شيء"

لم ترفع نظرها له بل اكتفت بالحديث ونظرها موجه على الكتاب:

"لا لم يحدث شيء فقط كنت أذاكر"

لم يقتنع بجوابها ولكنه تجاهل الأمر، كان يريد التحدث ولكن صوت هاتفها منعه، ما إن سمعت صوت هاتفها حتى بدأ قلبها يدق بسرعة وعلامات الخوف بادية على وجهها، وجه يوسف حديثه لأخته وقد لاحظ ارتباكها ليقول:

"من المتصل؟ لماذا لاتجيبي"

تحدثت ماريا بتلعثم:

"ل لا أ أريد أن أجي أجيب ههذه صد صديقتي دعك منها ا"

لم يقتنع بكلامها وأصر على كلامه ليقول:

"لا هيا أجيبيها وتحدثي معها هي، او أعطني الهاتف لأحدثها أنا"

حاول أن يمسك هاتف أخته ولكنها بحركة سريعة سحبته من بين يديه لينظر لها بشك ويقول:

"ماريا أعطني الهاتف"

تشبثت بهاتفها وهزت رأسها نافية وقالت:

"لا أرجوك دعك منها إنها مزعجة"

تحدث بصرامة:

"قلت لكِ أعطني الهاتف هيا"

لم تسمع حديثه وظلت ممسكة بهاتفها، ولكن بحركة سريعة سحبه من بين يديها ونهض لينظر لشاشة الهاتف ويرى اسم المتصل الذي كان ؛سالي؛ بينما ماريا كانت قد شعرت بأن الدنيا تدور من حولها ولكنها تماسكت، ضغط يوسف على زر الاتصال لتجيبه وتقول:

"مرحباً ياحمقاء لماذا لم تجيبي على الهاتف أين كنتي ها"

ما إن سمع يوسف صوت صديقتها حتى اطمئن وأعطاها الهاتف لأخته وتحدث بجدية:

"خذي تحدثي مع صديقتكِ سالي"

وخرج من غرفة ماريا التي كانت تتنفس الصعداء، بينما يوسف ما إن خرج من غرفتها ونزل إلى الأسفل حتى بدأ يراوده الشك بتصرف أخته اليوم، لم تتصرف هكذا أبداً من قبل، لماذا فعلت ذلك؟ لماذا كانت متوترة؟ هل يعقل بأنها تتحدث مع أحد الشبان أم ماذا؟ أسئلة كثيرة كانت تدور في رأسه ولكنه كان خائف على أخته كثيراً، لا يعلم كيف مر بباله شريط ذكرياته وهو بأحضان النساء، هل يعقل بأن تكون ماريا في يوم من الأيام مثل تلك السناء الذي يقضي ليالي جامحة معهن؟ مجرد التفكير بهذه القصة جعلت الدماء تغلي في عروقه وعاد إلى غرفتها ليفتح الباب بسرعة ويجدها تغلق الخط، تقدم إليها ووقف بملامحه المنزعجة ليقول:

"هلّا أعطيتني تفسيراً لماذا ارتبكتي عندما دخلت لغرفتك أول مرة"

لم تعلم ماذا تقول ولكنها تصنعت اللامبالاة لتقول:

"لا شيء يايوسف مابك هل تشك بي أم ماذا، فقط كنت متوترة من أجل امتحاناتي التي اقتربت"

رفع حاجبه ونظر إليها نظرة غاضبة ليقول:

"اها ومع من كنتي تتحدثين إذن قبل دخولي إليكِ؟ لقد سمعت صوتكِ وأنا في طريقي إليكِ، كنتي تتحدثين بصوتٍ عالي وتضحكين أليس كذلك"

تلعثمت وجالت في نظرها بجميع أنحاء الغرفة وتحدثت بتلعثم:

"ل لقد گ گن كنت أذاكر بص بصوتٍ عالي لل لم أكن أتح أتحدث مع أحد"

نظر لها بشك ليقول:

"حسناً أعطني هاتفكِ إذاً"

بلعت ريقها وقالت:

"أخي ما بك ما الأمر؟ أنا ك كنت أذاكر صدقني لم أكن أتحدث إلى أحد"

نظر لها رافعاً حاجبه لتردف له:

"هل أنت جائع لقد طبخت الاسباغيتي"

نظر لها بغضب وعلم بأنها تغير مجرى الحديث ليتحدث بجمود:

"بدلي ثيابكِ سنذهب إلى منزل آسر ونتناول الغداء هناك، سأنتظركِ بالأسفل"

هزت رأسها موافقة ليخرج من غرفتها ويتجه إلى الأسفل بغضب، بينما هي زفرت براحة بعد خروجه لتنهض وترتدي ثيابها لتتوجه مع أخيها إلى منزل آسر وهي سعيدة بكونها ستراه لإنها اشتاقت له كثيراً.

في منزل آسر

يجلس هو ويوسف وماريا على مائدة الطعام والصمت هو سيد المكان، لاحظ آسر وجه يوسف المتهجم على غير عادته، كان يلقي نظرات غاضبة لماريا وقد لاحظه آسر ولكنه لا يعلم ما الأمر، حاول آسر أن يكسر الصمت ويقول:

"ماذا هناك يوسف لماذا وجهك متهجم؟ أرى أنك لا تمازح ماريا، في العادة تكونان مثل القط والفأر"

لم يرفع يوسف نظره عن طبقه، اكتفى بالقول بلا مبالاة:

"لا شيء لكنني ملتفت لطعامي أنت تعلم عندما أرى الطعام لا أرى شيئاً آخر أمامي"

أردف آسر بسخرية:

"ولكنك لم تأكل شيء من طعامك"

وجه نظره نحو ماريا ليردف:

"ما الأمر ماريا، هل تشاجرتما أم ماذا"

بلعت مافي حلقها لتتحدث بتوتر:

"مم لا لا يوجد شيء ولم نتشاجر، ههه لاتهتم"

هز آسر رأسه وهو يأكل طعامه ليوجه نظره نحو يوسف الذي يكتفي بتحريك الطعام في يده ولم يأكل شيء إلى الآن، لم يريد آسر أن يضغط عليه فهو يعلم جيداً بأنه سيأتي بنفسه ويقص عليه كل شيء لذلك اكتفى بالصمت.

بعد مدة قصيرة كانو جالسين ثلاثتهم بغرفة المعيشة بعد أن أنتهو من طعامهم، إضافة إلى أن يوسف مازال وجهه متهجم وماريا يوحي عليها الارتباك من نظرات يوسف التي تملؤها الشك وعدم التصديق لحديثها الذي سمعه منها عندما كانا بالمنزل، قررت أن تفر هاربة من نظرات أخيها لتتحدث بتوتر:

"مم حسناً أنا سأخرج للحديقة قليلاً"

هز آسر رأسه مع ابتسامة صغيرة بينما يوسف علم أن أخته تهرب من نظراته، تنهد تنهيدة قوية وظل عاقد حاجبيه بغضب، وجه آسر نظره إلى يوسف بعد خروج ماريا ليقول له:

"ما الأمر هيا تحدث، مابك أنت وماريا هل حدث شيء"

قص عليه كل ماحدث عندما ذهب ليجلب أخته من المنزل، ظل آسر صامتاً بعد أن انتهى يوسف من حديثه، ليقول بعد صمت قصير:

"لماذا يراودك الشك بأختك؟ أرأيت تعدد علاقتك إلى أين أوصلك، بدأت تشك بأختك أيضاً، حاول أن تقتنع بأن ماريا ليست كالفتيات اللاتي تخرج معهن"

التفت يوسف إليه ليحدثه بغضب:

"أنا أعلم بأنها ليست مثلهن ولكنني خائف عليها لا أريدها أن تمشي بطريق الخطأ وتتحدث إلى أحد من أبناء آدم"

تحدث آسر بغضب:

"حسناً إذا كنت تشك بأختك امنعها من الخروج والجامعة والهاتف واحرص عليها واطمئن"

تحدث يوسف بانفعال:

"أنا لن أمنعها من الخروج والجامعة ولن أسجنها بالمنزل، أنا لا أمانع بأن يكون لديها أصدقاء وتعيش قصة حب ولكنني لا أريدها أن تخطئ أو أن يمثل عليها أحد الحب ويكون كاذب، أنا متأكد بأنها كانت تتحدث مع أحد الشبان ولكن الذي أغضبني بأنها لم تأتي وتصارحني، علماً بأنها كانت تحدثني بكل صغيرة وكبيرة تحصل معها، وكونها لم تحدثني بشأن هذا الذي تحدثه فأنا خائف من وقوعها بالخطأ، هذا الذي أخافه"

هز آسر رأسه متفهماً ليقول:

"أعلم بأنك خائف عليها، لا تظن بأنك وحدك من تخاف عليها، لا بل أنا أيضاً أخاف عليها ولكن ماريا فتاة كبيرة وواعية ولا تخطأ، كونها كانت تنبهك من علاقاتك المتعددة وتكره ذلك، لا أظن بأنها ستقع في الخطأ وتفعل شيئاً كهذا، لا تقلق ستكون على مايرام وهذا لا يمنع من بعض الحرص، ضعها تحت عينيك للأحتياط فقط لتريح نفسك من هذا الشك"

هز يوسف رأسه وقد اقتنع بحديث آسر واكتفى بالصمت، دخلت ماريا عليهما لتجلس بجانب يوسف الذي لم يعطيها أية أهمية وتجاهلها كلياً، بينما آسر كان يتابع تصرفات الاثنين معاً، وجه نظره لماريا وتحدث:

"ماريا ما بكِ أنتِ ويوسف هيا أريد أن أرى عرضكما المسرحي الذي يحدث دائماً أريد أن أضحك قليلاً"

ابتسمت ابتسامة صغيرة ووجهت نظرها ليوسف الذي لم يعطي أية أهمية لكلام آسر وتحدثت:

"لا أعلم مابه، ليس من عادته أن يكون هكذا"

وجهت حديثها ليوسف وأردفت:

"ما بك أخي هل أحزنتك من دون أن أعلم"

لم ينظر إليها وقال:

"لا"

اكتفى بهذه الكلمة، لتتنهد ماريا بيأس، بينما آسر كان ينظر ليوسف بمجرد أن بادله يوسف النظره حتى غمز له ليفهم عليه فوراً، تنهد يوسف بقوة ونظر لأخته وقال:

"أيتها القردة لم أشبعكِ من مزاحي الثقيل اليوم"

ما إن سمعت هذا الحديث حتى التفتت إليه بابتسامتها الواسعة لتقول:

"أعلم بأنك ثقيل الدم لذلك هيا أرني ما لديك"

ضحك آسر عليهما وهو يشاهد يوسف كيف يلحق بأخته التي كانت تهرب منه وهما يضحكان.

انتهت جلستهم ليذهب يوسف وماريا ويبقى آسر في منزله شارد الذهن يفكر ويفكر إلى أن ارتسمت في خياله صورة آسيل، ابتسم ابتسامة صغيرة عندما تذكرها ولكنه تهجم وجهه بعدها ونفض رأسه لكي يخرجها من عقله وخياله، اتجه إلى غرفته ليبدل ثيابه وينعم بالنوم الهادئ بعد تفكير دام طويلاً.

في منزل يظهر عليه الفخامة والثراء، تجتمع عائلة أحلام كبار وصغار، شبان وفتيات، ونساء ورجال، تدخل أحلام من باب المنزل الكبير لينتبه الجميع لها ويحيونها هي وابنتها، تجلس آسيل بجانب خالتها بعد أن ألقت التحية على الجميع والأنظار موجهة حولها، وأكثرها نظرات رغبة لانبهارهم بجمال تلك الفتاة الجميلة، بينما وجه والد أحلام نظره لآسيل وتحدث:

"من تكون تلك الفتاة يا ابنتي"

ابتسمت أحلام لتنظر نظرة خاطفة لآسيل وتقول:

"هذه آسيل ابنة زوجي هشام يا أبي"

همهم والدها وهز رأسه متفهماً، ليبتسم بوجه آسيل التي بادلته الابتسامة فوراً ليتحدث بود:

"أهلاً بكِ يا ابنتي في منزلنا، حماكِ الله يا ابنتي"

ابتسمت آسيل وتحدثت:

"أهلاً بك ياجدي، أطال الله لنا بعمرك"

ابتسم الجد وتحدث بإعجاب واضح لآسيل:

"ماشاء الله يا أحلام ابنة زوجكِ فتاة جيدة ومهذبة، لما لم تعرفينا عليها من قبل؟ يا لكِ من محتالة"

ايتسمت أحلام باصطناع لتجيب والدها:

"أبي لم أكن أعرفها لقد أتت من جديد إلينا لتسكن معنا، وها أنا جلبتها لكي أعرفها على العائلة كلها ما رأيك"

هز رأسه بابتسامة ليوجه حديثه إلى آسيل ويقول:

"إذاً يا آسيل كم عمركِ، وفي أي مجال متخصصة، تحدثي يا ابنتي"

أجابت آسيل:

"عمري تسعة عشر عاماً ومتخصصة في مجال التصميم والرسم في سنتي الثانية"

هز رأسه بإعجاب ليقول:

"ما شاء الله"

ابتسمت له ابتسامة صغيرة تعبيراً عن شكرها لمدحه لها، بينما التفتت إليها أخت أحلام لتقول لها بتعالي وتكبر:

"إذاً لماذا تركتي والدتكِ وجئتي إلى أبيكِ يا حلوة، هل والدتكِ تخلت عنكِ أم ماذا"

أنهت جملتها بسخرية ليتهجم وجه آسيل وتتحدث بلؤم:

"لا ياخالتي والدتي لم تطردني فهي لا تتخلى عني ولكن والدي هو من قرر أن أعيش عنده"

ابتسمت أخت أحلام التي تدعى سوزان لتقول بنبرة سخرية:

"اها طبعاً هذا واضح، والآن قولي لي هل والدتكِ تزوجت أم أنها مازالت على حالها"

تحدثت آسيل بضيق:

"أجل لقد تزوجت وهي سعيدة مع زوجها، ويتهيئ لي يا خالة بأنه لا شأن لكِ بحال أمي لتسألي عنها"

تهجم وجه سوزان وجاءت لتتحدث ولكن قاطعها والدها بقوله:

"سوزان يكفي"

لوت سوزان شفتيها بامتعاض، لتنظر لها آسيل نظرة جانبية تعبر عن مدى سخطها منها وتشيح بوجهها عنها، بينما كانت المدعوة سهام زوجة أخيها لأحلام تنظر إلى آسيل بغرور وتكبر لتوجه حديثها لها وتقول:

"إذاً هذه هي ابنة هشام العمري التي جائت لتكون فرداً من أفراد العائلة"

تحدثت آسيل ببرود:

"نعم هذه هي يا خالة، لا أنفع أم ماذا"

جاءت سهام لتتحدث وتقول:

"لا يا عز..."

كانت ستكمل جملتها ولكن آسيل قاطعتها بابتسامة مستفزة وقالت:

"لا والله لن تقولي شيء، ههه أعلم أعلم أنني جميلة وظريفة ولا يوجد مني اثنتان، ولكن لاتمدحي بي لإنني أخجل"

زفرت سهام بضيق لتقول:

"وأنتِ متخصصة في مجال الرسم أيتها الصغيرة"

تحدثت آسيل بتعالي وتكبر مصطنع:

"نعم أنا فنانة بعيداً عنكِ، هل رأيتي إذاً وأنتِ ياجدتي بماذا متخصصة"

ما إن سمعت سهام كلمة جدتي حتى جن جنونها لتقول بصراخ:

"جدة من أيتها الخرقاء أنت"

ابتسمت آسيل ابتسامة مستفزة لتنفعل سهام وتقول:

"أنا سأمشي"

انهت كلمتها ونهضت لترحل بسرعة كبيرة وهي منغاظة من آسيل لدرجة الجنون، بينما كان جميع الحاضرين يكتمون ضحكاتهم وما إن خرجت سهام حتى انفجروا ضاحكين، تحدث رامي وهو ابن سوزان في أوائل العشرين من عمره وسط ضحكاته ليقول:

"فعلاً أنتِ لا يوجد منكِ اثنتان، أنتِ خطيرة"

ابتسمت آسيل ابتسامة مصطنعة ولم تعلق على كلامه بينما كانت هناك عينان تتابع آسيل من أول ما دخلت من باب المنزل، كان هذا الشاب بارد وحاد الطباع يدعى ساهر، ظل يتابعها بعيناه، انتبهت آسيل إلى نظراته ولكنها أشاحت بنظرها عنه، بينما الجميع كان يتحدث مع الآخر ومشغولين بالأحاديث المختلفة، وجهت آسيل نظرها نحوه لتنتبه وهي تراه يغمز لها، لم تعطيه أي أهمية ولم تطمئن له ولنظراته الجريئة، ولكنها تجاهلته كلياً وهذا مازاد غيظ ساهر وغضبه، نهض بغضب وخرج متجهاً إلى الحديقة، لماذا غضب؟ لماذا انفعل؟ ببساطة لإنه زير النساء ولم يكن لأي فتاة أن تجاهلت نظراته وحديثه، لذلك لفتت نظره هذه الصغيرة، دخلت عقله وأعجبته ويريد أن يصل لها، يريدها بأي ثمن ولكن كيف؟ حسناً هو قرر بأنه سيكثر زياراته لبيت عمته فهو يكون ابن أخيها لأحلام، شاب طويل القامة، ملامحه غاضبة، وسيم بشخصيته مغرور متكبر خطير وينفد الذي برأسه.

بينما آسيل كانت قد شغلت هاتفها ليأتيها اتصال من صديقتها شهد، نهضت بسرعة للخارج لتتحدث مع صديقتها بينما نظرات الشبان كانت تتابعها وتتابع حركتها وكذلك ما إن خرجت حتى رأها ساهر ووجه كل تركيزه نحوها، أجابت آسيل على هاتفها بسرعة لتقول:

"شهد حبيبتي اشتقت لكِ ياحمقاء"

تحدثت شهد بغضب ممزوج بالبكاء:

"أيتها الحمقاء، لماذا هاتفكِ مغلق؟ ولماذا ذهبتي مع أبيكِ هيا قولي لي، هل لن أعد أراكِ؟ هل سيمنعكِ من الخروج؟ ماذا هيا قولي لي تحدثي آسيل اللعنة عليكِ"

ضحكت آسيل على سرعة صديقتها في الحديث وقلقها الممزوج مع غضبها وبكائها لتقول لها مهدئة:

"مابكِ يافتاة اهدئي قليلاً، أنا بخير وأنا الآن عند والدي وهذا الأمر فرض علي، سوف أعود للجامعة غداً وسأكمل باقي الأيام كعادتي لاتقلقي حلوتي"

زفرت شهد بارتياح لإنها اطمئنت على صديقتها وابنة خالها لتقول:

"حسناً المهم أنكِ بخير، تعالي غداً إلى الجامعة لإنني اشتقت لكِ ياحمقاء"

ضحكت آسيل ضحكة رنانة لتقول لها:

"حسناً جميلتي سآتي ولكنني سأمر عليكِ لكي نذهب سوياً حسناً، والآن أريد أن أغلق الخط لا أستطيع التحدث كثيراً، إلى اللقاء"

تعجبت شهد من حال آسيل ولكنها لم تناقشها لتجيبها:

"إلى اللقاء"

ما إن استدارت آسيل لكي تدخل حتى رأته في وجهها ينظر لها وابتسامة خبيثة ترتسم على شفتيه ليقول:

"إلى أين ذاهبة ياحلوة؟ ومع من كنتي تتحدثين؟ هل كان حبيب القلب"

غضبت آسيل من وقاحته جداً ولكنها لم تبالي له ولم تجيبه حتى، لتحاول التقدم والدخول ولكن يده منعتها من التحرك، تحدث معها من بين أسنانه بغضب:

"عندما أكلمكِ لاتفكري مجرد تفكير بأن تتجاهليني وتمشي"

لم تستطع أن تتحمل هذه الوقاحة منه لتتحدث بعصبية:

"وما شأنك أنت أيها الوقح! ابتعد عن طريقي وإلا لن ترى الخير هل فهمت"

ابتسم بسخرية ليقول ممثلاً الخوف:

"أووه صراحة لقد أخفتني، انظري كيف أرتعش يا آسيل"

شدد على حروف اسمها لتنظر له نظرة اشمئزاز، لاحظ ساهر هذه النظرة ليتحدث بتوعد:

"سأدعكِ الآن ولكن لن تفلتين من يدي هل فهمتي، هيا اذهبي"

كانت غاضبة منه بشدة على وقاحته وطريقة حديثه معها وكأنه يعرفها منذ زمن بعيد، لم تتحرك من مكانها ظلت تنظر إليه باشمئزاز، لتقول بعد وقت قصير من وقوفها:

"وقح"

أنهت كلمتها ودخلت فوراً إلى المنزل بينما هو كان يتلبس به غضب الدنيا، لم يتجرأ أحد على الوقوف بوجهه أو التحدث إليه بهذه الطريقة، ولكن هذه الفتاة تجرأت، أصر على تمسكه بها أكثر وأكثر وقرر بأنه لن يتركها وشأنها، ولكن هل سيستطيع فعل شيء لها؟ هل سيكون لديه الوقت الكافي قبل أن تختفي من حياته أم ماذا؟ زفر

بضيق ودخل ورائها ليجلس بمكانه وعيونه تتابعها بكل حركة منها بينما هي لم ترف لها عين من دخوله وجلوسه ونظراته الموجهة لها، كذلك جميع من في المنزل كان ينظر لها، منهم من ينظر لها برغبة، ومنهم من ينظر بغيرة واضحة، ومنهم من ينظر بحقد، ومنهم من ينظر بود، لم تبالي لأحد ولا لنظرات أحد فقط اكتفت بالصمت والنظر إلى اللاشيء.

بعد وقت ليس بطويل انتهت زيارتها لتعود أدراجها مع خالتها وأختها إلى منزل أبيها بعد أن ودعت الجميع برسمية، ولكن ساهر ظل يفكر بها ويفكر إلى أن كاد يجن من حديثها معه وتجاهلها له، ليهز رأسه بتوعد لها بأنه لن يتركها وشأنها وسيحوم حولها لكي يحصل على مراده.

في المنزل الشبه مهجور، يجلس سهيل لوحده وهو ثمل يهذي بكلمات منها مفهومة ومنها غير مفهومة، كان كل مايفكر به هو شهد، لم يكتفي من الشرب بل ظل يشرب إلى فوق الحد وهو يهذي ويضحك، بينما أصدقائه الثلاثة كانوا يجلسون في الخارج يراقبون حركاته ويسمعون حديثه الذي يتحدثه مع نفسه ليسمعوه وهو يقول:

"شهد، أنا أحب شهد أريدها لي فقط، هي لي أنا ليست لأحداً غيري"

تحدث وهو لايعلم ما الذي يقوله ليردف:

"يا إلهي ما الذي أفعله لقد اشتقت لها، لماذا زرعت الحقد بقلبي تجاهها أنا أريدها، لا أريد أحداً غيرها، لماذا فعلت بي هكذا، سوف أنتقم منها لإنني أحبها أجل"

ابتسموا أصدقائه وهم يسمعون حديثه عن شهد لينظروا لبعضهم نظرة ذات مغزى ويقول طارق:

"أنظروا إلى العاشق الولهان يا إلهي كم أنه أحمق"

هز سعد رأسه موافقاً ليقول:

"حسناً يارفاق أنتم تعلمون بأنه اقترب موعد جلبها إلى هنا، وكل منكم يعرف دوره تماماً أليس كذلك"

أجاب رأفت موافقاً ليقول:

"أجل أجل نعلم حالما تصل إلى هنا سنتركها له قليلاً ومن بعدها نأخذها ونهرب وسنختبأ في منزل الغابة الذي أملكه، سهيل لا يعلم به أبداً"

ابتسم طارق وسعد بشر ليهزوا رؤوسهم موافقين على حديث صديقهم وهم يتوعدون بالغدر والخيانة والقذارة لصديقهم ومحبوبته.

في الصباح التالي

ذهبت آسيل برفقة السائق باتجاه منزل صديقتها لتأخذها معها، توجهت شهد إلى السيارة حالما رأت صديقتها لتصعد وتلقي عليها التحية وتحتضنها، كانت شهد تريد الاستفسار والأسئلة ولكن آسيل منعتها ريثما تصلان إلى الجامعة، بعد وقت قصير وصلت الفتاتان لتهبطان من السيارة وتدخلان الجامعة، وهنا بدأت شهد بالحديث:

"آسيل أنا أريد تقرير كامل عن الذي حدث معكِ من وقت ما أخذكِ أباكِ إلى الآن هيا هيا تحدثي"

تنهدت آسيل بقوة وقصت عليها كل الأحداث التي حدثت معها وشهد كانت تستمع إليها بتركيز، بعد انتهاء آسيل من حديثها تحدثت شهد:

"حسب ماقلتي عن تصرفات زوجة والدكِ أنا لم أرتاح لها، يوجد ورائها شيء، انتبهي منها جيداً يا آسيل لا تعلمين ما الذي سيكون ورائها واذا احتجتي مساعدة أنا في الخدمة"

هزت آسيل رأسها وابتسمت لتقول:

"اشتقت لكِ ياحمقاء"

عقدت شهد حاجبيها وتحدثت بغضب مصطنع:

"لست حمقاء، وانا اشتقت لكِ بمقدار أكبر يا بلهاء"

ضحكت آسيل على كلام شهد ومشت الفتاتان للمحاضرة، وبعد وقت طويل خرجت آسيل وشهد من الجامعة لتلتقيان بالسائق، صعدتا بالسيارة ووجهت حديثها آسيل للسائق:

"خذني إلى منزل أمي"

تحدث السائق برسمية:

"عفواً آنستي ولكن الاستاذ هشام أمرني بأن أخذكِ وأرجعكِ من جامعتكِ فقط"

أمسكت آسيل بهاتفها لتتصل بوالدها ومن بعدها يرد عليها بـ:

"مرحباً عزيزتي"

تحدثت آسيل بانزعاج:

"أبي كيف حالك"

رد والدها:

"بخير وأنتِ كيف حالك، أين أنتِ"

ردت آسيل:

"أنا بخير، أبي أريد الذهاب إلى أمي أمرت السائق بأن يأخذني إليها ولكنه رفض أريد أن أراها"

تحدث هشام:

"عزيزتي عودي الآن وأنا عما قريب سأخذكِ إليها لا تقلقي"

انزعجت آسيل من رفض والدها ولكنها لاتريد النقاش لتتحدث:

"حسناً أبي سأتي فوراً إلى المنزل"

ابتسم هشام وتحدث:

"حسناً عزيزتي بانتظاركِ"

أغلقت الهاتف وتحدثت:

"أوصل شهد أولاً ومن ثم سنذهب إلى المنزل"

انطلق السائق باتجاه منزل شهد ليصلوا بعد وقت قصير، نزلت شهد من السيارة بعد أن ودعت صديقتها وقبل أن تدخل إلى المنزل رأت من لم تتوقع رؤيته، إنه سهيل ما إن رأها هو حتى توجه إليها مسرعاً ليقول ببرود:

"كيف حالكِ ياشهد"

انزعجت كثيراً منه وكانت خائفة بعض الشيء ولكنها تحدثت بهدوء:

"ماذا تريد ولماذا أتيت، ظننت أنني ارتحت منك لماذا عدت"

ابتسم سهيل ابتسامته المستفزة ليتحدث بمكر:

"لا لن ترتاحي مني فأنا وعدتكِ بأنني سأظل أطاردكِ أينما ذهبتي، حسناً اشتقت لكِ ألم تشتاقي لي"

تحدثت شهد بغضب:

"لا لم أشتاق لك ولن أشتاق ابتعد عن طريقي هل تسمعني لا أريد المشاكل"

ضحك سهيل على حديثها ليقول بهدوء:

"حسناً ياشهد أعدكِ بأنكِ لن تريني الآن في الوقت الحالي ولكن بعد وقتٍ قصير سترينني كثيراً، انتبهي لنفسكِ جيداً لن أتركِ وشأنكِ وهذا وعدٌ مني، بالمناسبة أريد أن أحييكِ على جرأتكِ كونكِ ذهبتي إلى القسم وقدمتي شكوى بحقي أنتِ وصديقتكِ ولكن لا بأس، سترين مالا يرضيكِ ولكن الصبر جميل، سلام ياحلوة"

أنهى حديثه واتجه بعيداً عن شهد، بينما شهد كانت قد ظنت بأنه ألقي القبض عليه كونها لم تره منذ عدة أيام ولكنها الآن خائفة منه وبشدة، كيف علم بأنها قدمت شكوى بحقه؟ وماذا يقصد في حديثه عندما قال لها بأنه لن يتركها وستراه عما قريب؟ لم تطمئن له أبداً وكانت تدعو من قلبها بأن يلقوا القبض عليه قريباً قبل أن يحاول أذيتها لإنها خائفة منه حقاً، هو ليس من النوع السهل وهي تعرفه جيداً كونه لم يتركها وشأنها إلى حد الآن، ولكنها دعت لربها بأن لاتراه مجدداً وترتاح منه.

أما عند آسيل فحالما نزلت من السيارة توجهت إلى المنزل ودخلت لترى والدها وزوجته وأخوتها جالسين بانتظارها، دخلت عليهم وألقت التحية وجلست، ابتسم والدها لها وتحدث:

"عزيزتي هيا اصعدي وبدلي ملابسكِ لنتناول الغداء معاً"

هزت رأسها لتصعد إلى غرفتها وتقوم بتبديل ملابسها، اتجهت إلى الأسفل ورأت الجميع مجتمع على مائدة الطعام لتشاركهم وتتناول طعامها بهدوء، بعد انتهائهم من وجبة الغداء توجه الجميع إلى الصالة ليجلسون معاً عدا هشام الذي انسحب وصعد إلى مكتبه لإنهاء بعض الأوراق، بينما أحلام كانت تريد أن تتحدث مع آسيل وتستجوبها ولكن وجود أولادها كان يعيق الأمر، وجهت حديثها إلى أولادها:

"هيا يا أولاد إلى الدراسة"

تأفأف كل من مرام وغيث وتحدثت مرام بانزعاج:

"أمي بعد قليل ندرس، نريد الآن أن نجلس مع آسيل قليلاً"

ابتسمت آسيل بينما أحلام نظرت لمرام نظرة حارقة لتفهم على والدتها وتصعد بتأفأف متوجهة إلى غرفتها هي وغيث، ابتسمت أحلام ابتسامة مصطنعة ووجهت حديثها لآسيل:

"حسناً آسيل، حدثيني عنكِ"

التفتت آسيل إلى أحلام وتحدثت:

"لايوجد شيء أحدثكِ به، تعلمين كل شيء ياخالتي"

تحدثت أحلام:

"أقصد ألا يوجد لديكِ حبيب أو ماشابه، ألستي في علاقة حب مثلاً أم ماذا"

ابتسمت آسيل وقالت:

"لا ياخالتي ليس لدي حبيب ولم أجرب الحب إلى الآن"

همهمت أحلام ببرود وتحدثت:

"حسناً إذاً، هل كان يوجد علاقة حب بين والدتكِ وزوجها وسيم"

انزعجت آسيل من هذا السؤال ولكنها أجابت بهدوء:

"لا ياخالتي لم يكن هناك علاقة حب بينهما ولكن عمي وسيم كان معجب بوالدتي وتقدم لخطبتها وبدأت علاقة حبهما بعد الزواج"

تحدثت أحلام:

"مممم رائع، ولكن هناك سؤال يشغل بالي، لماذا والدتكِ قررت الزواج بعد كل هذه السنين"

تأفأفت آسيل وانزعجت كثيراً لتتحدث بملل:

"لا أعلم بإمكانكِ أن تسأليها، عن إذنكِ ياخالتي لدي واجبات وتصاميم أريد إنهائها"

أنهت جملتها وصعدت إلى غرفتها فوراً دون نقاش طويل، تنهدت أحلام بغل واضح لتحدث نفسها (حسناً يا آسيل سيمر عدة أيام قليلة وسترين مني الجحيم بعدها، فقط انتظري)

ابتسمت بشر لتتوجه إلى غرفتها وتتحدث مع مالك وتتفق معه على كل شيء ليجيبها بـ:

"أهلاً بالسيدة أحلام"

تحدثت أحلام ببرود:

"أهلاً بك، حسناً ما الأخبار هل مازلنا على اتفاقنا"

تحدث مالك:

"بالطبع نحن على اتفاقنا، انتظري عدة أيام ريثما أدبر لهشام سفرة إلى الإمارات ومن بعدها آتيكِ بالشاب إلى منزلكِ"

تحدثت أحلام:

"حسناً وهل هذا الشاب مضمون؟ سيأخذ آسيل من وجهي متأكد أنت"

تحدث مالك:

"أجل أجل مضمون ولكنني أرغب بتزويجها له، لقد عرض علي أن يتزوجها وأنا سأوافق على عرضه، هو يعيش في منزل كبير جداً مع والدته ولكنه بغير بلدة وبعيد قليلاً من هنا ما رأيكِ"

تحدثت أحلام:

"حسناً حسناً المهم عندي بأن يأخدها من وجهي، ولكن كيف سنزوجها له؟ أنا متأكدة بأنها سترفض، وماذا سنقول لهشام عندما يعود"

ابتسم وأجاب:

"دعي هذا الأمر لي، عندما يسافر هشام سأتي إليكِ وسأتولى جميع الأمور لاتقلقي"

هزت أحلام رأسها موافقة لتقول:

"حسناً والآن سأغلق الهاتف، إلى اللقاء"

تحدث مالك:

"إلى اللقاء"

ابتسمت أحلام بشر، أخيراً ستتخلص من آسيل وستضمن بأن هشام لن يعود إلى سمية وستعود لحياتها الطبيعية مع زوجها وأولادها مرة أخرى.

بينما عند آسيل في غرفتها، قررت أن تهاتف والدتها لتطمئن عليها وعلى زوجها لإنها لم تستطيع من وقت مجيئها لمنزل والدها، أمسكت هاتفها وطلبت رقم والدتها لتجيب عليها سمية بلهفة:

"آسيل حبيبتي كيف حالكِ اشتقت لكِ"

ابتسمت آسيل وأدمعت عيناها عندما سمعت صوت والدتها لتجيبها بسرعة:

"أمي أنا بخير، اشتقت لكِ أيضاً، كيف حالكِ أنتِ وعمي وسيم هل أنتما بخير"

بدأت سمية بالبكاء عندما سمعت صوت ابنتها لتتحدث ببكاء:

"أجل نحن بخير حبيبتي، أنتِ قولي لي هل زوجة والدكِ تعذبكِ أو تهينكِ تحدثي"

ابتسمت آسيل وقالت:

"لا يا أمي إنها امرأة طيبة على مايبدو لم أرى منها إلى الآن أي مهانة أو شيء سيء"

تحدثت سمية:

"حسناً أرحتني، إذاً هل تذهبين إلى جامعتكِ أم ماذا"

أجابتها آسيل:

"أجل أذهب، كنت أريد اليوم زيارتكِ ولكن أبي قال لي بأنه سيأخذني هو بنفسه عما قريب"

أجابتها سمية بلا مبالاة:

"حسناً عزيزتي ولكن لاتتأخري علي اشتقت لكِ أريد أن أراكِ"

ابتسمت آسيل وتحدثت:

"وأنا أيضاً أمي اشتقت لكِ كثيراً وأيضاً اشتقت إلى عمي وسيم"

ابتسمت سمية وقالت:

"نعم وهو أيضاً مشتاق إليكِ"

في هذه اللحظة دخل وسيم ليسألها مع من تتحدث وتجيبه بأنها تتحدث مع آسيل، ما إن سمع اسمها حتى بدأ قلبه ينبض بعنف ويرقص من الفرح ليأخذ منها الهاتف بسرعة ويتحدث بلهفة:

"آسيل صغيرتي كيف حالكِ اشتقت لكِ"

ابتسمت آسيل لتجيبه:

"وأنا أيضاً اشتقت لك كثيراً عمي، كيف هو وضعك وكيف أصبحت أخبرني"

ابتسم وسيم من اطمئنانها عليه ليتحدث:

"الآن أصبحت بخير عزيزتي أنا قلق عليكِ جداً هل أنتِ بخير تحدثي"

أجابته آسيل:

"أجل عمي أنا بخير، إن شاء الله سأزوركم عما قريب"

ابتسم وسيم وتحدث:

"حسناً عزيزتي سأنتظركِ بفارغ الصبر"

ظلا يتحدثان لوقت قصير ومن بعدها أغلقا الخط، بينما سمية تعجبت من لهفته واهتمامه وحديثه مع آسيل ولكنها حللت الأمر بأنه يعتبرها ابنته وهو خائف عليها لا أكثر، تجاهلت الأمر ولم تتحدث، بينما هو كان سعيد جداً لسماع صوت آسيل وكاد قلبه يرقص فرحاً لإنه حدثها واطمئن عليها.

أما عند آسيل فقد اتجهت إلى دراستها وتصاميمها التي لاتنتهي لتبدأ بالرسم وانهاء جميع مالديها، وبعد وقت طويل من العمل قررت أن تأخذ قيلولة صغيرة لتتجه إلى سريرها وتنعم بنوم هادئ دون التفكير بشيء.

عند آسر في مكتبه

بينما كان يواصل عمله ويفكر بحل القضية التي بين يديه، سمع صوت طرقات خفيفة على بابه ليأذن للطارق بالدخول، دخل العسكري إليه ليقوم بإلقاء التحية ويتحدث برسمية:

"سيدي لقد وصلتنا أخبار عن سهيل رافع"

ترك آسر الأوراق التي بين يديه ليبث تركيزه على حديث العسكري الذي أمامه ويتحدث بهدوء:

"ماذا هناك"

تحدث العسكري:

"سيدي لقد وصلنا معلومات بأن ذاك المدعو سهيل تردد إلى فتاة ووقف بطريقها وتحدث معها، هذا ماقاله أحد رجالنا الذي كان يراقب الشارع الذي تمكث فيه تلك الفتاة، ولكنه لم يستطع إلقاء القبض عليه لوحده، استدعى دورية ليقوموا بالقبض عليه ولكنه ذهب فوراً قبل أن تصل الدورية، حاول اللحاق به ولكنه أضاعه وضلل طريقه ولم يجد له أثر، هذا كل ماوصلنا"

ما إن سمع آسر هذه الكلمات حتى تحدث بغضب هادر:

"اللعنة عليك وعليهم جميعاً، كيف له هذا الأحمق أن يضلله، نحن نبحث عنه منذ مدة وأنت تقول لي بأنه ضلله، اذهب من وجهي وابعث لي ذلك السافل الذي كان يراقبه"

أنهى آسر جملته بصراخ وغضب لينسحب العسكري من أمامه بسرعة البرق، متحاشي غضبه تماماً، أما آسر فكان غضب الدنيا فيه، يلعن رجاله آلاف المرات على حماقتهم.

بعد وقت قصير دلف العسكري وابتلع ريقه بتوتر بالغ وألقى التحية عليه ليتحدث:

"لقد طلبتني سيدي"

نظر إليه آسر بغضب ليصرخ بوجهه:

"أيها الأحمق كيف تضلله هكذا؟ ألم أقل لكم حالما ترونه تلقون القبض عليه ولو كلفكم هذا الشيء أرواحكم ها أجبني"

توتر العسكري وتحدث بارتباك ليقول:

"أقسم لك ياسيدي بأنني حاولت اللحاق به ولكنه فجأة اختفى عن ناظري لا أعلم كيف، أرجوك سامحني"

تحدث آسر بصراخ:

"أنا لا أسامح أحد أيها اللعين"

جلس على الكرسي وهو يحاول أن يهدأ من نفسه وأن يمسك أعصابه ليزفر بضيق ويتحدث بغضب ونبرة تحذيرية:

"استمع إلي أيها الأحمق، إن أعدت الكرة مرة أخرى ولم تأتي به إلي في المرة القادمة سآخذ روحك بيدي هل تفهم، أريد أن أعلم كل شيء عن تلك الفتاة التي تحدث معها وما العلاقة التي تربطه بها، انصرف من وجهي"

هز العسكري رأسه وألقى التحية وجاء ليخرج ولكن صوت آسر منعه ليتحدث:

"انتظر، أريدك أن تأتي بالفتاة إلي الآن، هيا اذهب"

تحدث العسكري بإيجاب:

"أمرك سيدي"

تنهد آسر بحنق وهو يمرر يده على خصلات شعره، ليرخي برأسه على الكرسي ويغمض عيناه بقوة.

بينما عند شهد في منزلها

كانت جالسة بصالة المنزل بمفردها، والداها لم يكونا بالمنزل، ذهبا إلى بيت جدتها وقد طلبا منها المجيء معهما ولكنها رفضت وقررت الجلوس بمفردها بالمنزل، بينما كانت تقلب في القنوات الفضائية لتسمع جرس المنزل يقرع لتنهض بتكاسل باتجاه الباب وتفتحه لتتفاجئ بوجود شابان يرتديان الزي العسكري ويقفان أمامها لتعقد حاجبيها وتتحدث باستغراب:

"أي خدمة سيدي"

تحدث العسكري بجدية:

"آنستي يجب أن تأتي معنا للفرع"

جحظت عيناها بصدمة وتحدثت بشيء من الخوف:

"فرع! ولماذا أذهب إلى الفرع أنا لم أفعل شيئاً ماذا يحدث أرجوك سيدي أجبني"

تحدث العسكري:

"لاتقلقي آنستي ستذهبين معنا وسنقوم باستجوابكِ على عدة أسئلة ومن بعدها تعودين، هيا تفضلي معنا"

تحدثت شهد بدموع:

"لا لن أذهب معكما ووالداي ليسا بالمنزل انتظرا ريثما يعودان وتتحدثان إليهما"

لم يستطع العسكري أن ينتظر أكثر ليتحدث بجدية ممزوجة مع شيء من الحدة:

"آنستي أرجوكِ هيا تعالي معنا وإلا سنضطر لاعتقالكِ ونجبركِ على الذهاب معنا"

بدأت شهد بالبكاء، هي بعمرها لم تذهب إلى الفرع سوى مرة واحدة وكانت مع صديقتها، ولكن الآن يختلف الأمر فهي لاتعلم ما فعلته، تحدثت ببكاء:

"حسناً سآتي معكم ولكن لا تأذوني اتفقنا"

حمحم العسكري بجدية ليقول:

"نحن عساكر ولسنا قطاع طرق يا آنسة هيا تفضلي"

تحدثت ببكاء:

"حسناً سأبدل ملابسي انتظراني من فضلكما"

همهم العسكري ليقول بنبرة آمرة:

"حسناً لا تتأخري"

هزت رأسها بإيجاب واتجهت سريعاً نحو غرفتها لتبديل ملابسها والأفكار تضرب في رأسها، ما الذي يريدونه منها؟ ولماذا هي بالتحديد؟ هل وصلهم شكوى بحقها؟ هل سهيل هو من افتعل لها المشاكل ليطلبوها أم ماذا؟ ولكن سهيل لن يستطيع أن يقترب ناحية الفرع لإنه مطلوب.

ظلت الأفكار تأكل رأسها، بعد عدة دقائق أنتهت من تجهيز نفسها لتخرج وتتوجه نحو العساكر بالخارج وتصعد معهم ليتوجهون بها إلى آسر.

بعد وقت ليس بطويل وصلوا إلى الفرع لتهبط شهد من السيارة وتلحق بالعسكري الذي أمرها بأن تتبعه، لتصل إلى مكتب آسر وقد حدثت نفسها (أليس هذا المكان ذاته الذي قدمنا الشكوى به)

تنهدت بثقل لتسمع صوت العسكري يأذن لها بالدخول وضربات قلبها تكاد تجزم بأنها مسموعة لجميع من في المكان، أخذت نفس عميق ودخلت بارتباك وتوتر بالغ، لتسمع صوت آسر الرجولي:

"أهلاً يا آنسة تفضلي اجلسي"

رفعت شهد نظرها له لتراه وتتعرف عليه فوراً، هو ذاته الذي قدمتا عنده الشكوى، ارتبكت من نظراته التي تتفحصها وكأنه يحاول أن يتذكر أين رآها، تنهد بقوة ليحدثها بقوله:

"ما اسمكِ يا آنسة"

تحدثت بإيجاب وتوتر:

"اسمي شهد عبد الله"

ما إن سمع اسمها حتى عقد حاجبيه وحدث نفسه بأنه سمع باسمها من قبل، ليتذكرها فوراً، أجل هي صاحبة الشكوى، فوراً تذكر آسيل أيضاً ليتحدث بجدية:

"ممم حسناً آنسة شهد، أظن بأنكِ قمتي بزيارتنا من قبل أليس كذلك"

حركت رأسها بإيجاب لتقول:

"أجل سيدي، عندها جئت أنا وصديقتي لنقدم شكوى على ذلك الشاب"

همهم بتفهم ليقول:

"حسناً، وصلتنا أخبار بأن ذاك المدعو سهيل تعرض لكِ وحدثكِ في شارع منزلكِ، أليس كذلك"

انصدمت من سؤاله واعتقدت بأنهم ألقوا القبض عليه لتتحدث بسرعة:

"أجل سيدي لقد وقف بطريقي اليوم"

تحدث آسر:

"ممم وما الذي قاله لكِ"

تحدثت شهد:

"لقد حدثناك من قبل عنه وقلنا لك لماذا يطارنا أنا وصديقتي، ولكن سيدي هذه المرة أتى إلي وهددني وقال لي بأنني سأرى مالا يعجبني منه عما قريب، هذه ثالث مرة يهددني"

أنهت جملتها وآسر كان يستمع إليها بانتباه ليهز رأسه ويقول لها:

"حسناً آنسة شهد، هل تعلمين أين يقيم ياترى"

تحدثت شهد بنفي:

"لا سيدي لا أعلم عنه شيء سوى اسمه ونسبه فقط"

حرك آسر رأسه بإيجاب ليقول:

"حسناً، نحن نعتذر لكِ جداً على مجيئكِ إلى هنا، ولكن أرجوكِ إذا حدث وعلمتي عنه شيء لا تترددي بإخباري رجاءً"

حركت رأسها بإيجاب لتقول:

"بالطبع سيدي والآن عن إذنك"

تحدث آسر:

"سيعيدونكِ العساكر تفضلي"

حركت رأسها بإيجاب لتخرج من مكتبه عائدة إلى منزلها برفقة العساكر، بينما آسر شرد قليلاً بقصة هذه الفتاة هي وصديقتها، ليتنهد بتعب ويغمض عينيه تاركاً لتفكيره أن يوصله إلى تلك الحسناء التي تخطر على باله كثيراً.

بعد مرور يومان

قرر هشام بأن يأخذ آسيل إلى منزل والدتها لزيارتها، فرحت آسيل كثيراً لإنها وأخيراً سترى والدتها وعمها وسيم، اتجه هشام بها إلى منزل سمية ليصلان بعد وقت ليس بقصير، اتجها إلى باب المنزل ليقرع هشام الباب وقلبه يقرع كالطبول كونه سيقابل محبوبته، فتحت سمية الباب وصدمت عندما رأته واقف أمامها ببرود مصطنع وبجانبه آسيل التي ابتسمت بسعادة حالما رأت والدتها لتلقي بنفسها في أحضان والدتها، فرحت سمية بزيارة آسيل كثيراً وكأن هموم الدنيا كلها أزيحت عنها حالما رأت ابنتها، ولكن وجود هشام أربكها كثيراً، رحبت بهما واستقبلتهما لتدخلهما إلى الصالة ليجلسون ثلاثتهم.

كان هشام يتابع حركات سمية ونظراتها المرتبكة وشرد قليلاً بها وبابنته، تمنى لو كان يحظى بقليل من السعادة مع زوجته وابنته وهو بين عائلته الصغيرة ولكن إلى الآن لم يتحقق حلمه، كم تمنى أن يحظى ولو بقليل من أحضان سمية ووجودها معه ولكن لا لم يحدث ذلك، تنهد بثقل وحسرة بينما آسيل وسمية كانتا تتسامران وتطمئنان على بعضهما، وجه هشام حديثه لسمية ليقول:

"كيف حالكِ سمية"

أجابته بتوتر:

"بخير، وأنت كيف حالك"

ابتسم لها وقال:

"بخير أيضاً"

ابتسمت له ابتسامة متوترة لينظر لها بكثير من المشاعر، شوق، حنين، ضياع، ألم، حسرة، والكثير من المشاعر، تنهد بحرقة ليلتفت إلى حديث سمية الموجه له وهي تقول:

"ممم كيف حال زوجتك وأولادك، لما لم تأتي بهم إلى هنا"

ابتسم ليقول:

"لا اكتفيت بجلب آسيل لكِ الآن، مع الوقت إن شاء الله تأتين أنتِ أيضاً إلينا"

ابتسمت بارتباك وحركت رأسها موافقة لتسمعه يقول:

"إذاً أين هو السيد وسيم، أليس بالمنزل"

تحدثت سمية:

"لا ليس بالمنزل لديه بعض الأعمال، ولكن اقترب موعد مجيئه"

حرك رأسه متفهماً ليبتسم لها وتبادله الابتسامة ومن ثم تشيح بنظرها عنه إلى ابنتها التي كانت تراقب الحديث بالكامل لتنظر لهما نظرة شك، عم الصمت في المكان لتخطر على بال آسيل فكرة وتوجه حديثها لوالدتها وتقول:

"أمي أريد أن آخذ بعض الأغراض الخاصة بي من غرفتي"

وهمت بالنهوض والرحيل من المكان دون أن تسمع جواب والدتها، لترتبك سمية وتلعن نفسها مئات المرات على هذا الموقف الذي وضعت به، ابتسم هشام وفهم على آسيل بأنها تركت لهما المجال لتتركهما يأخذان بعض الوقت بالحديث بمفردهما، تنهد تنهيدة خفيفة لينظر إلى سمية المرتبكة ليسمعها تقول:

"مم حسناً سأنهض لأعدّ القهوة، عن إذنك"

همت بالنهوض ليوقفها صوته قائلاً:

"لا أريد شيئاً اجلسي سمية"

جلست بارتباك وتوتر لتجول بنظرها بأنحاء الغرفة وهي تفرك يديها بتوتر شديد، سمعت صوته الذي كان محبب إلى قلبها وهو يقول:

"هل أنتِ سعيدة مع زوجكِ الآن سمية"

حركت رأسها بإيجاب من دون النظر إليه وقالت:

"مم الحمد لله نعم سعيدة معه"

نظر لها بغيظ وغضب ليبدأ بتحريك قدمه بتوتر وحنق، سمع صوتها لتقول له:

"وأنت"

نظر لها وهو عاقد الحاجبين ليقول:

"أنا ماذا"

أجابته بتوتر:

"هل أنت سعيد مع زوجتك الآن"

ابتسم هشام على سؤالها هذا ليجيبها ببرود:

"لا"

نظرت له بصدمة واستغراب ليحدق بها بعينيه العسليتان وكأنه يقول لها الكثير والكثير من الحديث بعينيه، سرحت بعينيه وهو أيضاً ولم ينتبهان لذلك الذي يقف بصمت ينظر لهما هما الاثنان، حمحم وسيم ليلتفتان إليه ويجفلان من شرودهما، توترت سمية كثيراً من وسيم، ما الذي ستقوله له إذا سألها عن سبب جلوسها بمفردها معه؟ وبماذا تبرر سبب نظراتها وشرودها به! بينما هشام لعن وسيم مئات المرات لقطع لحظتهما هذه ودخوله المفاجئ، احتقن وجه هشام ليقف ويلقي السلام عليه ببرود ويجلس بمكانه، بينما وسيم اتجه وجلس بجانب سمية بصمت، غضب هشام جداً بجلوس وسيم بجانب سمية، ماذا! هل يغيظه بهذا الموقف أم ماذا؟ لعنه مئات المرات وتمنى لو أن تنشق الأرض وتبتلع هذا المعتوه ولكنه تصنع اللامبالاة وبداخله بركان سينفجر من الغيظ والغضب.

التفتوا جميعاً إلى صراخ آسيل التي ارتمت بأحضان عمها وسيم ليبتسم هو بسعادة وقلبه يرقص فرحاً لإنه رآها، واللعنة كم كان مشتاق لهذه الرائحة، جلست بجانبه لتقول:

"كيف حالك عمي"

ابتسم لها ليقول:

"بخير عزيزتي وأنتِ كيف حالكِ"

بادلته الابتسامة لتقول:

"أنا بخير وبأحسن حال"

حرك رأسه بإيجاب لينظر لها ويشرد بملامحها ليقطع شروده صوتها وهي تردف:

"وكيف حالك مع والدتي؟ هل تعذبها ها أجبني، لا أريدك أن تحزنها أبداً مفهوم"

ابتسم لها ابتسامة واسعة وقال:

"لا عزيزتي لا أستطيع أن أعذبها هي حبيبتي ونحن بأحسن حال مع بعضنا"

حركت رأسها بإيجاب وسعادة، بينما هشام يكاد ينهض ويخنق وسيم على كلامه الذي يجعله يجن جنونه منه، تجاهل الأمر وحاول مسك أعصابه وتنهد بغل ونظرات الغضب موجهة إلى وسيم.

في الواقع وسيم انتبه إلى نظرات هشام وهو يعلم بأنه لا زال إلى الآن يحب سمية ولكنه لا يعلم لما لم يشعر بالغضب أو الغيرة أو الغيظ كانت كل مشاعره متاحة لآسيل فقط، لم يعود مثل ما كان في السابق، كونه يعلم بأن هشام يغضب عندما يلاطف سمية أمامه لذلك استغل الفرصة ليغيظه أكثر وأكثر، نهضت سمية لتحضر القهوة ومن ثم تبعتها آسيل ليبقى هشام ووسيم بمفردهما، وجه وسيم حديثه لهشام بهجوم وسرعة كبيرة ليقول:

"هل مازلت تحبها"

عقد هشام حاجبيه بعدم فهم، ليحاول الاستيعاب ومن ثم يفهم عليه ويجيبه ببرود:

"لا شأن لك"

ابتسم وسيم ابتسامة جانبية ليقول:

"اه لا تعلم كم أحب زوجتي هي كل حياتي، أتعلم! قررنا أن ننجب طفل، أعلم أعلم بأنك ستقول لقد كبرتما ولكن قررنا وسننجب طفل ويكون لآسيل أخ"

استطاع وسيم أن يشعل فتيلة غضب هشام ليتحدث وهو يكز على أسنانه:

"اصمت واللعنة عليك ولا تتحدث بهذا الموضوع مرة أخرى أم أنك مستغني عن حياتك"

ضحك وسيم ليقول:

"لماذا؟ هل تحدثت بشيء خاطئ؟ إنها زوجتي وحبيبتي أعني أنه لا عيب ولا حرام"

نهض هشام بسرعة البرق باتجاه وسيم ليمسكه من ياقه قميصه ويتحدث بغل وغضب من بين أسنانه:

"أسمعني جيداً أيها الأحمق، أريدك أن تعد أيامك مع سمية لإنها لن تطال مدة مكوثها معك وعلى ذمتك لإنها ببساطة ستعود إلي، انتظر قليلاً أعدك بأن تراها وأنا أخذها منك من بين عيناك هاتان هل تفهم"

أنهى جملته وترك ياقة قميصه ودفعه للخلف ولكن وسيم كان وظل ينظر إليه ببرود ليبتسم له ابتسامة استفزاز ويقول:

"سنرى"

بادله هشام الابتسامة المستفزة ليحرك رأسه بإيجاب وينظر له بتحدي، حسناً هشام لن يصعب عليه بأن يخرب علاقة سمية بوسيم وسيفعل المستحيل لكي تعود إليه وحالما تعود الى ذمته سيتخلص من أحلام بأي شكلٍ من الاشكال، توجهت سمية وآسيل إليهما وهي تحمل بيديها القهوة والكعك، اتجهت سمية إلى هشام لكي تقوم بضيافته وعيناها كانت مركزة على عيناه لتحمحم وتقول:

"تفضل"

نظر لها وأخذ فنجانه وعيناه تتابعها ولا تنفك عنها، بينما قامت بضيافة الجميع وجلست بالقرب من آسيل، ابتسم هشام كون سمية لم تجلس بجانب وسيم الذي كان شارد بملامح آسيل، انتبهت آسيل إلى نظرات عمها وبدأت تشك بأمره ولكنها تجاهلته، بعد وقت ليس بقليل نهض هشام ليتحدث بجدية:

"والآن نستأذن، عزيزتي آسيل هيا"

كادت آسيل تبكي، لا تريد أن تفارق والدتها ولكن ماباليد حيلة، ودعت والدتها وعمها الذي احتضنها فجأة وهذا مازاد من حيرتها وشكها، ابتسمت بتكلف وتوجهت نحو والدها الذي كان يرميه بنظرات حارقة، وقف هشام ونظر إلى سمية التي كانت مرتبكة بشدة، نظر لها لوهلة وألقى عليها التحية ومن بعدها نظر لوسيم بسخرية وتحدي وخرج وبرفقته ابنته واستقلا السيارة ليعم الصمتقليلاً، كسر الصمت هشام وتحدث:

"مم عزيزتي آسيل، ألا تتمنين بأن نكون عائلة واحدة"

عقدت آسيل حاجبيها باستغراب وعدم فهم لينظر لها هشام ويردف:

"أقصد ألا تتمنين بأن تعود والدتكِ إلي ونكون عائلة واحدة"

صدمت من سؤاله ولكنها لا تعلم بماذا تجيبه، نظرت له لتقول:

"كل واحد منكم يقضي حياته بالجانب الذي يريحه لا نستطيع النقاش"

تحدث هشام:

"بلى نستطيع آسيل ظروف الحياة هي من أبعدتني عن والدتكِ، أنا مازلت أحبها يا ابنتي ولم أنساها يوماً ولكن صدقيني كنت مجبر على تركها"

ثاني صدمة تأتيها لتتحدث بعيون متوسعة:

"ماذا يعني هذا أبي، كيف تحب أمي وكيف كنت مجبر على تركها"

تنهد هشام بحرقة ليقول:

"لا عليكِ عزيزتي كل شيء في وقته، ولكن أريدكِ أن تعلمين جيداً بأنني لن يهدأ لي بال حتى أعيد والدتكِ على ذمتي وأتخلص من هذه اللعينة الموجودة عندي"

عقدت حاجبيها لتقول:

"هل تقصد خالتي أحلام"

حرك رأسه بإيجاب لتتحدث معارضة:

"لا أبي، أخوتي يحتاجان لوالدتهما وأنت أكيد لن تتخلى عنهما أليس كذلك"

أجابها هشام ببرود:

"والدتكِ ستكون والدتهما وطبعاً لن أتخلى عنهما"

تنهدت آسيل وأرجعت رأسها للخلف مغمضة عينيها سارحة بخيالها، تشعر بالضياع ولكن للحقيقة هي تريد أن تعود والدتها لوالدها وتعيش بسعادة بينهما، ولكن ماذنب عمها وسيم؟ هو يحب والدتها ولكن تصرفاته غريبة، وماذا عن خالتها أحلام؟ هي امرأة ولا تريد أن يكسر بخاطرها، ولكن مؤكد بأنها فعلت أشياء كثيرة تغضب أبيها لهذا يريد التخلص منها، لم تريد أن تفكر بشيء أكثر من ذلك، ظلت على حالها هذا وتركت نفسها للقدر لترى ما الذي سيحدث داعية ربها بأن يأتيها الخير هي وجميع أفراد عائلتها.

بينما سمية كانت جالسة تفكر في زوجها وتصرفاته مع آسيل، بدأ الشك يراود قلبها، نعم هي مستعدة لصدمة ثانية لإنها مرت بتجربة فاشلة من قبل وتجاوزتها مثل ما ستتجاوز هذه الصدمة إن كان هناك من مزيد، ستحتمل كل شيء وتكون قوية وستتوقع حدوث كل شيء لإنها لم تعد تؤمن بأحد، أما عن هشام فتعجبت من تصرفاته معها ولم تفهم شيء من نظراته التي كانت تتلقاها منه، هي لن تتهاون معه ولن تسامحه، ستقف بوجهه إن حدث أي شيء وستكون مستعدة له، لن تنسى ولن تسامح، ستجعله يندم على تركه لها وهجرها ولكن لا تعلم لما كانت متلهفة لرؤيته منذ أن أخبرتها آسيل بأنها ستأتي هي ووالدها إليها، ولا تعلم إذا كانت مازالت تحبه ولم تفهم مشاعرها إلى حد الآن، ولكن مع كل ذلك لن تستسلم له ولن تضعف أمامه مهما حدث.

بعد مرور عدة أيام

قرر هشام السفر إلى الإمارات من أجل عمل طارئ وسافر فوراً، بينما ترك آسيل مع أحلام لترى الجحيم، بعد سفره بيومين بدأت أحلام تعامل آسيل معاملة قاسية وقد توقعت آسيل حدوث ذلك الشيء ولم تتعجب من الأمر ولكنها فضلت الصمت، وها قد حان موعد تنفيذ الخطة ولكن هناك من خرب مخططاتهم بقدومه وهو ساهر، أتى ساهر لزيارة عمته ولكن غرضه من هذه الزيارة هو آسيل لذلك أتى إليها، بينما أحلام كادت تجن منه ولكنها اكتفت بالصمت ولم تعلق على مجيئه واستقبلته بترحاب مزيف، ابتسم بوجهها ابتسامة باردة ليقول:

"أهلاً عمتي كيف حالكِ"

ابتسمت أحلام بتصنع لتقول:

"بخير يا ابن اخي وبأفضل حال"

هز رأسه موافقاً وصمت لوهلة ليتحدث بعدها:

"إذاً أين أولادكِ، وأين تلك الفتاة ابنة زوجكِ"

ابتسمت بسخرية لتقول:

"هل تظن بأنني لا أعلم بأنك قادم من أجلها، بالمناسبة ما الذي تريده منها"

ابتسم ابتسامة ذات مغزى ليقول:

"طوال عمركِ تفهمين علي يا عمتي الغالية، بصراحة الذي أريده منها أنتِ لا شأن لكِ به لذلك أرجو أن تخلي الغرفة قليلاً وتبعثيها إلي"

ابتسمت أحلام ابتسامة مستفزة لتقول:

"هل قال لك أحداً بأنني فتحت منزلي للموعيد الغرامية لك يا هذا، إذا كنت تريدها انصرف وانتظرها إلى أن تظهر خارج المنزل"

بقي ينظر لها ببرود تام وهذا ما أخاف أحلام لإنها تعلم ساهر جيداً وتعلم عند غضبه ما الذي يمكن أن يحدث، ابتسم ساهر بتهكم ليقول:

"حسناً أريد فقط رؤيتها والتحدث معها قليلاً ومن بعدها سأنصرف"

حدقت أحلام به مطولاً لتقول بعدها:

"ما الذي تريده من الفتاة، ابتعد عنها ولا تحاول أذيتها هي ليست مثل الفتيات اللاتي تعرفهن لذلك انسى أمرها"

ضحك على جملتها ليقول:

"وهل تريدنني أن أصدق مثلاً بأنكِ خائفة عليها، عمتي أنا أعرفكِ جيداً، أنتِ لاتطيقينها ولا تكنين لها سوى الكره والبغض لذلك لا تلعبي علي دور زوجة الأب الحنونة اتفقنا، هيا اذهبي واجلبيها"

كتمت غيظها لتهز رأسها وتنهض فوراً لتنادي على آسيل وتنزلها معها إلى حيث مجلس ساهر، آسيل لم تهرب من المواجهة وقررت أن تراه لتعلم ماذا يريد منها، اقتربت لتلقي التحية ومن بعدها جلست على الأريكة لتضم يديها إلى صدرها وتنظر له لترى بأنه ينظر لها بكل برود هو أيضاً ليقول لها:

"أهلاً آسيل، حسناً لن أدخل بمواضيع تافهة أريدكِ في موضوع مهم"

تحدثت آسيل ببرود تام وهذا مازاد غيظه لتقول:

"وما هو هذا الموضوع المهم"

تنهد بغضب ليقول:

"أريد الزواج منكِ"

نظرت له مطولاً وبعدم فهم لتقول له:

"ما الذي تهذي به يا هذا"

أجابها ببرود:

"قلت أريد الزواج منكِ، ها مارأيكِ"

تنهدت بقلة صبر لتقول:

"رأيي هو لا"

ابتسم ابتسامة جانبية ليقول:

"متوقع هذا الجواب ولكنني أريد أن أعلم لماذا"

أجابته ببرود:

"لا أفكر بالزواج الآن مطلقاً"

أجاب بهدوء:

"إذاً أريدكِ أن تفكري بهذا الموضوع لإنني جدي كلياً بهذا القرار، سآتي بعد يومين لإخذ منكِ الجواب وأتمنى بأن يعجبني، والآن إلى اللقاء"

أنهى جملته ورحل تاركاً إياها حائرة في أمرها ومتعجبة من طلبه، ولكن أياً كان لن تتيح له هذه الفرصة بتملكها لإن قلبها لم يرتاح له، بينما أحلام كانت تتجسس عليهما وتسمع حديثهما لتصاب بحالة صدمة وذهول من طلبه لآسيل وكانت تستشيط غضباً لإنه أراد آسيل بحوزته، نعم ياسادة إنها الغيرة، دخلت بكامل غضبها إلى آسيل وحدثتها:

"ما الذي فعلتيه له أيتها الحمقاء لكي يطلبكِ للزواج ها"

تعجبت آسيل من حالة خالتها لتجيبها:

"وما الذي سأفعله له ياخالتي، لم أفعل أي شيء"

تحدثت أحلام بحدة:

"كفاكِ تمثيل أيتها اللعينة، سترين الجحيم على يدي"

ذهلت آسيل من حديثها وصدمت لتتحدث بعصبية:

"اصمتي ها، أقسم لكِ بأنني سأقول لأبي كل شيء حالما يأتي، أنتِ التي سترين الجحيم على يدي أعدكِ بذلك"

أنهت جملتها ورحلت تاركة أحلام بحالة صدمة لإنها تجرأت وصرخت بوجهها، حدثت أحلام نفسها بحقد:

"لن يتوفر لكِ الوقت لكي تريننني الجحيم أيتها اللعينة"

توجهت أحلام إلى غرفتها لتتحدث مع مالك ويجيبها بـ:

"أهلاً، ما الذي حدث"

تحدثت أحلام بعصبية:

"يجب علينا أن نبدأ بتنفيذ الخطة ونتخلص منها فوراً"

أجابها بسرعة:

"ما الذي حدث؟ أجيبي"

أجابته بسخرية:

"هه لقد توعدت لي بالجحيم، يجب أن ننفذ حالاً"

أجابها بهدوء:

"حسناً حسناً ولكن ليس اليوم، هشام لديه ثلاثة أيام لكي يعود من سفره ونحن غداً سننفذ، ولكن أريدكِ أن تسجنيها في غرفتها ولا تدعيها تخرج أبداً كي لا تستطيع الهرب أو أي شيء"

أجابته بابتسامة:

"حسناً سأتولى أمرها، غداً سنتخلص منها لا تتأخر علي لإنني سأبعث بالأولاد إلى بيت جدهم"

أجابها:

"حسناً اتفقنا إلى اللقاء"

أنهت اتصالها وابتسمت بشر لإنها غداً ستتخلص منها إلى الأبد، بينما آسيل كانت جالسة في غرفتها تبكي بحرقة على نفسها وتلعن حياتها مئات المرات، تمنت العودة إلى منزل والدتها، على الأقل عمها وسيم لم يعاملها معاملة كهذه، توجهت إلى سريرها لتشرد قليلاً ومن بعدها دخلت في نوم عميق.

أما عند أحلام فكانت تنتظر إلى أن تنام آسيل لكي تستطيع أن تقفل الباب عليها، بعد مدة من الوقت توجهت أحلام إلى غرفة آسيل لتتسلل وتدخل إليها، تأكدت بأنها غارقة في نوم عميق لكي تبحث عن هاتف آسيل، وجدته بجانب آسيل لتأخذه وتخرج من الغرفة وتغلقها بالمفتاح وذهبت متوجهة إلى غرفتها لكي تغط بالنوم وعلى ثغرها ابتسامة شر ونصر.

في صباح اليوم التالي

استيقظ آسر على صوت رنين هاتفه ليتململ من فراشه بانزعاج، تنهد بغضب ليرى اسم المتصل، ومن غيره الذي يتجرأ ويوقظ آسر من نومه منذ الصباح الباكر غير يوسف، أجابه آسر بصوت ناعس وبرود:

"ماذا تريد"

أجابه يوسف بضحكة:

"أسف على إزعاج سموك منذ الصباح ولكن الأمر مهم جداً"

تحدث بانزعاج:

"حسناً ماذا لديك"

أجابه يوسف بجدية:

"بالنسبة للشبان الذين يتاجرون بالمخدرات في الجامعات لقد جمعنا عنهم معلومات كافية، أريدك أن تأتي إلى المكتب لإنني سأبعث بدوريات لكي يتم القبض عليهم لإنه سهل الوصول إليهم كي نبدأ بالتحقيق معهم"

أجابه آسر وقد استعاد وعيه بالكامل من نومه:

"حسناً سآتي، ولكن ماذا عن سهيل؟ هل عرفتم مكانه أو أي شيء عنه"

تحدث يوسف:

"لا لم يصلنا أي أخبار عنه إلى حد الآن"

تنهد آسر بحدة وقال:

"حسناً لن أتأخر إلى اللقاء"

أنهى آسر اتصاله ونهض من فراشه لكي يقوم بفعل روتينه اليومي ومن ثم ارتدى بذلته العسكرية متوجهاً إلى عمله.

بينما يوسف كان يجلس في مكتبه شارد الذهن بحال أخته، بدأ الشك يراود قلبه لذلك وضع أحد الحراس ليقوم بمراقبتها لكي يأتيه بكل التفاصيل وإلى الآن لم يأتي له بخبر سيء عنها وعن تحركاتها، تنهد بملل وقام بإرسال دوريات إلى جميع الجامعات التي يوجد فيها الشبان الذين يتاجرون بالمخدرات بعد أن أعطاهم المواصفات والأسماء والمعلومات الكافية عنهم، استلقى باسترخاء على كرسيه بعد أن خرج العسكري من مكتبه منتظراً قدوم آسر إليه.

تململت آسيل في فراشها وهي تفتح عينيها بصعوبة بسبب أشعة الشمس التي داعبت وجهها من نافذة غرفتها، نهضت من فراشها لتقوم بفعل روتينها اليومي كالعادة وتجهز نفسها للذهاب إلى جامعتها، ارتدت ثيابها ومن ثم اتجهت لباب غرفتها وضعت يدها على مقبض الباب لتسحبه ولكنه لم يفتح، بقيت تحاول مراراً وتكراراً ولكن دون جدوى، عقدت حاجبيها باستغراب ليبدأ قلبها بالخفقان بشدة وكأنها خائفة من الذي في بالها، تذكرت هاتفها لتقوم بالبحث عنه ولكن لا فائدة لإنها لم تعثر عليه، بقيت تبحث وتبحث ولكن لم يقع بيدها، توجهت مرة أخرى إلى باب غرفتها وبدأت تدق على الباب بعنف وتصرخ بأن يفتح لها أحد الباب ولكن لا حياة لمن تنادي لإنه لم يكن أحد بالمنزل، ظلت واقفة مكانها تحدق بالفراغ بذهول وبدأت نواقيس الخطر تدق عندها، هل يعقل بأنها حجزت بغرفتها؟ هل خالتها هي حجزتها؟ ولكن لماذا؟ لم تفعل شيء كبير كي تحتجزها بالغرفة، لما فعلت ذلك؟ وكيف ستخرج من هذه الغرفة؟ ظلت تجول بنظرها بأنحاء الغرفة لكي تقع عيناها على النافذة التي تؤدي إلى حديقة المنزل، توجهت إليها بسرعة البرق، هي حسمت أمرها قررت أن تهرب وتعود أدراجها إلى منزل والدتها ريثما يعود والدها وتحدثه بكل شيء حدث، ألقت بنظرها للإسفل من خارج النافذة لترى أن المسافة بعيدة جداً لا تستطيع القفز للأسفل، ظلت تبحث عن أي طريقة تساعدها على القفز من النافذة ولكن لا فائدة، هبطت دموعها على وجنتيها وانفجرت بالبكاء وهي تلعن وتشتم خالتها لإنها بهذه الحقارة، ظلت تركل الباب بقدميها بعنف وتصرخ طالبة النجدة.

بهذه الأثناء كانت قد وصلت أحلام إلى المنزل وبرفقتها مالك من أجل تنفيذ خطتهما بحق الفتاة، ابتسمت أحلام ابتسامة مكر حالما سمعت صوت صراخ آسيل ومناجاتها ليبادلها مالك بالابتسامة، صعدا إليها وفتحت أحلام باب غرفتها لتتراجع آسيل عدة خطوات للوراء ومن ثم ترى أحلام وخالها، كانت حالتها مبعثرة جداً، عينان متورمتان من شدة البكاء وشعرها بدى بحالة فوضوية وتقاسيم وجهها تدل على الصدمة والغضب، حالما رأت

خالها تسمرت في مكانها لتراه ينظر لها بابتسامة مستفزة لتوجه نظرها إلى أحلام بصدمة ومن ثم تعقد حاجبيها، وبدأ السؤال يدور ببالها (ما علاقة أحلام بخالها)، عقلها كان يعمل كالماكينة ولم تنطق بحرف وكأن لسانها قد شل عن النطق، ابتسمت أحلام ابتسامة ماكرة لتقول:

"ما بكِ أيتها الجميلة لما تبدين بهذه الحالة"

ظلت واقفة تحدق بهما بصدمة ممزوجة بالغضب ولم تنطق أبداً لتسمع صوت خالها مالك يقول:

"هل القطة ابتلعت لسانكِ يا ابنة أختي"

بلعت ريقها وحاولت جمع الكلمات لتقول بصوت متقطع:

"خ خالي ما ماالذي أ أت أتى بك إلى ه هنا"

نظر مالك إلى أحلام الواقفة وهي عاقدة ذراعيها ليعود بنظره إليها ويقول:

"جئت كي أنفذ خطتي يا آسيل، طبعاً ليس لوحدي السيدة أحلام ستقوم بمساعدتي بهذا الأمر"

نظرت له بعدم فهم وتحدثت:

"خطة ماذا؟ وماعلاقتك بخالتي وما الذي تريدان فعله"

ابتسم ابتسامة جانبية واقترب منها ونزل لمستوى أذنها ليتحدث بهمس:

"سنتخلص منكِ"

حالما سمعت هذه الكلمة حتى توسعت عيناها من الصدمة وظلت تحدق بخالها الواقف أمامها ببرود لتسمعه يردف ويقول:

"لا تخافي لن نقتلكِ ولكننا سنبعدكِ من هنا إلى الأبد، بالمناسبة أريد أن أخبركِ بشيءٍ مهم، طبعاً مؤكد بأنكِ تسألين نفسكِ لما والدكِ ترك والدتكِ أليس كذلك، حسناً سأجيبكِ أنا! والدكِ تركها لإنه أنا من طلب منه هذا لإنني لم أكن أريده زوجاً لأختي ولكنها هي كانت ترغبه وبشدة وهو أيضاً ولكن أنا كنت أقوى منهما واستطعت أن أفرقهما عن بعضهما لإنني هددت والدكِ بقتله وقتل جميع عائلته إذا لم يتركها وشأنها وأوصيته بأن يبتعد عن المكان نهائياً ويعيش حياته بعيداً عن أختي، طوال حياتي كنت أتمنى أن أتزوج عمتكِ هدى والتي هي شقيقة هشام ولكن جدكِ ووالدكِ كانا دوماً ينظران لي على أني أقل مستوى ولا أنفع لشيء، لذلك أبعدت والدكِ عن سمية، ولكن جائت القشة التي قسمت ظهر البعير وهي أنتِ وفشلت كل مخططاتي لذلك بذلت كامل جهدي كي

أقرب والدتكِ من وسيم وأزوجهما وبالتالي هشام لن يصمت عن هذا الوضع وسيأخذكِ إليه لإنه يفكر باسترجاع والدتكِ ولكن الآن جئت كي أتخلص منكِ وعندما تختفين عن الأنظار لن يستطيع هشام استرجاع والدتكِ ولا بأي شكلٍ من الأشكال لإنه سيكون بنظرها وغد حقير لم يصون الأمانة ولم يستطع الحفاظ عليكِ وبهذا الوضع أكون قد ربحت كل شيء هل فهمتي الآن عزيزتي"

كانت آسيل تستمع إلى حديث خالها وعندما انتهى ظلت تنظر إليه بصدمة، لم تنطق بحرف ولم تبدي أي ردة فعل فقط ظلت تحدق به بذهول والأفكار تدور في رأسها، كل هذه السنوات ووالدها يتعذب ببعده عن والدتها، الآن فهمت مقصده عندما قال لها كنت أتعذب طوال الوقت ولم أنسى والدتكِ يوماً وكنت مجبر على ذلك، لم تعلم ما الذي تفعله تمنت لو تستطيع أن تقوم بقتل خالها ولكنها بدأت تهز رأسها بعنف متراجعة بخطواتها، ظلت تبكي بقهر ودموعها على وجهها، اقتربت منها أحلام لتقول لها:

"جهزي أمتعتكِ سيأتي شاب ويأخذكِ من هنا ولكن ليس على الفور، ستتزوجينه ومن بعدها تغربين عن وجهي إلى الأبد"

نظرت لخالتها نظرة حقد ونهضت من مكانها لتمسكها من رقبتها وتشدها بعنف وتقول:

"بل أنا سأرسلكِ للجحيم السابع أيتها الحقيرة أنتِ وهذا النذل الذي يقف أمامي"

لم تستطع أحلام أن تفلت من قبضة آسيل لإنها كانت محكمة قبضتها على رقبتها ولكن مالك تدخل وأبعد آسيل عن أحلام التي بدأت تكح وتسعل بسبب يد آسيل التي كانت تحاوط رقبتها وبدأ وجهها يميل إلى اللون الأحمر بسببها، بينما آسيل كانت تسب وتشتم وتلعنهما هما الاثنان لإنهما أوصلاها لهذه الحالة، حاولت أن تقترب من أحلام لتقوم بضربها وإخماد النار التي في قلبها ولكن مالك منعها لتبدأ بركله وضربه ومن ثم ركلته على منطقته ليتأوه ويجلس على الأرض اقتربت آسيل من أحلام التي كانت تقف مذهولة من آسيل وتصرفاتها لتجفل فوراً وترى آسيل وهي تقترب منها لكي تقوم بابراحها بالضرب ولكن أحلام كانت أسرع منها وتوجهت سريعاً خارج الغرفة وقامت باغلاقها من الخارج وتركتها مع خالها كي يتولى أمرها، حالما استعاد مالك قوته وقف ليبحث بناظريه عن أي شيء يستطيع أن يوقف به آسيل عن حدتها وجنونها الهستيري ليرى أمامه قطعة خشب تشبه الصندوق كانت قد جلبتها آسيل لكي تقوم برسم أشياء مزخرفة عليها، اقترب منها واستغل فرصة أنها تدير ظهرها له وهي تركل الباب بعنف ليضربها على رأسها وتقع مغشية عليها فاقدة للوعي، حملها بين يديه وتوجه بها إلى السرير وجلب حبل وقام بربطها ومن بعدها جاء بقطعة قماش واغلق لها فمها، لم يأبه لحالها ولم يعالج جرح رأسها استدار بكامل جسده عندما سمع صوت فتح الباب، دخلت أحلام عليهما عندما لم تعد تسمع صراخ آسيل فتأكدت بأن مالك قد تولى أمرها، نظرت لها بحنق وكره ومن ثم توجهت إلى الخارج وهو برفقتها وقررا هما الاثنان الاتصال بذلك الشاب حالما تستيقظ.

دخل آسر بقوامه وبروده المعهود إلى مكتب يوسف الذي رآه ممدداً على كرسيه بكل أريحية، مغمضاً عيناه ومادأ قدميه على ظهر المكتب وكأنه في عالم آخر، اقترب منه آسر ونظر له بحاجبين مرفوعين وهو يحدث نفسه (يا له من أبله)، بحث آسر بناظريه عن أي شيء قد يزعج به يوسف ليرى أمامه كوب ماء، أمسك الكوب وهو يقترب من يوسف وعلى وجهه ابتسامة ماكرة ليسكب الكوب على وجه يوسف، شهق يوسف وفزع من هذه الحركة لينظر بأعين متسعة بينما آسر كان يضحك عليه نظر له يوسف بغيظ ليقول:

"لست بهذه الظرافة، عليك اللعنة لقد أفزعتني وبللت ثيابي، ماذا أفعل بك ها"

ابتسم آسر وضم يديه إلى صدره وقال:

"ما الذي تستطيع فعله أرني مالديك"

قلب يوسف عيناه وشد على قبضته ليقول بغيظ:

"لا لن أفعل شيء، لن أضيع وقتي بضربك"

ضحك آسر ضحكة قوية ليقول له من بين ضحكاته:

"يا رجل لقد أخفتني، أعلم أنك تستطيع ضربي أعلم، سوف أكون معك وأجاريك فقط من أجل خاطرك"

أنهى جملته واتجه إلى الكرسي الذي بجانب المكتب وجلس ووضع قدم على قدم، بينما يوسف كان ينظر له بغيظ ويقضم أظافره ليقول:

"لقد تبللت ماذا أفعل الآن؟ أعطني بدلتك هيا هيا"

نظر له آسر وابتسم ابتسامة باردة ليقول:

"انتظر قليلاً وستجف ثيابك أيها الأحمق، هات ماعندك هيا تحدث"

نفخ يوسف خديه وقال بجدية:

"لقد بعثت بالدورية لكي تلقي القبض عليهم سيأتون بعد قليل"

حرك آسر رأسه موافقاً ليقول:

"إذاً كيف حال ماريا، هل مازلت تشك بها"

امتعض يوسف ليقول:

"أجل لن أكذب عليك، لقد وضعت حارس كي يراقبها ويأتيني بأخبارها"

تنهد آسر بضيق فهو لا يحب هذه الطريقة ولم يعجبه شك يوسف الذي ازداد كثيراً، التفت بوجهه إلى الجهة الأخرى عندما سمعا صوت طرقات على الباب ليدخل العسكري ويقدم التحية ومن بعدها يتحدث:

"سيدي لقد أتينا بهم، بماذا تؤمرني الآن"

نظر يوسف إلى آسر وكأنه يقول تحدث أنت ليقول له آسر:

"هل جلبتهم جميعاً"

تحدث العسكري برسمية:

"أجل سيدي جميعهم ولكن ما عدى ذلك الشاب سهيل رافع وأصدقائه الثلاثة"

هز رأسه موافقاً ليقول:

"حسناً ضع كل واحد منهم في حبس انفرادي وسنذهب لنتولى أمرهم بعد قليل"

تحدث العسكري بعد أن القى التحية مرة أخرى:

"أمرك سيدي"

خرج العسكري من المكتب ليعم الصمت فجأة، تنهد يوسف وهو يطرق طرقات خفيفة على مكتبه ليقول:

"ما الذي سنفعله بهم"

تحدث آسر من دون أن ينظر ليوسف:

"سنحقق معهم ونعلم من هم التجار الأساسيين الذين يجلبون من عندهم البضاعة ومن بعدها سنحولهم للمحكمة كونهم متورطين بهذه القضية لإنه لدينا الأدلة الكافية لسجنهم"

حرك يوسف رأسه بإيجاب ليقول:

"هل سنحتاج إلى غرفة التعذيب"

ابتسم آسر ابتسامة ماكرة ليقول:

"أتمنى أن يعاند أي شخص منهم كي نحتاجها، أريد أن أفرغ طاقتي السلبية"

ضحك يوسف ليقول:

"يارجل ألا يكفيك كيس الملاكمه الذي تتمرن عليه كل يوم"

رفع آسر حاجبيه ببرود ليقول تعبيراً عن رفضه:

"لا، لا يكفيني، ثم أن كيس الملاكمة كالجماد ولا أسمع له صوت، بينما هؤلاء الشبان سأستمتع بصرخاتهم وأوجاعهم، لاتقلق سأعاملهم كما أعامل كيس الملاكمة ياحبي كما تقول أنت"

توسعت عينان يوسف ومن بعدها بدأ بالضحك الشديد ليتحدث من بين ضحكاته بدرامية:

"أوه أوه كم هذا جميل لا أصدق آسر يقول لي حبي! أنا حبك؟ ياويلي قلبي يرقص فرحاً أتصدق"

قلب آسر عيناه ليقول:

"اصمت يابقرة"

ضحك يوسف ليردف آسر:

"أيها الأحمق هيا انهض كي نرى أحوال هؤلاء الشبان هيا هيا"

حاول يوسف كتم ضحكاته لينهض ويتوجه إلى آسر ويتحدث بهمس بجانب أذنه ويقول:

"آسر"

التفت آسر إليه وعقد حاجبيه وهز رأسه بمعنى ماذا ليقول يوسف بهمس:

"أنا أعشقك ومتيم بك"

نظر له آسر بأعين متسعة ليقول له:

"ما الذي تهذي به أيها النكرة"

كتم يوسف ضحكته ليقول:

"وما العيب في ذلك أنا أحبك وأنت تعشقني لما لا نجتمع اليوم في منزلك ونقضي أوقات جميلة حبيبي"

أنهى يوسف جملته وهو يضع يديه على رقبة آسر لينظر له آسر ببرود ويقول:

"مممم كما تريد"

وما أن أنهى آسر جملته حتى ضربه على منطقته ليتلوى من شدة ألمه ويقول له آسر:

"والآن لم تعد تستطيع ممارسة الحب هيا أيها الشاذ اللعين"

ضحك يوسف من بين آهاته ليقول:

"سأعالج نفسي ومن بعدها سأجعلك تندم أيها الأحمق"

لكمه آسر على بطنه ليتألم من بين ضحكاته ويمسكه من ياقة قميصه ويجره معه إلى العمل.

في الجامعة عند تلك الفتاة النشيطة والمرحة تجلس في حديقة الجامعة بمفردها تتنهد بضيق وملل ليأتيها الذي تنتظره منذ ساعتين، اقترب منها ذلك الشاب المدعو ب أوس ليجلس بجانبها وعلى ثغره ابتسامة بسيطة، ما إن رأته حتى امتعضت ونفخت خديها بغضب ليقول أوس:

"حبيبتي الجميلة كيف حالها؟ مابكِ هل حدث شيء"

قلبت عيناها بملل لتتحدث بصوت عالي:

"حبيبتك الجميلة ها، أنا هنا جالسة منذ ساعتين أنتظرك وأنت تأتيني بكل استفزاز وتغازلني ومتأخر أيضاً"

ضحك أوس عليها ليتحدث:

"أيتها المجنونة، أقسم لكِ بأنني اضطررت للتأخر حبيبتي أنا أسف، كيف يمكنني إرضائكِ هيا تحدثي جميلتي"

تنهدت بضيق لتقول وهي تلتفت بوجهها عنه للجهة الأخرى:

"لا أريدك أن ترضيني، أذهب بعيداً عني لقد مللت منك"

عقد حاجبيه وأمسكها من يدها ليديرها له ويتحدث بحدة:

"ما الذي تقصدينه بكلامكِ ماريا أجننتي مثلاً؟ لإنني تأخرت عليكِ هذه المرة تقولين أن أذهب بعيداً عنكِ! ما الذي يحدث معكِ"

سحبت يدها منه لتنهض وتنظر له وتقول:

"أحدثك باللذي سمعته، ابتعد عني لا أريدك بعد الآن، أنا أعلم جميع نواياك أنت لا تحبني فقط تريد إمضاء بعض وقتك معي وأنا لست كذلك، أنا أحذرك إن اقتربت مني سأوصلك للجحيم"

خطت أول خطواتها بعيداً عنه بينما هو كان مصدوم من حديثها، لحق بها ليمسكها من معصمها ويقول:

"اللعنة عليكِ ماريا من قال لكِ بأنني أمضي وقتي معكِ فحسب، أنا أحبكِ كثيراً صدقيني وأريدكِ زوجةً لي، مابكِ لما تحدثيني هكذا حبيبتي أقسم لكِ بأنني أحبكِ ولا أريد أحداً سواكِ"

قلبت عيناها بتملل لتقول:

"لا أعلم ما الذي أقوله لك ولكنني اكتشفت بأن علاقتنا فاشلة ولا أريد أن أكمل معك ابتعد عني فحسب أرجوك أوس"

تحدث أوس بحدة:

"لا لن أتركِ، لا تحلمي بهذا الشيء، لن أدعكِ لغيري هل تفهمين، تعالي معي كي نتحدث بعيداً عن الجامعة"

سحبت معصمها من يده لتتحدث:

"إلى أين سنذهب"

أجابها أوس:

"إلى أي مكان تعالي سنذهب بسيارتي هيا"

تنهدت بضيق ومشت معه لخارج الجامعة وركبت بسيارته، بينما كانت هناك عينان تتابع حركاتها وخطواتها وقد كان ذلك الحارس الذي كلفه يوسف بمراقبتها، ركب هذا الرجل بسيارته ولحق بهما متوجهاً إلى حيث وجهة أوس وماريا، كانت ماريا طوال الطريق صامتة لا تتحدث أبداً وأوس كان يلقي عليها نظرة من حين لآخر، حاول أن يكسر الصمت ليقول:

"حبيبتي أريد أن أعلم هل لإنني تأخرت بالمجيء تريدين تركي أم هناك شيءٌ آخر"

لم تعلم بماذا تجيب، حاولت أن تكون طبيعية لتقول:

"لا يوجد هناك شيء فقط رأيت بأن علاقتنا فاشلة ولا تصلح لذلك قررت الابتعاد فقط هذا"

نظر لها أوس بحاجبين معقودين وتنهد بضيق ليقول:

"والآن علمتي بأن علاقتنا فاشلة، الآن بعد أن تعلقت بكِ وقررت الزواج بكِ"

لفتت انتباهها كلمة زواج ولكنها بدت طبيعية لتقول:

"لا أعلم"

هز رأسه موافقاً وتنهد بيأس واستمر بالقيادة حتى وصلا لمكان شبه منعزل، توقف بسيارته في ذلك المكان ونزل من السيارة لتنظر له ماريا باستغراب، لحقت به لتقول:

"ما بك أوس"

التفت لها بكامل جسده وعلى وجهه علامات اليأس والغضب ليقول:

"هل تريدين تركي حقاً ماريا"

بقيت تحدق به وتعجبت من حاله، حزنت عليه لتقول بأعين دامعة:

"لا"

ابتسم ابتسامة لم تصل لوجهه ليكور وجهها بين يديه ويقترب من شفتيها ولا يفصل بينهما سوى إنشات ليقول:

"لا تعيدي كلامكِ هذا بعد الآن وابقي معي أرجوكِ"

نظرت له وقد سقطت دموعها على وجنتها، مسح دموعها بإبهامه واقترب منها ليلتقط شفتيها بين شفتيه ويتعمقان بالقبلة، بينما من الجهة الأخرى كان الحارس يرى كل شيء يحدث وقد التقط لهما صور وهما بهذا الوضع، بقيا على هذا الحال ثواني ليفصلان القبلة ويلصق جبينه بجبينها ويغمض عيناه ويقول:

"أحبكِ"

ابتسمت ماريا وهي مغمضة العينين أيضاً لتقول:

"وأنا أيضاً"

ابتسم لها ومن ثم قام باحتضانها وبقيا يتحدثان بسعادة بالغة ومازال الحارس يقف ويتابع جميع تحركاتهما إلى أن استقليا السيارة وعاد أوس بماريا إلى بيتها ومن ثم ودعها بقبلة على وجنتها ورحل، بينما الحارس تنهد بضيق وبعض من الخوف لإنه لا يعلم كيف سيواجه يوسف ويحدثه باللذي حدث، حاول أن يهاتفه عدة مرات ولكنه لا يجيب، يأس من المحاولة فقرر أن يذهب إلى الفرع ويحدثه هناك ليتجه إليه بتردد وخوف على حاله وحال ماريا.

في مكان ما خارج البلاد

وتحديداً في باريس بلاد العشاق، يقف ذلك الشاب مفتول العضلات بوسامته الصاخبة، وبشرته السمراء الجذابة مع بريق عيناه الذي صبغ باللون العسلي ليعطيه مظهراً جذاب أكثر، وشعره البني الحريري الذي كانت تتطاير خصلاته من الهواء البارد، يقف بشرفته يتنهد بين الحين والآخر، يفكر، يحن، يشتاق، ولكن الذي في عقله صعب المنال لا محال، كان يفكر في تلك الفتاة التي سلبت عقله وروحه، لم يرى لها مثيل ولم يكن يرى أمام ناظريه غيرها إلا أنها لم تكن تعطيه غير مشاعر الأخوة والصداقة على عكسه تماماً، فقد كان يعشقها حد النخاع، مجرد ابتسامة منها كانت تأسر قلبه وعقله فما باله إذا بادلته الحب أيضاً، ولكن لا، لم يكن في قلبها سوى مشاعر صداقة تافهة لعينة كما أسماها هو.

كان يعلم جميع أخبارها والخبر الذي أتاه اليوم جعله يعود إلى الوراء عدة خطوات، اشتعلت النيران بقلبه، هو نادم على حبه لها نادم على عشقه بها ونادم على قلبه الذي لا يطلب غيرها لإنها لا تستحقه ولا تبالي به، ولكن هناك نقطة بأنه هو لم يفصح عن حقيقة مشاعره تجاهها أبداً، عندما علم بأنها تعتبره كأخ وصديق أحبطت آماله واحترق قلبه وهذا مادفعه للسفر إلى خارج البلاد برفقة والدته وشقيقته، بقي يتذكر ملامحها، جنونها، برائتها، وابتسامتها التي يعشقها، لم يصدق نفسه كيف له أن يهيم بها إلى هذا الحد، لم تغب عن باله لحظة وبقيت تشغل باله وعقله منذ أربع سنين إلى حد الآن، انتشله من شروده صوت شقيقته رنيم لتتقدم منه وتحدثه:

"باسل بماذا تفكر؟ ولماذا تقف بالخارج؟ الجو بارد جداً"

حاول أن لا يفصح عن حقيقة ما بداخله لأخته، تحدث بمرح:

"حتى في عقلي ستتدخلين يا لكِ من حشرية"

عبست وجهها لتقول بنبرة حزينة مصطنعة:

"لماذا تتحدث مع شقيقتك الجميلة هكذا ها؟ لم تعد لطافتي تؤثر عليك أيها الأحمق"

ضحك على حديثها ليقول:

"رنيم اغربي عن وجهي أريد أن أنام"

أنهى جملته واتجه إلى داخل غرفته وجلس على سريره لتتقدم منه رنيم وتضع يدها على خصرها وتقول:

"يا لك من مخادع، الآن تقول لي اذهبي أريد أن أنام وبعدها تبقى مستيقظ ولا تنام"

ابتسم لها وتمدد على سريره وقال:

"لا، سوف أنام هيا اذهبي من هنا وعندما ينتهي الغداء أيقظيني"

اقتربت من السرير وجلست بجانبه لتقول:

"والدتك تحضر الغداء لا تنام أيها الطبيب المثابر"

التفت إليها وتحدث بغيظ:

"هل تسخرين مني أيتها المتخلفة عقلياً"

تحدثت بنبرة بريئة:

"لا أبداً يا أخي العزيز هيا انهض لا تنام"

هز رأسه بكلتا الجهتين وزفر الهواء لينهض ويجلس على سريره ويقول:

"لن أنام أيتها البومة والآن اخرجي وحين ينتهي الغداء نادني"

امتعض وجهها لتنظر له بامعان ومن ثم تتحدث بنبرة شبه جدية لتقول:

"هل كنت تفكر بها"

نظر إلى أخته مطولاً ليلتفت بوجهه إلى الجهة الأخرى ويقول:

"لا أنا لا أفكر بأحد"

تنهدت بضيق على حال أخيها لتقول:

"أنا أعلم كل شيء لا داعي للكذب باسل أنا أفهم عليك وأعرفك جيداً"

تنهد بحسرة ويأس ليقول:

"اشتقت لها كثيراً"

صمتت رنيم ولم تتحدث لينظر باسل إليها بأعين دامعة ليقول:

"ولكنها تعيش حياتها حتى أنها على علاقة بشاب الآن"

نظرت رنيم إلى أخيها بحزن وعقدت حاجبيها لتقول:

"وماذا يعني؟ حاول أن تنسى أو أن تتناسى عزيزي أنت لا تجلب لنفسك سوى الهم والأوجاع، تقدم في حياتك ولا تنظر للخلف"

تنهد بقلة حيلة ليبتسم ابتسامة سخرية ويقول:

"لو كنت أستطيع كنت فعلت ذلك منذ زمن وليس الآن"

ابتسمت ابتسامة بسيطة لتقول:

"أعلم ولكن تستطيع فعلها ونسيانها أنا أعرفك جيداً أخي أنت أقوى من أن تهزم من أجل فتاة اليس كذلك"

ابتسم لها وهو يحرك رأسه موافقاً ولم ينطق بحرف إلا أن رنيم أردفت له:

"ولماذا لا تحدث آسر ويوسف ألم تشتاق للحديث معهما"

ابتسم ابتسامة واسعة ليقول:

"بالطبع اشتقت لهما ولكن في الفترة الأخيرة لم نعد على تواصل لإنني انشغلت في عملي كما تعلمين وهما أيضاً لديهما أعمال والكثير من المشاغل والمتاعب"

همهمت بتفهم لتقول:

"حسناً الأفضل أن تعود وتحادثهما لإنهما سيخرجان منك حس الدعابة يافتى"

عبس ليقول:

"وهل تريننني طوال الوقت عابس وبارد ولعين مثلاً"

ضحكت على جملته لتقول:

"لا ياعزيزي ولكنني أعلم بأنك تفرح بالحديث معهما غير أن أحاديثكم لا تخلو من المرح والضحك"

ابتسم لها وهز رأسه موافقاً ليسمعان صوت والدتهما يصدح في المكان وتدعوهما على الغداء.

باسل يكون صديق يوسف وآسر منذ الطفولة بقيوا طوال مسيرتهم مع بعضهم ولم يفترقوا وكان معهم شاب آخر ولكنه سافر أيضاً، ظلوا مع بعضهم وكانوا مخازن أسرار لبعضهم وكان كل منهم يختلف بشخصيته عن الآخر ولكن الأقدار تجري بحكمها عليهم وكل منهم قرر العيش بالجانب الذي يحبه وكل منهم شق طريقه إلى مستقبله، كما أن ماريا ورنيم كانتا صديقتان مقربتان أيضاً منذ صغرهما وأمضوا طفولتهما سوياً، ولكن هل سيجتمعون من جديد ياترى؟ كل شيء لترتيب القدر.

" لا يتحكمُ الناس في قدرهم، بل يقوم القدر بإنتاج من يصلحونَ للساعة.."

استيقظت آسيل من أثر الضربة وقد شعرت بالألم الذي برأسها، ظلت تحدق بالسقف عدة دقائق وهي تراجع الأحداث التي مرت بها، بدأت دموعها بالسقوط وهي تلعن خالتها وخالها مئات المرات، نظرت حولها ووجدت بأنها بغرفة غير غرفتها، كانت غرفة مليئة بالفوضى ورائحتها كريهة ووجدت رأسها ملفوف بالشاش، لإن أحلام أصرت على مالك بأن يعالج رأسها كي تستيقظ بأسرع وقت ومن بعدها نقلاها إلى غرفة القبو وحالما تستيقظ سيقومان بتسليمها للشاب، حاولت آسيل أن تنهض وما إن وقفت حتى شعرت بدوار يقتحم رأسها لتعود وتجلس وتضع يديها على رأسها، رفعت رأسها وعادت لتهم بالنهوض وقد تحاملت على نفسها وبدأت تبحث بناظريها عن باب الغرفة لتتوجه إليه، حاولت أن تفتحه ولكنه مقفل، بدأت تصرخ وتخبط على الباب بعنف، وما إن سمعو صوتها حتى توجه مالك وأحلام إليها، فتح باب القبو ونظر إليها مالك نظرة غريبة ليتقدم منها ويقوم

بحملها والصعود بها إلى غرفة المعيشة وأحلام تمشي ورائه، وضعها على الأريكة برفق وجلس بجانبها هو يعلم بأن ليس لديها القوة الكافية لكي تحاول الهروب لذلك اطمئن قلبه.

قامت أحلام بمهاتفة ذلك الشاب وأخبرته بأنها استيقظت لتسمع رده يقول لها بأنه سيأتي سريعاً، انضمت إليهما أحلام وجلست معهما وعم الصمت لدقائق، كانت آسيل لا تقوى على رفع رأسها ولكنها كانت مجبرة حتى شعرت بأنها لا تستطيع التحدث، تنهد مالك بحنق ووجه حديثه لآسيل وقال بنبرة لؤم:

"سيأتي الشاب ومن بعدها سنأتي بالمأزون ونعقد قرانكِ وتذهبين معه هل تفهمين؟ أحلام قد جهزت حقيبتكِ وكل شيء"

لم تبدي أي ردة فعل ولم تجبه وحتى أنها لم تلتفت إليه أبداً وهذا ما زاد من حنقه ليردف:

"هل تفهمين"

نظرت له نظرة خالية من المشاعر لتستجمع قواها وتقول بصوت مبحوح:

"لن تستطيع إجباري على شيء، إذا كنت تريد اقتلني لايهمني"

ابتسم ابتسامة ماكرة ليقول لها:

"لا لن أقتلكِ وإنما سأقتل والدتكِ وزوجها ما رأيكِ"

وجهت نظرها نحوه بصدمة لتعقد جاجبيها وتقول:

"ما الذي تقوله أنت"

تنهد بقوة واعتدل بجلسته ليقول:

"اسمعيني جيداً، أنا رجل لا يهمني سوى المال ولأكون صريحاً معكِ فأنا قد قمت ببيعك لذلك الشاب وقد دفع بكِ مبلغ كبير ومحترم وهو يعلم بكامل قصتكِ لإنني أخبرته بكل شيء، وإذا قمت بقتل والدتكِ سأنتفع من ذلك حتى وإن كانت أختي أقتلها، وأريد أن أقول لكِ شيئاً بأنني وضعت واحد من رجالي أمام منزل والدتكِ وممكن بأي لحظة أن أقوم بمهاتفته وأطلب منه بأن ينفذ ويقتل والدتكِ وعمكِ، هو ينتظر إشارة مني فقط، فماذا قلتي"

نظرت له بصدمة وهي تكاد لا تصدق بأنه يكن لها ولوالدتها كل هذا الحقد، كيف يستطيع بأن يقتل أخته ولا يبالي؟ كيف يستطيع فعل هذا الشيء الفظيع؟ هل المال يفعل هكذا بالناس؟ يا إلهي! هذا ما كانت تفكر به آسيل، لم تستطع القبول وكذلك لا تستطيع الرفض فما الذي ستفعله؟ بقيت تفكر ولكن دون جدوى لم تستطع أن تجد حلاً لهذه المشكلة، هي تعلم بأن خالها ممكن أن يقتل والدتها ولن يهمه الأمر، لإنه اتضح لها من نبرته وحديثه

بأنه جاهز ولن يتردد لحظة واحدة، لن تستطيع أن تفعل شيء، حسمت أمرها وأجبرت على الموافقة لإنه ليس لديها حلاً آخر، تريد إنقاذ والدتها ولا تريد أن تخسرها، تنهدت بحزن ويأس لتقول:

"حسناً موافقة"

ابتسم مالك ابتسامة واسعة وكذلك أحلام ليتنهد بارتياح تام، في الواقع مالك لا يستطيع أن يقوم بقتل شقيقته لو كان يستطيع فعل ذلك لكان قد قتلها منذ زمن ولكن لا، فهو لا يريد الموت لأخته بل يريد أن تعيش حياة هادئة بعيداً عن هشام وآسيل وهذا ما خطط له وهذا ما نفذه، حتى أنه لم يكن يضع أي شخص أمام منزل شقيقته ولكنه أجبر على أن يقول هكذا أمام آسيل كي تخاف على والدتها وتوافق، وهو يعلم جيداً بأنه عندما يتعلق الأمر بوالدتها لا تستطيع التفكير بشيء سوى سلامتها وها هو قد نجح بخداع آسيل، وهم الآن ينتظرون ذلك الشاب الذي يدعى وائل (شاب بالسادسة والعشرين من عمره يعيش بغير بلدة ولكنها لا تبعد كثيراً عن بلدة آسيل، لديه بيت كبير نوعاً ما يعيش به برفقة والدته التي يصل عمرها إلى منتصف الأربعين تقريباً وهي سيدة متعجرفة تقوم بإقامة علاقات مع جميع الرجال ولكن ولدها لا يعلم بذلك فهي تستغفله وتفعل ذلك الشيء من ورائه تدعى سهى، وبالنسبة لعمل وائل فهو يتاجر بالأسلحة وغسيل الأموال ووالدته تعلم بهذا الشيء ولكنها صامتة ولا تتدخل بشأن عمله كونه هو من يصرف عليها ويزودها بالمال الوفير)

بعد مرور ساعة تقريباً وصل ذلك الشاب ودخل بقوامه الصلب، هو قوي البنية متوسط الطول ذو عينين واسعتين زرقاء وشعر أشقر، توجه إليهم وجلس معهم بعد أن استقبلته أحلام وعلى محياها ابتسامة ماكرة، وجه نظره حول آسيل التي كانت جالسة بصمت لا حول لها ولا قوة حتى أنها لم تنظر إليه، لفت نظره رأسها الملفوف بالشاش لينظر لها بحاجب مرفوع، وجه نظره إلى مالك وتحدث ببرود:

"ما بها"

ابتسم مالك ابتسامة صغيرة ليقول:

"أنت تعلم بأنها مجبرة على الزواج لذلك لا تهتم كثيراً مع الوقت ستعتاد"

نظر إليه ببرود ليقول:

"لا يهمني إن كانت مجبرة أو موافقة، أنا أحدثك عن حالها لما رأسها ملفوف بالشاش"

نظر مالك نظرة خاطفة إلى آسيل التي كانت تنظر إلى اللاشيء ببرود قاتل وأعاد نظره إليه وقال:

"لقد اضطررنا إلى فعل ذلك لإنها تسببت بالكثير من الفوضى"

تنهد وائل بضيق ليتحدث بغضب مكتوم:

"ولكن لم يكن اتفاقنا على هذا، أنا اشتريتها منك وقد دفعت لك المال كي تسلمني إياها سليمة"

توتر مالك وأيضاً أحلام وحاول أن يلطف الجو ليقول:

"مم حسناً لا بأس الضربة كانت خفيفة جداً لم تؤثر كثيراً، والآن ها هي عروستك جميلة أليس كذلك"

نظر وائل إلى مالك ببرود ومن ثم وجه نظره إلى آسيل وتحدث بنبرة عادية:

"كيف حالكِ آسيل"

لم تجبه ولم تنظر إليه فقط اكتفت بهز رأسها بمعنى بخير، نظر لها مطولاً ولم يردف لها أي شيء، تنهد بقوة ومن ثم وجه حديثه لمالك وقال:

"حسناً أين المأزون أنا على عجلة من أمري ولا أريد أن أتأخر"

ابتسم كل من أحلام ومالك ابتسامة واسعة ليقول مالك:

"سأقوم بجلبه وفي غضون دقائق سنكون هنا"

بعد ربع ساعة تقريباً جاء مالك برفقة المأزون، توجها إلى غرفة المعيشة وقاموا بعقد قرانهما بسرعة بالغة، تنهد مالك بارتياح وأحلام اكتفت بالابتسام بمكر، بينما آسيل كانت صامتة باردة هادئة لا تبدي أي ردة فعل، ولم تنتبه لذلك الذي شرد بملامحها وذهل من جمالها، نهض وائل واستعد للذهاب قائلاً:

"حسناً هذا جيد، هيا انهضي آسيل سنذهب"

نهضت آسيل بصمت ولم تبدي أي رأي، بينما مالك وأحلام كانا لا يصدقان بأن آسيل ستخرج من حياتهما إلى الأبد كما يعتقدان، توجهت أحلام مسرعة وجلبت حقيبة آسيل وأعطتها لوائل الذي كان يتابع حركات آسيل الباردة ومن ثم تحدثت أحلام:

"مبارك لكما"

ابتسم وائل ابتسامة باردة ليقول:

"شكراً"

ومن ثم وجه حديثه إلى آسيل ليقول:

"هيا آسيل"

توجه كل من وائل وآسيل إلى الخارج وصعدا للسيارة وتوجه بها إلى بيته، بينما أحلام ومالك زفرا براحة ليعودان إلى الداخل ويجلسان لتتحدث أحلام:

"بقي لدينا شيءٌ واحد"

ابتسم مالك بمكر ليقول:

"لا تقلقي من أجل هشام لقد توليت الأمر، خذي هذه الورقة وعندما يأتي تقولين له بأنها هربت وتركت هذه الرسالة في غرفتها اتفقنا"

أخذت أحلام الورقة من مالك لتقرأها وتتوسع عيناها ومن بعدها ابتسمت ابتسامة ماكرة لتقول:

"أيها اللعين بهذا الحال لن يفتضح أمرنا"

هز رأسه بابتسامة ماكرة بينما أحلام تنهدت بارتياح، نهض مالك من مكانه وجلس بجانب أحلام ليقول:

"والآن ألا تريدين مكافأتي"

عقدت أحلام حاجبيها لتقول:

"ما الذي تقصده"

زفر بانزعاج ليقول:

"أحلام لا تتغابي، هيا تعالي لكي نقوم بجولة قبل أن يأتيان أولادكِ من بيت جدهم"

بقيت أحلام تفكر بأنها ستعتبر خيانة إذا قامت بهذا الشيء مع مالك، هي تحب زوجها بل تعشقه ولا تريد خيانته، تنهدت بانزعاج لتقول:

"لا لن أفعل معك شيء لا أريد خيانة زوجي"

ضحك مالك ليقول من بين ضحكاته:

"خيانة ممم وماذا عن تفريطكِ بالأمانة ألا يعتبر خيانة أيضاً؟ حسناً كما تشائين ولكن أريد أن تستمعي إلى هذا التسجيل"

أخرج مالك من جيبه هاتفه وقام بتشغيل تسجيل لأحلام عندما كانت تتفق معه على التخلص من آسيل، توسعت عيناها لتنظر له بصدمة وتقول:

"كيف تفعل ذلك بي"

هز كتفيه بلا مبالاة ليقول:

"وما شأني أنا، والآن أنتِ حرة كما تشائين ولكن لاتلوميني عندما أقوم بإرسال هذا التسجيل إلى زوجكِ هل سمعتي"

ضيقت عيناها وتحدثت بنبرة لؤم لتقول:

"لا تنسى بأنك معي بجميع الأحوال"

ابتسم ابتسامة مستفزة ليقول لها:

"أجل أعلم ولكن أكثر الأشياء التي سأفعلها بأنني سوف آخذ زوجتي وأولادي إلى خارج البلاد وتبقين أنتِ بوجه المدفع"

أنهى جملته بغمزة وابتسامة مستفزة لتتنهد بغضب وتقول بتردد:

"حسناً، ولكن فقط هذه المرة ومن بعدها تخرج من حياتي وكأن شيئاً لم يكن اتفقنا"

ابتسم واقترب منها ليقول:

"أعدكِ بأن أجعلكِ تطلبين المزيد"

أنهى جملته وسحبها من يدها ليصعدان إلى الغرفة ويفعلان أبشع الأشياء دون خوف يذكر أو حال ينكر.

بينما من الجهة الأخرى عند وائل في سيارته

كانت آسيل طوال الوقت صامتة ولا يسمع لها همس، كانت باردة المشاعر لا تفعل شيء سوى الالتزام بالصمت، وهذا مازاد من حنق وائل وقليل من الغضب، قرر أن يكسر الصمت الذي بينهما ليقول:

"ممم سأعرفكِ على والدتي عندما نصل، أتمنى أن تتفاهمان مع بعضكما"

أومأت بصمت وبرود ولم تتحدث ليزفر هو بقوة ويردف:

"حسناً إلى الآن لم أسمع صوتكِ لما لا تتحدثين"

تنهدت ببرود ولم تجبه ليزفر بضيق واضح ويتحدث بغضب مكتوم:

"آسيل ما لعنتكِ ها أريد سماع صوتكِ"

وأيضاً لم تجبه ليردف لها:

"حسناً حدثيني عنكِ"

تنهدت بضيق وملل لتقول بصوتٍ مبحوح:

"ما الذي تريد معرفته عني"

ابتسم لسماع صوتها ليقول:

"ممم ماذا عن دراستكِ واختصاصكِ، ماذا تحبين وماذا تكرهين هكذا، مم حدثيني عن حياتكِ بشكلٍ عام"

أجابت ببرود;

"حسناً، عمري تسعة عشر سنة متخصصة في مجال الرسم والتصميم وهذه السنة الثانية لي في الجامعة"

صمتت قليلاً لتردف بعدها:

"كنت أعيش مع والدتي وبعدها تزوجت وعشت معها فترة ثلاثة أشهر ومن بعدها انتقلت للعيش مع والدي بناءً على طلبه، إلى أن التقيت بي الآن فقط هذا"

أنهت جملتها بهمس ليهمهم لها ويقول:

"مجالكِ رائع والآن أريد أن أخبركِ شيئاً بأن ليس لديكِ جامعة بعد الآن إلى أن تهدأ الأوضاع ويتوقفان والداكِ عن البحث عنكِ، لإنني متأكد بأنهما سيبحثان عنكِ، كما تعلمين يجب أن أبعدكِ عن الأنظار"

نظرت له نظرة باردة ليبادلها بابتسامة صغيرة لتقول له مضيقة عيناها:

"ما الذي جعلك تشتريني من خالي وما الذي سيفيدك بذلك وماذا ستفعل بي"

أجابها بهدوء:

"ستعلمين كل شيء ولكن ليس الآن"

عقدت حاجبيها بعدم فهم وقد تملكها شيئاً من الخوف بسبب نبرته لتقول:

"أريد أن أعلم الآن"

ابتسم بسخرية ليقول:

"يا للكِ من عنيدة، كل شيء في وقته"

تنهدت بانزعاج لتقول له:

"حسناً أريد أن أطلب منك شيئاً"

ابتسم بمكر ليقول:

"أعلم ما الذي ستطلبينه مني"

عقدت حاجبيها ورمشت بعيناها عدة مرات لينظر لها ويردف:

"تريدين أن لا أقترب منكِ أو ألمسكِ أليس كذلك"

أخفضت بصرها وقد احمرت وجنتيها خجلاً لإنه أول مرة يحدثها أحد بهذا الموضوع لتهز رأسها وهي مخفضة رأسها لينظر لها ويبتسم على خجلها ويقول:

"حسناً لكِ هذا"

نظرت له نظرة امتنان وابتسمت ابتسامة لم تصل لوجهها ليبادلها بابتسامة جانبية ومن ثم يعود بنظره إلى الأمام.

بعد وقت ليس بطويل وصل وائل إلى منزله الذي كان عبارة عن حديقة كبيرة وواسعة ومن ثم يليها المنزل من الداخل فقد كان رائع، مزود بالاثاث الفخم والذي يخطف الأنظار من روعته، تمعنت آسيل بالمنزل حالما دخلت إليه برفقة وائل لتسمع صوته ينادي على والدته، تقدمت والدته بخطوات واثقة وعلى وجهها علامات التعجب، نظرت سهى لوائل ومن ثم لآسيل التي كانت تقف بصمت مخفصة رأسها للأسفل، بينما سهى كانت تتفحصها من رأسها إلى أخمص قدميها وبعدها وجهت نظرها لوائل الذي كان يقف وعلى وجهه ابتسامة صغيرة ومن ابتسامته علمت سهى بأن هذه هي الفتاة التي حدثها عنها، ابتسمت ابتسامة باردة نوعاً ما لتقول:

"أهلاً بني من هذه الجميلة"

اتسعت ابتسامة وائل ليقول:

"هذه آسيل أمي"

همهمت سهى وقالت:

"التي حدثتني عنها أليس كذلك"

هز رأسه بنعم دون أن يتحدث لتوجه سهى نظرها لآسيل وتقول:

"أهلاً عزيزتي تفضلي"

رفعت آسيل نظرها إلى سهى وابتسمت لها ابتسامة صغيرة لتتقدم وتمشي وراء سهى إلى غرفة المعيشة ومن ثم تجلس على الأريكة ويجلس بجانبها وائل وأمامهما جلست سهى التي وضعت قدم على قدم، عم الصمت قليلاً لتقول سهى:

"إذاً آسيل الآن أصبحتي زوجة ولدي صحيح"

هزت رأسها دون التحدث لتهمهم سهى وتقول:

"ممم يسعدني ذلك، ذوق ابني أعجبني حسناً حدثيني عنكِ"

حدثتها آسيل عن نفسها باختصار وصمتت.

في الواقع سهى تعلم كل شيء عن آسيل وتعلم بقصتها وقصة والديها ولكنها أرادت أن تكسر الصمت قليلاً من أجل وائل، همهمت سهى وتحدثت:

"رائع عزيزتي، أهلاً بكِ في بيتكِ الثاني"

أجابت آسيل بهدوء:

"شكراً لكِ"

تحدثت سهى:

"ما به رأسكِ"

تحدثت آسيل بتوتر وقالت:

"ممم لقد تعثرت وأصبت برأسي"

هزت رأسها سهى وهي ترفع حاجبها غير مقتنعة بكذبتها ولكنها فضلت الصمت فهي ستقوم باستجواب ابنها عندما يجلسان بمفردهما.

أما عن وائل فقد كان صامت لا يتحدث فقط يستمع، ليحدث آسيل بعد فترة قصيرة:

"حسناً هيا انهضي كي أريكِ غرفتنا وترتاحين قليلاً بينما يجهز العشاء"

وجه نظره لوالدته ليقول:

"عن إذنكِ أمي سنرتاح قليلاً"

ابتسمت سهى وهزت رأسها موافقة لتنهض آسيل وتتجه مع وائل إلى غرفتهما، صعدت آسيل معه إلى الغرفة ودخلت لتنظر لها بتمعن وإعجاب ليبتسم وائل ويقول:

"هل أعجبتكِ"

هزت رأسها موافقة ليردف:

"هذه ستكون غرفتنا"

توترت عند سماعها لهذه الكلمة وقد شعر بها وائل ليقول:

"سأنام على هذه الأريكة وأنتِ ستنامين على السرير، لا أستطيع أن أنام بغير غرفة كي لا تشك والدتي بشيء، سيظل كل شيء سر بيني وبينكِ اتفقنا"

نظرت له آسيل مطولاً لتقول بصوتٍ خافت:

"حسناً اتفقنا"

ابتسم لها وتحدث:

"حسناً سأنزل لأجلب حقيبتكِ، خذي راحتكِ"

ابتسمت له ومن ثم نزل هو للأسفل بينما آسيل تنهدت بقوة وجلست على طرف السرير تفكر بحالها وبالمشاكل التي تحدث معها، لا تعلم أتثق بزوجها أم لا فهو يعاملها بلطف ولم يجبرها على شيء وحتى والدته كانت لطيفة معها، لم تعلم ماذا تفعل وقررت بأن لا تثق بأحد ولن تتهاون مع أي أحد بعد الآن، ستكون طبيعية ولن تفعل أي شيء يجعلهما يعاملوها بنفور أو ما شابه.

" ها نحن نتباعد عن بعضِنا أكثر فـ أكثر

كُلَّ يوم وكأننا شظايا تتناثر في الفضاء

ويعجز الواحد مِنا أن يسمعَ الآخر أو يوصل إليه رأياً

أو يلقي له أُذناً أو يفتح لهُ قلباً "

عند شهد في منزلها

تجلس بقلق شديد وواضح عليها، اتصلت بآسيل عدة مرات ولكن هاتفها مغلق منذ البارحة وهي قلقة عليها ولا تعلم أين يقع منزل والدها، ترددت بأن تهاتف سمية ولكن لا تريد أن تقلقها على ابنتها الوحيدة، ظلت تجول الغرفة ذهاباً وإياباً، حاولت أن تهدأ من روعها وتطمئن نفسها بأن صديقتها بخير وتنهدت بقلق.

بينما في منزل سمية تجلس على الأريكة تقلب بقنوات التلفاز بملل، تنهدت بضيق وملل لترى وسيم يدخل عليها ويلقي التحية ببرود تام، نظرت له بشك لاتعلم ما الذي أصابه وما الذي حدث له، هو متغير عليها كثيراً يعاملها بجفاء ويتهرب منها ويقضي معظم أوقاته خارج المنزل ويسأل على آسيل كثيراً، تنهدت بقلة حيلة ولم تحدثه بشيء لتسمع صوته يحدثها ببرود:

"كيف حال آسيل"

نظرت له نظرة باردة لتقول ببرود:

"لم أحدثها اليوم ولكن هي جيدة"

همهم لها وقال:

"حسناً هاتفيها واطمئني عليها، ألم تقل لكِ بأن والدها قد سافر**!** إذاً حدثيها واسأليها إذا كانت خالتها تعاملها معاملة سيئة"

زفرت الهواء وتمتمت:

"حسناً"

امسكت هاتفها وحاولت الاتصال بابنتها ولكن هاتفها مغلق، ظلت تحاول عدة محاولات ولكن دون جدوى لتزفر بضيق وتقول:

"هاتفها مغلق وليس لدي رقم هشام لاسأله عنها"

تنهد بقوة وهز رأسه وصمت، نظرت له سمية مطولاً وحدثته:

"ما بك"

نظر لها ببرود ليقول:

"لا شيء"

همهمت له ونهضت متوجهة الى غرفتها تاركة إياه سارح بملامح آسيل وعلى وجهه ابتسامة صغيرة، هو لم يخرجها من عقله ولا من قلبه، كل يوم يفكر بها ولا يمل، يريدها له ويريد أن تكون معه ولكن لن يستطيع، شعر كثيراً بالجفاء تجاه سمية لم يعد يطيق الجلوس معها أو الاقتراب منها أو الاحتكاك بها، يريد آسيل فقط فما باله إذا علم بزواجها الآن؟ كيف ستكون ردة فعله؟ وكيف سيتقبل الامر؟ وكيف سيواجه المشكلة ياترى؟.

قبل ساعات

عندما قرر الحارس الذي كان يراقب ماريا بالذهاب إلى الفرع عند يوسف، توجه إليه بسرعة البرق ومن ثم طلب الإذن من العسكري بالدخول إليه، وقد كان يوسف يجلس في مكتبه وآسر كان جالساً معه ليسمعا صوت طرقات على الباب ومن ثم يخبرهما بأن الحارس يريد رؤية يوسف، حدث يوسف العسكري بسرعة وقال باهتمام:

"أدخله بسرعة"

دخل الحارس بتردد وخوف يجتاح قلبه من المواجهة ولكن ما باليد حيلة، سمع صوت يوسف يقول باهتمام واضح:

"ما الأخبار؟ هل حدث شيء"

انتظر يوسف إجابة الحارس بترقب ليلاحظ توتره وخوفه الشديد وبدأ يفقد أعصابه ليحدثه يوسف بحدة:

"لما تقف أمامي كالجماد قل ما لديك هيا"

أغمض الحارس عيناه بقوة ومن بعدها زفر الهواء ليقول:

"سيدي لقد جلبت لك أخبار سيئة بشأن الآنسة ماريا"

التفت إليه كل من آسر ويوسف باهتمام ليحدثه آسر:

"قل ما لديك بسرعة"

تحدث الحارس بتلعثم:

"لقد كنت أراقبها وهي بجامعتها وأتى شاب إليها وجلس معها وعلى الأغلب تبين لي بأنهما كانا يتشاجران لإنني لم أستطع أن أسمع حديثهما ومن بعدها استقلت سيارته وذهب بها إلى مكان شبه منعزل وبعدها تحدثا قليلاً و."

صمت الحارس ولم يستطع بأن يكمل ليصرخ به يوسف:

"اللعنة اللعنة تحدث"

تحدث الحارس بسرعة:

"وقد قام بتقبيلها"

صمت الحارس ليبتلع ريقه ومن ثم يردف:

"لقد صورتهما كي ترى الصور بعينك سيدي، ظلا قرابة الربع ساعة يقفان ويتحدثان سوياً ومن بعدها أوصلها إلى المنزل وأنا قمت بلحاق الشاب وعلمت أين يقيم ومعلومات قليلة عنه"

صمت عم بالمكان لا يسمع سوى صوت أنفاس آسر ويوسف الحادة، أصبحت عينان يوسف حمراء وتوعد لأخته بالجحيم هي وذلك الشاب لينظر للحارس بحدة ويقول:

"ماذا عرفت عن هذا الشاب"

تحدث الحارس:

"اسمه أوس عمره اثنان وعشرون سنة وهو يعمل مع والده بشركته للإستيراد والتصدير ويدرس في نفس مجال الآنسة ماريا فقط هذا"

تحدث آسر بشيء من الحدة:

"أرني الصور"

ابتلع الحارس ريقه وتقدم بخطوات بطيئة ليخرج من جيبه هاتفه ويريهما الصور لتتوسع عينان آسر ويوسف وتشتد ملامح وجهيهما بحدة، رفع يوسف نظره للحارس وقال:

"سأبعث معك دورية لتأتني بهذا اللعين إلى هنا"

أخذ آسر الصور من هاتف الحارس وقام بمسحهم من عنده، نادى يوسف على العسكري وأرسله مع الحارس ليأتو بأوس وأمرهم بأن يضعوه بالمنفردة ريثما يعود.

نهض يوسف بغضب ليسمع صوت آسر يقول:

"إلى أين"

التفت يوسف ليتحدث بغضب:

"إلى تلك اللعينة"

تنهد آسر بحدة ونهض ليقف بوجه يوسف ويقول:

"حسناً ولكن اهدأ قليلاً وحاول أن تفهم منها، بالنهاية هذه أختك لا تنسى ذلك يا يوسف"

نظر يوسف إلى آسر بحدة ولم يتحدث ليخرج من المكتب صافعاً الباب خلفه ويتجه نحو منزله ولا يكاد يصدق أن يصل للبيت فقط كي يري أخته الجحيم بعينه.

بعد وقت قصير وصل يوسف للبيت ليتجه فوراً إلى غرفة أخته، فتح باب غرفتها بقوة مما أدى إلى ارتطام الباب بالحائط لتفزع ماريا وتقول:

"مابك يوسف لماذا دخلت هكذا"

نظر لها بحدة ليرفع حاجبه ويقول:

"أتيت لكي أريكِ شيئاً سيعجبكِ يا أختي المحترمة"

ابتلعت ريقها وبدأ الخوف يدخل قلبها لتراه يقترب منها بخطواتٍ سريعة ويخرج هاتفه ويريها ما صدمه وصعقه منذ قليل لتتوسع عيناها بقوة وتنظر لأخيها الذي ينظر لها بغضب و حدة، أمسكها من شعرها وشدها بقوة إليه ليتحدث من بين أسنانه:

"هل تسخرين مني ها؟ تكذبين علي أيتها اللعينة؟ أقسم بأنني سأريكِ الجحيم يا ماريا"

انتفضت بين يديه لتنزل دموعها بسرعة، هي تعلم يوسف عندما يجن جنونه لن يوقفه شيء أبداً، بدأت تشهق بقوة لتتحدث بتقطع:

"أرجوك اسمعني يا يوسف هو يحبني وسيأتي لكي يتقدم لي بالزواج"

شدد قبضته على رأسها ليقول بحدة:

"لن يكون لديه الوقت لإنني سأنهي حياته كما أنكِ سترين الوجه الذي لم ترينه بي طوال سنينكِ التي عشتيها معي"

نفضها من يده بقوة لتبدأ شهقاتها تتعالى وهي تزحف بنصف جسدها إلى زاوية سريرها ويوسف يقترب منها لينهال عليها بالضرب المبرح ويصب كل جنونه عليها، بينما هي كانت تتلوى من شدة ألمها وتبكي بهستيرية وتتألم من ضربه المبرح لها وهو لا يشفق لحالها أبداً، توقف عن ضربها قليلاً ليمسكها من معصمها ويقترب منها ويحدثها بشيء من القهر:

"لقد حاولت أن أكون لكِ الأخ المثالي، لم أحرمكِ من شيء، أعطيتكِ ثقتي ودللتكِ وعوضتكِ عن حرمانكِ لوالديكِ ولكنكِ حقيرة لا تستحقين سوى الضرب والإهانة"

أصبح تنفس يوسف سريعاً بينما ماريا تبكي بكاء شديد على حالها ومن حديث أخيها ليردف لها:

"ما الذي فعلتيه معه ها؟ هل اختلى بكِ؟ تحدثي أيتها الحقيرة"

لم تجبه بل اكتفت بالبكاء الشديد وصوت شهقاتها التي ملأت أرجاء الغرفة ليردف أيضاً:

"أنتِ لا تستحقين أن تكوني أختي ولا تستحقين الدلال والرفاهية التي ربيتكِ عليها، تستحقين الجحيم فقط"

أعاد الكرة وبدأ بضربها بقوة وهي تتألم وتكاد لا تشعر بجسدها الصغير، ليكمل يوسف ضربه لها بهستيرية وهي تصرخ وتناجي ليفتح باب غرفتها فجأة ويدخل آسر عليهما ويقوم بإبعاد يوسف عن شقيقته بينما يوسف يكاد يجن يريد أن يفرغ طاقته بها ولكن آسر أحكم إمساكه له ليخرجه من غرفتها ويبقى هو معها ويقوم بإغلاق الباب وقفله.

زفر بقوة لينظر إلى ماريا التي كانت تبكي بهستيرية وشهقاتها المتقطعة تتعالى، ليقترب منها ويقوم باحتضان جسدها الصغير ويربت على رأسها بحنان، مر وقت قصير على آسر وهو يحتضن ماريا بينما هي كانت تنتفض بين يديه لتبدأ بالهدوء، ظل يفكر كيف سيحل هذه المشكلة وكيف سيأمن على ماريا مع يوسف؟ هو يعلم بأنه سيعارض أخذها معه إلى منزله ولكن لا يستطيع تركها معه، يخاف بأن يتورط ويأذي أخته لإنه يعلم يوسف عز المعرفة، هو مجنون ولا يتحمل بعكس آسر فهو يحاول أن يتحكم بنفسه ولا يتهور ويفكر بحكمة ومن بعدها يثور بركان غضبه، بينما يوسف سريع الغضب لا يفكر بشيء أبداً عندما يغضب ويتصرف كالثور الهائج لهذا السبب قد لحق به ليوقفه عن جنونه.

تنهد بقوة ليشعر بماريا التي انتظمت أنفاسها وقد علم بأنها غطت في نوم عميق، اعتدل بجلسته وقام بالنهوض ليمدد ماريا برفق وهدوء على سريرها ومن ثم يتجه إلى الخارج حيث سمع ضجة وأصوات تكسير وتحطيم من غرفة يوسف، توجه إليه وفتح الباب ليرى منظر غرفته وهي مقلوبة رأساً على عقب، فا يوسف لم يترك شيء في غرفته إلا وقام بتحطيمه وهو يهذي بكلمات غير مفهومة ويصرخ ويسب ويلعن بأخته وبذلك الشاب، اتجه آسر إليه ليلكمه لكمة قوية ومن ثم يترنح يوسف ويقع أرضاً، نظر إليه آسر بحدة وحدثه بصراخ:

"ما الذي يحدث لك أيها الأحمق"

بدأ قلب يوسف يعلو ويهبط بسرعة فائقة وهو يتنفس بحدة ليقول بصراخ:

"أختي لعينة ساقطة أريد أن أقتلها هل تسمعني، سأقتلها وأقتل ذلك اللعين"

تنهد آسر بحدة وحدثه:

"اهدأ ولا تتحدث هكذا، هذه أختك أيها الأحمق لن تهون عليك أنا متأكد، لا تفعل شيء تندم عليه فيما بعد"

لم يجبه يوسف بل ظل صامتاً يحدق بالفراغ بذهول تام وهذا ما أخافه ليقول:

"ما بك يوسف"

بدأ يوسف بالبكاء ليتعجب آسر من حاله ويحدثه بذهول:

"لماذا تبكي مابك"

زاد بكاء ونحيب يوسف ليتحدث من بين شهقاته بقهر:

"لقد ضربتها كثيراً، لم أكن أريد ذلك ولكن هي من أجبرتني على فعل ذلك، لقد استغفلتني وخدعتني، أنا أحب ماريا كثيراً ولا أريد إيذائها"

تنهد آسر بعجز ليقول:

"هل حاولت فهم شيء منها؟ هل اقترب منها أو آذاها"

تنهد يوسف عندما توقف عن البكاء وتحدث بنبرة جامدة:

"لا أعلم، سأخذها للطبيبة لكي تقوم بفحصها وإذا كانت ليست عذراء فأنا سأخرجها من حياتي وسأنسى بأن لدي أخت، لا أريدها أبداً"

زفر آسر الهواء وقال:

"حسناً كما تشاء ولكن الآن اهدأ"

حرك يوسف رأسه بإيجاب وجمود ولم يتحدث لينظر له آسر بحزن وشفقة على الحال الذي وصل له والحال الذي أوصله لماريا.

بالرغم من كل شيء هو يرى أن ماريا لم تخطئ فقط أحبت من قلبها وأخاها لم يتقبل الفكرة لإنها لم تقم بإخباره وهذا ما أخطئت به وما زاد الطين بلة، ظل آسر شارد الذهن لينظر بعدها إلى يوسف الذي كان يتمدد على سريره وقد غط في نوم عميق هو الآخر بعد نوبة الجنون التي فعلها، نهض آسر من جانبه وتنهد بحسرة على أولاد عمه ليتجه إلى الخارج وينزل لغرفة المعيشة، كان يريد الذهاب إلى منزله ولكنه لم يستطع أن يترك ماريا مع يوسف بمفردها لذلك قرر البقاء معهما ريثما يجد حل لهذه المشكلة.

حل المساء

وآسيل كانت تجلس في غرفتها حزينة على نفسها وعلى والديها اللذان سيصعقان عندما يستقبلان خبر زواجها الذي حدث من دون علمهما، بينما وائل كان يجلس مع والدته وكالعادة تقوم باستجوابه لتقول:

"حسناً ما الذي ستفعله بهذه الفتاة؟ هل جلبتها لمتعتك أم أنك حقاً تريدها"

انزعج وائل من حديث أمه ليتأفأف ويقول:

"أمي بالله عليكِ أريحي رأسي من اسئلتكِ، طبعاً لم أجلبها لمتعتي هي أصبحت زوجتي الآن لا تتحدثي عنها بهذه الطريقة"

امتعضت سهى بشكلٍ ملحوظ لتقول:

"وهل توفر لك الوقت الكافي لتصبح زوجتك فوراً وفعلتها معها"

نفخ بحدة ليتحدث:

"أنتِ لن تتغيرين أبداً، اسمعيني جيداً لا أريد أية مشاكل بينكِ وبينها اتفقنا ارجوكِ أمي"

تنهدت سهى بقوة لتقول:

"حسناً حسناً لن يحدث مشاكل ولكن أريد أن أعلم هل ستطلقها مع الوقت أم أنها ستبقى زوجتك للأبد"

نهض منتفضاً وتحدث بغضب:

"اللعنة أمي ألا تسمعين ما بكِ؟ قلت لكِ أصبحت زوجتي ولن أطلقها أبداً"

أنهى جملته وترك والدته تحدق بذهول وبدأت الأفكار تضرب برأسها، وائل لم يحب أي فتاة في حياته بل كان يستمتع بالنساء فقط، هل هذه الفتاة سرقت قلبه أم أنه يشفق عليها؟ تعجبت من نبرة حديثه معها ولكنها لم تعطي الأمر أهمية، أمسكت بهاتفها وتحدثت مع أحد الرجال لكي يأتي لها بالسر ومن دون أن يشعر به أحد وقد اطمئنت كون ابنها قد جلب زوجته لذلك سوف ينشغل بها ولن يعطيها أهمية.

بينما وائل صعد إلى غرفته ووجد آسيل جالسة على السرير ضامة ركبتيها إليها وتحدق بالفراغ ليقترب منها ويقول:

"آسيل هل تعانين من شيء؟ هل يؤلمكِ رأسكِ"

التفتت له لتقول بصوتٍ خافت:

"لا، لا يؤلمني"

همهم لها ليقول:

"حسناً سأجلب علبة الإسعافات الأولية لكي أقوم بتغيير الشاش لكِ"

أومأت بصمت لينهض ويتجه ليجلب العلبة ويتقدم ناحيتها بخطواتٍ سريعة ويجلس بجانبها ويبدأ بفك الشاش ويقول:

"كيف تلقيتي الضربة"

تنهدت بضيق لتقول:

"لا شأن لك"

توقف عن ما كان يفعله لينظر لها مطولاً ببرود قاتل ومن ثم يعاود سؤاله ويقول:

"كيف تلقيتي الضربة آسيل"

أنهى جملته وعاد ليفك لها الشاش لتقول:

"كنت بحالة هستيرية وكنت على وشك أن أقوم بضرب خالتي ولكنها هربت للخارج وأقفلت الباب علي وتركتني مع خالي وجاء من ورائي وضربني على رأسي حتى أغمي علي"

ابتلع ريقه وتنهد بحنق ليهز رأسه ولم يتحدث أبداً، بعد وقت قصير انتهى وائل من تعقيم جرح آسيل وتغيير الشاش لها لينهض ويضع العلبة في مكانها ومن ثم يعود لها ويقوم بتمديدها على السرير ويقول بتغطيتها بشكلٍ جيد، اقترب وطبع قبلة على رأسها ليقول بصوتٍ هامس:

"تصبحين على خير"

توترت آسيل كثيراً ولكن حاولت أن تكون طبيعية لتقول:

"وأنت بخير"

توجه إلى الأريكة وتمدد عليها مرخي بجسده بكل أريحية ليضع يده تحت رأسه وهو ينظر للسقف بشرود ويفكر بآسيل ومعرفته السابقة لها وقلبه المتعلق بها مند سنين.

" – كُلَّ شيء يحدث لِسبب

-وكلّما كانت البداية مؤلمة كانت النِهاية مُلهِمة

-لذلك سوفَ تنتهي هذهِ العاصِفة "

بعد مرور ثلاثة أيام على الأحداث

كانت آسيل تحاول أن لا تحتك بأحد، تبقى صامتة طوال وقتها ولا تتحدث إلا إذا حاول أحد الحديث معها أو قام بسؤالها بأي شيء، كحال والدة وائل فهي أيضاً لا تحتك بها كثيراً وتحاول أن لا تزعجها من أجل ابنها، بينما وائل يعلم بأن آسيل ليست سعيدة معه ولم تكن تريد الزواج بالأساس ولكنه مجبر على تحملها والتماسك قليلاً إلى أن تثق به لأن هذا ما يخطط له، يريدها أن تثق به وتحبه وتبادله المشاعر ولكن يجب عليه الصبر.

أما عن سمية فهي إلى الآن لا تعلم شيئاً عن ابنتها وهذا مازاد من قلقها لإنها لم تهاتفها منذ أربعة أيام، حاولت الوصول إلى هشام ولكنها لم تستطيع بينما وسيم يكاد يفقد عقله من خوفه على صغيرته وحاول جاهداً بأن يعلم أين يقيم هشام ولكن أيضاً فشل.

أما شهد فحالها لا يختلف عن سمية ووسيم فهي خائفة على صديقتها جداً ولم تذهب إلى جامعتها منذ اختفاء آسيل وهذا مازاد من حنق سهيل لإنه كان يخطط لاختطافها ولكن لم تخرج من منزلها إلى حد الآن.

بينما يوسف فهو لا يحدث شقيقته أبداً ولا يحتك بها منذ ذلك اليوم وإلى الآن مصر على أخذها للطبيبة لكي تفحصها ولكن ينتظر قليلاً إلى أن تتحسن نفسيتها بناءً على طلب آسر منه، وآسر إلى الآن يقيم معهما خوفاً على ماريا من يوسف بينما ماريا لم تتحدث إلى أحد ولم تخرج من غرفتها خوفاً من أخيها، فقط آسر الذي يدخل لها ويحاول محادثتها ولكن لا تجيبه ولكنه استطاع أن يفهم منها بأنها لم تفقد عذريتها وقد حكى ليوسف هذا الشيء ولكن يوسف مازال مصراً على أخذها وهذا مازاد من خوفه عليها وحنقه من يوسف بسبب مافعله بشقيقته ومن الذي سيفعله بها.

في منزل هشام

وصل هشام إلى منزله بعد سفر شاق وكله اشتياق لأولاده ولحبيبة قلبه سمية، دخل بهدوءه ووقاره إلى منزله ليراه يعم بالهدوء، نادى على زوجته لتأتيه بعد وقت قصير لتركض له وتقوم باحتضانه وعلى محياها ابتسامة صغيرة ليقول لها:

"أين الأولاد"

بلعت أحلام ريقها وبدأت بفرك يديها بتوتر ليعقد هشام حاجبيه ويردف:

"مابكِ أين الأولاد، نادي عليهم أريد أن أراهم"

توترت أحلام بشدة لتقول بارتباك:

"حا حاضر سأنادي عليهم"

ذهبت من أمامه وقلبها ينبض بسرعة بينما هو دخل إلى غرفة المعيشة وجلس على الأريكة ليمضي وقت قصير ومن ثم يسمع صوت أولاده وهما يركضان إليه وقد قاما باحتضانه ليبادلهما الحضن وعلى وجهه ابتسامة واسعة، تعجب من عدم وجود آسيل ليوجه حديثه إلى أولاده ويقول:

"أين آسيل، هيا غيث اصعد ونادي عليها أريد أن أراها"

صمت غيث وهو لا يعلم بما يجيب لأنه لا يستطيع القول، نظر له هشام بعدم فهم ليوجه نظره إلى أحلام ويقول:

"أين آسيل يا أحلام"

توترت أحلام بشدة ولم تجب بشيء ليعيد سؤاله ويقول:

"قلت لكِ أين آسيل"

تحدثت بتلعثم:

"مم أريد أن أريك شيئاً"

عقد حاجبيه ليقول:

"ليس قبل أن أرى آسيل، أين هي"

بلعت ريقها لتجمع كلماتها وتشجع نفسها وتتحدث:

"لقد هربت"

ما إن سمع هذه الكلمة حتى توسعت عيناه ونظر لها بعدم فهم ليقول بتقطع:

"ما الذي تقولينه أنتِ؟ أين ابنتي"

بدأت أنفاس أحلام بالتسارع لتقول:

"قلت لك لقد هربت وتركت هذه الورقة هنا، هي مختفية من ثلاثة أيام، استيقظت صباحاً ولم أجدها بغرفتها فقط وجدت هذه الورقة"

أنهت جملتها لتخرج من جيبها ورقة صغيرة وتعطيها لهشام، ليمسك هشام بالورقة بيدين مرتجفتين وقلبه ينبض بشدة، قام بفتح الورقة ليقرأ نص الرسالة:

"أبي، أعلم بأن الذي سأفعله هو خطأ كبير ولكنني لم أطيق العيش معك أبداً، ولا أكن لك أي مشاعر من الحب والاحترام لإنني لم أنسى ما فعلته بي وبوالدتي ولم أنسى العشرون سنة التي قضيتها من دون حنان الأب لذلك لا أستطيع العيش معك أكثر من ذلك، سأرحل ولن تراني مجدداً، بالمناسبة لقد هربت مع شاب أعرفه منذ مدة وأنا أحبه كثيراً لذلك قررت الزواج به والعيش معه بعيداً عنك، لقد تخليت عنكم جميعاً حتى والدتي لم أعد أريدها، استمتعوا بحياتكم بعيداً عني وثق تماماً بأنك لن تجدني مهما حاولت العثور علي، أوصل تحياتي لوالدتي"

صمت عم بالمكان لا يسمع به سوى صوت أنفاس هشام المتسارعة، بقي يحدق بالفراغ بذهول شديد لا يعلم ماذا يفعل، انعقد لسانه وألجمت الصدمة عليه نظر إلى أحلام المرتبكة والتي تدعي بأن تمضي هذه الليلة على خير، ظل ينظر لها نظرة شك ليقول:

"ماذا فعلتي بابنتي"

هنا وقد أوشكت أحلام على السقوط بأرضها خائفة بأن تكشف خطتهما كونه هشام يشك بها الآن، جمعت الحديث وبلعت ريقها لتقول:

"لم أفعل شيء هي هربت"

انتفض هشام ونهض ليمسك أحلام من رقبتها ويتحدث بصراخ:

"ماذا فعلتي بها؟ أين ابنتي"

كادت أن تختنق بين يديه، تحدثت بصوتٍ مختنق:

"صدقني لا أعلم"

قام بدفعها لتقع أرضاً ويتجه هو كالمجنون إلى حيث وجهته، بعد وقت ليس بقليل وصل هشام إلى منزل سمية ليقوم بالطرق على الباب بعنف شديد، انتفض كل من وسيم وسمية من سماع صوت طرق الباب لينهض وسيم فوراً ويفتح الباب، دخل هشام كالثور الهائج إلى الداخل ووجد سمية بحالة ذهول، تحدث معها بحدة:

"هل تعلمين أين آسيل"

عقدت حاجبيها بعدم فهم وشيء من الخوف لتقول:

"أنا من يجب أن أسألك عنها لإنني لا أعلم عنها شيء منذ أربعة أيام"

صدم هشام من جواب سمية وقد استشف الصدق بكلامها لتردف له:

"أين آسيل ياهشام"

ابتلع ريقه بتوتر وخوف ليخرج الرسالة من جيبه ويعطيها إياها، أخذت الورقة وبدأت بقرائتها بينما وسيم كان بحالة صدمة لا يعلم مايحدث حوله، اقترب من سمية ليقرأ معها محتوى الرسالة وقد صدما هما الاثنان من المكتوب، هبطت دموع سمية على وجنتها لتقول:

"أين ابنتي هشام؟ قل لي أين ابنتي"

ابتلع ريقه ليتحدث بقهر:

"لا أعلم لا أعلم جئت من السفر ولم أجدها، أحلام قالت لي بأنها هربت منذ ثلاثة أيام"

هزت رأسها بعنف نافية لتتحدث بحدة وصراخ:

"كاذب مخادع أنت وزوجتك اللعينة هي من ورطت ابنتي هي من أخفتها أنا متأكدة، أقسم إن لم تأتي إلي بابنتي سأقتلك وأقتلها هل تفهم سأقتلك"

أنهت جملتها وبدأت تضرب هشام بصدره وبدأت تبكي بشدة وتصرخ وهشام كان يقف لا يفعل شيء، حزين على فراق ابنته وعلى محبوبته، قام وسيم بإمساك سمية وتهدأتها وهو من يريد من أحد أن يهدأه لإنه كان يكاد أن يجن جنونه ولكنه حاول الهدوء، بينما سمية ظلت تبكي وتصرخ ووجهت حديثها لهشام ببكاء:

"أنا ربيت آسيل جيداً، ابنتي لا تفعل ذلك لا تفعل ذلك، مؤكد بأن أحد قام باختطافها، أريد ابنتي يا هشام أعد لي آسيل أرجوك"

كان هشام حاله لا يختلف عن حالها فهو أيضاً خائف على ابنته ولكن كان هادئ، بينما سمية ظلت على حالها إلى أن أغمي عليها وسقطت أرضاً ليسقط قلب هشام معها، قام وسيم بحملها وأدخلها لغرفتها، حاول إفاقتها ولكن دون جدوى وهشام يكاد يجن من خوفه عليها، ذهب هشام ليجلب الطبيب وقد أتى معه فوراً ليقوم بفحص سمية وقد علما بأنها بحالة صدمة الآن وهذا ماسبب لها الإغماء والتعب، تنهد هشام بقوة وخرج من منزل سمية بعد أن اطمئن عليها ليبقى وسيم برفقتها ويقوم هشام بمحاولة البحث عن آسيل وبرفقته عدد من الرجال الذين يطيعون أوامره.

جالس بزاوية تلك الغرفة المظلمة، لا يعلم لما موجود بهذا المكان ولا يعلم ماتهمته، لم يكف عن أسئلة العساكر ماهي تهمته طوال الثلاثة أيام التي مضاها بالسجن، يفكر ويسأل نفسه ما الذي فعله أو ما الخطأ الذي ارتكبه ولكنه لا يجد جواب، انتشله من حيرته دخول عسكري ليصدح صوته ويعطي صدى كون الغرفة مظلمة وفارغة ويقوم بمناداته لينهض أوس من مكانه ويذهب مع العسكري إلى وجهته التي يجهلها.

وصل أوس إلى غرفة مكتب يوسف برفقة العسكري ليطرق العسكري عدة طرقات على الباب ومن ثم يدخل بأوس إلى الداخل، وما إن رأه يوسف حتى تصاعدت الدماء إلى وجهه ونهض من على كرسيه لينظر له آسر نظرة تحذير ويعاود الجلوس، خرج العسكري من المكتب وبقي أوس برفقة آسر ويوسف، نظر أوس إلى يوسف والآن قد عرف ما هو سبب وجوده هنا لإنه يعرف يوسف جيداً، رأه عدة مرات عندما كان يأتي بأوقات فراغه ويأخذ ماريا من جامعتها، ابتلع أوس ريقه وحاول أن لا ينظر ليوسف الذي كان ينظر له بحدة ليسمع صوت آسر يحدثه:

"اسمعني جيداً يا أوس، نريد أن نعرف ماهي علاقتك بماريا والأفضل لك أن تتكلم، نحن إلى الآن لم نقم بتوجيبك ولكن إذا اضطر الأمر فسيكون من دواعي سرورنا لذلك تحدث هيا"

ابتلع أوس ريقه وتحدث بتوتر:

"اا أنا كنت على علاقة مع ماريا و."

لم يكمل كلامه فقد كان خائف جداً لإنه يعلم جيداً ما الذي ممكن أن يفعلانه به، وهذا مازاد من حنق يوسف وجنونه لينهض ويتجه نحوه ويمسكه بقوة من ياقة قميصه ويحدثه بحدة:

"اسمع أيها العاهر أقسم إن لم تتحدث وتقول كل شيء سأوصلك لسابع أرض هل تفهم؟ لن أتردد لحظة بقتلك ورمي جثتك للكلاب"

ابتلع ريقه ليهز رأسه ومن بعدها ينفض يديه يوسف من ياقته ليتحدث أوس بتوتر:

"أنا على علاقة معها ولكن لم يكن هناك أكثر من مكالمات بيني وبينها"

نهض آسر من مكانه وتوجه نحوه ليخرج هاتفه ويريه الصور ليقول:

"إذاً ماهذا"

جحظت عيناه ليقول بسرعة:

"هذه الصور كاذبة"

لكمه يوسف بقوة ليقول:

"بل أنت الكاذب يا ابن الساقطة"

لم يستطع أوس تقبل تلك الإهانات أكثر من ذلك، شجع نفسه وتحدث بلؤم شديد وليته لم يتحدث ليقول بوقاحة:

"أنا لست ابن ساقطة بل أختك الساقطة، حسناً لن أهتم أنا على علاقة بها وكانت على فراشي منذ عدة أيام، هل تريد أن أحدثك بأكثر من ذلك"

لم يستطع يوسف تمالك نفسه لينهال عليه بالضرب المبرح إلى أن نزف من أنفه، وآسر كان يجن جنونه من وقاحة هذا الشاب ولكنه وقف ببرود تاركاً يوسف ليفرغ طاقته به لإنه يستحق ذلك، ظل يوسف يضربه إلى أن أدماه ولم يعد له القدرة على الوقوف والاستيعاب ليصرخ يوسف بأعلى صوته على العسكري ويدخل فوراً ليقول له يوسف بصوت لاهث وحاد:

"خذ هذا اللعين إلى غرفة التعذيب، أريد أن أسمع صوت صراخه يصل إلى مكتبي هل تسمعني"

حرك العسكري رأسه موافقاً بخوف من منظر يوسف الغاضب ليمسكه ويأخذه إلى حيث أمره، نظر يوسف إلى آسر الذي كان ومازال يقف ببروده المعتاد ليحدثه يوسف بحدة:

"قلت لي بأنها لم تفقد عذريتها ها، وتقول بأن لا أقترب منها وأسامحها أليس كذلك؟ تريد أن أسامح أختي اللعينة"

تحدث آسر بحدة:

"أختك ليست لعينة بل هذا الشاب هو اللعين لإنه كاذب أيها الأحمق"

ابتسم يوسف بحدة ليقول:

"سأذهب بها إلى الطبيبة غداً وإذا اكتشفت بأنها ليست عذراء سأعلقها بجانب ذلك الساقط هل تسمعني؟ سأبرحها ضرباً إلى أن تموت"

ابتسم آسر ابتسامة سخرية ليقول:

"كل النساء اللاتي عاشرتهن كان لديهن أخوة أيضاً ولكنهن لم يعلقن ويعذبن كما تريد أن تفعل أنت بأختك"

صرخ يوسف بأعلى صوته ليقول:

"أختي ليست مثلهن أيها اللعين"

ابتسم آسر ابتسامة رضى لإنه وصل إلى مبتغاه ليقول:

"هذا ماكنت أريدك أن تفهمه، وإذا كنت تريد أن تأخذها للطبيبة غداً فخذها لكي تتأكد ولكن عدني بأنك ستسامحها إذا كانت مازالت عذراء"

تحدث يوسف بلؤم:

"لن أسامحها حتى إذا تأكدت من شكوكي لن أسامحها أبداً"

زفر آسر بقوة وقد بدأ يفقد أعصابه من يوسف ليقول:

"حسناً ولكن لا تشتكي إذا حدث لها شيء لإنها لن تتحمل معاملتك وجفائك"

أنهى جملته ليخرج من مكتبه متوجه ليفرغ طاقته بذلك الشاب تاركاً يوسف في حيرة من أمره وخوف شديد على أخته لإنه لن يتحمل فقدانها إذا حدث لها شيء، ركل الكرسي أمامه وبدأت نوبة جنونه ليقوم بتحطيم وتكسير كل ما يراه أمامه بغضب وصراخ.

عند آسيل تجلس بهدوء بمفردها بصالة المنزل لتسمع صوت خطوات قادمة نجوها وترى سهى أمامها، ابتسمت آسيل عندما رأتها لتجلس سهى بجانبها وتقول:

"ما بكِ آسيل لما تجلسين بمفردكِ هكذا ألا تحبين الاختلاطات"

تحدثت آسيل:

"مم لا ليس كذلك ولكن فقط أردت الجلوس هنا ولم أطلب منكِ الجلوس معي ظننتكِ مشغولة أو ماشابه"

ابتسمت سهى بسخرية لتقول:

"لا حبيبتي أنا أود الجلوس معكِ كثيراً"

حركت آسيل رأسها بابتسامة مصطنعة لتشعل سهى سيجارتها وتنفخ الدخان وتمد بعلبة السجائر لآسيل وتقول:

"تفضلي"

تحدثت آسيل:

"لا شكراً أنا لا أدخن"

همهمت سهى وهي تضع علبة السجائر بجانبها لتقول بجرأة:

"إذاً كيف حدثيني هل حصل شيء بينكِ وبين ابني"

جحظت عينان آسيل وتوردت وجنتاها ولم تجب بشيء لتردف سهى:

"ما بكِ هل قلت شيء خاطئ؟ هل مازلتي تخجلين"

أنهت جملتها بسخرية لتبتلع آسيل ريقها وأيضاً لم تتحدث لتردف سهى:

"لا تقولي لي بأنه لم يحدث شيء إلى الآن، لاا أنا أريد أن أرى أحفادي يا آسيل"

تحدثت آسيل بتوتر وصوتٍ خافت:

"ان شاء الله"

أطلقت سهى ضحكة لتقول:

"أووووه لا أعلم لما أنتِ هكذا يافتاة، مابكِ تظلين صامتة ومتوترة؟ هل يوجد بكِ عيب"

أنهت جملتها بغمزة لتنظر لها آسيل بحنق وغضب وتقول:

"عذراً سيدتي ولكنني لا أشتكي من شيء والحمد لله أنا بعفتي ولا أفرط بها لذلك لا ترميني بالباطل وسوء الظن"

شهقت سهى شهقة صغيرة لتقول بسخرية:

"عذراً حبيبتي لم أكن أعلم بأنكِ عفيفة، لقد ظننت بكِ السوء يا إلهي كم أنا غبية"

نظرت لها آسيل بحاجب مرفوع ولم تجبها لتردف لها سهى:

"أسمعيني جيداً لا تظني بأنني لا أعرف عنكِ شيء، أنا أعرفكِ وأريد منكِ أن لا تمثلي وترينني بأنكِ الملاك البريئ، سأتخلص منكِ بأول فرصة تسنح لي وأخرجكِ من حياة ابني هل تفهمين أيتها الغبية"

عقدت آسيل حاجبيها لتقول بسخرية وبرود:

"عندها ستخدميني خدمة العمر يا سيدة"

نظرت سهى لآسيل بحنق وتحدثت:

"لن تطال مدة مكوثكِ هنا فقط اصبري ستخرجين من هنا بفضيحة أيضاً ياحلوة"

أنهت جملتها بضحكة قوية ونهضت من جانب آسيل خارج الغرفة لتترك آسيل بحيرة وخوف، هبطت دموعها فوراً وبدأت شهقاتها تتعالى، هي حزينة على نفسها وحزينة على الذي وصلت له، انتبهت لوائل الذي دخل عليها بحاجبين معقودين وجلس بجانبها ليقول:

"مابكِ آسيل لماذا تبكين"

ابتلعت ريقها وهزت رأسها وقالت:

"لا شيء فقط أشعر بألم في رأسي"

تحدث وائل:

"حسناً سأجلب لكِ الطبيب"

هزت رأسها نافية لتقول:

"لا لا الوجع خفيف لا داعي للطبيب، سأذهب لأرتاح قليلاً"

هز رأسه بحزن عليها ليقول:

"تعالي سأوصلكِ أنا للغرفة"

أمسك يدها وصعد بها للغرفة ليمددها على السرير ويبدأ بالمسح على شعرها وهو يحدق بها بينما هي كانت متوترة منه بشدة ولكنها كانت تشعر بالنعاس لذلك بعد وقت قصير جداً لم تعد تشعر بشيء، شعر وائل بانتظام أنفاسها وعلم بأنها نامت ليتنهد بحزن ويأس ويتذكر عندما جمعته الصدفة بآسيل.

Flash back:

منذ خمس سنوات

كان وائل يمشي شارد الذهن لا يعلم إلى أين وجهته ليصتدم بتلك الفتاة الجميلة وتقع أرضاً، نهضت من على الأرض وهي تزفر بحنق لتقول:

"ما بك يا هذا ألا ترى أمامك"

نفخت خديها بغضب بينما هو يحدق بها بذهول لتردف له:

"انظر أمامك في المرة القادمة أتسمعني يا لك من أبله"

ظلت تتحدث وتوبخه ولكنه هو كان بغير عالم فقد ظل يحدق بها وعلى وجهه ابتسامة بلهاء، ابتلع ريقه ليقول بابتسامة:

"أنا أسف أيتها الجميلة"

عبست بوجهه لتقول:

"انتبه لألفاظك يا هذا، أنا لست صديقتك لتقول لي جميلة هل تفهم"

أنهت جملتها ورحلت بعيداً عنه ليبقى بمكانه يحدق بذهول ويحدث نفسه بجملة واحدة (كيف للجمال كله بأن يجتمع بفتاة واحدة) لم يفوت الفرصة من يده فقد لحق بها وعرف عنوان منزلها واستطاع أن يعلم عنها وعن عائلتها كل شيء ولكنه لم يكن يعلم شيء عن والدها وظل يراقبها ويقف أمام منزلها كل يوم عندما تذهب إلى مدرستها، حاول أن يوقفها عدة مرات ولكنها لم تعطيه أي فرصة وكانت لا تنظر له بالأساس، لم يشعر باليأس ولم يتركها يوماً بل ظل ورائها، ولكن عند موت والده اضطر لإن ينتقل إلى بلدة أخرى برفقة والدته ولكنه ظل يتابع أخبار آسيل فهو لم يستطع إخراجها من رأسه، هو يحبها جداً وظل يراقبها إلى أن علم بنوايا خالها وخالتها بحقها من مصادره الخاصة ودخل بالموضوع وقد عرض على خالها بأن يعطيه إياها وأن يأخذها خارج البلدة ولكن خالها قد اعترض بشدة ولكن وائل أصر على أمرها وقد عرض عليه مبلغ كبير جداً ومن بعدها وافق، وهنا لم يكن تسعه الدنيا من شدة فرحه لإنه وأخيراً حصل عليها وقد قرر بأنه سيتركها الآن إلى أن تبادله مشاعره وحبه، نعم هو يعمل عمل غير قانوني لإنه اضطر إلى ذلك من بعد وفاة والده، ووالدته لم تكن تمانع أبداً فقط كل ما يهمها كان المال ليجبر على هذا العمل لكي يوفر المال له ولوالدته الطامعة.

.End flash back

تنهد بقوة وقد أدمعت عيناه عندما عاد إلى واقعه لينظر إلى آسيل التي تغط بنوم عميق ويبتسم ليقترب ويطبع قبلة قوية على جبينها ومن بعدها يبتعد ليخرج من الغرفة تاركاً آسيل نائمة بسلام.

" وها أنا أكبُر بمجيئكِ عاماً مِن الفرح

لِذا امنحيني لحظةٌ مِن قلبكِ

لِأتوسد أحلامي وأنام "

جالسة في السيارة صامتة، حزينة، لا حول لها ولا قوة، لا تعلم ما الخطأ الذي ارتكبته حتى تعامل بهذه القسوة والجفاء، لم ترى أي ذنب اقترفته وشعرت بأنها مظلومة من هذه المعاملة، شعرت بالإهانة عندما لم يصدقها أخيها وقام بأخذها للطبيبة لكي تكشف عليها، هي سليمة وتعلم نفسها وقد قالت هذا الشيء لآسر ولكن لم يصدقها أخيها إلا بعد أن أخذها إلى الطبيبة وقد شعر يوسف بالفرح والارتياح عندما تأكد من سلامتها وشعر بقليل من الحزن على أخته لإنه ظلمها ولكن لن يتنازل وسيظل على موقفه وجفائه ولن يسامحها بسهولة.

بينما آسر كان حزين جداً على ماريا وقد لام يوسف كثيراً على معاملته وشكوكه ولكن لن يستطيع تغيير يوسف أبداً.

هبطت دموع ماريا على وجنتها وبدأت بالبكاء بصمت ولكن يوسف انتبه لها ولعن نفسه مئات المرات وتنهد بحرقة بينما آسر حاول أن يكسر الصمت ويحدث ماريا ليقول:

"ما بكِ ماريا، ألا تريدين المخدرات خاصتكِ"

ظلت صامتة ولم تتحدث ليتنهد بقوة وينظر ليوسف الذي كان مشغول بالقيادة ليبادله يوسف النظرة ويعود فوراً بنظره للأمام.

بعد وقت قصير وصلوا ثلاثتهم للمنزل لتهبط ماريا من السيارة متوجهة فوراً إلى غرفتها ليلحق بها كل من يوسف وآسر، دخلا للصالة وجلسا لينظر آسر إلى يوسف الذي كان يريح بجسده على الأريكة متكأ برأسه ومغمض العينين ليقول آسر:

"والآن قد تأكدت من شكوكك، ألن تقوم بمسامحتها"

فتح يوسف عينيه ليوجه نظره إلى آسر ويعتدل بجلسته ويقول:

"لا أريد أن أتحدث بهذا الموضوع، انسى الأمر"

نفخ آسر خديه ليقول:

"اسمع يا أحمق ماريا لن تتحمل أكثر من ذلك هي بحالة نفسية الآن وإذا لم تكن بجانبها ستسوء حالتها خصوصاً بعد أن أخذتها إلى الطبيبة"

تمعن يوسف بوجه آسر وبدأ كلامه يتردد بعقله، ابتلع ريقه وشتت نظره بأنحاء الغرفة ليعود بنظره لآسر ويقول:

"انسى الأمر الآن"

انتفض آسر ونهض ليتحدث بغضب:

"أيها اللعين لما لا تستوعب؟ ماريا بحاجة إليك الآن إذا لم تسامحها ستتعرض لمضاعفات كثيرة، هل تريد أن تفقد أختك قل لي ها؟ لما أصبحت بهذه القسوة؟ أقسم لك إذا بقيت على حالك سآخذها معي إلى منزلي"

ابتسم يوسف ابتسامة سخرية لينهض ويقف أمام آسر ويقول:

"ماريا لن تذهب إلى أي مكان هذا أولاً، وثانياً لا تتحدث عن القسوة وهي أصبحت جزءاً منك"

تشنجت ملامح آسر ليردف يوسف له ببرود:

"عندما تسامح أنت سأسامح أنا، أظنك فهمت قصدي"

رفع آسر حاجبه وحرك رأسه موافقاً بحدة ليخرج من المنزل تاركاً ورائه يوسف الذي يتآكل من ندمه على الكلام الذي قاله لابن عمه وعلى معاملته مع شقيقته ولكن هو يفكر بأن لا أحد يفهمه والكل يلومه على هذه المعاملة، ولكن هذه الغلطة التي فعلتها أخته بالنسبة له لا تغتفر لذلك سيكون صارم معها كي تتعلم درسها وسيحاول أن يكون حريص على سلامتها.

في المساء

تجلس آسيل في غرفتها كعادتها وزوجها لم يكن موجود كان لديه عمل طارئ هذا ماقاله لها، بينما كانت تحاول النوم ولكنها لم تستطيع، سمعت صوت حركة بالخارج عقدت حاجبيها باستغراب لتنهض وتقوم بفتح باب غرفتها بهدوء لترى ماذا يحدث بالخارج، خرجت من غرفتها لترى سهى برفقة رجل وقد دخلا لغرفتها، جحظت عينان آسيل وابتلعت ريقها بتوتر وهي تقول في نفسها كيف تأتي برجل إلى بيتها؟ وماذا يفعل عندها؟ وهل وائل يعلم بذلك؟ كل هذه الأسئلة كانت تدور برأسها، تسللت على أطراف أصابعها لتضع أذنها على الباب وتتنصت لتسمع قهقهات خفيفة وهمسات لم تفهم منها شيء، كان قلبها يقرع كالطبول فلا يوجد سوى تفسير واحد لوجود رجل غريب في غرفة سهى وهو بأنها سافلة، عادت لغرفتها متسللة لتدخل ويبدأ عقلها بالتفكير، تنهدت بتوتر وهي تدعي لربها بأن لا يأتي وائل بهذا الوقت.

بعد مرور وقت ليس بقصير شعرت آسيل بالعطش وقررت النزول للأسفل وحاولت أن تنزل على أطراف أصابعها كي لا تصدر حركة.

بينما سهى انتهت من فعلتها مع ذلك الرجل وقرر الرحيل، فتحت سهى باب غرفتها لترى آسيل تخرج من غرفتها فعادت وأغلقت الباب بسرعة، تنهدت سهى بعمق لتعود وتفتح الباب بهدوء وقد رأت آسيل تتجه إلى الأسفل، خطرت على بالها فكرة وقررت بأن تنفذ خطتها الدنيئة بحق آسيل وها هي الفرصة قد أتتها فوراً.

استغلت عدم وجودها في غرفتها وقد أخبرت هذا الرجل بمخططها الدنيء وضمنت له سلامته وقد وافق بعد تردد كبير منه، عادت آسيل لغرفتها وما إن رأت الذي بغرفتها حتى تسمرت بمكانها، توقف عقلها عن العمل ولم تعد تستطيع التفكير بشيء، سمعت صوت إقفال الباب من الخارج وبدأ قلبها يطرق بعنف وبدأت تطرق على الباب بقوة وتصرخ ولكن لا حياة لمن تنادي، اقترب منها الرجل وحاول التقرب منها وهي تصرخ وتبعده عنها، بينما سهى اتصلت بوائل وأخبرته بأن يأتي فوراً لسبب كبير جداً ليفزع ويأتي بسرعة البرق، وصل وائل إلى المنزل لتستقبله سهى بغضب مصطنع وتقول له:

"انظر إلى اللعينة التي تزوجتها، يوجد عندها رجل في غرفتها أيها الأحمق"

حدق وائل بوالدته بصدمة ليهز رأسه نافياً ويقول:

"مستحيل هذا مستحيل أين هي"

تحدثت سهى بغضب:

"لقد شعرت بحركة بالمنزل ورأيت زوجتك تدخل رجل غريب إليها ومن بعدها دخلت عليهما وأخذت المفتاح وقمت بإغلاق الباب عليهما لكي تراها بأم عينك، اسمع صراخها هي تمثل فقط"

كان ينصت لها وهو بحالة صدمة وقد أوشك على البكاء، حدثها بحدة:

"أعطني المفتاح"

أعطته سمية المفتاح ليصعد إلى الأعلى بسرعة البرق وهو يسمع صرخات آسيل، توجه نحو الغرفة وفتح الباب ليرى زوجته بين يدين ذلك الرجل يحاول الاعتداء عليها، توجه نحوهما وأمسك بالرجل وقام بتسديد عدة لكمات على وجهه ومن ثم توجه إلى آسيل التي كانت متكورة حول نفسها تبكي بشدة وفزع، لم يعلم ما الذي سيفعله بها ولا يعلم أيصدق أم لا، بينما الرجل استغل فرصة انشغال وائل بزوجته ليفر هارباً على الفور، انتبه وائل إلى غياب ذلك الرجل وقد حاول اللحاق به ولكنه استقل سيارته وهرب، كان وائل يستطيع اللحاق به ولكنه قرر الصعود إلى آسيل، اتجه إليها ورآها مازالت تبكي ووالدته تقف موجهة نظرها لآسيل بحدة، تحدثت والدته بصراخ:

"أرأيت هذه التي جلبتها إلينا لقد جلبت لنا الفضيحة، عندما علمت بأنني رأيتها بدأت بالتمثيل على أنه اعتداء، لا أعلم كم لديها من الكذب والخداع، يجب أن تتخلص منها فوراً"

ما إن سمعت آسيل هذه الجملة حتى انتفضت وبدأت تهز رأسها بعنف وحاولت التحدث ولكن منعتها شهقاتها الكبيرة، نظر لها وائل بحدة وبدأت أنفاسه تتسارع وعيناه احمرت، لم يتحدث وإنما ظل متسمر بمكانه، لتعود وتتحدث والدته:

"ما بك لما تقف بمكانك؟ يجب أن تطردها من المنزل"

ظل واقفاً بمكانه ومن ثم احتدت ملامحه، لا يعلم من يصدق ولكن الذي يجعله يصدق هو صمت آسيل وبكائها، لم يشعر بنفسه سوى وهو يتقدم إليها وينهال عليها بالضرب المبرح بكل قوته وطاقته بينما آسيل كانت تصرخ وتتلوى وتبكي، وسهى كانت تراقب الوضع بابتسامة خبيثة وماكرة وقد أعجبها هذا التصرف وفرحت عندما نجحت خطتها لإنها كانت تخطط لهذا الشيء منذ مدة ولكن لم تحدد الوقت وها قد جاءتها الفرصة اليوم لتنفذ وترى النتيجة.

ظل وائل ينهال عليها بالضرب إلى أن أغمي عليها ولم تعد تشعر بشيء، حاولت سهى أن تبعده عنها وهي تحدثه بأنها فقدت الوعي، ابتعد عنها وهو يلهث بقوة وعيناه حمراء وينظر إليها بعدم تصديق، كان بحالة فقدان للوعي ولم يصدق ما الذي فعله بها وكيف له أن يضربها كل هذا الضرب، سحبته والدته لخارج الغرفة ودخلا لغرفة سهى وأجلسته على الأريكة وهو مستسلم لها لا يتحدث ولا يفعل شيء، جلست بجانبه لتقول له:

"اهدأ عزيزي اهدأ، الأمر لا يحتاج لهذه العصبية فقط تخلص منها وأخرجها من حياتك، هي لا تستحقك"

ابتلع ريقه وهو يكاد لا يصدق مافعله بها والذي فعلته هي، لم يتحدث ولم يصدر أي ردة فعل فقط ظل صامت وهو لا يستطيع التحدث بالأساس وكأنما انعقد لسانه وشل عن الحديث، بدأت سهى بتهدئته والمسح على رأسه، أبعدها عنه وتوجه لغرفته ليرى آسيل بحالة مزرية وهي فاقدة للوعي والدماء تسيل من أنفها، أحس بقلبه يتمزق لأجلها ولعن نفسه مئات المرات ولكنه عاد لحدته وغضبه عندما تذكر الموقف وكيف كانت بأحضان هذا الرجل، كاد أن يجن من شدة التفكير، أيعقل أن تكون والدته تكذب عليه؟ أيعقل أن يكون هذا الرجل فعلاً قد حاول الاعتداء عليها؟ ولكن من أين أتى وكيف دخل؟ لم يستطيع أن يصدق بأن والدته هي من يمكن أن تفعل ذلك وتكون مؤامرة منها، ولكن هو يجب عليه أن يجد ذلك الرجل مهما كلفه الأمر وإلى أن يجده سيظل على معاملته هذه مع آسيل.

تنهد بغضب ليتجه إلى آسيل ويقوم بتضميد جرحها وهي فاقدة للوعي وما إن انتهى حتى نظر إليها بشفقة على مافعله بها، أحس بأنها مظلومة ولكن رأى كل شيء بعينه وطبعاً لن يتهم والدته بشيء لإنه يعلم بأنها لا تفعل ذلك كما يعتقد، تنهد بضيق و حدة ليخرج من الغرفة ويتجه إلى أية حانة شرب ليفرغ بها جميع آلامه وأوجاعه من محبوبته عله أن ينسى فعلتها هذه.

في الصباح التالي

استيقظت آسيل وهي بحالة فظيعة، حاولت النهوض وأحست برأسها سينفجر من شدة الألم بجميع أنحاء جسدها، تذكرت أحداث أمس وبدأت بالبكاء، لم تعد تستطيع التحمل أكثر من ذلك، فقدت القدرة على التحمل والصبر وقد نفذ صبرها، لم تفعل شيئاً في حياتها لكل هذا، اكتفت من معاملة زوجة أبيها وتفريطها بها لتأتيها الآن والدة زوجها وتزيد الطين بلة عليها، ظلت تبكي وتنتحب وتذكرت والدتها وحنانها عليها، اشتاقت لها فعلاً واشتاقت لحنانها ومعاملتها معها، ابتلعت غصتها ونهضت من فراشها بصعوبة لترى وائل يدخل إليها، ما إن رأته حتى شعرت بالخوف والرهبة منه وظنت بأنه سيعود ويضربها، بينما هو حالما رآها استيقظت حتى هدأ قلبه قليلاً لإنه كان خائف عليها من أن لا تستيقظ أو ما شابه، نظر لها بحدة واقترب منها ببطئ وهو يرى الخوف بعينيها وكلما اقترب ابتعدت هي إلى أن حاصرها بزاوية الغرفة وقد دب الرعب بقلبها، ظل ينظر لها بحدة وهو يحاول أن يستشف من نظرتها أي شيء ولكن لم يرى سوى الخوف منه، تحدث معها ببرود يغلفه شيء من الحدة ليقول:

"لن أحكم عليكِ الآن إلى أن أجد ذلك الرجل وعندما أجده سأحكم عليكِ وعليه وأقسم أنني سأريكِ الجحيم إذا كان كل شيء صحيح"

هزت رأسها بخوف ليردف لها:

"ما اسم ذلك الرجل ومن أين تعرفيه"

ابتلعت ريقها وتحدثت بصوتٍ خافت:

"صدقني لا أعرفه"

تملكه الغضب ليمسكها من رقبتها ويقول بحدة:

"إذاً كيف دخل لغرفتكِ ها أجيبي"

شهقت بشدة وكادت تختنق ولم تستطع التحدث، كانت تحاول أن تفلت من يده ولكنه أحكم قبضته ليردف لها:

"حسناً يا آسيل لا تتحدثي ولكنني سأجده وسأعلم كل شيء عندها سترين الجحيم إن كنتي مذنبة"

أبعد يده عنها لتبدأ بالسعال بقوة وكان لون وجهها أحمر للغاية، خرج من الغرفة وأقفل الباب عليها لينزل إلى الأسفل ويجد والدته جالسة في الصالة ليجلس معها، تحدثت والدته بهدوء:

"ما الذي ستفعله معها"

تحدث بلا مبالاة:

"أريد أن أجد ذلك الرجل أولاً ومن بعدها سأعرف الحقيقة، لا أريد أن أراها أبداً إلى أن أجده"

صدمت من جواب ابنها، ظنت بأنه سيطردها فوراً عندما يرى كل هذا ولكن الآن يريد أن يجد ذلك الرجل وإذا وجده ستكشف الحقيقة وسيفشل كل شيء، تنهدت بحنق لتقول له:

"ما الذي تهذي به؟ كل شيء واضح، اسمعني جيداً أنا لم أكن أريد أن أقول لك ولكن يجب أن تعلم، بصراحة هذه ليست أول مرة لها فأنا قد رأيتها من قبل تدخل أحد إلى هنا في البداية ظننته أنت ولم أعطي أهمية للأمر ولكن عندما رأيت ذلك الرجل البارحة تأكدت من شكوكي كلها، غير ذلك بأنها تتحدث على الهاتف كثيراً وقد لاحظت عليها هذا الشيء"

كان يستمع وملامحه تحتد شيئاً فشيئاً مع كل كلمة تقولها، انتفض بغضب ليقول:

"ولما لم تقولي لي من يومها"

تنهدت بقوة لتقول:

"ظننت بأنك أنت لم أعلم بأنها بتلك القذارة وهذا المستوى، هذه لعينة لا تصدقها بأي شيء، هي تحاول أن تريك بأنها بريئة ولكنها عكس ذلك صدقني، أنا لا اريد سوى مصلحتك يا بني، أطردها من المنزل ولا شأن لنا بها طلقها وارميها خارجاً"

كان حديث أمه يدور في رأسه، اطردها، طلقها، ارميها، تحاول أن تكون بريئة، كل هذه الكلمات كانت تتردد في عقله، يكاد ينفجر من الغضب وعقله سينفجر أيضاً لا يعلم ما الذي سيفعله بها، هو لا يريد أن يطلقها هو يحبها جداً ولكن ماذا إن كانت بالفعل تخونه، أهكذا تكافئه؟ أهكذا تفعل به؟ لماذا؟ لم يعاملها إلا بالإحسان، أحبها منذ زمن، ولكن هي لا تستحق، سيطلقها ويخرجها من حياته ولكن ليس قبل أن يكتشف الحقيقة وعندها سيدفعها الثمن غالياً، ابتلع ريقه والغضب تملكه من سماع حديث والدته ليتنهد بضيق ويقول:

"سأجد ذلك الرجل وبعدها سأخرجها من حياتي"

أنهى جملته وتوجه إلى خارج المنزل، بينما سهى لم يعجبها رد ابنها وقررت بأن تتخلص منها على طريقتها ولكن يجب أن تطلقها منه أولاً، ظلت تفكر مطولاً كيف ستستطيع أن تطلقها منه من دون علمه؟ زفرت بضيق واتجهت إلى غرفة آسيل، دخلت إليها لتراها جالسة على سريرها تضم قدماها وعيناها حمراء من شدة البكاء، توجهت إليها وابتسامة خبيثة نمت على شفتيها لتجلس بقربها وتقول:

"سأهربكِ من هنا يا آسيل"

نظرت لها آسيل باستغراب وهزت رأسها نافية، لتبتسم سهى بخبث وتقول:

"ولكن يجب أن تساعديني"

لم تتحدث بل ظلت عاقدة حاجبيها باستغراب وعدم فهم لتردف سهى:

"اسمعيني جيداً يا آسيل أنا من ورطتكِ بهذا الأمر وأنا من سيخرجكِ منه، لذلك ستفعلين مثل ما أقول لكِ، سأعطيكِ ورقة وتوقعين عليها ومن بعدها سأهربكِ من هنا"

تمعنت آسيل بوجه سهى مطولاً لتقول:

"أنا لم أفعل شيئاً وواثقة تماماً بأن وائل سيجد ذلك الرجل الذي جلبتيه أنتِ والذي كان بغرفتكِ قبل أن تدخليه إلى هنا ومن بعدها سيكشف الحقيقة لذلك لن أهرب ولن أدعه إلا بعد أن يكشف كل شيء"

شعرت سهى بالخوف والرهبة من حديثها، لم تكن تعلم بأن آسيل قد رأت ذلك الرجل عندها، احتقن وجهها وتحدثت بغضب:

"اسمعي أيتها اللعينة حتى لو قلتي لوائل هذا الشيء فهو لن يصدقكِ هل تفهمين؟ ستفعلين مثلما أمرتكِ وإلا سترين الجحيم مني"

ظلت آسيل تنظر إليها بحنق ولم تتحدث لتردف سهى:

"وبالمناسبة لقد قمت بواجبي وبعثت برسالة لوالديكِ ليعرفان حقيقة ابنتهما الجميلة ما رأيكِ"

جحظت عيناها لتقول:

"ما الذي بعثتيه لهما"

ابتسمت ابتسامة ماكرة لتقول:

"اسمعيني جيداً، بصراحة إلى الآن لم أبعث لهما شيء ولكن سأبعث لهما صوركِ وأنتِ بأحضان ذلك الرجل إذا لم تفعلي مثل ما أقول لكِ هذا إذا كنتي تريدين النجاة وعدم الفضيحة"

بدأت آسيل بالبكاء لتقول:

"أرجوكِ أنا لم أعد أحتمل أكثر من ذلك أرجوكِ"

اتسعت ابتسامة سهى لتقول:

"حسناً إذاً ستفعلين مثلما آمركِ به اتفقنا"

هزت رأسها آسيل باستسلام لتبتسم سهى بتوسع وتخرج من الغرفة تاركة آسيل تبكي بحرقتها على هذا الظلم الذي يحل بها، والداها كانا آخر فرصة لها وآخر أمل لها ولكن الآن لن تستطيع الذهاب إليهما أبداً، إذاً أين ستذهب بنفسها؟ ظلت تبكي وتشهق إلى أن دخلت سهى عليها وكان بيدها ورقة، اقتربت من آسيل لتعطيها الورقة والقلم وتقول:

"وقعي"

توقفت آسيل عن البكاء لتقول:

"ماهذه"

ابتسمت سهى لتقول:

"ورقة طلاقكِ"

أمسكت بالقلم بيد مرتجفة وقامت بالتوقيع لتتسع ابتسامة سهى وتأخذ الورقة منها وتقول:

"حسناً هذا جيد، بقي أن أرسل الأوراق إلى المحكمة، ولا تقلقي على وائل لقد جعلته يوقع بطريقتي الخاصة

لم تتحدث آسيل ولم تنظر لها بل ظلت ساكنة لتردف سهى:

"بالمناسبة هناك شخص يود رؤيتكِ سيأتي بعد قليل"

ما إن أنهت جملتها حتى سمعت صوت جرس الباب لتبتسم بمكر وتقول:

"غيري ثيابكِ وانزلي للأسفل"

تعجبت آسيل بشدة، من هذا الذي يود رؤيتها؟ وإلى ماذا تخطط هذه المرأة؟ نهضت من الفراش لتقوم بتغيير ملابسها وتنزل للأسفل، وما إن رأت هذا الشخص حتى تسمرت في مكانها وصدمت منه، آخر شخص كانت تتوقع أن تراه هو هذا الشخص، اقتربت بخطواتٍ مترددة وهي بحالة صدمة، ابتسمت أحلام ابتسامة ماكرة لتقول:

"ما بكِ يا آسيل؟ أهكذا تستقبلين ضيوفكِ"

انعقد لسانها وتعجبت من وجودها هنا وهي تسأل نفسها ما علاقة أحلام بسهى، وجهت سهى حديثها لآسيل لتقول:

"حسناً حسناً لا داعي للتفكير سأفسر لكِ كل شيء، طبعاً تسألين نفسكِ ما علاقتي بزوجة والدكِ وأنا سأقول لكِ، بصراحة هي صديقتي منذ زمن وانقطعنا عن بعضنا مدة ولكن هذه القصة جعلتني أطلب مساعدتها وبالحقيقة نحن الاثنتان من دبرنا هذه الحادثة، وهذا كل شيء"

أنهت جملتها بابتسامة عفوية لتبادلها أحلام الابتسامة لتكمل أحلام:

"وأيضاً تسألين نفسكِ لماذا تريد أحلام أن تخرجني من حياة وائل وهي التي سلمتني له؟ حسناً سأجيبكِ، في الواقع أنا أعلم بأن وائل يحبكِ كثيراً وأنا بما أنني أكرهكِ كثيراً لا أريدكِ أن تجدي السعادة أبداً، واشكري الرب بأننا سنبقيكِ على قيد الحياة فقط سنهربكِ من هنا"

شعرت سهى بالملل من الحديث لتقول:

"أووووف أحلام دعينا بالمفيد الآن، حسناً عزيزتي آسيل غداً سيأتي رجل ويأخذكِ من هنا ومن بعدها ستسافرين خارج البلاد اتفقنا"

ماذا عن حال آسيل الآن، إلى الآن هي بحالة صدمة كل هذا يحدث معها من قبلهما ولا تستطيع فعل شيء وكل يوم تكتشف حقيقة موجعة أكثر من قبل، هبطت دموعها على وجنتها وبدأت بالبكاء، ابتسمت كل من سهى وأحلام لتقول سهى:

"أوه وبالمناسبة يا آسيل الآن يوجد لدينا صور لكِ وأنتِ بأحضان ذلك الرجل وهم الآن بحوزة أحلام، وأيضاً ورقة طلاقكِ قد وقعت من وائل وسأبعث بالأوراق جميعها للمحامي كي يقدمهم للمحكمة، أعني أريدكِ أن تعتبري نفسكِ الآن مطلقة"

ظلت تبكي وتنتحب ولم تسمع أي شيء من الذي قالته، انتفضت بغضب لتقول:

"كيف لكما أن تفعلو كل ذلك بي؟ ما الذي فعلته لكما أخبروني؟ أنتِ وهي لستما سوى عاهراتان هل تفهمان"

بصقت كلامها واحتدت ملامحها لتصعد إلى غرفتها تاركة خلفها أحلام وسهى متعجبتان من حديثها، تحدثت سهى بحنق:

"أريدكِ أن تري هذه الصور لزوجكِ"

عقدت أحلام حاجبيها باستغراب لتقول:

"وكيف سأريه الصور، سيكتشف أمرنا وقتها"

زفرت سهى بحنق لتقول:

"يا بلهاء ضعيهم جانب المنزل أو ابعثيهم بطرد أو أي شيء ما بكِ"

هزت أحلام رأسها موافقة لتقول:

"من هو الرجل الذي ستبعثين آسيل معه"

ابتسمت سهى بمكر لتقول:

"نفس الرجل الذي كان معها البارحة وسيختفي هو أيضاً كي لا يجده وائل"

حركت أحلام رأسها بشرود لتقول:

"هذا جيد عندها ستكون فكرة وجودها مستحيلة لإن زوجي مازال حتى الآن يبحث عنها"

همهمت سهى ولم تتحدث لتردف أحلام:

"ولكن كيف وقع وائل على ورقة الطلاق"

ابتسمت سهى ابتسامة ماكرة لتقول:

"سرقت توقيعه وقلت للمحامي بأن يقدمهم للمحكمة وبذلك ستتطلق منه"

همهمت أحلام وابتسمت بمكر بينما سهى شردت بحال آسيل وأصرت على تنفيذ خطتها غداً لتتخلص من آسيل إلى الأبد، بينما آسيل لم تتوقف عن البكاء وهي تتحسر على نفسها وعلى حالها، هي لم تعد التحمل، كفى أوجاع، وكفى إتهامات، وكفى ظلم، حسمت أمرها وقرر الهروب في هذه الليلة إلى أي مكان، لن تدعهم يلعبون بها وبحياتها أكثر من ذلك لذا ستقوم بالهروب في هذه الليلة دون عودة.

جالسة بغرفتها شاردة الذهن تحدق بالفراغ، بدأت الدموع تتجمع بعينيها عندما تذكرت كلام أخيها وضربه لها وموجة غضبه التي صبها عليها، بدأت شهقاتها تتعالى شيئاً فشيئاً.

بينما يوسف كان يمر من جانب غرفتها وما إن سمع صوت شهقاتها حتى تألم قلبه وتجمعت الدموع بعيناه، لم يعد له القدرة على المكابرة، ولم يعد يستطيع أن يجافيها أكثر من ذلك، لعن نفسه ولعن غضبه لإنه لا يفكر بعقل عندما تحدث أية مشكلة، حاول أن لا يضعف ويدخل لها ولكنه لا يستطيع، فهو اشتاق لها واشتاق لاحتضانها واشتاق لأيامه معها ومشاكساته لها، إلى هنا وتحطمت جميع أسواره ليدخل عليها فجأة ويراها بحالة مزرية وعيناها حمراء من شدة البكاء، ما إن رأته حتى بدأت تشهق وسقطت دموعها مجدداً ليسقط قلب يوسف مع دموعها لرؤيتها بهذه الحالة، اقترب منها وأخذها بأحضانه واعتصر جسدها الصغير بين يديه وهو يمسح على رأسها ويبثها حنانه الذي حرمت منه طيلة هذه المدة.

منذ قليل كان يقول لآسر بأن ينسى الأمر ولن يسامحها ولكن دموعها أضعفته وقطعت قلبه، بينما هي كانت تدفن وجهها بصدره وتشم رائحته التي اشتاقت لها، انتحبت بشدة وهي بصدره بينما هو كان يحدثها بكلمات حنونه ليقوم بتهدأتها، سكنت بين يديه بعد مدة ولم تعد تصدر أي حركة ولا صوت فقط تحتضنه بشدة ويبادلها هو بدوره وعلى وجهه ابتسامة خفيفة، حاول أن يبتعد عنها ولكن لم يستطع فهي كانت تشد على جسده بكل قوتها، أطلق ضحكة خفيفة لتبتسم بدورها من بين دموعها، حدثها بضحكة:

"ابتعدي عني ياحمقاء"

هزت رأسها نافية ولم تتحدث ليردف لها:

"هل أعجبكِ الأمر"

حركت رأسها موافقة وما زالت بحضنه ليتحدث عاقد حاجبيه:

"هل تجيدين لغة الصمت يا فتاة"

ضحكت ضحكة صغيرة لتشد على احتضانه أكثر بينما هو واللعنة كم كان مشتاق ليسمع ضحكتها ويرى وجهها مبتسم، تحدثت بصوتٍ مبحوح:

"أريد المخدرات خاصتي"

تمتم بخفوت:

"ها قد بدأنا"

نظرت له بوجه عابس ليتحدث بتوتر مصطنع:

"اااا كنت أقول هل جفائي جعلكِ تتعاطين المخدرات أيتها الحمقاء"

نظرت له بصدمة لتقول بغضب مصطنع:

"لا أنا لا أدخن"

جحظت عيناه ليقول بذهول:

"أيتها الحمقاء أنا أحدثكِ عن المخدرات وأنتِ تقولين بأنكِ لا تدخني، ماذا حدث لعقلكِ"

نظرت له رافعة حاجبيها وفتحت فمها وهي تهز رأسها بعدم فهم ليفعل معها المثل، نفض رأسه ليقول:

"أقسم بأنني أخذت عدوة الغباء منكِ"

عبست وضمت يديها لصدرها لتقول:

"أريد مخدراتي"

تنهد بضيق ليقول:

"حسناً سنأكل أولاً وبعدها أجلب لكِ مخدراتكِ اتفقنا"

هزت رأسها نافية لتقول:

"مخدراتي أولاً"

ليفعل مثلها ويقول:

"نأكل أولاً"

فعلت المثل ونفس الحركة لتقول:

"مخدراتي أولاً"

ليقول أيضاً:

"نأكل أولاً"

ظلا على حالهما مدة وهما على نفس المنوال، تنهد يوسف بضيق ليصرخ بعدها:

"كفى"

جفلت من صوته وصمتت ولم تعد تتحدث، ليتنهد يوسف ويبتسم ابتسامة واسعة ويقول:

"سنأكل أولاً حسناً هيا"

عبست بوجهه لتقول:

"لا أريد أن آكل أنت لا تحبني لا تريد أن تجلب لي مخدراتي لا تحبني عاااااا"

بدأت بالتمثيل بالبكاء بينما يوسف وضع يديه على أذنيه وهو مزعوج من صوتها لينتفض ويصرخ بها:

"حسناً حسناً فقط اصمتي"

توقفت عن بكائها المزيف لتتحدث بابتسامة:

"مخدراتي"

كز على أسنانه ليقول:

"سأجلب لكِ لعنتكِ فقط لا تسمعيني صوتكِ النشاز"

عبست بوجهه ورجت شفتها السفلية وكأنها تهدد بالبكاء ليهز رأسه نافياً ويقول:

"لا لا لا أرجوكِ لا تبكي حسناً سأجلب لكِ مخدراتكِ هيا انهضي"

نهضت بسرعة وصفقت لتقول بمرح:

"هيا"

ابتسم بوجهها ابتسامة مزيفة ليتنهد بعدها ويتمتم:

"بقرة"

استدارت له لتقول:

"سمعتك يا ذيل المعزة"

جحظت عيناه عندما سمع كلمتها ليقول:

"أنا ذيل المعزة! حسناً سأريكِ أيتها البقرة الصغيرة"

ما إن سمعت جملته حتى ضحكت وفرت هاربة من أمامه ليقوم باللحاق بها وأصوات ضحكاتهما تعم بأرجاء المنزل.

كانت تجهز نفسها لتخرج من المنزل وتتوجه إلى منزل سمية، كانت حزينة كئيبة تكاد تجن على غياب صديقتها وتتمنى بأن تكون بخير وتلتقي بها بأسرع وقت، تنهدت بحزن وخرجت من غرفتها لتتوجه نحو الباب إلى الخارج، ما إن خرجت من المبنى حتى رأته أمامها، دب الرعب بأوصالها عندما رأته يقف أمامها بابتسامته

الخبيثة، بدأ عقلها يدور وفوراً تذكرت كلماته عندما حدثها بأنه سيعود وعندها لن ترى إلا الجحيم، تراجعت عدة خطوات عندما رأته يتقدم منها لتجفل وتحاول الهرب عائدة إلى منزلها ولكنه أحكم قبضته على معصمها ليحدثها بنبرة لعوبة:

"إلى أين تظنين نفسكِ ذاهبة؟ ها قد أتيت كي أنفذ وعدي لكِ ياشهدي"

ارتجفت أوصالها عند سماعها لكلماته، حاولت أن تفلت من يده وبدأت تنتفض بين يديه بعنف ولكن لم تستطع الإفلات منه، لم تعد تشعر بشيء لإنه أتى شاب من ورائها ووضع قطعة قماش على فمها وقام بتخديرها بينما سهيل كان يبتسم بخبث وما إن فقدت الوعي حتى حملها ووضعها بالسيارة ليتجه بها إلى جحيمها.

كانت تقطع الغرفة ذهاباً وإياباً، لا تعلم شيء عن زوجها منذ يومان، هي خائفة عليه بشدة، لا تعلم ماذا تفعل وكيف تجده، قررت بأن تتصل بصديقه المقرب لتهاتفه ويعلمها بأن لديه منزل آخر يجلس به عندما يكون بحالة ضيق، تعجبت بشدة لإنها لا تعلم بوجود منزل آخر له، توجهت إلى غرفتها لترتدي ثيابها بسرعة كبيرة متوجهة إلى العنوان الذي أعطاها إياه صديق وسيم، بعد وقت قصير وصلت إلى ذلك المنزل واتجهت نحو الباب لتراه مفتوح، عقدت حاجبيها باستغراب ولا تعلم ما الذي يحدث، دفعت الباب ودخلت لترى أثاث المنزل، كان بحالة فوضى عارمة والزجاج متناثر بجميع أنحاء الصالة على الأرض، تعجبت من هذا الحال كثيراً وتقدمت بخطواتها إلى وسط المنزل لتعلم بأن هناك ثلاثة غرف بالمنزل، عثرت عليه بجميع الغرف ولم تجده، لترى غرفة جانبية كان بابها مفتوح قليلاً، توجهت نحو هذه الغرفة ودخلت لترى ما أمامها وتتسمر في مكانها من صدمتها، كان وسيم يجلس بزاوية الغرفة وحالته مزرية كحال الغرفة التي تملأها الفوضى ولكن سمية لم تلتفت إلى كل هذا بل التفتت إلى الصور التي كانت معلقة على الجدران وقد كانت لآسيل، كانت صور مصفوفة كل منها على حداً، صدم وسيم عندما رأى سمية لإنه لا يريدها أن ترى كل هذا، نهض من مكانه وتوجه بخطوات مترددة نحو سمية التي شلتها الصدمة لتحدثه بذهول:

"ما هذا"

ابتلع ريقه بتوتر وظل صامت ونظره مركز عليها لتردف له:

"أخبرني بأن الذي في بالي ليس صحيحاً"

أدمعت عيناه ولم يتحدث لتصرخ بوجهه وتقول:

"أخبرني هيا، ما كل هذا؟ ولما تحتفظ بكل هذه الصور لآسيل ها أجبني"

تحدث وسيم بتلعثم وتوتر ليقول:

"صدقيني لم أعد أحتمل أكثر من ذلك، لم أعد أستطيع أن أخفي أكثر من ذلك"

نظرت له بصدمة وهبطت دموعها على وجنتها وظلت صامتة ليردف لها:

"سمية أنا أحب آسيل جداً، أنا أسف ولكن قلبي لم يحب سوى آسيل"

تحدثت بصوت متقطع بسبب دموعها لتقول:

"هل تزوجتني من أجلها"

حرك رأسه نافياً ليقول:

"لا لا أقسم لكِ أنكِ حصلتي على بعض المحبة بقلبي، ولكن قلبي الآن مع آسيل و.."

لم يستطع إكمال جملته ليشعر بصفعة نزلت كالسهم على وجنته لدرجة أنه التفت وجهه إلى الجانب الآخر من شدة الصفعة، أعاد نظره إلى سمية التي كانت تبكي بحرقة، لم يبدي أي ردة فعل ولم يتحدث أبداً لتقول سمية:

"أيها اللعين لقد اعتبرتك زوجاً وفياً ووالد جيد لابنتي وأنت الآن تأتي بدورك وتقول لي بأنك تحبها وهي بعمر أولادك"

تنهد بحرقة وظل صامت لتردف له وتتحدث بحدة:

"أتعلم شيئاً، كنت أشك بالأمر واليوم تأكدت من شكوكي، حسناً أعترف بأنني فضلتك عن القمامة، أنت لست سوى حقير مريض، سأذهب إلى بيتي وابعث بورقة طلاقي إلى بيتي هل تفهم"

أنهت جملتها ورحلت تاركة ورائها رجل تحطم كبريائه بسببها وبسبب ابنتها التي شغلت عقله وقلبه وتفكيره، هبطت دموعه وبدأ بالبكاء بصمت، تعجب من نفسه كيف له أن يبكي من أجل فتاة صغيرة، هو يحبها من كل قلبه، لقد ساءت حالته بعد أن ما انقطعت أخبارها ومن وقت اختفائها، شعر بنفسه ضائع لا وجود له في العالم، اشتاق لرؤيتها كثيراً، لذلك كان يقضي أغلب أوقاته بهذا المنزل من بعد غيابها بالشرب والخمر والسجائر، و قام بتصويرها منذ أن كانت تقيم معهم وسرق من هاتفها عدة صور وقام بتكبيرها وعلقها على جميع جدران هذه الغرفة كي يشعر بوجودها ويراها بكل مكان، ولكن ماذا عن ضميره الذي يعذبه الآن، لم يكفي وجع قلبه ليوجعه ضميره الآن من أجل سمية، تلك التي ظُلمت ولا ذنب لها بشيء، أعطته ثقتها وقلبها وعقلها وهو لم يفعل شيء سوى محبته لابنتها.

تنهد بضيق وحسرة وبدأ يجول بنظره بأنحاء الصور المعلقة على الجدار، اقترب من صورتها التي تعتبر أكبر صورة لها من بين كل الصور وبدأ يتحسسها بأنامله ويتأملها باشتياق، لا يعلم كيف يخرجها من قلبه، لقد تملكت

قلبه وتربعت عليه ولم يستطع إخراجها منه، ولكن الآن سيستسلم لجميع آلامه ويعلن هزيمته ويقوم بالانفصال عن سمية لإنه لن يستطيع العيش معها وقلبه مشغول بابنتها، تنهد بحسرة ليتجه ويعمل بأوراق الطلاق والسفر لإنه سيسافر هذه المرة دون عودة ولن يلتفت لورائه تاركاً كل شيء خلفه، متحسر على قلبه الذي تعلق بمحبوبته، نادم على فعلته مع سمية واستسلامه للحب من أخرى وهي ابنتها، ليعلن القدر عن انتهاء قصة حب من طرف واحد.

عند المساء

حسمت أمرها آسيل وكانت عازمة على الهروب، ظلت طوال الليل مستيقظة، جهزت نفسها ولبست ثيابها، نظرت لوجهها في المرآة كان مليء بالكدمات، تنهدت بحسرة وعزمت على تنفيذ فكرتها، ظلت مترقبة سهى حتى تدخل في نوم عميق وقد تأكدت من ذلك، بينما وائل لم يكن بالمنزل لذلك قررت الهروب الآن وعلى الفور، كتبت رسالة صغيرة لوائل وتركتها على الطاولة الصغيرة وخرجت من غرفتها متسللة على أطراف أصابعها كي لا تصدر حركة، دعت بسرها أن لا يأتي وائل بهذا الوقت، كان قلبها يطرق بعنف ويتملكها بعض الخوف كونها ستهرب ولا تعلم إلى أين ولكن ستهرب منهم إلى أي مكان لإنها لم تحتمل أكثر من ذلك، وصلت للبوابة الكبيرة وفتحت الباب الكبير وخرجت، كان الجو بارداً جداً لتسري قشعريرة بجسدها من شدة البرد، بدأت بالركض إلى وجهة لا تعلمها، ظلت تركض وتركض مبتعدة عن هذا المكان بالكامل، مر على هروبها وقتاً طويلاً وهي تركض مبتعدة كل البعد عن البلدة التي كانت تقيم بها.

بينما وائل كان عائداً إلى منزله، دخل بسيارته إلى الحديقة وتعجب من وجود البوابة مفتوحة، دخل للمنزل ومن ثم صعد إلى غرفة آسيل ليعقد حاجبيه باستغراب من عدم وجود آسيل، فتح باب الحمام الملحق بالغرفة ليراها إن كانت بالداخل ولكن لم يجدها، تملكه الخوف وأحس بنغزة في صدره وبدأ قلبه يطرق بعنف وتمنى بأن لا يكون الذي في باله صحيح، أصبح كالمجنون بدأ بالصراخ ظل يبحث عنها بأرجاء المنزل ولكن لا وجود لها، وقد استيقظت والدته على صراخه والضجة التي يثيرها، فزعت من منظره لتحدثه:

"ما بك وائل؟ ماذا حدث"

بدأ يلعن ويشتم ليصرخ بها:

"أين آسيل أمي أين هي"

بدأ قلب سهى ينبض بعنف لتحدثه بصدمة:

"لا أعلم أقسم لك لم أراها"

بدأ يكسر الزجاج والغرفة أصبحت بحالة فوضى ليتحدث بغضب:

"هل هربت"

تحدثت والدته بتوتر:

"صدقني لا أعلم"

مسح وجهه بكفه تعبيراً عن توتره وخوفه، نظر بأرجاء الغرفة ليرى ورقة صغيرة موضوعة على الطاولة، توجه نحوها سريعاً وفتحها بيدين مرتجفتين وكان محتوى الرسالة:

"اعذرني يا وائل لإنني هربت، أعلم بأنه خطأ كبير وأعلم بأنك تحبني ولكنني لم أعد أحتمل، إذا سألت لماذا هربت فسأجيبك ليس خوفاً منك وليس خوفاً من اكتشاف الحقيقة ولكن صدقني لم أعد احتمل، أنت ظلمتني ووالدتك ظلمتني وخالتي ظلمتني أيضاً، لقد اكتفيت منكم جميعاً وسأرحل بعيداً عنكم ولن تروني بعد الآن، ولتطمئن لإنك لن تجدني عند أحد من أقاربي أو والداي، سأبتعد عن كل شيء موجع، وأنا أعتذر منك بشدة ولكن أريد ان أقول لك يا وائل بأن تنتبه جيداً من والدتك لإنها ظلمتني وهي التي تسببت بكل هذه المشاكل هي وخالتي، وأقسم لك بأنني بريئة ولم أخنك أبداً ولم أفكر بهذا الشيء، لقد عاملتني أحسن معاملة وتفهمتني لذا مؤكد بأنني لن أكافئك بالخيانة، وبالمناسبة والدتك طلقتني منك أردتك ان تعلم فقط، انظر حولك وحاول أن تجد ذلك الرجل لتعلم أنني بريئة ومظلومة والله شاهد على كلامي، أتمنى لك من كل قلبي الحياة الهادئة والهنيئة بعيداً عن والدتك التي ظلمتني. آسيل"

ظل يحدق بالورقة أعاد قرائتها قرابة العشر مرات وهو يردد الكلام في عقله، لم يعلم أيصدقها أم لا وكيف سيجدها، التفت إلى والدته التي كانت تحدق به بخوف ليتقدم منها ويقول:

"مادا فعلتي بآسيل"

ابتلعت ريقها بتوتر وبدأ قلبها يطرق بعنف لتقول بتلعثم:

"لم أفعل شيء صدقني"

صرخ بها بأعلى صوته ليقول:

"ماذا فعلتي لها واللعنة"

بدأت تفرك يديها بتوتر وتجول بنظرها بأنحاء الغرفة ولم تستطع التحدث، نفذ صبره ليمسكها من كتفيها ويقول:

"قولي لي ماذا فعلتي لها"

ظلت صامتة ليقول بصراخ:

"اللعنة عليكِ لماذا فعلتي كل ذلك أمي لماذا؟ ألا تريدين لي الحياة الهنيئة؟ لماذا كنتي أنانية هكذا؟ ماذا فعلت لكِ كي تبعديها عني وأنا أعشقها، ظللت طوال تلك السنوات أعمل أبشع الأعمال كي أشبعكِ أموال ولكن أنتِ بماذا كافئتني ها"

أنهى جملته بحرقة وبدأ بالبكاء، نظرت له بصدمة وكانت على وشك البكاء ليعود هو إلى غضبه و حدته ويقول:

"سأجد ذلك الرجل وسأجدها وعندها سترون جميعكم"

أنهى جملته بحدة ليخرج من المنزل ويبحث عنها لعل وعسى يحالفه الحظ ويجد محبوبته.

بينما عند آسيل كانت تركض بسرعة كبيرة كي تبتعد عن البلدة حتى لا يعثر عليها وائل لإنها تعلم تماماً بأنه سيبحث عنها، بينما كانت تركض وتسرع وجدت دورية شرطة لتسمع صوت صافرة تنذرها بالوقوف، وقفت وهي تلهث لترى شابين عسكريين يتقدمان نحوها ليحدثها أحدهما:

"إلى أين ذاهبة يا آنسة؟ ولماذا تركضين هكذا؟ هل تهربين من أحد"

تحدثت وهي تلهث وتقول:

"لا لم أهرب من أحد فقط كنت أركض"

نظر لها العسكري نظرة شك ليقول لها:

"حسناً إلى أين وجهتكِ"

تحدثت بتلعثم ولا تعلم بماذا تجيب لتقول:

"بصراحة أنا سأذهب إلى بيت خالتي أجل بيت خالتي"

رفع حاجبه مستنكراً ليقول العسكري الآخر:

"بيت خالتكِ في هذا الوقت"

تحدثت بتوتر:

"مم أجل وما المانع"

نظر العسكريان إلى بعضهما ليقول أحدهما:

"حسناً يا آنسة ستذهبين معنا إلى الفرع"

جحظت عيناها وتحدثت بخوف:

"الفرع! ولماذا؟ أنا لم أفعل شيء"

هز رأسه موافقاً ليقول:

"أجل أجل أعلم ولكن نريد أن نقوم باستجوابكِ والاطلاع على ملفكِ ومن بعدها نحن سنرسلك إلى بيت خالتكِ"

أنهى جملته بابتسامة صغيرة تدل على شيء لتنظر حولها بخوف، ظلت صامتة ولم تتحدث بينما العسكريان يراقبانها بحذر لتخطر على بالها فكرة الهروب منهما أيضاً، ابتلعت ريقها بتوتر لتهم راكضة منهما بينما العسكريان قاما باللحاق بها وهما يصرخان بها بأن تتوقف، ظلت تركض وتركض إلى أن ابتعدت عنهما وأضاعتهما، التفتت إلى ورائها ولم تجد أحد لتتنهد بارتياح وتواصل ركضها، بينما العسكريان تحدثا مع الدورية التي تقف بالوجهة الثانية وتعلمهم بتتبعها والإمساك بها وقد أعطوهم أوصافها، كونها فرت هاربة منهم فـ هذا يعني أنها فاعلة شي.

بينما آسيل كانت تواصل ركضها لترى دورية ثانية وما إن رأوها العساكر حتى ألقو القبض عليها وأمسكو بها لتصرخ هي وتركل بيديها وقدميها طالبة منهم أن يتركوها ولكن ظلو ممسكين بها إلى أن وصلت الدورية التي فرت منها آسيل منها ونزل العسكريان من السيارة ليقتربان منها ويقول أحدهما:

"إذاً بيت خالتكِ أليس كذلك"

هبطت دموعها لتقول بتوسل:

"أرجوك لا تسجنني أنا لم أفعل شيء فقط هربت أرجوك سيدي"

تحدث العسكري بجمود:

"ستذهبين معنا وعندما نتأكد بأنكِ لم تفعلي شيء عندها سنطلق صراحكِ"

بدأت تشهق وتبكي أكثر من قبل ليأمرهم العسكري بأن يصعدوها بالسيارة ريثما يأتي، تنهد العسكري ليحدث صديقه:

"ما الذي سنفعله بها"

مسح وجهه بكفه ليجيبه:

"لا أعلم ولكن يجب علينا أن نقول للضابط آسر ونأخذ أوامره"

حرك صديقه رأسه موافقاً ليقوم العسكري بإجراء اتصال به، بينما آسر كان في منزله ليأتيه هذا الاتصال وقد تعجب من حال هذه الفتاة ليأمرهم بأن يأتوه بها ليطيع العسكري أوامره ويغلق الهاتف، تنهد العسكري وتحدث:

"أمرني بأن أجلبها له"

نظر له صديقه بصدمة ليقول:

"ماذا؟ وكيف ذلك؟ ولماذا إلى بيته"

زفر العسكري ليقول:

"لا أعلم سأنفذ وانتهينا هيا"

توجها العسكريان إلى السيارة ومن ثم إلى منزل آسر بينما آسيل كانت تبكي وتشهق وتسألهم كل حين وآخر إلى أين سيأخذونها ولكنهم لا يجيبون فقط يلتزمون الصمت، وصلت السيارة إلى جانب المنزل لينزلون آسيل من السيارة وما زالت آسيل تبكي وتلعن حظها العاثر، ما إن رأت المنزل حتى اتسعت عيناها وتوقفت عن البكاء لتتصدم من جمال وضخامة هذا المنزل، تعجبت من وجودها هنا لتعاود البكاء وتعاود سؤالها للعساكر ولكن لم يجيبها أحد بل شعروا بالصداع من صوتها وبكاءها وأسئلتها التي لا تنتهي.

كان يجلس في الصالة يضع قدم فوق الأخرى وبيده سيجارته ليدخل عليه الحارس ويعلمه بوصول الفتاة برفقة العساكر ليسمح لهم فوراً بالدخول، دخلا العسكريان وبرفقتهم آسيل التي كانت ومازالت تبكي إلى حد الآن،

تمعن آسر بالفتاة لينصدم عندما يراها ويبدأ قلبه يطرق بعنف لإنه تذكرها فوراً ولم ينسى ملامحها أبداً، تعجب من حالها ليحمحم بتوتر ويقول:

"أهلاً بك يا آنسة آسيل"

كانت آسيل نظرها موجه للأرض وتبكي بصمت وتشهق، سمعت صوته وتعجبت لإنها سمعت هذا الصوت من قبل، رفعت نظرها لتقابل عيناها بعيناه وتنصدم من وجوده لتتذكره على الفور و.....

" يحدُث أن نفترق كي نلتقي مِن جديد

ولكن أكثر صِدقاً وأكثرَ طُهراً"

مكان مظلم يعم بالفوضى والرائحة الكريهة، شباك العنكبوت التي تحاوط زواياه، في أحد المخازن القديمة المليئة بالاتربة والحشرات بأنواعها وبرودة الطقس فيه، مكتفة تلك الفتاة البريئة من يديها، ملقاة بوضع النوم، ثيابها مليئة بالأتربة، خصلاتها البنية منطلقة بحرية ووجهها شاحب كالموتى، وضوء خافت في نصف المخزن المتسع، جالس على كرسي خشبي متهالك، يتفرس ملامحها الطفولية، شحوب وجهها لا يمنع فتونها، تنهد سهيل بضيق وهو يمسح على خصلاته السوداء وارتشف من كأسة الذي يحمله بين يديه وهو مازال على وعده لها سينتقم منها، سيسلب لها عذريتها ويجعلها ملكه، لقد اعترف بأنه يحبها كالمجنون ولكن حبه ليس طاهر بل سيدنسها بحبه ويفقدها أغلى ماتملك.

تململت شهد بانزعاج وعقدت حاجبيها وهي مغمضة عينيها، فتحت عينيها لتظهر عسليتها وتعتدل بجلستها وتنظر حولها بأرجاء المكان لتقع عيناها على أكثر وجه تبغضه بابتسامته الخبيثة، نظرت له بصدمة، أتاها فجأة صداع برأسها لتطلق تأوه صغير وتضع كلتا يديها على رأسها، نهض من مكانه متوجه إليها ليتخذ وضعية القرفصاء ويضع يده على وجنتها ويتحسسها ببطئ ويشعر بنعومتها، زحفت بمؤخرتها بعيدة عنه وهي تشهق وتبكي، ابتسم ابتسامة ماكرة ليقول بصوت أشبه بالهمس:

"ما بكِ ياشهدي؟ لاتخافين مني اتفقنا، ولكن دعينا نمارس الحب معاً، سأجعلكِ تحلقين بالسماء صدقيني"

بدأت تشتد ببكائها وهي تهز رأسها نافية بينما شعرت بأنه ليس بكامل وعيه من نبرته لتقول بصوتٍ خافت:

"ابتعد عني أرجوك"

أطلق ضحكة ومستهزئة ليقترب منها ويقوم بفك الحبال المقيدة بها مع ابتسامته الخبيثة ليقول:

"أريدكِ أن تقاوميني بكامل قوتكِ، أريد أن أسمع صرخاتكِ وتوسلاتكِ لي اتفقنا حبيبتي"

بدأت تهز رأسها بعنف وتبكي بهستيرية وهي تصرخ وتبكي، لم يرأف بحالها بل ظل يضحك عليها ليردف لها:

"أنتِ لي قوليها هيا حبيبتي، اسمعيني ستبقين معي طوال حياتكِ لن أدعكِ أبداً، ساجعلكِ لي ياشهد"

ظلت تبكي وتنتحب لتقول:

"أرجوك لا تفعل ذلك"

تحدثت من بين شهقاتها والرعب يدب بأوصالها ليبتسم بشر ويقول:

"لماذا يا حلوة، ألا تريدين أن تشعرين بشعور جميل؟ حسناً أنا موجود، أنتِ لي هل تسمعين أنتِ لي ولن تكوني لغيري"

صرخت بأعلى صوتها معلنة عن ضعفها وحرقة قلبها، ظلت تقاومه وتبعده عنها ولكنه كان يفوق قوتها بمرات واستطاع أن يتغلب عليها لينقض عليها كالوحش ويغتصبها بأبشع الطرق بينما هي تصرخ بحالة هستيرية وتناجيه طالبة الرحمة منه ولكنه كان مغيب عن عالمه فهو الآن مع التي ملكت قلبه ولكنه لا يستحق هذه البريئة، لم تستطع أن تفعل شيء كان متحكم بها تماماً، سلب لها عذريتها وأصبحت دمائها تسيل على الأرض من وحشيته وفعلته الشنيعة، لم يكتفي منها وشعر بأنه يريد المزيد منها ليعاود فعلته معها بأكثر عنف، فقدت الوعي من أول مرة فعلها معها ولكنه هو لم يكترث لحالها.

بينما كان بالخارج هناك ثلاثة شبان يسمعون صراخها ويستمتعون بصوتها غير مباليين باللذي يحدث لها، تنهد رأفت بغل واضح ليقول:

"والآن جاء دورنا يارفاق"

أجابه سعد:

"أجل ولكن كيف سنتخلص من سهيل ونفتح هذا الباب؟ إنه مقفل أيها الأحمق"

ابتسم رأفت بتهكم ليقول:

"أجل أعلم، سنكسر الباب وندخل ومن ناحية سهيل فهو سيفقد الوعي بعد قليل لإنه شرب حتى اكتفى"

ابتسموا ثلاثتهم بخبث وعزموا على تنفيذ مخططهم.

بينما سهيل بعد ما انتهى من فعلته مع شهد تنهد بقوة واستلقى بجانبها وهو يبتسم على فعلته، أخيراً فعلها معها وسلبها عذريتها وأصبحت ملكه، بدأ يضحك بشدة ومن دون سبب، استدار لوجه شهد التي كانت مغمضة عينيها وأنفاسها متقطعة وحالتها مزرية ووجهها شاحب وبارد كالثلج، تحسس وجهها بأنامله وابتسم ليقول:

"لقد فعلتها ياشهد، وأخيراً فعلتها، أنا سعيد بفعلتي هذه أتعلمين لماذا؟ لإنكِ أصبحتي ملكي الآن ياحبيبتي، أنا أحبكِ جداً"

لم يشعر بحركة لها ولم يسمع لها صوت، أغمض عينيه مستسلم لفقدان وعيه. بعد وقت طويل كان الشبان ينتظرون بالخارج حتى ينام سهيل أو بالأصح يفقد الوعي لإنهم يعلمون جيداً بأن سهيل عندما يشرب الخمر يفقد الوعي بعدها فما بالهم إذا كان يفعلها مع أحد الفتيات، حاول رأفت كسر الباب وهذا ماسبب لسهيل الاستيقاظ، كان بين اليقظة والمنامة، دخلوا إلى المخزن وأمسكوا بشهد وأبعدوها عن سهيل بينما هو كان يستيقظ شيئاً فشيئاً ليراهم وهم يقتربون منها ويتلمسون جسدها بشهوة، عقد حاجبيه بغضب بعد أن استعاد وعيه الكامل وهم لم يكونوا منتبهين لحاله ليصرخ بهم صوت جعلهم يجفلون ثلاثتهم ويدب الرعب بقلبهم، نهض سهيل من مكانه ليقترب منهم وينهال على رأفت بالضرب المبرح بينما سعد وطارق كانا يتابعان مايحدث بخوف لإنهما يعرفان سهيل عز المعرفة ولكن لا يستطيعان ترك صديقهما يُعتدى عليه بالضرب بهذا الشكل، اقترب سعد من سهيل ليبعده عنه ولكنه لم يستطيع لإن سهيل كان بحالة هستيرية، كيف تجرأ على لمسها هو وأصدقائه كيف؟ بينما طارق سحب مسدسه على سهيل ليبتعد سهيل عن رأفت وينظر إلى طارق بسخرية ليحدثه:

"ماذا تنتظر هيا أطلق النار"

تحدث طارق بحدة:

"نحن لا نريد أن نقتلك نريد هذه الفتاة فقط، لن تأخذها لك وحدك"

شعر سهيل بالغضب لإنهم يتحدثون عن حبيبته ويريدونها لهم، لن يسمح لهم بأخذها أو لمسها، تحدث سهيل بنبرة شر:

"صدقني إذا اقتربت منها سيكون هذا آخر شيء تفعله بحياتك، لن تقتربون منها إلا على جثتي"

حسناً لا مفر من سهيل سيقتلونه وبعدها سيحصلون عليها ولكن سهيل ليس هيناً، استغل فرصة أن طارق ينظر لسعد الذي يحذره ليسحب سهيل المسدس بحركة سريعة منه ويقوم بتوجيهه عليه وابتسامة شر وإصرار نمت على شفتيه ليقول بحدة:

"والآن أرني ما لديك"

ابتلع طارق ريقه بخوف كحال سعد ورأفت، حاولوا تهدأته كي لا يقوم بفعلته ولكنه لم يأبه لحالهم، هو يكاد يجن منهم لإنهم رأوها عارية وتحسسو جسدها الصغير، لم يأبه لهم ولم يستمع لحديثهم وتوسلاتهم المستمرة، أطلق رصاصة برأس طارق ليقع أرضاً على الفور تحت نظرات سعد ورأفت المصدومة، شعرا بالرعب منه وحاولا الهروب ولكنه كان يقف أمام الباب وأي حركة منهما لن يستطيعان فعل التي تليها لإنهما سيكونان في عداد الموتى، ظل سهيل ينظر لهم وهو يضحك بصخب كالمجنون وهو يقول:

"ها قد قتلت صديقكما والآن جاء دوركما يا أنذال، سأجعلكما تندمان على لمس جسدها الذي يعتبر ملكي، لن أرحمكما، شهد لي هيا قولها شهد لي"

دب الرعب بأوصالهما من جملته ليقولان هما الاثنان بصوتٍ واحد ومرتجف:

"شهد لك"

ضحك مرة أخرى ليقول:

"أحسنتما والآن وداعاً"

جحظت عيناهما بخوف ليطلق النار على رأفت بجهة قلبه ولم يتبقى سوى سعد الذي بدأ بالبكاء والتوسلات لسهيل ولكنه لم يكترث ليطلق النار عليه أيضاً برأسه، ابتسم بتشفي لتنقلب الابتسامة إلى ضحكة عالية وصاخبة، رمى المسدس من يده ليتجه إلى شهد التي مازالت إلى الآن فاقدة للوعي، نظر لها وهو عاقد حاجبيه ليرى دمائها على الأرض، دماء عذريتها ومن بعدها أصبح نزيف قوي، جحظت عيناه وهو ينظر إلى الدماء التي تغطي أرجاء المكان على الأرض، دماء حبيبته ودماء أصدقائه، وضع يديه على رأسه وهو يصرخ ويتحدث يتقطع بـ:

"يا إلهي ماذا فعلت؟ لقد لقد قتلتهم، شهد حبيبتي شهد هيا انهضي شهد حبيبتي اسمعيني أريد الزواج منكِ هيا استيقظي انهضي اللعنة عليكِ انهضي"

ظل يصرخ بها ولكن لا إجابة منها أبداً، هبطت دموعه على وجنته، يبكي بألم، يبكي بندم على مافعله بها وبأصدقائه، لم يرى أمامه عندما رآهم يقتربون منها، منعهم بأخر لحظة، تمنى لو أنه قابل شهد بشخصية أفضل من شخصيته التي يبغضها الجميع، هو يحبها بل يعشقها ويريدها له، يريد أن يعيش معها حياة هنيئة ويبثها كل أنواع الغزل والحب ولكن ليس بهذه الطريقة، شعر بحركة خارج المخزن ليجفل من بكائه بخوف، هو لا يريد أن يبتعد عن شهد ولا يريد أن يحدث له شيء، نهض من مكانه ليرى مايحدث بالخارج وإذ به يرى مجموعة من العساكر يحاوطون المكان، جفل وشعر بالخوف ليبتعد ببطئ ويتوجه إلى الباب الذي من الجهة الأخري ويفتحه بصعوبة مما سبب صوت قوي، دخلوا عناصر الأمن إلى المخزن لينتبهوا لسهيل الذي يفتح الباب الآخر

ويهرب ليتقدموا جميعهم ويحاولون إيقافه بضرب الرصاص ولكنه فر هاربا منهم واستقل سيارة تخص صديقه رأفت.

دخل يوسف إلى المخزن بعدهم ليرى مافعله سهيل والدماء التي تغطي أرضية المكان ليتقدم منه أحد العناصر ويقول:

"سيدي لقد فرّ هارباً"

صرخ يوسف به:

"أغبياء، كيف يهرب منكم"

أجاب العسكري بتوتر:

"سيدي يبدو أنه شعر بمجيئنا وهرب فوراً، لم نستطيع اللحاق به"

تحدث يوسف بغضب:

"عشرون رجل لم يقدروا على رجل واحد؟ أيها الحمقى"

صرخ بآخر جملته ليبتلع العسكري ريقه ويبتعد عنه، بينما يوسف حاول تهدأة نفسه لينتبه لسيارة الإسعاف التي حضرت ليقومون بحمل الشبان الذين فارقوا الحياة منذ أن اخترقت الرصاصات أجسادهم، جال يوسف بنظره لتقع عيناه على شهد التي كانت عارية تماماً والعساكر يقومون بتغطية جسدها لينقلونها إلى المستشفى لإنها مازالت على قيد الحياة، علم بأنها هي الفتاة التي يبحثان عنها والداها، صدم مما رآه وتملك الحزن قلبه على هذه الفتاة المسكينة وهو يتذكر حال والدتها التي كانت مفطورة من البكاء على فقدان ابنتها.

:Flash back

بعد غياب شهد كانت هدى والدة شهد تقطع غرفة الصالة ذهاباً وإياباً من قلقها عليها وتأخرها الكبير، هي تعلم بأنها ذهبت إلى سمية ولكنها اتصلت بسمية التي كانت حالتها صعبة جداً لتقول لها بأنها لم تراها أبداً وهذا ما زاد من قلقها وخوفها على وحيدتها الصغيرة، علم والدها باختفائها ليهرعا سريعاً إلى الفرع، دخلا الأم والأب إلى مكتب يوسف في منتصف الليل ليعقد يوسف حاجبيه باستغراب ويعلم ماقصتهما وقد رأى والدة شهد تبكي بشدة ليحدثهما:

"تفضلا كيف أستطيع مساعدتكما"

تحدث والد شهد بقلق وخوف:

"أرجوك حضرة الضابط أرجوك ابنتي مفقودة، منذ عدة ساعات خرجت من المنزل ولا نعلم أين هي، جدها لنا أتوسل إليك هي ابنتي وحيدتي"

كعادته يوسف لا يتهاون مع أحد ولا يعطي مجال لنفسه بأن يتعاطف مع أحد هكذا تعلم في السابق، ولكن نبرة ذلك الرجل وخوفه على ابنته وبكاء والدة الفتاة جعله يتقطع قلبه على حالهما، تنهد بعمق ليقول مهدئاً:

"حسناً ياعم اهدأ قليلاً، اهدأي ياخالتي، سنجد لكِ ابنتكِ ولكن هي إلى أين كانت ذاهبة"

تحدثت هدى ببكاء:

"كانت ذاهبة إلى والدة صديقتها"

هز رأسه ليقول:

"حسناً ولكننا لا نستطيع أن نجدها الآن ليمر على اختفائها أربعة وعشرون ساعة اعذراني"

ازداد بكاء والدة شهد وخوف والدها، نظر لهما يوسف بشفقة وحزن، هو لا يعلم لما يتعاطف معهما هكذا، تنهد بقوة ليردف لهما:

"حسناً اهدئا قليلاً، هل ابنتكما لديها هاتف محمول"

حرك والدها رأسه موافقاً ليعطيه يوسف ورقة وقلم ليقول:

"سجله هنا"

سجل والدها الرقم على الفور وأعطاه ليوسف ونادى يوسف على العسكري ليأتيه على الفور ويحدثه يوسف ببرود:

"خذ وتتبع هذا الرقم وجد لي موقعه"

هز رأسه العسكري موافقاً وألقى التحية وخرج، ليتنهد يوسف وينظر إلى الوالدان اللذان كانا يكادان يموتان من شدة قلقهما على ابنتهما، حاول يوسف أن يكسر جو التوتر ليقول:

"ما اسمها ابنتكما"

تحدثت هدى ببكاء:

"شهد عبد الله"

ابتسم يوسف لتختفي ابتسامته بالتدريج ويعقد حاجبيه باستغراب، لقد سمع هذا الاسم من قبل ولكن لا يذكر أين، هز رأسه موافقاً ليحدثهما بكلمات تطمئنهما، بعد وقت ليس بقصير دخل العسكري على يوسف وحدثه:

"سيدي لقد حددت المكان يوجد بمنطقة شبه خالية، هذا العنوان"

أخد العنوان من العسكري ونظر له عاقد الحاجبين ليأمره:

"جهز دورية كبيرة هيا"

ألقى العسكري التحية وخرج ليطيع الأوامر بينما والد شهد تحدث بتوتر:

"هل هل وجدتم ابنتي"

نظر يوسف إلى الرجل بحزن وهو يدعي بأن لا يكون الذي في باله صحيح ليهز رأسه ويطمئنه قائلاً:

"أجل سنجلبها لك، يجب عليكما أن تنتظرانا هنا"

هز رأسه موافقاً لينهض يوسف بسرعة كبيرة متوجه إلى ذلك المكان، حمد ربه بأنهم استطاعوا أن يجدوا مكانها عبر تحديد الموقع كون شهد كانت تفعل هذه الخدمة وكون سهيل لم يأبه لحال هاتفها الذي كان يرن طوال الوقت مستمتع بقلق والديها عليها، وصلوا إلى وجهتهم لتنتشر العساكر بجميع المكان ويحدث ما حدث.

.End flash back

تنهد يوسف بحزن ولا يعلم كيف يخبر والديها باللذي حدث بها، أدمعت عيناه وتذكر أخته فوراً وحمد ربه بأنها لم تتعرض إلى أي أذى، عاد إلى الفرع ليرى حال والديها ويحاول البحث عن سهيل لإنه سيجعله يندم على فعلته تلك وسيتابع قضية شهد التي لا يعلم إن كان لها حل.

في منزل آسر

ما إن سمعت آسيل صوته حتى تعجبت لإنها سمعت صوته من قبل، رفعت نظرها إليه لتتصدم من رؤيته، لقد تذكرته فوراً، بينما هو كان ينظر لها بنظرة لم تفهمها، حاولت أن تجمع الكلام ولكنها لم تستطع، عاودت البكاء بطفولية ليعقد حاجبيه باستغراب ويقول بجمود:

"ما بكِ لماذا تبكين؟ وما تهمتكِ ها"

زاد بكائها ونحيبها، ظنت بأنه سيقوم بسجنها أو يدبر لها تهمة، لا تعلم بأنه وقع لها منذ أول لقاء بينهما، تعجب من حالها ليقول لها:

"حسناً اهدئي واجلسي وحدثيني بكل شيء، لماذا ألقوا القبض عليكِ"

تحدثت من بين شهقاتها:

"سيدي أنا لم أفعل شيء أرجوك لا تقم بسجني"

ابتسم بسخرية ليقول:

"حسناً لن أسجنكِ ولكن حدثيني بكل شيء، من أين أتيتي؟ وإلى أين كنتي ذاهبة؟ حدثيني بكل شيء عنكِ"

شهقت بقوة وبدأت بالنحيب بينما آسر كان سينهض ويلكمها من شدة جمالها وهي تبكي بطفولية ولكنه تمالك أعصابه ليقول ببرود:

"ألن تكفي عن البكاء بعد، اهدئي قليلاً وتحدثي"

حاولت أن تهدأ من روعها وتحاول عدم البكاء ولكن لم تستطيع، تنهد آسر وبدأ يغضب ليحدثها ببرود وقليل من الحدة:

"آسيل لقد تسببتب لي بالصداع من بكائكِ، كفي عن البكاء أريد أن أعرف كل شيء عنكِ"

شعرت بحدة صوته لتجفل وتهدأ نفسها شيئاً فشيئاً، توقفت عن البكاء قليلاً لتتحدث بتقطع:

"أنا هربت من زوجي"

صدم من جملتها وتحطمت آماله وتملكه الغضب ليتحدث بجمود:

"لماذا؟ أريدكِ أن تحدثيني بكل شيء من البداية"

أخذت نفس عميق وحكت له كل شيء بالكامل، حدثته عن زوجها وخالتها وأبيها ووالدة زوجها ولم تنقص حرفاً واحداً، أنهت حديثها وعاودت البكاء، كان يستمع لها باهتمام وتنصت، آلمه قلبه من العذاب الذي رأته ولكن هو لن يصدقها فوراً، سيعلم كل شيء عنها من مصادره الخاصة وبأسرع وقت، تنهد بقوة ليقول:

"حسناً يا أنسة آسيل لا تقلقي، ولكن لدي سؤال لماذا هربتي من الدورية"

تحدثت ببكاء:

"خفت من أن يرجعوني إلى زوجي السابق ويقتلني أو تبعثني والدة زوجي إلى المكان الذي قالت لي عنه"

حسناً آسيل لم تخبر آسر بطلاقها وما إن سمع بكلمة زوجها السابق حتى ضيق عيناه وقال:

"هل قلتي زوجكِ السابق؟ كيف ذلك"

تحدثت آسيل:

"أجل لقد وقعت على ورقة طلاقي، والدة زوجي هي من طلبت مني ذلك وجعلته يوقع على الورقة من دون علمه وبعثت بالأوراق إلى المحكمة"

تهللت أسارير آسر وابتسم ابتسامة صغيرة ليعود إلى بروده ويقول:

"ممم حسناً وماذا عن والداكِ"

تحدثت ببكاء:

"لا أستطيع أن أذهب إليهما لأن والدة زوجي وخالتي بعثت بصوري إليهما"

عقد حاجبيه باستغراب ليقول:

"صور ماذا"

اشتد بكائها لتقول:

" لقد صورتني عندما كان ذلك الرجل في غرفتي"

احتدت ملامحه ليأمر الحراس أن يجلبو لها العشاء ليأتوها على الفور بالعشاء، تحدث آسر بجمود:

"كلي"

تنحنحت آسيل وتحدثت بحرج:

"لست جائعة سيدي"

ابتسم على جملتها ليقول بجمود:

"كلي"

ابتعلت ريقها لتقول:

"شكراً ولكنني لست جائعة"

صرخ بها ليقول:

"كلي"

جفلت من صوته وعادت للبكاء ما إن سمعت صراخه ليلعن نفسه مئات المرات لإنه صرخ بها ويقول:

"حسناً حسناً اهدئي فقط كلي هيا"

نظرت له وابتلعت ريقها وتوقفت عن البكاء وبدأت بالاكل، كانت تأكل وهي محرجة منه لإنه كان يتفرسها بنظراته ويتفحصها من رأسها إلى أخمص قدميها، ينظر إلى كل شيء بها ويبتسم على طريقة أكلها، لم يعلم أيبقيها عنده أم لا! ولكنها هاربة من الجميع كيف سيتدبر أمرها؟ حسم أمره وقرر أن يبقيها عنده وهذه كانت

فرصة لا تعوض لإنها لصالحه، ابتسم بسره ونظر لها وكانت تنظر له لتشيح بوجهها فوراً لتتسع ابتسامته عندها، تنهد بقوة ليسمع صوتها الناعم وهي تقول:

"شكراً لك سيدي لقد شبعت"

هز رأسه موافقاً دون أن يتحدث لتعتدل بجلستها وتسمع صوته يقول:

"ستقيمين هنا يا آسيل إلى أن أعلم كل شيء عن والداكِ"

نظرت له بصدمة لتتحدث بتوتر:

"لا شكراً سيدي أستطيع أن أتدبر أمري سأذهب"

تحدث بجمود وشي من الحدة ليقول:

"لا أنتِ محتجزة هنا إلى أن أقرر أنا بذهابكِ"

ابتلعت ريقها ونظرت له نظرة جرو بينما هو ابتسم ابتسامة لم تصل لوجهه ليقول:

"بالمناسبة ما سر هذه الكدمات التي على وجهكِ"

رجت شفتها معلنة البكاء لتقول بصوت خافت أشبه للبكاء:

"ضربات زوجي"

احتدت ملامحه وهمهم لها ليقول:

"سأبعث معكِ الخادمة لتوصلكِ إلى غرفتكِ"

صدح صوته لينده على الخادمة وتأتيه على الفور ويأمرها بأخذ آسيل إلى غرفتها، بينما هي نظرت له بامتنان، وبادلها النظرة ليقول:

"هيا اذهبي"

تحدثت آسيل:

"لا أعلم ما الذي أقوله لك سيدي ولكنك غمرتني بلطفك وكرمك أنا أشكرك حقاً"

تحدثت بتلعثم وهمس خافت رأسها ليبتسم ابتسامة صغيرة ويخفيها فوراً ويحدثها ببرود:

"حسناً يا أسيل بإمكانكِ الذهاب الآن لكي تستريحي"

ابتسمت ابتسامة صغيرة ليسرح هو بهذه الابتسامة وتذهب هي برفقة الخادمة، ظل يحدق بفراغ مكانها وعلى محياه ابتسامة صغيرة، تنهد بقوة وصدح صوته ليأتيه الحارس فوراً ويحدثه آسر بجمود:

"أريدك أن تجلب لي جميع المعلومات التي تخص آسيل العمري، كل شيء هل تسمعني"

هز رأسه الحارس موافقاً ليذهب ويجلب له جميع المعلومات، بينما آسر ظل يحدق بالفراغ وقلبه وعقله يتصارعان في شيء ما وهو يشعر بالضياع من ذلك، لا يعلم مايفعله ولكن الآن أصبحت معه ولن يفرط بها مهما كلفه الأمر.

" رأيتُ فيك كُل ما أُريد

كُل ما أحتاج كُل ما أُحب

وأحياناً مالا أُطيق

. وهكذا أحببتكَ ! "

تركض تلك المرأة بأرجاء المستشفى كالمجنونة بحثاً عن ابنتها الوحيدة وهي تتحسر عليها، لم تصدق عندما أخبرها الضابط بأن ابنتها قد تعرضت للأغتصاب، ما إن سمعت هذا الكلام حتى بدأت بالصراخ والبكاء بينما زوجها جلس على الكرسي وسقطت دموعه معلنة عن حرقة قلبه على وحيدته، لم تنتظر زوجها ذهبت فوراً إلى المستشفى لترى ابنتها، بدأت تصرخ بالأطباء وتمسك بكل أحد تجده أمامها وتسأله عن ابنتها كالمجنونة، وصلت إلى آخر الممر وسألت عن ابنتها ليقولون لها بأنهم يفعلون لها الإجراءات اللازمة ويقومون بمعالجتها، انتحبت بشدة وبدأت بالبكاء ليأتيها زوجها على الفور، لم يصدق بأن ابنته تعرضت للاغتصاب، أراد أن يشرب من دمه ليروي عطش قلبه المفطور، هبطت دموعه على وجنته من دون سابق إنذار ليرى الضابط متوجه لهما وبرفقته اثنان من العساكر، وقف يوسف أمامهما وهو يرى هذان الأبوان كيف هي حالتهما من أجل ابنتهما الوحيدة، خرج الطبيب من الغرفة التي بها شهد وما إن رأوه حتى نهضا بسرعة باتجاه الطبيب، بينما يوسف تحدث مع الطبيب بقلق ليقول:

"كيف حالها أيها الطبيب"

تنهد الطبيب ليقول:

"لقد تعرضت للأغتصاب بأبشع الطرق وليس مرة واحدة، بصراحة وضعها حرج جداً ولكن لا تقلقوا لا يوجد خطر على حياتها، لقد نزفت كثيراً ولكن استطعنا إيقاف النزيف، ستستيقظ على الأغلب غداً ولكن عليكم أن تحرصوا على سلامتها لإنها ستتعرض لصدمة شديدة وحالة نفسية سيئة"

أنهى الطبيب جملته ورحل من أمامهم، انتحبت الأم بشدة بينما والدها ظل صامت عاجز مكسور الخاطر، يرى وردة عمره ذابلة ولا يستطيع أن يحرك ساكناً، تنهد يوسف بعمق ليقول مهدئاً:

"ستتحسن حالتها ان شاء الله"

تحدث سليم بجمود:

"أريد أن أرى ذلك السافل"

تنهد يوسف ليقول:

"نحن لم نستطيع أن نقبض عليه يا عم، لقد هرب بآخر لحظة ولكننا نبحث عنه وصدقني سنجده، نحن نبحث عنه منذ زمن لا تقلق سنجده وسينال عقابه"

ظلت هدى تبكي وتنتحب بينما سليم هز رأسه باستسلام وحزن ليردف يوسف:

"علي الرحيل الآن ولكن سأعود غداً إن شاء الله كي أرى شهد"

حرك سليم رأسه بايجاب وجمود ليرحل يوسف تاركاً وراءه والدان انفطرت قلوبهما من شدة حزنهما على وحيدتهما.

جالس في غرفة مكتبه يكاد يبكي من فقدانه لابنته، لا يعلم أين هي، بحث عنها كثيراً بمساعدة مصادره الخاصة ولكن لم يرى لها أثر، يكاد يجن يريد أن يراها فقط، يحتضنها ويضمها إلى صدره، هو نادم على تركه لزوجته وابنته، نادم من خوفه على نفسه عندما هددوه بالابتعاد عن زوجته، لم يكن بوسعه فعل شيء سوى الصمت والاستسلام، ولكن ليس بعد الآن، لن يستسلم وسيجد ابنته ويعيد زوجته إليه، وصله خبر طلاقها وابتعاد زوجها

عنها ولكن لا يعلم ما السبب وفرح جداً، ولكن بنظره لا يوجد للفرح مكان بما أن ابنته مفقودة وزوجته بعيدة عنه، سيفعل كل شيء لأجلهما وسيعيدهما إلى حضنه ولن يتخلى عنهما أبداً.

تنهد بحزن وتعب من كثرة التفكير، سمع صوت جرس الباب يدق كثيراً تعجب من أنه لا أحد يفتح الباب، ظل الجرس يرن إلى أن نهض هو ليفتح الباب، تعجب عندما لم يرى أحداً أمام الباب، التفت يمين ويسار ولم يجد أحد، وجه نظره إلى الأرض ليرى ظرف بحجم الكف، حمله وعقد حاجبيه باستغراب، فتحه ورأى عدة صور لابنته وهي بأحضان الرجل، أحلام هي من تولت أمر الصور وعدلتها بطريقتها، وجد صور ابنته بعدة وضعيات، جحظت عيناه وبدأ قلبه يطرق بعنف، ابتلع ريقه وعاود النظر للصور التي بين يديه، لم يصدق أن ابنته هي التي بالصور، هو يعرف ابنته جيداً ليست من هذا النوع الرخيص، لم يصدق هذه الصور، مزقها فوراً ولم يستطيع أن يرى بقية الصور، تنهد بحنق وقلق، ما الذي يحدث معها الآن؟ ماذا تفعل؟ ماذا تأكل؟ كيف تعيش؟ كل هذه الأسئلة كانت تدور في عقله، انتشله من شروده رنين هاتفه ليرى المتصل أخته هدى، أجاب فوراً:

"كيف حالكِ أختي"

وصله صوتها الباكي ليعقد حاجبيه ويردف:

"ما بكِ أختي؟ لماذا تبكين؟ هل كل شيء على ما يرام"

شهقت بقوة وبدأت تنتحب لتتحدث بتقطع:

"ابنتي شهد"

اعتصر قلبه ليقول:

"ما بها شهد أختي تحدثي"

تحدثت ببكاء:

"لقد أُغتصبت"

أنهت كلمتها وبدأت تنتحب لينصدم من حديثها ويقول:

"ما الذي تقولينه أنتِ هدى"

لم تجب بل ظلت تبكي ليقول لها:

"أين أنتم الآن"

تحدثت ببكاء:

"في المستشفى"

أخذ منها عنوان المستشفى ليسرع ويرتدي ملابسه ويذهب إليها بسرعة البرق.

في صباح اليوم التالي

استيقظت آسيل على أشعة الشمس، تململت بفراشها لتفتح نصف عينيها بسبب أشعة الشمس، ظلت مدة على فراشها تراجع أحداث أمس، نهضت من فراشها ونظرت إلى الساعة لتراها قاربت على الواحدة ظهراً، تعجبت من أنها نامت كل هذا الوقت، اتجهت إلى الحمام الخاص بغرفتها التي تقنط بها لتأخذ حمام سريع، انتهت من حمامها لتلف المنشفة على جسدها الرشيق وتخرج لترى الخادمة أمامها وعلى محياها ابتسامة صغيرة، تحدثت الخادمة بابتسامة:

"صباح الخير آنستي"

ابتسمت آسيل بوجهها لتقول:

"بل مساء الخير، حسناً صباح النور"

ضحكت الخادمة ضحكة صغيرة لتقول:

"دخلت عليكِ منذ قليل ورأيتكِ مازلتي نائمة مؤكد بأنكِ متعبة"

تنهدت آسيل بتعب وهزت رأسها موافقة لتعقد حاجبيها وقد تذكرت شيئاً ما، عقدت حاجبيها الخادمة لتقول:

"هل يوجد مشكلة آنستي"

تحدثت آسيل بوجه حزين لتقول:

"لا يوجد لدي ملابس لقد نسيت الأمر"

ابتسمت الخادمة لتقول:

"لقد جلبت لكِ ثياب آنستي هذه الخزانة مليئة بالثياب، السيد آسر هو من جلبها لكِ، بالمناسبة أنا أدعى هبة وأنا سأكون الخادمة الخاصة بكِ"

ابتسمت آسيل في سرها لتقول:

"تشرفنا ياهبة أنا آسيل وأُفضّل بأن تكوني صديقتي لا خادمتي"

ابتسمت هبة ابتسامة واسعة لتقول:

"أتشرف بذلك شكراً لكِ، السيد آسر ينتظركِ في الأسفل"

ابتلعت آسيل ريقها لتقول:

"حسناً سأرتدي ثيابي وأنزل"

هزت هبة رأسها موافقة وخرجت من الغرفة، ارتدت آسيل ثيابها وخرجت ليبدأ قلبها يطرق بسرعة، كانت خائفة من أن تراه ولا تعلم لماذا، أخذت نفس عميق ونزلت للأسفل، لتجده يجلس في الصالة الكبيرة، اقتربت بخطوات مترددة بينما هو كان يتابع حركتها من أول ما رآها ليبتسم ابتسامة صغيرة ويقول:

"ما بكِ لماذا تقفين بمكانكِ؟ تفضلي"

ما إن سمعت صوته الرجولي حتى زادت طرقات قلبها لتقترب بتردد وتجلس بحرج، ظلت صامتة ومنزلة برأسها للأسفل ولم تتحدث، كاد آسر أن يأكلها بنظراته وقد انتبهت لهذا الشيء، حمحم قليلاً ليقول:

"أتمنى أن تكوني شعرتي بالراحة بالنوم يا آسيل"

ابتلعت ريقها ورفعت نظرها إليه بتردد لتتقابل عسليتها بعسليته وتقول بصوتٍ خافت:

"مم شكراً أجل ارتحت"

همهم ليقول:

"حسناً الا تريدين أن تأكلين"

نظرت له بطرف عينها ولم تتحدث ليبتسم ابتسامة جانبية ويردف:

"حسناً الأكل جاهز بإمكانكِ الذهاب لتأكلي وعودي إلى هنا عندما تنتهين"

حركت رأسها موافقة ونهضت لتأكل طعامها وتعود إليه بعد وقتٍ قصير، جلست بحرج لتقول:

"لقد انتهيت"

حرك رأسه ولكنه لم يتحدث بل ظل ينظر لها بنظرات متفحصة، حمحم ليقول:

"هل أحببتي زوجكِ آسيل"

نظرت له بتفاجؤ على سؤاله لتبتلع ريقها وتقول:

"لا أعلم ما الذي أقوله لك، ولكن هو كان جيداً معي وعاملني بالإحسان واحترم رغباتي ولكن لم أحبه بل أحببت هدوءه ومعاملته معي فقط ذلك"

همهم بتفهم ليقول:

"ماذا تقصدين برغباتكِ"

حمحمت بتوتر ولم تجب ليفهم آسر شيء ويتحدث بجرأة:

"هل مازلتي عذراء"

نظرت له بعيون جاحظة وتوردت وجنتيها وبدأت شفتها ترتجف من سؤاله الجريء وبعدها أنزلت بنظرها ولم تتحدث، ظل آسر ينظر لها وإلى وجنتيها المتوردة ليعض على شفته وتزداد احمرار، لم ينتبه لنفسه وهو سارح بها ليحمحم بتوتر ويعيد سؤاله التي كادت تنفجر من الخجل لتهز برأسها موافقة دون أن تنطق بحرف ليبتسم ابتسامة واسعة ويقول بصوتٍ خافت:

"حسناً هذا جيد"

رفعت نظرها إليه لتعقد حاجبيها بعدم فهم وتهز رأسها بمعنى ماذا ليقول ببرود:

"لا شيء، حسناً آسيل إذا أحببتي بإمكانكِ أن تتجولي بالمنزل وتكتشفين الأماكن"

هزت رأسها موافقة لتنهض متوجهة إلى الحديقة الخارجية تحت نظرات الحراس المتعجبة من وجودها بالمنزل، بينما آسر ظل سارح بها وبشكلها وعلى وجهه ابتسامة صغيرة، انتشله من شروده دخول الحارس ليلقي التحية على سيده ويقول:

"سيدي لقد جلبت المعلومات الكاملة لآسيل العمري"

" لإنكِ اعترضتِ دربي

وصوبتِ حسنكِ على قلبي

فصارَ المدى أنتِ

والصدى أنتِ

صرتُ أراكِ بكل العيون

وأسمعُكِ بكل الأصوات

وأشمُّكِ بكل الزهور

استسلمتُ، وأحببتكِ "

مستلقية على سريرها، مغمضة العينين، شاحبة الوجه، شفتاها تحولت للون الأزرق بعد أن كانت وردية، كل من يراها يظنها ميتة، تجلس والدتها أمامها ولم تجف لها دمعة، تتحسر على وردتها الذابلة، بينما والدها يقف بقوامه جامد بارد وجهه لا يدل على أية مشاعر، كان هشام وسمية موجودان أيضاً وحالهما لا يختلف عن حال هدى وسليم، لإن ابنتهما الوحيدة أيضاً مفقودة ولا يعرفان شيئاً عنها، عم الحزن عليهم جميعاً من دون سابق إنذار، كان هشام يخطف نظرات إلى سمية التي تجلس وتبكي بصمت، تمنى لو أن يحتضنها ويطبطب عليها، نفض تلك الأفكار من رأسه فوراً لإنه لا وقت الآن لعشقه ونظراته، بينما شهد كانت تفتح عينيها شيئاً فشيئاً لتستقبل عينيها الضوء وترى كل من أمامها مستقبلة واقعها المؤلم بتفاجئ، تململت قليلاً لتحاول استيعاب ما يحدث حولها، تجمعت الأحداث بعقلها التي حدثت معها وتذكرت كل شي لتهبط دموعها وتجحظ عيناها وتبدأ بالصراخ والبكاء، بينما الجميع انتفضوا فور سماع صراخها ليهرعوا إليها ويحاولون تهدأتها، ظلت شهد تصرخ وتبكي وتتحدث بكلمات غير مفهومة بينما الجميع يحاول تهدأتها وهي لا تكف أبداً، ظلت تبكي وتصرخ وتنتحب وتضرب على السرير بقبضتها الصغيرة، ليجفل كل من في المستشفى ويهرعو إليها الأطباء، دخل الجميع إليها أطباء وممرضات، ليأتي الطبيب على الفور ويعطيها إبرة مهدئة بصعوبة بالغة كي تعود للنوم تحت صراخها ومقاومتها الشديدة له ولكن هشام وسليم أمسكاها وهذا ما سهل عليه إعطائها للإبرة المهدئة لتعود إلى أحلامها الوردية تاركة واقعها المؤلم والمخيف لهم، لتنعم بالنوم والهدوء مرة أخرى، احتدت ملامح سليم وزاد حقده على

الذي تسبب بانهيار شهد وفقدانها لعذريتها بينما هدى احتد بكائها ونحيبها على ابنتها لتقوم سمية بتهدأتها شيئاً فشيئاً، ظل هشام واقفاً بجمود ليتنهد بحزن، والآن ابتناه الاثنتان تقعان في ورطة، دخل يوسف عليهم بقوامه الصلب ليلقي التحية عليم وينظر إلى شهد مطولاً ليتحدث بجمود:

"كيف حالها الآن؟ ألم تستيقظ بعد"

رد هشام بهدوء:

"استيقظت وبدأت بالصراخ والبكاء وجاء الطبيب وأعطاها إبرة مهدئة لتعود للنوم"

تنهد بحزن ليوجه حديثه إلى سليم ويقول:

"أعلم بأنه ليس الوقت المناسب ياعم ولكن أريد أن آخذ أقوال شهد"

ابتسم سليم ابتسامة ألم ليقول:

"لن تستطيع أن تأخذ من شهد لا حق ولا باطل وهي بهذه الحالة"

تنهد يوسف بقوة وعقد حاجبية ليقول:

"حسناً ياعم لا بأس، أعدك بأننا سنجده عما قريب، وشهد ستتحسن تفائل بالخير"

حرك سليم رأسه بحزن واستسلام ليستأذن يوسف ويتوجه إلى الخارج ويمسك هاتفه ليتصل بآسر ويجيبه آسر ببرود:

"ماذا تريد"

أجاب يوسف بغضب:

"أيها اللعين أين أنت، انقلبت الدنيا بغيابك واتصلت بك أكثر من مرة وأنت هاتفك مغلق والآن تجيبني بكل برود ها"

قلب آسر عينيه ليقول ببرود:

"ماذا حدث هل تحررت القدس أم ماذا قل ما لديك"

احتدت لهجة يوسف ليقول بصوت عالٍ:

"لعين، سافل، بارد، لقد تعرضت فتاة للإغتصاب من قبل سهيل رافع"

نهض آسر من مكانه بسرعة ليقول باهتمام:

"ماذا؟ كيف حدث ذلك"

تنهد يوسف بحدة ليقول:

"أتذكر تلك الفتاتان عندما جاءتا إلى القسم وقدمتا شكوى ضده"

جحظت عينان آسر وانقبض قلبه وتذكر آسيل ليقول:

"أجل مابهما"

أجاب يوسف:

"لقد تعرضت للأغتصاب واحدة منهما، اسمها شهد وهي الآن موجودة في المستشفى، اغتصبها بوحشية هذا اللعين"

تشتت تفكير آسر وجال بنظره بأرجاء المكان ليقول:

"أنا سآتي فوراً"

تحدث يوسف:

"حسناً وأنا سأكون بالفرع بعد ربع ساعة"

أنهى آسر اتصاله ليضع يده على جبينه تعبيراً عن قلقه وخوفه على آسيل عندما تعلم بصديقة عمرها ما الذي حدث معها، اتجه آسر وبدل ملابسه ليخرج فوراً متجهاً إلى الفرع وهو يفكر بحال آسيل وكيف سيخبرها بحال صديقتها، تنهد بغضب وضرب على مقود السيارة وقرر بأنه لن يحدثها بشيء في الوقت الحالي إلى أن تتحسن حالة شهد مبدئياً.

في مكان ما في باريس

يقف بملامح جدية، كمامة على فمه، يلبس الصدرية الخضراء، وبجانبه أدواته، ويقفون حوله باستعداد لإتمام عملية قلب مفتوح، تنهد بقوة ليبدأ عمله وبجانبه تلك الممرضة التي تناوله الأدوات اللازمة لإتمام العملية، أصبح العرق يتصبب منه بعد وقت طويل كون جهاز القلب قد بدأ يعطي خط مستقيم ويصفر، لم يفشل بحياته بأية عملية كانت، دائماً كان الطبيب المجدّ والناجح، تنهد بقوة وأصبح قلبه يطرق طرقات متزايدة وكأنه يعطي المريض من دقات قلبه السريعة المتزايدة، أصابه التوتر، أغمض عيناه بقوة ليعيد تركيزه المشتت ويعاود المتابعة بعمليته التي أصبحت خطيرة، شغل صدمات الكهرباء ليلصقها بجسد المريض، الضربة الأولى والثانية والثالثة إلى أن عاد نبضه إلى طبيعته، تنهد بقوة وعاود عمله ليكمل عمليته وتتم بنجاح، خرج من غرفة العمليات والدماء تملئ قميصه الأخضر، توجه إلى مكتبه ومن بعدها إلى حمام مكتبه ليغسل يديه ويلبس مريولته البيضاء ويجلس على كرسيه بتعب واضح، دخل إليه أحد الشبان والذي لا يعتبر مكانه بالمستشفى ليطل أمامه مبتسماً ليبادله الابتسامة باسل ويأتي ليث ويجلس أمامه ضاحكاً ويقول:

"ماذا أيها الطبيب؟ كيف كانت العملية"

تنهد بتعب ليقول:

"لقد فشلت"

جحظت عيناه ليقول:

"مستحيل، أنت لم تفشل في حياتك بأية عملية، ماذا أصابك"

ابتسم باسل ابتسامة صغيرة ليقول:

"معك حق"

تنهد ليث بارتياح ليقول:

"لقد أخفتني يارجل، إذاً كيف حال والدتك ورنيم"

أجاب باسل:

"بخير، ألن تأتي إلينا اليوم على الغداء أيها الأحمق"

ابتسم ليث ليقول:

"بلى بالطبع سآتي"

همهم باسل ليقول:

"جيد"

حرك ليث رأسه ليقول:

"ألم تتحدث مع آسر ويوسف"

تحدث باسل بجدية:

"اتصلت بهما عدة مرات ولا أحد منهما يجيب"

عقد ليث حاجبيه باستغراب ليقول:

"لماذا؟ هل حدث معهما شيء"

أجابه باسل:

"لا أعلم شيء عنهما"

همهم بتفهم ليقول:

"وماذا عن ماريا"

نظر باسل إلى ليث نظرة قوية ليقول:

"دعك من هذا الحديث"

صمت ليث ولم يرغب أن يضغط على باسل أكثر من ذلك لإنه يعلم مدى عشقه لها ومدى وجعه منها، ويعلم أيضاً بكل شيء عن ماريا كون ليث مخزن أسراره لباسل.

ليث هو الشاب الرابع للشلة وهو شاب طويل القامة بعيون زرقاء وشعر أشقر وجسد رياضي وكل الفتيات تتهافتن عليه، يحب أن يصادق الفتيات كثيراً وكان متعدد العلاقات كثيراً كحال يوسف وكان يتعاطى المخدرات وظل سنة ونصف يتعالج من مرضه وتعافى بشكلٍ كامل وترك كل شيء من وقتها لإنه متيم بفتاة ويحبها بجنون لدرجة أنه أصبح يتعاطى بسببها لإنها رفضته كونها تعلم بعلاقاته المتعددة لذلك رفضته وهي رنيم أخت باسل، وباسل يعلم بكل شيء وكان هو السبب الأساسي لمعالجة ليث من إدمانه كون أخته هي من كانت السبب باستدراجه لدخول هذا العالم الذي ليس له رجعة ولكن ليث تراجع في الوقت المناسب وأصبح شاب محترم

وملتزم وابتعد عن كل شيء خاطأ، وهو الآن على حاله منذ سنة ونصف لم يتعاطى أبداً وابتعد عنه بلا رجعة وله من اعترافه بحبه لرنيم ثلاث سنوات وإلى الآن يعشقها ويتمناها زوجة له، عاد من ألمانيا بعد أن كان يعمل بشركته الخاصة بالهندسة التي تركها له والده مع أملاكه جميعها، ولكنه نقل جميع أملاكه إلى وطنه وقرر أن يأخذ باسل ووالدته وأخته معه بعد أن أخذ موافقته لعودتهم إلى الوطن، تنهد بقوة بعد أن كان شارد الذهن كحال باسل الذي كان يفكر بحبيبة قلبه لينتشله ليث من تفكيره ويقول:

"حسناً سأذهب الآن وسنتقابل في منزلك، لا تنسى أن تمد لي السجاد الأحمر اتفقنا"

ابتسم باسل بسخرية مجيباً:

"اغرب عن وجهي"

خرج ليث ضاحكاً وتاركاً باسل بشروده وعشقه لحبيبة قلبه التي عذبت فؤاده وشغلت باله.

يجلس كل من آسر ويوسف في غرفة المكتب، والقلق ينهش صدريهما، تنهد آسر ليتحدث بجدية:

"ماذا حدث؟ أخبرني، كيف يفلت منكم هكذا"

نظر يوسف لآسر بغضب مجيباً:

"وما شأني أنا؟، أنا وصلت بعدهم وأخبروني أنه فر هارباً، هؤلاء الحمقى لم يستطيون إيقافه"

تحدث آسر بتفكير:

"يجب أن نجده بأسرع وقت، هذا مجنون تماماً، لربما يحاول أذية الفتاة"

انتفض يوسف واقفاً ليقول بغضب:

"كيف سيؤذيها يعني؟ ألم يكفيه أنه اغتصبها! ماذا سيفعل بعد الآن هذا العاهر"

نظر له ببرود قائلاً:

"لا أعلم، شاب مثله اغتصبها بوحشية ربما يفعل أفظع من ذلك، يجب أن نحمي الفتاة ونضع عدة حراس في المستشفى ريثما يتم القبض عليه"

ابتلع يوسف ريقه وجلس ليقول:

"معك حق، يجب أن نحمي الفتاة ونتوقع كل شيء منه"

نظر له آسر بشك ليحمحم ويقول متصنعاً عدم المبالاة:

"أظن أنك متعاطف مع الفتاة ومهتم بها"

نظر له يوسف بغضب مجيباً:

"ألا تريدني أن أتعاطف معها؟ هذا الحقير دمر مستقبلها واغتصبها، ماذا تريدني أن أفعل؟ أأتشمت بها مثلاً"

ابتسم برورد ليقول:

"اهدأ قليلاً، لم أقصد ذلك يا رجل"

أشاح يوسف بوجهه عنه وزفر بضيق ليحرك رأسه موافقاً دون التفوه بحرف،

لا يعلم آسر إذا كان يجب عليه أن يقول ليوسف عن آسيل أم لا، ولكن لما يقول له عنها؟ لا لن يتفوه بحرف ولن يقول شيء، كان يفكر بآسيل ومكوثها معه، وما الذي سيحدث بعد حين؟ وكيف ستتقبله عندما يعلم بأنه يهيم بها؟ لعن نفسه ولعن الحب، هو يكابر، أجل يكابر ولن يتحدث أو يعترف لها بحبه في الوقت الحالي، أو بالأصح من الممكن أن لا يعترف بتاتاً ولكن لن يتركها أو يجعلها تضيع من يده مرة أخرى، بحث عبر مصادره الخاصة عن حال زوجها السابق وعلم بأنه مازال يبحث عنها وعن ذلك الرجل، هو خائف جداً بأن يجدها ويأخذها منه، لذلك سيبقى محافظاً عليها ومحتجزاً إياها في منزله وأمام عينيه مطمئناً نفسه بوجودها، فهو لن يتخلى عن حياته بعد أن وجدها.

كانت جالسة تلك الفتاة في غرفتها بتوتر بالغ، لم تصدق عندما علمت بأنه قادم إليهم، رقص قلبها فرحاً وتملكتها السعادة لإنها وأخيراً ستراه، فهي لم تراه منذ سنة ونصف، قلبها يدق بسرعة شديدة ولا تعلم ما هو السر، نهضت وارتدت أجمل الثياب وتزينت لتظهر بأبهى صورها، ولكن لماذا تفعل كل ذلك؟ أليست هي من رفضته؟ أليست هي من رفضت حبه وارتباطهما؟ إذاً لماذا تفعل كل ذلك الآن؟ انتهت من تجهيز نفسها لتنظر في المرأة وتبتسم ابتسامة رضى على مظهرها، ما إن سمعت صوت جرس الباب حتى بدأ الخوف يتملكها وقلبها يدق بعنف، كيف ستواجهه؟ وبأي عين؟ هي من كانت السبب بضياعه، ماذا سيفعل عندما يراها؟ وكيف سيعاملها؟

بدأت تفرك يديها بتوتر وتقطع غرفتها ذهاباً وإياباً، انتظرت قليلاً ومن بعدها هبطت إلى الأسفل ومع كل درجة تنزلها يهبط قلبها أكثر من قبل.

كان يجلس في الصالة بكل هدوء، ظاهره هادئ ولكن داخله بركان يتفجر من شدة شوقه لرؤيتها، هو يعلم بأنه سيراها، ابتلع ريقه عندما سمع صوت خطواتها وهي تهبط على الدرج، وكل هذا كان يتابعه باسل، تقدمت رنيم بخطواتٍ ثابتة وألقت التحية عليه وصافحته لتتلاقى الأعين وتحكي الكثير والكثير من الكلام، أفلتت يده بتوتر واتجهت لتجلس بجانب أخيها ونظرها موجه للأرض، بقي ليث ينظر لها مطولاً وقلبه يدق بعنف، لم يسأل ولم تجاوب، لم يعاتب ولم تدافع، فقط اكتفيا بتبادل النظرات الجانبية، حمحم باسل ليقول:

"هل نقلت جميع أوراقك إلى البلدة"

التفت ليث إلى باسل ليقول:

"مم أجل نقلتهم جميهم لم يتبقى شيء، بالمناسبة متى السفر"

تحدث باسل:

"بعد شهر تقريباً بينما أجهز جميع أوراقي وأوراق جامعة رنيم أيضاً"

همهم ليث بتفهم ونظر نظرة خاطفة لرنيم التي كانت تتابع الحديث بصمت ليغض نظره عنها، نهض باسل ليلقي نظرة على والدته أو بالصح ليخلي لهما المكان قليلاً، ظل ليث ورنيم صامتان لا يتفوهان بكلمة لتحمحم رنيم بتوتر وتتحدث:

"كيف حالك ليث؟ وكيف هو عملك"

نظر لها بقوة ولمعت عيناه ليقول:

"أنا بخير وعملي جيد، وأنتِ كيف حالكِ"

حركت رأسها لتقول:

"بخير"

همهم لها وصمت ليعلن هاتفه عن رنينه ويرى اسم المتصل وتكون فتاة، نظر إلى رنيم نظرة خاطفة ليجيب على الهاتف:

"مرحباً"

ظل يتحدث مع هذه الفتاة وهي مسؤولة عن مشروعه الجديد لذلك أتصلت به، كانت رنيم تتابع الحديث والغيرة تنهش قلبها لإنها علمت بأن التي يحدثها هي فتاة، أنهى اتصاله ونظر لها ليقول:

"مم هذه المسؤولة عن المشروع الجديد اسمها مريم"

همهمت بتفهم ورفعت حاجب لتبتسم بسخرية وكأنه فهم بأنها لم تصدقه ليردف لها:

"أقسم لكِ هذه المسؤولة وكنا نتحدث عن العمل، ألم تسمعيني؟ كنت أحدثها عن المشروع"

نفخت خديها لتقول بنفاذ صبر:

"بلى لقد سمعتك ولكن أنا لا شأن لي فلتتحدث مع أي أحد، هذا الأمر يعود لك"

نظر لها بحزن ليقول:

"تعنين بأنكِ لا تهتمين لي أبداً"

تحدثت بلا مبالاة:

"أجل لا أهتم"

هز رأسه وابتلع غصته ليتحدث:

"رنيم أنا لا أعني لكِ شيء"

صمتت رنيم قليلاً لتقول بعدها:

"أنت صديق أخي"

ابتسم ليقول:

"فقط"

حركت رأسها موافقة ليردف لها بهمس:

"حسناً"

نظرت له بعد أن أبعد نظره عنها، عقدت حاجبيها بحزن ولم تتحدث، اقتحم المكان باسل ووالدته لينهض ليث ويلقي عليها التحية ويتقدمون إلى مائدة الطعام ويبدأون بتناول طعامهم بصمت، كل الوقت كانت رنيم تنظر ل ليث نظرات خاطفة ولكنه هو لم ينظر لها أبداً وتجاهل وجودها وهذا ما زاد من غيظها، أنهوا طعامهم ليجلسون بغرفة المعيشة ومازال ليث لا ينظر لرنيم أو يحدثها، بعد وقت قليل كان ليث ورنيم يجلسان بمفردهما لتتحدث رنيم بقليل من الغضب:

"ما بك لما لا تحدثني ها"

تصنع اللامبالاة ليقول:

"ولما أتحدث معكِ يا رنيم"

نظرت له عاقدة حاجبيها لتقول بغضب:

"لإنه يجب عليك أن تحدثني"

ابتسم بسخرية ليقول:

"مم حسناً كيف حال جامعتكِ هل تدرسين جيداً يا شقيقة صديقي"

عقدت حاجبيها لتقول:

"هل تسخر مني أم ماذا"

تحدث بلا مبالاة:

"لا أبداً ولما أسخر منكِ يا فتاة"

هزت رأسها بحنق وصمتت والغيظ يأكلها، ابتسم ليث ابتسامة صغيرة على منظرها، هو يعلم نقطة ضعفها، لن يتحدث معها ولن يهتم لأمرها عندما يجتمع بها، سيتركها حتى تأتي هي إليه هكذا قرر في سره، توسل لها كثيراً من قبل وأقسم لها بأنه ابتعد عن جميع الفتيات ولكنها لم تصدقه لذلك ابتعد عنها هارباً من قسوة قلبها عليه، لهذا قرر بأن يعاملها بجفاء ولن يقترب منها لتشعر به وبقلبه، أتى باسل وأخذ ليث معه إلى الأعلى ليجلسان قليلاً بمفردهما، ما إن وصلا إلى غرفة باسل حتى أمسك بليث وحدثه بفرح وحماس:

"لقد تركته يا ليث تركته لم تعد على علاقة معه"

عقد ليث حاجبيه بعدم فهم ليقول:

"اهدأ اهدأ وافهمني ما الذي يحدث معك"

تحدث باسل بسعادة:

"ماريا أيها الأحمق لقد تركت ذلك الشاب"

امتعض ليث ليقول:

"يارجل وما المفرح بالأمر؟ فهي لم تحبك إلى الآن"

عبس باسل ليقول بغيظ:

"ألا يمكنك أن تصمت قليلاً وتجاريني في فرحتي؟ دائماً يجب عليك أن تمقتني أيها اللعين"

ضحك ليث ليقول:

"أيها الأحمق انتظر إلى أن نرجع إلى البلاد ومن بعدها تتحسن أمورك بإذن الله"

تنهد باسل بقوة ليقول:

"أتمنى ذلك"

حرك ليث رأسه وصمت لينظر له باسل ويردف له:

"وأتمنى لك أيضاً"

تنهد ليث بقوة ليتبادل هو وباسل النظرات ويبدأن بالضحك من دون أي سبب كان.

جالسة في منزلها مرتاحة البال ولا هم على قلبها، ترتشف من فنجان قهوتها بكل غرور، سمعت رنين هاتفها معلناً عن وصول فيديو لها، عقدت حاجبيها باستغراب عندما وجدت هذا الفيديو مرسل من مالك خال آسيل، فهي لم تعد تراه منذ أن خرجت آسيل من حياتها ومنذ تلك الفعلة التي فعلتها معه، فتحت الفيديو لتراه وتجحظ

عيناها بقوة، لم تصدق الذي تراه أمامها، أصبح تنفسها سريع وقلبها يدق بشكل عنيف، وصلتها رسالة لتفتحها وتقرأ محتوى الرسالة

"عزيزتي أتمنى أن يعجبكِ الفيديو"

هبطت دموعها على وجنتها وبدأت تضرب وجنتها بخوف وقلق من المستقبل فالفيديو كان يحتوي على صورتها وهي بين أحضانه وهما يفعلان الفاحشة معاً، لقد استطاع أن يصورها وقد فعل كي يستغلها فهو لن يهنئها بحياتها أبداً كونها امرأة حقيرة وهو أحقر منها، اتصلت به ليجيبها باستفزاز:

"هل اشتقتي لصوتي"

تحدثت بخوف:

"ماهذا يا مالك؟ كيف تفعل ذلك بي"

ضحك بسخرية ليقول:

"وهل أفهم منكِ بأنه يفرق معكِ الذي بعثته لكِ؟ ألستي عاهرة ياسيدة أحلام"

انفجرت أحلام لتقول بغضب:

"بل أمك وأختك العاهرة أيها السافل"

سمع جملتها وقد استفزته ليحدثها بتوعد:

"أقسم لكِ بأنني سأنشر هذا الفيديو على جميع برامج التواصل الاجتماعي وسأبعث بالفيديو إلى زوجكِ المصون كي يرى عهر زوجته سترين"

جحظت عيناها لتقول بخوف وترجي:

"أرجوك لا، لا تفعل ذلك أرجوك يا مالك أنا أسفة لن أتحدث عن والدتك أو أختك بهذا الشكل بعد الآن أرجوك لا تفضحني"

تنهد بحدة ليقول:

"حسناً، أمامكِ نصف ساعة لتكوني عندي بمنزلي، زوجتي وأولادي خارج البلدة لا تتأخري وإلا هذا الفيديو سيكون بحوزة زوجكِ هل تسمعين"

أنهى جملته وأغلق الهاتف بوجهها ولم ينتظر ردها، أجهشت أحلام بالبكاء وتنهد بقلة حيلة لتنهض وترتدي ثيابها لتذهب إليه قبل أن يفضحها عند زوجها لإنه عندها ستخسر كل شيء فعلته كي تحصل على زوجها وستخسره هو أيضاً.

يجلس ذلك الشاب بغرفته حزين مكسور الخاطر على زوجته التي ذهبت وأخذت قلبه معها، يتألم ببعدها عنه وهجرانها له، أضاعها من يده من دون أن يعلم، وخصوصاً عندما أرسلت أوراق طلاقها إلى المحكمة وتطلقت منه، وقد تأكد من ذلك الشيء بعد أن ذهب إلى المحكمة وتأكد بنفسه، شهقاته ملأت الغرفة، تمنى لو كانت بجانبه، أصبح يتخيلها أمامه ويحلم بها في منامه، تمنى لو أن يلمسها ويمارس الحب معها بعشق متبادل، تمنى لو أن تحمل بطفله ويتابع نمو بطنها أمام عينيه، تمنى لو أن يرى أولاده منها، تمنى لو أن يعيش فقط معها وتشاركه نفس الغرفة، يعيش معها بسلام بعيداً كل البعد عن المشاكل والمصائب وعن والدته أيضاً، نعم هو يقبل أن يعيش معها دون حتى أن يلمسها، المهم أن تكون بجانبه وأمام عينيه، قلبه يقول له بأنها بريئة من تهمة الخيانة وعقله يقول عكس ذلك، ولكن مع كل هذا هو يريدها، إذا كانت مذنبة سيسامحها ويعيدها له، سيتقبلها كيفما كانت ويجعلها زوجته، سيتحملها بجميع حالاتها ويهيم بها عشقاً أكثر وأكثر، المهم أن تعود له، حاول كثيراً أن يبحث عن ذلك الرجل ولكن ليس له أثر، تنهد بحزن على حاله وأمسك بصورتها التي يضعها بجانبه كل يوم متمنياً لها ليلة سعيدة، بكل ليلة يتأملها ويرى ملامحها البريئة ويقبلها كأنها أمامه، بينما يحاول جمع تركيزه بأحداث تلك الليلة، تذكر أمر الكاميرا التي يضعها بحديقة المنزل، نهض فوراً ليرى تسجيلات الكاميرا في الأيام السابقة، أعاد كر التسجيلات ليوقف الشاشة عند سيارة ذلك الرجل الذي كان بغرفة آسيل ليحاول رؤية نمرة السيارة وقد استطاع بالفعل، سجل رقم السيارة لينهض مسرعاً إلى ذويه من مصادره الخاصة وهو يأمل أن يحظى به ويقع تحت يده ليكتشف الحقيقة كاملة.

عاد آسر إلى منزله ليرى آسيل جالسة في الحديقة تلعب مع طفل صغير، عقد آسر حاجبيه ليكتشف أن هذا الطفل هو ابن هبة الخادمة الخاصة بآسيل وعمره أربع سنوات، ابتسم لمنظرهما اللطيف ليتقدم إليهما بقوامه الصلب، ما إن رأته آسيل حتى بدأ قلبها يطرق بعنف وابتلعت ريقها بتوتر، تقدم آسر ليقف بوجه آسيل ويحدثها ببرود:

"كيف حالكِ"

تحدثت بتوتر:

"بخير سيدي"

ابتسم بسره ليقول:

"لا تقولي سيدي"

نظرت له بصدمة لتقول:

"إذاً ماذا أقول"

تحدث ببرود:

"آسر"

ابتلعت ريقها بتوتر لتجول بنظرها بأنحاء المكان لتقول بتلعثم:

"سيدي لا أستطيع"

ابتسم بسخرية ليقول:

"ألا تستطيعين أن تنطقين اسمي مثلاً"

ابتلعت ريقها ولم تجيبه لتشعر بأحد يشدها من الأسفل وهو رامز، ابتسمت بوجهه لتنزل لمستواه وتقول:

"ما بك حبيبي"

ضحك الطفل ضحكة بريئة ليقول:

"تعالي والعبي معي هيا"

حركت رأسها موافقة لتقول بابتسامة:

"حسناً قادمة"

ابتسم آسر على لطافتها وتحدث بابتسامة لم تصل إلى عينيه ليقول:

"هل تحبين الصغار"

حركت رأسها بابتسامة دون أن تتحدث ليردف لها:

"ألا تتمنين أن يكون لكِ طفل صغير"

نظرت له لتقول بتوتر:

"بلى أتمنى"

همهم بتفهم ليقول بجمود:

"حسناً هيا موعد الغداء تفضلي"

تحدثت بتلعثم:

"ولكن سيدي رامز يريدني أن ألعب معه"

تحدث بلا مبالاة:

"اتركيه ستأتي أمه وتأخذه هيا إلى الغداء"

أنهى جملته ورحل دون سماع إجابتها لتعقد حاجبيها بغضب على بروده وغروره، تنهدت بقلة حيلة لتقول لرامز:

"حبيبي رامز سأذهب كي أتناول طعامي وآتي لألعب معك اتفقنا"

حرك الصغير رأسه بابتسامة صغيرة لتبادله الابتسامة وتقرص وجنته بخفة وتلحق بآسر، دخلت إلى مائدة الطعام لتجلس بجانب آسر باستحياء، نظر لها آسر ليقول بحاجب مرفوع:

"كلي"

بدأت تتناول طعامها بصمت وحرج من نظراته، نظرت له نظرة جانبية وابعدت نظرها عنه، بعد وقت قصير نهضا الاثنان إلى غرفة المعيشة، حمحم آسر وتحدث:

"بالمناسبة آسيل ماذا عن جامعتكِ؟ ألن تكملي دراستكِ"

تنهدت بحزن وقالت:

"لا أستطيع، فوالدي ووائل حتماً سيجداني عندها إذا عدت إلى جامعتي"

حرك رأسه بإيجاب ليقول:

"إذاً على ماذا تنوين"

تحدثت بحرج:

"اا سيدي سأسافر لن أظل هنا ولن أزعج حضرتك يكفي أنك استقبلتني في منزلك، هذا كرم منك"

هبط قلب آسر لفكرة ابتعادها عنه ليقول بنفي وجمود:

"أنا لم أحدثكِ عن رحيلكِ من هنا، هذا الموضوع بيدي وأنا الذي أقرر بذلك وليس أنتِ"

عقدت حاجبيها باستغراب، إلى هنا واكتفت من بروده وغروره وسيطرته، شجعت نفسها لتقول بحنق وشجاعة أتتها:

"أنا لا أحد يجبرني على البقاء هنا يا سيد، أنا شاكرة فضلك علي ولكن أنا من أحدد بشأن رحيلي وليس أنت"

نظر لها آسر بحاجب مرفوع ليقول:

"ماذا تقصدين"

تنهدت بحنق لتقول:

"أقصد أنه عندما أرغب بالذهاب سأذهب"

أنهت جملتها وضمت ذراعيها إلى صدرها ونظرت إلى اللاشيء، ليبتسم آسر بسخرية وينهض بسرعة كبيرة إلى جانبها مسبباً لها رعبة من هذه الحركة لينزل بنصف جسده إليها وتتلاقى عيناهما ببعض ويتكأ بيده على الأريكة بجانب رأسها ليقول بصوتٍ أشبه للهمس:

"سأقول لكِ شيئاً مهماً يا فتاة، لا أحد يقول لآسر لا أو يتحداه، عندما أقول كلمتي تنفذ من دون أي اعتراض وهذا سيكون أفضل لكِ أن تطيعي أوامري اتفقنا ياحلوة"

تجرأت آسيل ودفعته من أمامها لتقف بوجهه وتقول له بتحدي:

"ومن أنت حتى تمنعني؟ اسمعني جيداً أنا لا أطيع أوامر أحد، أنا لست عبدة عندك هل فهمت"

في الواقع آسر لا يحب أن يقف أحداً في وجهه ولكن تمرد وغضب آسيل أعجبه جداً واستقبله برحابة صدر، مسح بيده على ذقنه ليجول بنظره بأنحاء الصالة وبحركة سريعة يقوم بسحبها لصدره واضعاً يده على خصرها واليد الثانية يداعب بها وجنتها، اقترب منها كثيراً ولم يفصلهما إلا بضع إنشات ليتحدث بهمس:

"أحب التمرد كثيراً، ولكن لا تمارسي تمردكِ علي هل فهمتي"

ظل يمرر يده على وجنتها بينما هي تاهت في عسليته، ظلت تنظر لعيناه مطولاً لتنزل بنظرها لشفتاه المتنكرزة بجرأة، كحال آسر الذي كان ينظر لكل جزء في وجهها وأخيراً وجه نظره نحو شفتيها ليبتلع ريقه بتوتر، شعر بغصة في حلقه يريد تقبيلها ليروي عطش قلبه منها، تجرأ واقترب من شفتيها ليضغط بشفتيه على شفتيها، بينما هي كانت بعالمها الخاص معه، استسلمت للقبلة وبادلته فوراً لتشعر بفراشات في معدتها، تعمق آسر في القبلة ليرفع يدين آسيل ويضعها حول رقبته بينما هو وضع يديه على خصرها وتعمقا أكثر وأكثر، كان آسر يشعر بالسعادة تتملكه، الآن علم ما معنى الحب، شفتاها كانت كافية لتخدره وتأخذه إلى أحلامه الوردية، كان يشعر بمشاعر كثيرة وكلها تدل على الفرح والسعادة، شعرت آسيل بنفسها وجحظت عيناها أثناء القبلة لتدفعه من صدره وقلبها يدق بعنف ووجها اكتسى باللون الأحمر، لا تعلم كيف قبلته وكيف نسيت نفسها معه، خجلت من نفسها لتتركه وحيداً في الصالة وتصعد إلى غرفتها لتبكي بصمت على الذنب الذي اقترفته، بينما آسر انزعج كثيراً منها كونها فصلت القبلة لإنه كان يتنعم برحيق شفتيها، ما إن تركته حتى تنهد بحنق وضرب الحائط بيده كونه ضعف أمامها واستسلم لها بسهولة وتاه بهذا النعيم الذي وهبته إياه من دون أن تشعر بنفسها.

مر أسبوع على حالة أبطالنا

آسيل تتجنب آسر كثيراً بعد ذلك الموقف الذي حدث وهذا مازاد من حنق آسر وغضبه وشربه للخمر بسببها الذي يفوق الحد.

بينما شهد على حالها كل يوم تستيقظ لتبكي وتصرخ ليعاودوا الأطباء ويعطوها الإبر المهدئة، ويوسف يكاد يموت من خوفه عليها، لا يعلم كيف امتلئ قلبه حباً لها وتعلقاً بها، أصبح يأتيها كل يوم لينظر لها مطولاً ويرى حالة صراخها ويرحل.

سمية وضعها على ماهو تعيش في بيتها بعيدة عن كل شيء تتحسر على ابنتها المفقودة وشهد الذي وضعها يكسر الظهر، بينما هشام لا يحرك ساكناً تائه لا يعلم من أين يبدأ وكيف له أن يجمع شمل عائلته.

مالك مازال يستغل أحلام بذلك الفيديو ويهددها به كي يأخذ منها ما يريد بينما هي تكاد تموت منه والذي زاد الطين بلة هو جفاء زوجها لها وهجرانه لها أيضاً.

"وُإن كانَ خمرُ شفتيكِ حرام

فـ أهلاً بالذنوب "

في المستشفى في غرفة شهد

كان يوسف عندها ووالدها ووالدتها يجلسون أمامها بصمت، تململت بفراشها لتقابل الضوء، عقدت حاجبيها لتبدأ بالصراخ والضرب على السرير، فزع من في الغرفة ليتقدموا منها وتصرخ شهد بهم:

"ابتعدوا عني"

ظلت تردد هذه الكلمة ليبتعدوا عنها وتعاود والدتها وتتقدم منها ولكنها صرخت بأعلى صوتها لتبتعد والدتها عنها من حالتها الهستيرية ليتقدم يوسف منها ويمسكها ويصفعها على وجنتها، التفتت بوجهها للناحية الأخرى من قوة الصفعة، صمتت ونظرت له بأعين متسعة ووجهها أحمر كالدم، شفتاها ترتجف وعيونها زائغة، ظلت تنظر إلى ذلك الغريب الذي يقف أمامها، تنهد يوسف ليحدثها بحدة:

"اهدئي وكفاكِ صراخ ياشهد"

صرخت به بأعلى صوتها:

"ابتعد عني أيها الضابط اللعين، اين كنتم عندما اغتصبوني ها أين كنتم؟ اللعنة عليكم جميعكم، اللعنة على الجميع"

ظلت تصرخ وتضرب بحالها إلى أن نهضت وسحبت المصل من يدها بعنف لتقول بصراخ:

"أريد أن أموت أريد أن أموت"

توجهت إلى الشباك الموجود بغرفتها لتفتحه وتصعد عليه لتلقي بنفسها للأسفل ولكن يدان حاوطتها و منعتها من ذلك وهي يدان يوسف، مسكها بقوة قبل أن تلقي بنفسها تحت مقاومتها وجنونها ليضعها على السرير بعنف ويصرخ بها:

"كفى"

جفلت من صوته ليدخل إليها الطبيب وبيده حقنة، ما إن رأت شهد الحقنة بيده حتى أمسكت بيد يوسف وقالت:

"أرجوك لا تدعهم يعطوني حقنة أرجوك لا أريد حقنة أرجوك"

تنهد يوسف وبدأ يهدأها ليقول:

"حسناً اهدئي فقط، حسناً انظري إلي ياشهد"

نظرت له وهي تهمهم باستمرار وترتجف بين يديه ليردف لها:

"لن أدعهم يعطونكِ حقنة أبداً ولكن عديني بأن تهدئي وتكفي عن الصراخ اتفقنا"

نظرت له وأصبحت وتيرة تنفسها عالية لتحرك رأسها موافقة ويردف لها أيضاً:

"حسناً أحسنتي، أيها الطبيب اخرج هيا"

حرك الطبيب رأسه بإيجاب وخرج ليتنهد يوسف وهو يمسك يد شهد ويحدثها بكلمات مهدئة ليقول لها:

"حسناً ياشهد فقط اهدئي، كل شيء وله حل ولكن لا يجب عليكِ البكاء والصراخ هكذا، اسمعيني ألا تريدين أن تخرجين من هذه المستشفى المملة"

حركت رأسها بإيجاب بسرعة ليقول لها:

"حسناً اتفقنا ستخرجين من هنا عما قريب ولكن يجب أن تعديني بأن لا تفعلي ذلك وتصرخين بعد الآن وسنصبح أنا وأنتِ أصدقاء ما رأيكِ"

نظرت له مطولاً نظرة بريئة وبأعين دامعة لتحرك رأسها موافقة دون أن تتفوه بحرف، ابتسم لها ونظر لها نظرة تشجيع، بينما هي أمسكت بالغطاء وأعادت تغطية نفسها متمسكة به بقوة لتجول بنظرها بأنحاء الغرفة،

ابتلعت ريقها وظلت تنظر إلى اللاشيء، تنهد يوسف بقوة وحزن على حالتها، كل شيء حدث كان تحت نظر أمها وأبيها يراقبانها والدمعة لا تفارقهما، تنهدت أمها بحزن ومسحت دمعتها التي هبطت على وجنتها فوراً، ظلت شهد صامتة وشاردة الذهن تحدق بالفراغ، بعد وقت قليل جداً بدأت بالبكاء بصمت، نظر لها يوسف وكأنه سيبكي معها ليوجه حديثه لوالديها:

"اتركانا بمفردنا قليلاً بعد إذنكما"

خرجا بصمت ليبقى يوسف وشهد التي مازالت تبكي بمفردهما، تنهد يوسف ليقول:

"اسمعيني ياشهد، كونكِ تعرضتي للاغتصاب هذا لا يعني نهاية الحياة، أعلم بأنكِ تعذبتي كثيراً وأنا أشعر بشعوركِ هذا، ولكن يجب عليكِ أن تكوني قوية وتتحدي الصعاب لإنكِ أنتِ فتاة جميلة وقوية ولن تقف حياتكِ عند هذا الأمر هل تفهميني؟ ستخرجين من المستشفى وتكملي دراستكِ وتتفوقي وتعيشين حياتكِ بهدوء وسيأتي الشاب الذي يستحقكِ وتعيشين معه قصة حب جميلة وتتزوجان وتنجبان الكثير من الأولاد، لذلك ياشهد يجب عليكِ أن تكوني قوية هل تسمعيني"

أنهى جملته بمرح وابتسامة صغيرة، وكل هذا وشهد ما زالت تبكي وكل كلمة يزيدها يوسف يزيد من حدة بكاء شهد، ظلت تشهق وتبكي وكأن يوسف لم يتحدث ليتنهد بقلة حيلة ويمسك بيدها المرتجفة لتجفل عن بكاءها وتنظر إلى يدها الصغيرة التي بين يديه، نظرت له نظره ذات مغزى ليبادلها النظره وكأنه فهم من نظرتها بأنها تتوسله ليبقى معها أو بشكلٍ أصح أن يدعمها ويقف بجانبها، ابتسم لها ابتسامة صغيرة لتبادله الابتسامة من بين دموعها وتتوسع ابتسامته أكثر عندما رأى ابتسامتها، حدثها بحماس:

"حسناً ياشهد أتعلمين لدي أخت بعمركِ وهي جميلة مثلكِ ممم حسناً أنتِ أجمل منها بقليل ولكن لا تقولي لها لإنها مجنونة اقسم لكِ بأنها توسعني ضرباً دائماً، وتأكل من مخدارتها كثيراً ماذا أفعل بها ها هيا قولي لي"

ابتسمت لتقول بصوتٍ مبحوح:

"أتمنى أن يكون لي أخ مثلك وأمزح معه وأوسعه ضرباً كما تفعل أختك معك"

اختفت ابتسامة يوسف قليلاً عندما سمع جملتها ولكنه عاد وضحك ضحكة بلهاء ليقول:

"مم حسناً أتعلمين سآخذكِ معي إلى منزلي وأعرفكِ على ماريا أختي إنها مجنونة كثيراً أنا متأكد بأنكما ستتفقان معاً وسيصبح لدي ..."

صمت قليلاً ولم يكن يريد أن ينطق بكلمة اختي ولكنه حمحم ليقول:

"مم سنكون ثلاثتنا أصدقاء دائماً ها ما رأيكِ"

حركت رأسها موافقة ليسرح يوسف بها ويبتسم ببلاهة، تذكرت شهد شيء ما وتحدثت بصدمة:

"هل قلت لي بأن أختك تأكل مخدرات؟ كيف تسمح لها بذلك"

ضحك يوسف على سذاجتها وبرائتها ليقول:

"أجل أجل مخدراتها الخاصة هي الشيبس والشوكولا وغيرها من التسالي، أنتن الفتيات تتطلبن كثيراً، يا إلهي دائماً أختي تسبب لي الصداع كل يوم تأتي إلي وتقول لي يوسف أريد المخدرات خاصتي أرجوك أريدها حالاً"

أنهى جملته وهو يقلد أخته بصوت ناعم لتضحك شهد من على طريقة كلامه بينما هو فرح جداً لإنها خرجت من جو الاكتئاب، ظل ينظر إليها بقوة لتنتبه شهد لنظراته وتعقد حاجبيها بقوة، انتبه يوسف إلى نظراته ليحمحم ويقول بجدية:

"إذاً يا شهد الآن أريد أن آخذ أقوالكِ بالحادث، وأسألكِ عدة أسئلة لعل وعسى نستطيع من خلالكِ معرفة مكانه والقبض عليه"

ما إن سمعت هذا الحديث حتى صدمت و دب الرعب بأوصالها لتقول بصوت مرتجف:

"ألم تقبضوا عليه بعد"

أمسك يدها بقوة وحدثها مطمئناً:

"لا ليس بعد، لقد هرب يوم الحادث، ولكننا سنجده اطمئني، وبالنسبة لكِ فلا تقلقي لإننا وضعنا عدة رجال هنا كي لا يقترب من هنا، اطمئني"

بدأت تجهش بالبكاء وتنتحب، نظر لها يوسف بضياع ليقول لها مهدئاً:

"اهدئي يا شهد أعلم بأنه صعبٌ عليكِ تذكر تلك الأحداث وأنتِ تحاولين نسيانها أعلم صدقيني ولكن كل شيء أفعله هو لمصلحتكِ، فقط ثقي بي ولن تندمين"

نظرت له شهد وهي تبكي لتشيح بنظرها عنه للجهة الأخرى وتصمت ليتنهد بقلة حيلة، هو يعلم بأنه سيتعب معها ليصل إلى أقوالها ويخرجها من حالتها ولكنه لن يتركها مهما كلفه الثمن، هدئها قليلاً إلى أن غطت بنوم عميق لينهض من مكانه ويتجه إلى منزله تاركاً قلبه مع شهد، لقد تقدم بخطوة جيدة ولصالحه اليوم كونها شهد

قد بدأت تنسى وتضحك على حديث يوسف، هذا يعني بأنها ارتاح قلبها له قليلاً وقد سعد بهذا الشيء، ابتسم عندما تذكر ضحكتها ليتنهد بقوة ويستمر بقيادة سيارته وهو سارح بملامح شهد وبراءتها وضحكتها.

مكان مظلم، مليئ بالروائح الكريهة والحشرات الكثيرة، يجلس ذلك الرجل على كرسي خشبي متهالك، مقيد اليدين وشريط لاصق على فمه وعصبة على عينيه، سمع الرجل صوت حركة في المكان ليبدأ ويهمهم، اقترب منه وائل ليفك العصبة التي على عينيه ويفك الشريط اللاصق، أخذ نفساً عميقاً لينظر إلى الذي يقف أمامه ويجحظ عيناه بقوة وطرقات قلبه تتزايد، علم بأن هذا اليوم آخر يوم في حياته بما أنه وقع بيد وائل، هو نفس الرجل الذي كان بغرفة آسيل، ظل وائل صامت لا يتفوه بحرف فقط يحوم حول ذلك الرجل الذي يدعى عماد، وضع وائل يده على يد عماد ليقرب وجهه من وجه عماد ويقول:

"أريد أن أعلم بكل شيء وأنت ستتحدث رغماً عن أنفك هل تفهم"

ابتلع عماد ريقه بخوف ليردف وائل:

"ماذا يوجد بينك وبين آسيل"

ظل عماد صامت ولم يتحدث فقط يحدق بوائل بخوف لتأتيه صفعة على وجهه جعلت وجهه يلتف للناحية الثانية من قوتها، تحدث وائل بغضب:

"هيا تحدث"

ابتلع عماد ريقه ليتحدث بتقطع:

"اا لا يوجد شيء بيننا"

اقترب وائل منه ليقول:

"إذاً كيف دخلت إلى غرفتها ومن الذي أدخلك ها"

تحدث عماد بخوف:

"سيد وائل ارحمني أرجوك"

أمسك وائل بوجهه واعتصره بقبضته ليتحدث بغضب:

"أقسم بأنني سأريك الجحيم انتظر قليلاً"

توجه وائل للخارج ليعود وبرفقته ثلاثة شبان، أمرهم بأن يعلقو عماد من يديه ويبدأو بتعذيبه ليطيعوا أوامره بصمت، علقوه وبدأ وائل يبرحه ضرباً بيديه وبأدوات حادة أيضاً إلى أن غاب عماد عن الوعي، أصبحت حالة وائل مزرية والعرق يتصبب من جبينه، توجه للخارج ليعود وبيده وعاء كبير مليء بالماء ليسكبه عليه ليعود عماد إلى وعيه، وجه وائل حديثه لعماد ليقول:

"تحدث بكل شيء تعرفه هيا أيها اللعين"

تحدث عماد بتعب:

"فك وثاقي أولاً أرجوك"

حرك رأسه موافقاً بحدة ليأمر الشبان بفكه ورميه على الأرض، ليفعلوا كما طلب ويتحدث وائل:

"حسناً تحدث"

تنهد عماد بتعب ليقول:

"السيدة سهى هي من أمرتني بدخول غرفة زوجتك واتفقت معي على أن يبين الأمر بأنني عشيقها لتأتي أنت وتراها معي وتتخلص منها، وهي قد ضمنت سلامتي وأمرتني أن أهرب ولا أعود أبداً"

كاد وائل أن يجن ويفقد أعصابه ولكنه تمالك نفسه ليتحدث بحدة:

"وما علاقتك بوالدتي"

ابتلع عماد ريقه ليقول:

"أنا كنت عندها في الغرفة هي عشيقتي و.."

لم يكمل جملته لإن وائل لكمه على وجهه ليحدثه بغضب:

"كيف يحدث ذلك ها"

أنهى جملته بصراخ ليتحدث عماد:

"لست أول من يدخل غرفتها، والدتك تقوم بجلب الرجال إليها كل يوم من وراءك"

ابتلع وائل ريقه ليتحدث بصدمة:

"ما الذي حدث بينك وبين زوجتي"

تحدث عماد بسرعة:

"أقسم لك لم يحدث شيء، زوجتك لا شأن لها بكل الذي حدث، والدتك هي من ورطتني بهذا الأمر وقد طلبت مني بعدها أن أقوم بأخذها وأسفرها بعيداً عن هنا ولكنها قالت لي بأنها هربت قبل موعد التنفيذ بيوم"

نظر وائل إليه مطولاً ليقول:

"هل هناك أحد آخر شارك معكم في هذه القصة"

ابتلع عماد ريقه ليتحدث بتوتر:

"أحلام"

جحظت عينان وائل ونظر له بعدم تصديق، كيف لها أن تشاركهما هذه المرأة بهذه القصة وهي قد فعلت الذي فعلته، ألم يكفيها كل مافعلته؟ يا إلهي كم هي إمرأة لعينة، حرك وائل رأسه بإيجاب ليقول له:

"حسناً وماذا أيضاً"

تحدث عماد:

"فقط هذا كل شيء"

تنهد وائل بقوة ليقول:

"حسناً من هم الرجال الذين كانوا يأتون لوالدتي"

تحدث عماد:

"انا لا أعرف غير اثنان منهم فقط صدقني"

حرك وائل راسه بإيجاب ليقول:

"حسناً ياسيد عماد لا تقلق سأجلب لك ونيس وهي والدتي، سأريكما الجحيم أنتما الاثنان"

أنهى جملته بغل ليتوجه إلى منزله ويأتي بوالدته إلى عذابها تاركاً عماد يتآكل من خوفه ومن غضب وائل الذي لا يحتمل على الإطلاق.

أطل ذلك الشاب بريبة متلفتاً حوله يمين ويسار، كان يريد أن يراها ويشبع ناظريه منها، يريد أن يطلب منها المسامحة، رغم بشاعة مافعله إلا أن قلبه الذي كان حاقداً من قبل وأصبح مليء بنيران عشقها الآن جعله يقدم على هذه الخطوة، أن يراها، أن يطلب العفو والغفران، أن يقبل قدميها فقط لكي تسامحه.

لو أنها تقبل به زوجاً، لو أنها تجن معه وتهرب معه بعيداً بحيث لا رجعة لهما إلى هذه البلاد، إلا أنه متيقن من الإجابة، متيقن من كمية الكره والحقد اللذان تكنانه له.

تقدم ببطئ وحذر عبر رواق المستشفى واضعاً قبعة المعطف على رأسه كي يخفي هويته ولا أحد يراه، يريد فقط أن يرى شهده ويطلب المسامحة وبعدها سيقتل نفسه أمامها، فليكون فداءً لها، لا يهم، المهم أن تعفو عنه.

وقف فجأة في منتصف الرواق عندما رأى رجلان من العساكر ليبتلع ريقه ويستدير ببطئ ليعكس اتجاهه ويعود أدراجه.

لم يحسب حساب أن يكون هناك أحد يراقب الوضع، أساساً لم يعلم كيف خطر لهم أنه سيذهب لرؤيتها، تنهد بضيق ونفاذ صبر ليعزم على تنفيذ مايجول بخاطره اليوم ليلاً، سيرى شهده ولو كلفه الأمر حياته يعني سيراها.

" بدوُنكِ

تكرهُ الطرقَات مشيِي

تُخاصمنِي على قلبِي النحيلِ

بدوُنكِ

تمرضُ الأشياءُ حولي

وأكبرُ ألفَ حُزنٍ بعدَ جيلي "

تجلس تلك الجميلة في غرفتها الخاصة، تمارس هوايتها التي تعشقها وهي الرسم، ترسم بعشوائية ومع كل خط ترسمه تتذكر آسر وقبلته، لتنهي رسمتها وترى بأنها رسمت ملامحه، هي بهذه الحالة منذ أسبوع، لا ترسم شيئاً غيره، ولا تتذكر أي شيء غيره هو، لا تعلم كيف ومتى ولد بصيص أمل في قلبها ونقطة مشاعر تجاهه، ولا تستطيع تفسير الذي يحدث معها، تنهدت بحنق ورمت دفترها بجانبها بعد أن رأت ملامحه التي رسمتها، كيف يحدث ذلك معها؟ كيف ترسمه؟ كيف لا تستطيع أن تنسى ملامحه الرجولية الوسيمة؟ هي بذاتها ليس لديها جواب، أحست باشتياقها له ولرؤيته، لتنهض من على سريرها وتتجه للأسفل على أمل أن تراه ولو لـ لمحة صغيرة، لإنها لم تعد تراه كثيراً منذ ذلك اليوم، فقط تجتمع به على مائدة الطعام، لا تنظر إليه لإنها خجلة من نفسها على تصرفها ذاك، ولا تعلم بأنها بهذا التصرف تشعل فتيلة غضبه وحنقه وتشعل النيران في قلبه.

وقفت متسمرة مكانها عندما سمعت صوته الرجولي يناديها باسمها، التفتت له لتراه يقف أمامها مباشرة، ظلت تحدق به وبرجولته الطاغية مطولاً، تراه أمام عينيها بقوامه ولا تستطيع إزاحة عينيها عنه، فآسر لديه شخصية جذابة ورجولة طاغية، انتشلها من شرودها صوته الساخر ليقول:

"أعلم بأنني وسيم ولكن ليس لدرجة أن تنظرين إلي هكذا ببلاهة يا آسيل"

حمحمت بتوتر لتقول مدافعة:

"لا سيدي لقد فهمتني غلط أنا كنت شاردة بشيء ما فقط"

ابتسم بتهكم ليقول:

"وبما كنتي شاردة إذاً"

عقدت حاجبيها بقوة، ألهذا الحد مغرور وبارد؟ يريد أن يدخل لعقلها ويعرف بما تفكر، يا له من حشري، تنهدت بحنق لتقول بوجهٍ عابس:

"كنت شاردة بلا شيء"

ابتسم بسخرية ليقول:

"يا فتاة هل حدث لعقلكِ شيء"

يتحدث ببرود ويسخر منها هذا مازاد من حنقها وغيظها لتقول بغيظ:

"أجل عن إذنك"

التفتت وأعطته ظهرها ولكنها لم تستطع أن تخطي خطوة واحدة لإن يده انتشلتها وضمتها إلى صدره ليقول ببرود وجمود:

"أنا لم أسمح لكِ بالذهاب كي تذهبي"

عقدت حاجبيها وقد بلغت ذروة غضبها لتقول بغضب مكتوم:

"اتركني يا سيد لا يجب عليك أن تفعل هكذا، ليس من أخلاقك أن تفعل ذلك"

تحدث بجرأة وبرود:

"لماذا هل أجلستك بحضني وقبلتك مثلاً لتتحدثين عن أخلاقي"

جحظت عيناها بقوة لتقول بغضب:

"اتركني وإلا"

تحدثت بتحذير ليشدد قبضته على خصرها ويقول بتحدي:

"وإلا ماذا"

حسناً لا مفر منه، لقد تغلب عليها، مجرد النظر لعيناه تقع له، لتلعنه على بروده، تحدثت بصوت أشبه للبكاء:

"وإلا سأبكي"

ارتجفت شفتها السفلى لتوقظ مشاعر آسر النائمة ويرغب بتمزيق شفتيها هذه بالحال، تمالك نفسه بصعوبة وهو يضغط فكه، ليحمحم ويتركها بالكامل ليصعد إلى غرفته، هو يعلم بأنها تسيطر عليه ويعلم أيضاً أنه لو ظل ثانية أخرى لكان قد قبلها لأدماها، لإنه لا يستطيع السيطرة على مشاعره، موجة مشاعر أتته تجاهها، لا يعلم كيف ومتى المهم أنه يعشقها، ولكن ليس آسر من يخضع لامرأة لذلك قرر أن يسفرها بعيداً عنه كي يقاوم رغبته بحبها وجعلها ملكه للأبد، من هي حتى توقظ مشاعره الميتة والتي لم تكن فيه بالأساس؟ من هي حتى تقف بوجهه وتتجاهله وتغيب عنه عندما كان يرغب برؤيتها أمامه؟ كسرت غروره وأوقعته بشباكها ولكنه لا يريد أن يعترف بذلك، حسناً هو كان يأتيها كل ليلة يتسلل إليها ويمسد على شعرها ويظل أمامها يتأملها بشوق جارف لساعات دون ملل أو كلل.

دخل إلى غرفته بغضب يلعن ويشتم نفسه على ضعفه أمام عينيها، كان يريد أن يخبرها بأمر السفر ولكن لا يعلم كيف ألجم لسانه عن النطق وانجرف بمشاعره ليفعل مافعله، تنهد بحنق وأغمض عينيه لتأتيه صورتها بخياله، فتح عينيه على وسعها ليقبض بيده على شعره ويشده بقوة، يريد أن يبعدها عنه كي لا تكون نقطة ضعفه، لا يعلم كم من المشاعر المختلطة بداخله الآن، يريد أن يشكي همه لأحد ويبوح بسره وبمشاعره لأحد ولكن لا، لا يستطيع، فكل من عرف آسر عرف عنه بأنه بقلب ميت ولا يوجد به ولو القليل من المشاعر، أخذ غرفته ذهاباً وإياباً أو بالأصح جناحه، توتر، قلق، خوف، حب، ندم، هذا ما يشعر به، صدح صوت رنين هاتفه ليرى رقم المتصل وتكون والدته، وها هي الآن تتصل به كي تزيد الطين بلة، تنهد بغضب ورمى بالهاتف على السرير ولم يجب، صدح صوته مرة أخرى وأخرى ولكن لا يجيب، سمع صوت هاتفه معلناً عن وصول رسالة ليقوم بقراءتها ويبدأ قلبه يقرع كالطبول، الرسالة من والدته ومحتواها:

"بني آسر والدك بالمستشفى وهو الآن لديه عملية في القلب أتمنى أن تسامحه هذا ما قاله لي قبل أن يدخل إلى غرفة العمليات لإن نسبة نجاحها 50 في المئة، ومحتمل بأن لا ينجو منها، ادعو له وسامحه وسامحني أنا أيضاً"

رغبة جامحة أتته بأن يرى والده الآن وحالاً ولكن لا، لن يتنازل عن كبريائه، أجل هو لن يسامح ولا يريدهما ولكن لا يريد أن يحدث لهما شيء، فليعيشان بعيداً عنه ولكن من دون أن يتأذى أحداً منهما، تنهد بغضب ودخل إلى حمامه الخاص كي ينعم بحمام دافئ ويهدأ اعصابة من خوفه على أبيه.

أما عند آسيل فبمجرد إن تركها آسر حتى بدأت بشتمه ولعنه في سرها، لعنت نفسها ولعنت مشاعرها التي تسيطر عليها، لم تستطع مقاومته وتاهت في ذاك العسل الذي بعيناه، ترى تصرفاته معها ولا تستطيع أن تضع تفسيراً له، تنهدت بحنق واتجهت إلى حديقة المنزل لتنعم بالهواء الطلق، التقت برامز في الحديقة لتبدأ وتلعب معه تاركة نفسها لتنسى همومها قليلاً، ضحكتها، برائتها، جنونها، حديثها مع الصغير، كل هذا كان يتابعه آسر من الشرفة، كيف لصغيرة مثلها أن تسيطر عليه وتجعله واقعاً لها؟ يبتسم لابتسامتها، يضحك لضحكتها، ويعبس لعبوسها، كيف سيستطيع العيش من بعد رحيلها؟ أجل سيتغلب على آخر نقطة ضعف له ويجعلها ترحل بعيداً عنه كي يظل على قراره بأن لا وجود للحب والمشاعر في حياته أبداً.

مكان مظلم، كئيب، مخيف، تجلس تلك المرأة مقيدة اليدين، مرمية ومتعفنة في هذا المكان منذ يومين، يومين لم تعرف شيء عن الذي سيحدث معها، خائفة، نادمة، تهاب ابنها الذي وضع كل مقاييس الاحترام تحت قدمه بشأنها، سمعت صوت صرير الباب المزعج يفتح، لترى ابنها يقف أمامها بجمود وشابان يدخلان ورائه ويحملان عماد ليلقونه أرضاً ويتأوه بقوة من عزم الوقعة، جحظت عيناها بقوة، رأته أمامها ورأت عماد، تسارعت أنفاسها وعلمت بأنها لن تنجو من قبضته، كونه عزلها يومان غير مكترث أنها والدته، نسي الرقي ونسي الأدب وعاملها هذه المعاملة، أتاها صوته الأجش ليقول:

"حسناً يا أمي، أو لا لن أقول أمي لإنكِ لا تستحقين هذه الكلمة، تستحقين كلمة لعينة، ها هو عماد أمامكِ ذاك الرجل الذي اتفقتي معه كي تشككان بأخلاق زوجتي وتجعلاني أتخلص منها"

جحظت عيناها بقوة، ابنها من يعاملها هكذا؟ كم تتمنى الآن أن تنشق الأرض وتبتلعها، أردف لها بسخرية:

"لا يامدام سهى لا تنصدمي لقد علمت بحقيقتكِ وسأريكِ الجحيم، لا أعلم ما الذي جعلكِ تنفيذين مخططكِ الحقير مثلكِ، سلبتي حياتي وحبي الوحيد مني وكنتي تريني أتعذب وأحترق وأنتِ غير مبالية والآن جاء دوركِ"

كانت تبكي وتشهق لتقول من بين شهقاتها:

"بني وائل أنا .."

قاطعها وائل بصراخه ليقول:

"لا تقولي بني لا تقولي، أنا لست ابنكِ هل تسمعين لست ابنكِ، أنتِ امرأة لعينة لا تكترثين لأحد، عشت طوال عمري كي أؤمن لكِ المال والحياة الرغيدة وأنتي كافئتني بهذا الشكل، لم تقفي بجانبي ولو لمرة واحدة بحياتكِ، وتلك أحلام السافلة سأتدبر أمرها فيما بعد"

علق عماد لينزل به بالسوط مستمتع بصراخه الذي بالنسبة له كموسيقى كلاسيكية، اجتاحه التعب وبدأ يتنفس بسرعة ويلهث، رمى السوط من يده ليأمر الشابان بتنزيله، حمل قدر كبير مليء بالبنزين متوجهاً إليه ليسكبه عليه وهو يصرخ ويتوسل، أشعل عود الكبريت ليبتسم بشر ويوجه حديثه لعماد ويقول:

"أمنيتك الأخيرة أيها اللعين"

رغم تعبه وهلاكه ولكنه كان يتوسله بكل طاقته ويعتذر له بكل كلمة اعتذار يعرفها، ليبدأ بالصراخ فور رميه لعود الكبريت عليه، مشتعلاً أمامه يصرخ بآخر أنفاسه ووائل يبتسم مستمتع بمنظره، تحولت جثته لرماد بعد وقتٍ قصير، وجه نظره الى والدته التي كانت تنظر لجثة عماد بأعين متسعة ومذعورة ليقول:

"حرقت لك حبيب القلب يا أمي"

نظرت له بذعر ولم تتحدث لينظر لها بحدة واشتعلت فتيلة غضبه وجنونه، بدأ يصرخ ويلعن، متمني حضن آسيل، لا يريد شيئاً غيرها، مستعد أن يحرق العالم لأجلها فقط كي تعود له، ولكنه قطع الأمل من عودتها، تنهد

بأسى على حاله وعلى حياته التي لم يرى فيها طعم السعادة إلا بوجود آسيل، سيذهب بنفسه كي يسلم نفسه للأمن ويعترف بجريمته ولكن ليس الآن فقط لم ينتهي من انتقامه بعد، بقي عنده أحلام وهذه سيكون لها انتقام خاص يجعلها تذرف بدل الدموع دماً، فقط تنتظر هي وسترى ما الذي سيحل بها ومن بعدها سيسلم نفسه وسيترك نفسه لهم ليفعلوا به ما يشاءون، فما حاجته للحياة والحرية ومعذبته ليست معه؟ وأيضاً طبعاً سيكون عقاب والدته كالتالي والذي ستعلمونه فيما بعد.

كان يتقدم بهدوء وحذر في رواق المستشفى، أطل رأسه بحذر معايناً الرواق ليراه خالي تماماً، تنهد براحة ليضع قبعة المعطف على رأسه ويمشي بخطوات سريعة قاصداً غرفتها.

وقف أمام غرفتها وقلبه يقرع كالطبول، خائف من مواجهتها ولكن شوقه لرؤيتها وندمه لفعلته الشنيعة أكبر من كل شيء سيقف بوجهه.

أخذ نفساً عميقاً ليدير مقبض الباب ببطئ ويطل برأسه داخل غرفتها، وجدها خالية من أي شخص ماعداها.

كانت نائمة بسلام وضوء خافت منبعث من النافذة، تقدم بحذر نحوها ليشبع ناظريه من رؤيتها، أحس بقشعريرة سرت بجسده حالما ملس على شعرها ليبتسم بعشق وجنون، قبل جبهتها مطولاً وبدأ يوزع قبلاته على جميع أنحاء وجهها، تململت شهد بانزعاج وبدأت تهمهم لتفتح عيناها ببطئ وتقابل شخصٌ ما أمامها، لم تميز ملامحه بسبب العتمة، والضوء الخافت لم يساعدها على ذلك، كانت شاخصة وساكنة وعقلها متوقف عن العمل.

ابتسم سهيل حالما استيقظت ليقول بهمس:

"اشتقت لكِ شهدي"

استطاعت أن تميز صوته لتجحظ عيناها بقوة وتقول بصوت مرتجف:

"مـ من أنت"

لم يجيبها بل ظل يملس على شعرها لتشيح بوجهها عنه وتغمض عيناها بقوة وتردف بخوف وهذيان:

"أنا أحلم، مؤكد بأنه حلم، بل كابوس، أجل كابوس كابوس وسأستيقظ منه، إنه كابوس"

ابتلع ريقه بصعوبة ليقول بهمس:

"شهد، أنتِ لا تحلمين، أنا أمامكِ، جئتكِ معتذراً نادماً، مريني بما تريدين وسأنفذه لكِ بالحال، أعلم أن فعلتي بكِ لا تغتفر ولكني نادم، صدقيني أنا نادم جداً على ما فعلته بكِ، مستعد لتنفيذ أي شيء تطلبينه مني، أذهب للموت لأجلكِ فقط لكي تسامحيني"

كانت تستمع لكلماته اللعينة بارتجاف ودموعها خطت على وجنتها، صوته الذي يتغلغل إلى مسامعها جعلها تتذكر الحادث، نفس النبرة ونفس الصوت، الرعب متمكن منها لدرجة أنها لم تقوى على الحديث ليردف لها بلهفة وصوت هامس:

"شهد، حبيبتي، أنا نادم، قولي لي كيف أكفر عن فعلتي وسأكفر صدقيني، أتيت لرؤيتكِ ولطلب العفو منكِ، أخشى أن يقبضوا علي وأنتِ مازلتي تلعنينني، أرجوكِ، أعلم أن فعلتي شنيعة ولا تغتفر ولكني طامعاً بغفرانكِ، أرجوكِ، أنتِ لا تعلمين ما مر علي من قبل، لو علمتي ربما ستتعاطفين معي قليلاً، أرجوكِ ياحبيبتي، لا تقسين علي، أنا أريد الزواج منكِ"

إلى هنا ولم تعد تستطيع تحمل كلماته لتحاول الصراخ ولكنه أطبق على فمها ليقول بنبرة هامسة وتحذيرية:

"إياكِ، إياكِ والصراخ ياشهد، صراخكِ يعني القبض علي وشنقي، وهذا لم يأتي موعده بعد، إذا أردتي الموت لي فلن أموت سوى على يدكِ أو أمام عينيكِ، ليس القانون ولا المحاكم من يقررون موتي، فقط أنتِ، هل تسمعينني"

حركت رأسها موافقة ببطئ وبكائها يحتد ليبعد يده عن فمها وشهقاتها تعلو شيئاً فشيئاً، ليردف لها سهيل ببكاء:

"شهد، أنا لست لعين، أنا أعلم أن أي شيء في هذه الدنيا لا يبرر فعلتي بكِ ولا أفعالي البشعة سابقاً، ولكني لم أخلق هكذا، لم أرد أن أكون هكذا، كل شيء حولي جعلني لعين وشاب متهور وأفعالي رخيصة، أنتِ الوحيدة التي غيرتي بي أشياء كثيرة، جعلتيني أراجع كل أفعالي وأندم عليها، بسببكِ ولأجلكِ أنتِ، أنتِ يا حبيبتي"

كان أنينها يدوي في الغرفة، تحاول أن لا تركز معه، فقط تريده أن يبتعد، لا تريد أن يكمل ولا أن تسمع صوته، داخلها نيران متأججة.

يراقبها بشفقة ودموعه على وجنتيه، لا يعلم كم تكفيها من كلمات الإعتذار ليمطرها بها، أحقاً يجب على المجرم أن يعتذر من الضحية؟ أحقاً تستطيع الضحية نسيان هذه الفعلة الشنيعة والمسامحة؟ لا أظن ذلك، فعلته أكبر من أن تغتفر.

شهق ببكاء خافت ليقول بصوت مبحوح:

"أرجوكِ إن استطعتي أن تسامحيني فسامحيني، أرجوكِ يا شهد، أقبل قدميكِ، لا أستطيع العيش بهذا الذنب ولا أستطيع الموت دون أن تسامحيني، اغفري لي فعلتي ياحبيبتي"

مسح على شعرها ليراقب حالتها المثيرة للشفقة وهي تشهق بكل ما أوتيت من قوة، مغلقة عيناها بقوة وهي تبكي بكاء مرير، بكاء طعن الشرف، ليبتعد عنها ببطئ ويخرج من الغرفة كما دخل، وما إن شعرت بخروجه حتى بدأت بالصراخ ليجتمع الممرضين بعد دقائق في غرفتها جراء صراخها وبكائها، ظناً منهم أنها نوبة أتتها قد اعتادوا عليها، ليتقدم منها أحد الممرضين ويعطيها حقنة وتسكن شيئاً فشيئاً أمامه وهي تهذي بكلمتان فقط (لن أسامحك).

في اليوم التالي استيقظت آسيل على أشعة الشمس، تململت بفراشها لتفتح عينيها وتنهض بتكاسل، دخلت للحمام وفعلت روتينها اليوم، خرجت لترى أمامها هبة بابتسامة صغيرة، ألقت عليها التحية وبادلتها، لتخبرها بأن آسر ينتظرها على مائدة الطعام، توجهت لخزانتها وغيرت ثيابها، هبطت على الدرج وقلبها يقرع كالطبول، ها هي حالتها دائماً عندما تتأهب لتقابله، ابتلعت ريقها بتوتر ودخلت لتلقي عليه التحية وتجلس دون حتى النظر إليه، وهذا مازاد من حنقه وإصراره على ابتعادها عنه، لو كان منها ذرة مشاعر اتجاهه لكان فكر بأمر بقائها ولكن لا، حتى وإن كان لن يبقيها عنده، سيتخلص منها وسيسفرها بعيداً عنه ليتخلص من حبها، تنهد بقوة ليحاول إخراج الكلمات من فمه بصعوبة، تحدث بجمود:

"أريدكِ أن تجهزي أمتعتكِ، ستسافرين"

نظرت له بعيون جاحظة وهذا الصغير الذي بصدرها يعلو ويهبط بخوف لتبتلع ريقها وتقول بتوتر:

"إلى أين"

أجاب بجمود:

"إلى تركيا"

نظرت له ووجدت وجهه خالي من المشاعر تماماً، لا تعلم بكم النيران المشتعلة والتي تزداد اشتعالها بصدره لتقول:

"ولكن أنا.."

قاطعها ليقول:

"أنتِ ماذا"

هو حتى لا ينظر لها فقط يكتفي بحديثه معها بجمود وبرود، هبطت دمعة ساخنة على وجنتها، يكاد قلبها ينفجر ولا تعلم لماذا، كل ما تعلمه هو أنها لا تريد الابتعاد عنه، حركت رأسها نافية بعد أن مسحت دمعتها بسرعة كي لا تريه ضعفها لتقول:

"لا شيء"

ألمه صوتها وحزنها، شعر بحزنها وبعدم رغبتها بالسفر ولكنه يفعل ذلك لأجلها ولأجله أيضاً، يحمي نفسه من حبها، ويحميها من حبه أيضاً، لإنه إذا بين لها حبه وتملكه ستختنق منه، هه لا يعلم بأنها تستقبل كل شيء منه برحابة صدر، حرك رأسه موافقاً بجمود وهو يكمل طعامه، أمرها بأن تحضر ثيابها لإن السفر بعد ساعتين، استأذنت منه وخرجت لتصعد إلى غرفتها لتسمح لنفسها بالبكاء الشديد، تاركة ورائها رجل انفطر قلبه من حبها، تنهدت بأسى من بين دموعها، لماذا يحدث ذلك معها؟ لماذا كل ما تعلقت بأحد يبتعد عنها؟ حسناً لن تهتم، ستعيش بعيداً عن الجميع غير آبهة لأحد، أليس هو من اختار الابتعاد؟ أليس هو من يريدها أن ترحل؟ حسناً سترحل ولكن هي تعلم وواثقة بأنه سيأتي إليها، وعندها ستريه العذاب الذي تتعذبه هي كثيراً.

مسحت دموعها بعنف ونهضت من على الأرض لتبدأ بجمع أغراضها بحقيبة صغيرة، انتهت من جمع أغراضها وبقي على موعد رحيلها ساعة واحدة، ومع كل دقيقة تمر يحترق آسر من داخله، يفكر بها، تشغل باله وعقله، لن يدعها من دون حراسة، سيحميها حتى وإن ابتعدت عنه، خصص لها طقم حراسة كامل كي يقومون بحمايتها وجهز لها منزل بتركيا امتلكه هو منذ سنتين، وسيسفرها بطائرته الخاصة، تنهد بحزن وهو يقف بالشرفة بجمود، حسناً وها هي الساعة الثانية قد انقضت وحال آسيل وآسر لا يمكن وصفه، كل منهما يتحسر على نفسه، تمنى اثناهما أن يمر الوقت ببطئ شديد، وكأن عقارب الساعة تحدتهما لتمر بسرعة شديدة، تنهدت آسيل بحرقة بعد أن رأت الحارس دخل عليها ليأخذ حقيبتها للسيارة، خرجت من غرفتها لتهبط إلى الأسفل وتراه يقف بجمود وبرود، وقفت أمامه ونظرت له مطولاً، وكأنها تحفظ ملامحه وترسخها في ذاكرتها، وعلى من تكذب؟ فقد تمكن من قلبها من أول كلمة نطقها أمامها، ملامحه بالأساس مرسخة بذاكرتها فلماذا تحفظها؟ ولكن عندما ترى الشخص الذي تعشقه أمامك بشخصيته وحواسه كلها سيكون للدنيا طعم ثاني، على عكس أن تتخيل الشخص أمامك دون أن تراه بالواقع، كحاله هو كان ينظر لها بندم، حب، شوق، ألم، وعلى السبب الذي جعله بلا مشاعر أو شبه بلا مشاعر، لإنه كاذب، فلا يوجد إنسان من دون مشاعر وأحاسيس، ولكن كونه آسر فسيخفي جميع هده الأحاسيس التي أفاقتها آسيل ويرميها بعيداً.

ظلا ينظران لبعضهما مطولاً، آسر ينظر لها ببرود مخفي مشاعره بداخله، وهي تنظر له بحزن وشوق، بحركة سريعة ومن دون سابق إنذار ولا يعلم كيف افتعل ذلك ضمها إلى صدره، دافناً وجهه في عنقها يستنشق عبيرها وكأنه يغلغل رائحتها في أنفه لتظل عالقة به، بادلته العناق بشوق وحنان مستمتعة بهذه اللحظة، سيكون أول وآخر عناق بينهما على ماتعتقد لذلك ستستغل هذه الفرصة وتستمتع بهذه اللحظة التي لا تعوض، بينما هو كاد أن ينفجر بمشاعره، تحول العناق إلى عناق يكسر العظام بالنسبة لآسيل فهو كان يعتصرها بين يديه، ابتعد عنها وتنهد بحزن وحمحم قليلاً ليتركها ويعود إلى بروده الذي لعنته ومقتته آسيل ويتحدث بجمود:

"حسناً انتبهي إلى نفسكِ، هيا قبل أن تتأخرين"

ابتسمت ابتسامة ألم، لتمد يدها وتعطيه ورقة شبه كبيرة وتتحدث بجمود ولكن بصوتٍ ناعم:

"وداعاً آسر"

أنهت كلمتها ورحلت فوراً لينظر هو لها وهي تبتعد عنه وتخرج من المنزل بأكمله، ماذا! هل نادته بأسمه؟ هل لفظته على لسانها؟ كم عشق اسمه عندما سمعه منها، لقد ندم، أجل ندم كثيراً عندما رحلت، منذ ثواني رحلت واشتاق لها، نظر للصورة التي أعطته إياها ليرى نفسه قد رسمته باحترافية، خطوط وجهه وتقاسيمها، لحيته التي تزيده وسامة، عيناه التي كعينان الصقر، وحاجبيه المعقودين دائماً، كل هذه الملامح جسدتها آسيل لتخرج

فنها وتنهي رسمتها بصورته التي بين يديه، تنهد بقوة وتمنى بهذه اللحظة أن تعود إليه ليسحق جسدها من عناقه المشتاق، سيحتفظ بهذه الصورة للأبد لإنها منها هي، وسيحتفظ بعشقه لها في قلبه ولن يبوح بعشقها لأحد، سيبقى محافظاً عليه في عقله، أجل سيصارع نفسه كل يوم كي يخرج أمام الناس ببروده وجموده مختبأً وراء قناعه المعهود محتفظاً بحب فتاة أوقعته في شباكها من النظرة الاولى.

هبطت الطائرة معلنة عن وصولها إلى تركيا ومع هبوط الطائرة تهبط دموع آسيل لتنزل منها وتركب بسيارة فخمة وبرفقتها طقم الحراس الذي خصصه آسر لها، وقفت السيارة عند بيت حديقة المنزل، حسناً ليس كبيراً ولا صغيراً فقط مناسب الحجم وجميل بكل ماتعنيه الكلمة من معنى، دخلت للمنزل لترى أثاثه المرتب والبسيط والجميل، اتجهت للأعلى لكي تكتشف المنزل، حسناً من الآن لا حزن ولا وألم ولا والدين ولا آسر، ستعيش حياتها بعيداً عن الجميع، أجل اشتاقت لهم جداً واشتاقت لآسر أيضاً بالرغم من أنها لم يمضي سوى ثلاث ساعات على بعدها عنه ولكنها اشاقت له، ولكن هو من اختار بعدها لذلك ستحاول جاهدة أن تخرج ذلك الشعور الذي ولد بقلبها من جديد متمنية له ولنفسها وللجميع بحياة جديدة وجميلة بعيدة كل البعد عن الحزن والألم والأسى.

" آهٍ كم هوَ صعبٌ القرار

والأصعبُ منهُ هوَ الاختيار

آهٍ سأُسميها لُعبةُ الأقدار

مخيرينَ بينَ الجِنةِ والنار

فكِلاهُما سيُغيرانِ المسار

سأِمتُ الإنتظار

سأختار ..

أو... لا سأُفضلُ الإنتحار

هذهِ نهايةُ لعُبتي تنتهي بالانهيار "

كانت تتنهد بحنق وغضب، كئيبة، حزينة، منغاظة، غاضبة منه، لا تعلم ما الذي غيره، كيف له أن ينساها وهو كان يموت بها عشقاً؟ هل تخلى عنها؟ هل مل منها ومن وجودها؟ ظنت بأنه سيكون مشتاقاً لها كثيراً مثلها تماماً، ولكنه لا يأبه لها ويتجاهلها، ما الذي فعلته له حتى يفعل هكذا بها؟ ولكن هي من تسببت بهذا الشيء، رفضته وأبعدته عنها، والآن تشعر بأن لا وجود لحياتها بدونه، تريده وبشدة، تشعر بتأنيب الضمير على مافعلته به، أخذت غرفتها ذهاباً وإياباً وهي ممسكة بهاتفها، وضعت يدها على زر الاتصال برقمه بتردد، تتصل أو لا؟

لا تعلم، كبريائها يمنعها وقلبها يصرخ طالباً لسماع صوته، تنهدت بعمق وشجعت نفسها لتضغط على زر الاتصال ويرن هاتفه، ومع كل رنة تزداد دقات قلبها، أجابها صوته الناعس الأجش ليقول:

"نعم"

ارتبكت ولم تستطع الحديث ليعقد حاجبيه باستغراب ويقول:

"نعم من معي"

هو لا يملك رقمها في هاتفه ولكنها هي أخذت رقمه من هاتف أخيها، تحدثت بتلعثم:

"اا مرحباً ليث"

أتاه صوتها ليفتح عينيه باتساع ويعتدل بجلسته ليقول بهدوء:

"أهلاً من أنتِ"

امتعضت حين لم يعرف صوتها وقد أوشكت على أن تفقد الأمل منه وندمت على اتصالها له، هو يعرف صوتها ويميزه من بين مائة صوت ولكنه أراد استفزازها قليلاً، تحدثت بحنق:

"أنا رنيم"

ضحك بسره ليقول ببرود:

"أهلاً رنيم كيف أتيتي برقمي"

تنهدت بحنق بينما هو مستمتع بحنقها لتقول بغضب:

"جلبته من باسل اللعين ارتحت الآن"

ضحك بخفوت ليقول باستفزاز وبرود:

"حسناً ولماذا تلعنين؟ وماذا تريدين؟ هل كل شيء بخير"

صرخت به لتقول:

"لا شكراً لا يوجد شيء مع السلامة"

أنهت مكالمتها وأغلقت الهاتف بوجهه بينما هو ضحك عليها أشد الضحك لينظر لهاتفه ويحدث نفسه:

"لم ترين شيئاً بعد ياحبيبتي الغاضبة"

بينما رنيم تكاد تموت وتنفجر من شدة غيظها، لما يفعل معها ذلك؟ ولما يعاملها بهذه الطريقة؟ تنهدت بضيق وحسرة لتنهض وتشغل نفسها بأي شيء حتى لا تشغل تفكيرها به، ستحاول أن تعلن استسلام قلبها وتكابر وتتجاهله كما يتجاهلها، ستبدأ قصة حبهما من جديد ولكن حب يغلفه الكبرياء والكرامة، وسنرى من سينتصر على الآخر ومن سيتنازل للآخر أيضاً.

جالس بغرفته، ظلام كامل ودخان يتصاعد في الغرفة، الكثير والكثير من السجائر والخمر، يراها أمامه، يتذكر ضحكتها التي لم يرى لها مثيل، ابتسامتها البريئة، بكائها الذي يضعفه، وعذريتها التي فقدتها لتكسر ظهره بالظلم الذي حل بها، يحاول أن يأخذ منها الكلام ولكن لا يسمع منها سوى البكاء والصراخ، في آخر مرة كان عندها فرح كثيراً بتقدمه خطوة للأمام معها، تلك الصغيرة تجعله يشعر بتأنيب الضمير على ترك شاب سافل مثل سهيل ليسلب منها برائتها وضحكتها، منذ حادثة ماريا أخته لم يمس امرأة، أقسم بيومها أن لا يعود للنساء ولعلاقاته المتعددة، والآن أصر على أنه سيظل على قسمه ولن يمس امرأة سوى من دخلت قلبه، يحبها ويرى بها البرائة، وإن كانت بلا عذرية ولكن لن يكون متخلف إلى ذاك الحد، لديه أخت ويخاف عليها مثلما يخاف على شهد تماماً، سيخرجها من حالتها ولو كلفه الثمن عمره بالكامل.

نهض ليجهز نفسه ويذهب إليها لتنفيذ ما يجول في خاطره عل وعسى تتجاوب معه، دخلت شقيقته عليه لتكح بشدة من الدخان المتصاعد، ابتسم لها وهو يخرج ثيابه ليسمع صوتها تحدثه بحنق:

"يا رجل ما كل هذا الدخان؟ ولماذا تشرب إلى هذا الحد"

ابتسم بفتور ليقول :

"ألم تعتادين بعد؟ اخرجي أريد أن أغير ثيابي"

ضمت يديها إلى صدرها لتقول:

"وإلى أين ستذهب؟ لا تقل لي بأن لديك موعد غرامي"

امتعض ليقول:

"لا، سأذهب إلى المستشفى"

عقدت حاجبيها لتقول بقليل من الخوف:

"ولما المستشفى؟ هل تعاني من شيء؟ ماذا حدث أجبني؟ حسناً سأتي معك انتظرني حتى ..."

قاطعها يوسف ضاحكاً:

"يافتاة اهدئي، لا أعاني من شيء، سأذهب لزيارة مريضة وأحقق بقضية"

انتابها الفضول لتعرف ما سر ذهابه وما هي القضية لتقول بفضول:

"ومن هي الفتاة وما بها؟ هل هي جميلة؟ من ماذا تعاني"

نفخ خديه بملل ليقول:

"ماريا اغربي عن وجهي لا شأن لكِ"

تقدمت منه لتضع يدها على كتفه وتقول:

"أرجوك قل لي من هي الفتاة وماذا أصابها وماهي القضية"

تنهد بقوة ليقول بجمود وبرود عكس النيران التي تشتعل في صدره من الداخل:

"اسمها شهد وقد تعرضت للأغتصاب وأنا أذهب لها كل يوم كي آخذ أقوالها ولكن لا تجيبني سوى بالبكاء والصراخ، حالتها النفسية سيئة جداً"

شهقت ماريا بقوة وعقدت حاجبيها بحزن لتقول بنبرة حزينة:

"مسكينة، كم عمرها"

تنهد بقوة ليقول:

"من عمركِ تقريباً"

ظلت على حالها وتنهدت بحزن وهي تفكر بها وبحالتها وتشعر بها، التفتت لأخيها لتقول:

"وأنت لما مهتم بها"

نظر لها بقوة وامتعض وجهه ليقول:

"ماريا ضعي نفسكِ مكانها، ألا تحتاج الشفقة والوقوف بجانبها"

تحدثت بنبرة ذات مغزى:

"وأنت تقف بجانبها شفقة عليها فقط"

عقد حاجبيه باستغراب ولعن نفسه كونه قد فضح أمره بمشاعره الظاهرة ليقول بتهكم محاولاً قلب الوضع لصالحه:

"لا، أقف بجانبها كي آخذ منها ميعاد"

ضحكت لتقول:

"أنا أعرفك جيداً فلا داعي لإن تخبئ مابداخلك، أنت لا تهتم لأي فتاة إلا إذا كنت تحبها"

تنهد بقوة ليقول:

"حسناً اخرجي الآن"

ابتسمت له لتقول:

"أريد أن أذهب معك أرجوك أريد أن أراها، لعل وعسى أستطيع أن أخرجها من حالتها وسأخذ لها الكثير من المخدرات، ها ما رأيك"

أنهت جملتها بمرح ليضحك ضحكة صغيرة ويقول:

"حسناً أذهبي وارتدي ثيابكِ ولكن لا تتفاجئي إن صرخت عليكِ اتفقنا"

حركت رأسها موافقة بابتسامة لتقول بغرور:

"لا تقلق سأستطيع التفاهم معها، شقيقتك مفعولها قوي، سنصبح أنا وهي أصدقاء وسنتبادل صور الممثلين المشهورين والوسيمين يسس"

صفقت بمرح لتخرج راكضة من غرفته خلف ضحكات أخيها عليها، ارتدى ملابسه وهو على أمل بأن يستطيع التحدث إليها والتفاهم معها في هذا اليوم، أنتهى من ارتداء ملابسه ليخرج ويرى شقيقته تقف بابتسامة عريضة ويتجه بها إلى المستشفى، هبط يوسف وماريا من السيارة ليدخلان المستشفى ويتوجهان للغرفة التي تقنط بها شهد، تنهد يوسف بقوة وطرق طرقات خفيفة على الباب ليفتحه بهدوء ويدخل ليرى والديها وهشام وسمية عندها، ألقى التحية عليهم وعرفهم على شقيقته ليوجه نظره لها ويراها ممددة على سريرها بهدوء، شاردة الذهن تنظر إلى النافذة بجمود، عقدت ماريا حاجبيها بحزن ورغبة كبيرة أتتها بالبكاء على هذه الصغيرة، توجه يوسف إليها وجلب كرسي وجلس أمامها ليقول موجهاً حديثه لها:

"كيف حالكِ يا شهد"

نظرت له ولم تجبه ليقول بنبرة مرحة:

"ممم انظري لقد جلبت معي شقيقتي كي تتعرفين عليها وتصبحين أنتِ وهي أصدقاء"

ابتسمت ماريا باتساع وتقدمت من شهد لتجلس بجانب أخيها وتقول:

"أهلاً أيتها الشاردة، حسناً حسناً سأعرفكِ عن نفسي، مم اسمي ماريا وعمري عشرون عاماً، جميلة ولطيفة وأحب التسالي كثيراً، بالمناسبة لقد جلبت لكِ منهم انظري"

أنهت جملتها وهي تخرج التسالي من حقيبتها وعلى محياها ابتسامة مرح، لتنظر شهد لها وتهز رأسها، اتسعت ابتسامتها لتردف:

"هيا عرفيني عليكِ، ماذا؟ اااه أجل أجل أعلم لما أنتِ صامتة لإنني قلت لكِ بأنني جميلة، حسناً هذه هي الحقيقة أنا جميلة وطيبة جداً ولكن أنتِ تتعدين صفاتي بأشواط، يافتاة أنتِ تسرقين مني الأضواء"

ابتسمت شهد بفتور لتتسع ابتسامة ماريا وكذلك يوسف فرح جداً وأيضاً والدا شهد لأول مرة يبتسمان من بعد تلك الحادثة وكذلك هشام وسمية، وجهت ماريا نظرها ليوسف لتقول بابتسامة:

"أرأيت لقد قلت لك، حسناً هيا اخرجوا جميعاً نريد أن نتحدث أنا وشهدي لوحدنا"

رفع يوسف حاجبيه ليقول ضاحكاً:

"ولما نخرج؟ تحدثا أمامنا"

عبست ملامح ماريا لتقول:

"لا لا هذه أحاديث فتيات وغير ذلك لقد جلبت مخدراتي معي كي أتقاسمها أنا وشهد، أنتم الآن تأكلونها كلها هيا هيا اخرجوا"

ضحكوا جميعاً وشاركتهم شهد وماريا أيضاً ليقول يوسف:

"سنبقى ولكن لا تخافي لن نقترب من المخدرات خاصتكِ"

عبست ماريا وانتفضت لتقول:

"اصمت واخرج يا أحمق"

جحظ يوسف عيناه ليقول:

"أيتها البقرة أقسم بأنني سأتدبر أمركِ في المنزل"

وجهت ماريا حديثها لشهد لتقول:

"شهد دافعي لي سيضربني أنا صديقتكِ حبيبتكِ هيا قولي له"

ابتسمت شهد ولم تتحدث وهي توجه نظرها بينهما لتردف ماريا:

"يا فتاة أنا لا أحب المستشفيات، انظري سأبعث بيوسف حتى يأخذ لكِ إذن كي تخرجين من المستشفى ونذهب أنا وأنتِ سوياً ونمرح على طريقتنا"

أنهت جملتها غامزة لشهد ليرفع يوسف حاجبه ويقول:

"إلى أين ستذهبا"

امتعضت ماريا لتقول:

"ها قد بدأنا، حباً بالله اغرب عن وجهي أريد أن أخطط مع الفتاة لنرى مشاريع اليوم"

تحدث بحنق:

"أيتها الغبية اصمتي، كيف للفتاة أن تخرج من المستشفى الآن، مازالت متعبة فقط اصمتي لإن صوتكِ النشاز يضرب على رأسها، هيا هيا اصمتي"

امتعضت ماريا لتوجه حديثها لوالد شهد وتقول بتذمر:

"عمي قل له أن يصمت قليلاً أووووف"

نظر يوسف لها نظرة جانبية وصمت بينما الجميع يضحكون عليهما، تحدث يوسف موجهاً حديثه لشهد ممازحاً:

"إذاً لم تقولي لي كيف حالكِ؟ لا لا يا إلهي أختي أخذتكِ مني سأنتحر اتركوني"

أنهى جملته بمرح لتضحك شهد ويبتسم الجميع لإنها خرجت من حالتها قليلاً بسبب هذان الشقيقان، تحدث يوسف بابتسامة وقليل من الجدية:

"حسناً ياشهد، ألا تريدين أن نتحدث أنا وأنتِ قليلاً"

أشاحت ببصرها عنه إلى اللاشيء لتقول ببرود:

"بماذا سنتحدث"

أجاب بهدوء:

"بالحادث"

ابتسمت بسخرية قائلة:

"ولماذا سنتحدث بما أنكم لم تقبضون عليه حتى الآن"

ابتلع ريقه بصعوبة كما أن ماريا استائت جداً لحالتها حيث استشفت الألم الذي بداخلها ليقول يوسف بحرج:

"أنا من أجل ذلك أريد التحدث معكِ، لعل وعسى أستطيع أن أتوصل إلى أي شيء يخصه وأعرف مكانه"

أجابت بتهكم ومازال نظرها بعيداً عنه:

"إذا أردت القبض عليه فقم بتشديد الحراسة هنا لإنه كان هنا في الأمس"

شهق كل من في المكان بأعين جاحظة ليقول يوسف بعدم فهم:

"ما ماذا قلتي شهد؟ من كان هنا في الأمس؟ هل تقصدين سهيل"

حركت رأسها بإيجاب ليردف لها بذهول:

"كيف أتى؟ كيف استطاع الدخول إلى هنا؟ ماذا قال لكِ"

نظرت له ببرود مجيبة:

"لا أعلم كيف دخل، ولا يهمني أمره، ولا أريد أن أتذكر ماقاله، أريدك فقط أن تقبض عليه، إذا كنت فعلاً تريد أن تساعدني"

كان يريد أن يتحدث ولكن ذهول الموقف أصمته وجعله يخرج من المكان مسرعاً تحت أنظار الجميع، تقدم إليها والدها ليقول بحنو:

"صغيرتي، أحقاً كان هنا؟ أم أنك رأيتي منام؟ أو أنه يهيأ لكِ ذلك"

تابعته شهد بصدمة لتنفعل وتقول بصراخ:

"هل حقاً لا تصدقني أبي؟ هل حقاً تظن أني مجنونة لكي لا أستطيع التفريق بين الواقع والحلم؟ هل أنت أيضاً أصبحت توافق الأطباء الذين يتابعون حالتي على أني مجنونة"

ارتبك جداً كحال كل من في الغرفة لتتدخل ماريا بالحديث:

"حبيبتي شهد، والدكِ لا يشكك بشيء، ولكن صعوبة الحادث قد تفرض عليكِ أشياء كثيرة وأحلام وكوابيس، لذلك هو يسألكِ لا أكثر"

انفعلت أكثر لتجيب بأعين دامعة:

"لا يهمني، ولا أريد أن أتحدث بهذا الأمر بعد الآن، إن كان لا بد من فشل أخيكِ ومن معه بالقبض عليه فدعوني وشأني، لن أخبركم بما حل بي لإنني لا أريد أن أراجع تلك الحادثة، هو أساساً متورط بعدة قضايا فلن تقف قضيتي عليه، حالما يقبضون عليه يقومون بإعدامه أو سجنه لا أعلم، المهم بعيداً عني"

وجهت نظرها وحديثها لوالدها مكملة:

"أريد أن أخرج من هذه المستشفى اللعينة أبي، لا أطيق رؤية وجهه مجدداً، لا أريد أن يأتي إلى هنا مجدداً، أريد أن أخرج لإن أولئك العساكر الذين في الخارج كـ قلتهم أتسمعني أيها الضابط؟ رجالك كـ قلتهم"

أنهت كلامها بصراخ موجهة إياه ليوسف الذي يقف في الخارج ويستمع لها، وما إن أزاحت عن صدرها هذا الكلام حتى بدأت بالبكاء والنحيب محاولاً كل من بالغرفة تهدأتها، أما يوسف فقد أدمعت عيناه وأخذ نفساً عميقاً ليزفر بضيق وداخله بركان من الغضب من رجاله ومن سهيل وسينفجر حتماً.

يجلس في منزله الواسع وكأنه يضيق على صدره هذا المنزل الكبير، لا يعلم لما بدأ يكره المكوث فيه، هل من أجلها هي أم ماذا؟ اشتاق لها، اشتاق لرؤية عينيها، اشتاق لشفتيها ولكل شيء بها، يحاول التحكم بنفسه بصعوبة مخافة من أن يسافر إليها ويبرحها ضرباً كي لا تبتعد عنه مرة ثانية ويعيدها معه ليتزوجها غصباً عنها، بلغت ذروة غضبه وحنقه، يريدها له ولكنه يكابر،، حسناً ولما المكابرة؟ لما الحماقة بالأساس؟ أليس من هو الذي تركها تسافر؟ أليس من هو الذي أبعدها عنه؟ حسناً إذاً لا تشتكي من لسعة النار وأنت من بدأ بإشعالها، ظن بأنه سيرتاح عندما تبعد عنه ولكنه هو الآن يتعذب أكثر من ذي قبل، يكاد يجن من فقدانها، لا يستطيع خسارة شخص آخر في حياته، ولكن كل هذا من صنع يده، لما يوجد في الدنيا شيء يسمى الفراق؟ ولما يوجد شيء اسمه كبرياء؟ واللعنة كم تجرح القلب وتحرق الصدر من جوفه.

منذ ليلة أمس حتى الآن وهو لا يكل ولا يمل عن الشرب والسجائر، لم يذق طعم النوم فقط يفكر بها، يكاد يبكي لفقدانها ولكنه يتحامل على نفسه كي لا يبين ضعفه أمام نفسه حتى، كم هو صلب ولعين لا يعرف مصلحته، أحس كم هو غبي وساذج عندما أبعدها عنه، لم يعلم بأنه سيحترق من داخله بهذه الطريقة البشعة، الآن عرف ماهو الحب وما هي لعنته، عرف ماهو الفراق وما هو العذاب، لم يرى يوماً أبيضاً في حياته كل حياته كانت باللون الأسود، قاتمة، مملة، إلى أن جائت تلك الفتاة ولونت حياته بالألوان الزاهية، لتبتعد عنه ويعود إلى الأسود فقط. يمسك كأسه بيد واليد الثانية يمسك سيجارته بها، هو حتى لم يذهب إلى عمله ويمارس روتينه اليومي، فقط على حاله منذ ليلة أمس ومنذ وقت رحيلها بالشرب والسجائر.

رمى الكأس من يده ليصتدم بالحائط ويتناثر ويتحول إلى قطع زجاج صغيرة، يريد أن يفرغ طاقته السلبية بأي شيء، كسر وحطم ولم يدع شيئاً في غرفته إلا وحطمه، يلعن فقط على غبائه الذي لم يعهده بنفسه من قبل، بدأ يتنفس بسرعة شديدة ويلهث بصعوبة بالغة، أمسك بالصورة التي أعطته إياها قبل رحيلها وبدأ يتأملها، صحيح بأنه يتأمل نفسه ولكن هذه الورقة التي بين يديه تذكره بها، كونها هي من أعطته إياها فهي منها ويتذكرها بها، تأملها بهدوء تام وهو يتحسر على نفسه وعلى والداه اللذان جعلان منه شخص قاسي كاره حياته غير مبالي لأحد، وغير مبالي لمشاعره الميتة التي استيقظت عندما دخلت آسيل لحياته، ليس له ذنب في الذي يحدث معه، لم يرتكب أي خطأ في حياته، كان كل همه أن يحقق حلمه، فقط حلمه، وبماذا كوفئ غير بالفراق والابتعاد، ولكنه قوي وسيظل كذلك إلى آخر نفس في حياته، سيكابر، أجل سيكابر ولن يتراجع عن قراره، يرى الصح له ولها في رحيلها، سيبقى يحترق من داخله بينه وبين نفسه، لن يعترف، ولن يذهب إليها، ولن يعشقها أبداً.

عند آسيل في بيتها الجديد

تجلس تلك الفتاة شاردة الذهن، حزينة، كئيبة نوعاً ما تكاد تموت من شوقها له، لم تشعر بطعم الاشتياق إلا عندما فقدته وابتعدت عنه، تسأل نفسها، لم أبعدها عنه؟ لما قسي عليها إلى هذا الحد؟ هل تضايق من وجودها في منزله؟ هل يرى بها عيب كونها هربت من زوجها وظلم والدته؟ أسئلة كثيرة في عقلها لا يوجد لها جواب عندها، تحترق من الداخل، لقد مرت بأصعب من ذلك وستتجاوز هذه المحنة وتنسى كل شيء لتبدأ حياة جديدة بعيدة كل البعد عنه، ستكون بعيدة عن الحزن والألم لإنه لم يجلب لها سوى الحزن، تمنت أن يقف بجانبها ويساندها، ولكن لما؟ هو ليس مجبور على فعل ذلك، مجرد فتاة غريبة عنه تعرضت لعدة مشاكل في حياتها وهربت من بيت زوجها، هذا ما تفكر به وتقنع نفسها به أيضاً، تسخر من نفسها ومن تفكيرها الأحمق، تسخر من حياتها التي لم ترى فيها إلا الحزن في آخر فترة، تسخر من قلبها الذي تعلق برجل بارد لعين جامد، ستحاول نسيانه وتبدأ من جديد، هه لا أحد يموت على فراق أحد، ستظل تقنع عقلها وقلبها الأحمق بذلك الشيء إلى أن تلتقي بأمير يستحقها ويستحق برائتها وأنوثتها.

" وكأنني وُلدتُ على ظهرِ وترٍ

تعزفُ الأيامُ على قلبي دونَ رحمةً

ولا أملكُ حيلةً

فكلما ابتسمتُ علمتُ أنّ حظي بعدها حُزن

وما إن أرقصُ حتى تهوى الذكرياتُ كالمطر "

في بيت وائل

عازم على إجراء اتصال مصيري، ينتظر الرد وهو متلهف لما سيحدث بعد قليل من الوقت، سينتقم من كل من أبعدها عنه، وسيعاقب نفسه على سذاجته من بعدها، ينتظر رده بفارغ الصبر، رنة رنتان ثلاث ويجيب ببرود:

"نعم"

تحدث وائل ببرود متبادل:

"سيد هشام"

أجابه:

"أهلاً من معي"

أجابه ببرود:

"مم لا أعلم كيف أبدأ الحديب معك ولكن أنا مضطر جداً لإن أقابلك بمنزلك أنت وزوجتك المدام أحلام والمدام سمية ماذا قلت"

عقد هشام حاجبيه باستغراب ليقول:

"من تكون؟ ومن أين تعرفني وتعرف أحلام وسمية"

ابتسم وائل بسخرية ليقول:

"أليس أنت والد آسيل"

لهف قلبه من سماع اسم ابنته ليتحدث بسرعة:

"أجل أنا والدها، أنت تعرفها؟ أين وجدتها؟ وكيف حدث ذلك؟ أرجوك دعني أراها تفضل إلي في أي وقت حسناً"

اتسعت ابتسامة وائل ليقول:

"حسناً حسناً بالمناسبة اسمي وائل ولقد تكلمت مع طليقتك المدام سمية وقلت لها بأنني أود مقابلتها ومقابلة حضرتك من أجل موضوع ابنتكما آسيل ولقد تلهفت لمعرفة الخبر الذي سآتيكم به، إذا سمحت وتكرمت اذهب واجلبها لمنزلك ريثما أصل إليكم"

تحدث هشام بسرعة:

"حسناً سأجلبها فوراً ولكن أرجوك لا تتأخر"

تحدث بشرود:

"لا تقلق سآتي في الحال"

أنهى جملته وأغلق الخط بسرعة ليبتسم بسخرية على ما سيحدث ويتخيل منظر أحلام عندما يكتشف زوجها حقيقتها، سيحدثهم بكل شيء وسيفعل مافي ذهنه من بعدها وهو مرتاح البال.

بينما عند هشام ما إن أغلق الخط حتى توجه راكضاً للأسفل وهو يرتدي سترته بسرعة، التقت به أحلام وهو يهبط بسرعة لتعقد حاجبيها باستغراب وتقول:

"على رسلك عزيزي إلي أين"

تحدث بسرعة وهو متوجه نحو الباب:

"سيأتي ضيف الآن سأذهب لأجلب سمية هناك أمر مهم انتظريني"

ما إن سمعت اسم سمية حتى تغلغل الدم في رأسها وتنهدت بغل و حدة، ماذا يريد منها؟ ولماذا سيأتي بها؟ ماذا يحدث؟ يا لها من لعينة هي وأخاها، اللعنة عليهما وعلى آسيل، هذا ماكانت تحدث نفسها به، تنهدت بحنق وتوجهت لغرفة المعيشة منتظرة قدومهما وقدوم ذلك الضيف الذي تجهله، لا تعلم بأن جحيمها قادم وبأن اليوم سيكون آخر يوم لها في هذا المنزل.

يقود سيارته بسرعة كبيرة كالمجنون، يدعي بسره أن تكون ابنته مع ذلك المجهول ويأتيه بها، متلهف ومتشوق لرؤيتها وضمها لصدره معطياً حنانه الذي حرمت منه طوال العشرون عاماً، غير ذلك لا يعلم ما سر خفقان قلبه بسرعة كلما جاءت سيرة سمية على الألسن، فما باله إذا كان ذاهب لرؤيتها ولجلبها معه إلى بيته أيضاً.

ركن سيارته على الجانب الأيمن، هبط من سيارته ليتوجه مسرعاً إلى محبوبته بقلب صارخ من شوقه لاسترجاعها، أخذ نفس عميق وطرق على بابها ليأتيه صوت خطواتها من الداخل وتفتح الباب له وهي مستعدة للخروج معه، نظر لها بشوق وهيام لتلاحظ نظرته وتتجاهله، تحدثت معه ببرود عكس شوقها له الذي بداخلها لتقول:

"أهلاً سيد هشام، أنا جاهزة، أرجو أن يكون أمر ذلك الشخص مهم ويكون لديه معلومات عن ابنتي"

امتعض جداً كونها نادته بسيد، ابتسم بسخرية ليصحح لها ويقول:

"تقصدين ابنتنا يا سمية"

تحدثت بلا مبالاة لاستفزازه:

"أياً كان هيا فلنذهب رجاءً"

راقبها بعيناه وهي تغلق الباب وتتوجه إلى الجانب الآخر، تنهد بحنق وكور قبضته تعبيراً عن غضبه منها، لن يفقد الأمل، حسناً سيهدأ، لديها كامل الحق في ذلك وسيستقبل منها كل شيء برحابة صدر، نفض سترته بعنف وتوجه لها، صعدا سوياً لسيارته وأخذ نفس عميق ليبدأ بالقيادة، حاول أن يكسر الصمت ليقول:

"مم ما الذي قاله لكِ ذلك الشخص؟ أقصد ماذا حدثكِ بشأن آسيل"

أجابت بجمود:

"قال بأنه يعلم كل شيء عن آسيل وسيتحدث بأشياء مهمة كثيراً بالنسبة لك"

عقد حاجبيه باستغراب ليقول:

"أشياء مهمة، لم أفهم"

تحدثت بلا مبالاة:

"حسناً عندما يأتي تفهم منه"

نظر لها بحنق ليقول:

"ما بكِ؟ أشعر بأنكِ لا تطيقين سماع صوتي حتى"

همهمت ببرود لتقول:

"أجل ولست بمزاج جيد، أرجو أن ينتهي كل شيء على مايرام وتعود ابنتي لحضني بأقرب وقت"

نظر لها بغضب ليقول:

"سمية لا تحاولين استفزازي، تعلمين جيداً بأنني أستطيع أن أحرمكِ من آسيل ولن أدعكِ ترينها إذا بقيتي على أسلوبكِ هذا"

ابتسمت بسخرية لتقول:

"هي تعود أولاً ومن بعدها هدد على مزاجك يا سيد هشام، لم أعد أبالي لشيء فلا تحاول إخافتي بشيء تعودت عليه مسبقاً"

ابتسم بسخرية ليقول:

"رائع"

لم تجب بل ظلت بملامحها الباردة، تنهد هشام بحنق وغضب، هاهي تزيدها عليه أكثر، شعر بقليل من الإحباط بسببها، لن يحتمل معاملتها وجفائها هذا، يحاول أن يتحكم بغضبه الذي تعرفه هي جيداً وإلا لن تسلم منه أبداً، سيحاول كبح نفسه عن عدم ضربها أو إجبارها على شيءٍ ما، هو يريد أن يسترجعها بالحسنى وليس بالغصب، لذلك سيظل متحكم بنفسه وبأعصابه التي أتلفتها هذه المرأة، وصلا إلى منزل هشام ليهبطان من السيارة، تمشي سمية بثقة وهدوء وبرود، مسببة صوت طرقات على الأرض بكعبها العالي، بينما هشام يتابع خطواتها ومشيتها الواثقة ليبتسم بشرود دون وعي وهو واقف بمكانه، رمش عدة مرات ليتوجه إليها بسرعة ويفتح الباب بمفتاحه، دخلا اثناهما للمنزل لتستقبلهما أحلام بغل ونظرة اشمئزاز موجهة لسمية، بينما سمية نظرت لها ببرود وصافحتها باشمئزاز وتعالي لتقول ببرود:

"أهلاً"

لم تنتظر لتسمع ردها فقد توجهت للصالة الكبيرة تحت نظرات أحلام المشتعلة منها، بينما هشام يحاول جاهداً كبح ابتسامته من موقف سمية مع أحلام، لحق هشام بسمية تاركاً أحلام بمفردها مشتعلة من غيظها، توجهت إليهما لتنضم لهما وتجلس معهما، ظلت أحلام تنظر لسمية والغيرة تنهش بقلبها، بينما سمية لم تعرها أي اهتمام تضع ساق فوق الأخرى وتنظر إلى اللاشيء بشرود، كان هشام يتابع نظرات أحلام إلى سمية وهو يبتسم باتساع على حالها، وجه نظره لسمية التي لم تعر لهما اهتمام أبداً، ظل ينظر لها بهيام وحب وشوق، بينما أحلام وجهت نظرها لهشام الذي كان شارد بملامح سمية الباردة لتتنهد بحنق وغل وغضب، حاولت أن تلفت نظرهما لتقول:

"إذاً ماذا تحبي أن تشربين سمية"

تنهدت بقوة وتحدثت ببرود من دون النظر لأحلام لتقول:

"يتهيأ لي بأن الألقاب حفظ للمقامات يا مدام أحلام، وشكراً لكِ لا أريد أن أشرب شيء، لم آتي إلى هنا من أجل الضيافة بل من أجل الموضوع المهم فقط"

كزت أحلام على أسنانها من جوابها البارد لتقول:

"بالمناسبة لم أعرف ما سبب هذه الزيارة وماهو الموضوع المهم"

زفرت سمية بضيق ووجهت نظرها لهشام الذي كان ينصت لحديثهما باستمتاع، بادلها النظرة ليفهم عليها فوراً ويحدث أحلام:

"أحلام اجلبي لنا قهوة من بعد إذنكِ"

تحدثت أحلام بحنق:

"ولكن المدام سمية لا تريد أن تشرب شيء"

تحدث هشام بصرامة:

"اجلبي لنا القهوة أحلام هيا"

نهضت بحنق وغضب وتوجهت لتعد القهوة سريعاً، لن تترك لهما الفرصة بالجلوس بمفردهما لذلك كانت على عجلة من أمرها، بينما هشام ما إن ذهبت أحلام حتى تحدث مع سمية:

"أعتذر عنها أنا اسف جداً على حديثها"

ابتسمت بسخرية لتقول:

"اختيار موفق"

امتعض بوجهه وكز على أسنانه، لم يعد يحتمل برودها أبداً، نهض من مكانه متوجهاً لها وأمسكها من معصمها وأوقفها لتصبح بمستواه وحدثها بحدة:

"اسمعيني جيداً سمية، طريقتكِ هذه لا تمارسيها علي رجاءً وإلا لن تتوقعين ما الذي يمكنني فعله هل تفهمين"

حرك يدها بعنف في نهاية جملته بينما هي لم يرف لها جفن وظلت تنظر له ببرود، بللت شفتيها لينتبه هشام إلى تلك الحركة وينظر لها بشرود، تحدثت ببرود:

"ما الذي ستفعله ها؟ لم أعد زوجتك لتأمرني، كانت غلطة وندمت عليها والآن لا يحق لك بأن تأمر أو تهدد حتى، وفر تهديداتك هذه لغيري واحترم نفسك و عد لمكانك رجاءً"

نظر لها بصدمة من جوابها، كور قبضة يده وتشنج فكه، ظل ينظر لها بقوة ولم يتزحزح من مكانه، دخلت عليهما أحلام لتتسع عيناها عندما رأتهما يقفان بالقرب من بعضهما، تحدثت أحلام بحدة:

"ماذا يحدث هنا"

حدثها هشام بنفس حدتها:

"لا شأن لكِ، قدمي واجبكِ واجلسي بصمت"

أنهى جملته وتوجه إلى مكانه وجلس بحنق بينما سمية جلست بهدوء وكأن شيئاً لم يكن، توجهت أحلام إليها لتقدم لها القهوة ونظرت لها بحدة، بينما سمية لم ترفع نظرها لها فقط اكتفت بأخذ فنجانها ووضعه أمامها، توجهت أحلام لهشام ووضعت فنجانه أمامه وجلست تنظر لهما اثناهما وتراقبهما إذا كانا ينظران لبعضهما ولكن كل منهما كان ينظر بوجهة مختلفة.

صدح صوت رنين جرس المنزل لينهض هشام مسرعاً ويفتح الباب ليطل عليه وائل ببروده، تمعن به هشام وهو يسأل نفسه إذا سبق ورآه من قبل أم لا ولكن الاجابة كانت لا، رحب به هشام وقد أحبطت آماله كون ابنته ليست معه ظناً منه أنه سيأتي بها، دخل وائل بقوامه الصلب ليقابل وجه أحلام التي ما إن رأته حتى جحظت عيناها وتسارعت أنفاسها وبدأت يداها ترتجف من الخوف، نظر لها وائل بتوعد وقوة، توجه لسمية وألقى عليها التحية وجلس بجانب هشام، تحدثت سمية بلهفة:

"حسناً أين ابنتي ياسيد وائل"

ابتسم بتهكم ليقول:

"على رسلكِ يامدام، ألا تريدين أن تعرفين القصة من بدايتها"

حركت سمية رأسها بإيجاب ليقول هشام:

"حسناً حدثنا هيا من فضلك"

نظر وائل لأحلام التي كانت ترتجف من الخوف والذي كان واضح عليها ليقول:

"سأحكي لكم كل شيء ويهمني جداً وجود المدام أحلام هنا، ولا تقلقون كل كلمة سأقولها ستكون صادقة ولدي كامل الإثباتات"

عقد هشام حاجبيه ونظر لأحلام بعدم فهم بينما أحلام ظلت تنظر له بخوف، تحدث وائل بجمود:

"كنت أعرف آسيل منذ عدة سنوات، التقيت بها صدفة وظللت أراقبها عندما كانت تذهب لمدرستها، حاولت مراراً ان أحدثها ولكنها لم تعرني أي اهتمام، بعد وفاة والدي اضطررت بعدها أن أسافر أنا ووالدتي إلى غير بلدة وسافرنا، عملت بتهريب المخدرات وغسيل الأموال كي أؤمن لوالدتي الطامعة كل ما تحتاجه، والدتي تكون صديقة المدام أحلام زوجتك المحترمة، منذ عدة أشهر علمت من مصادري الخاصة بأن خال آسيل يريد التخلص منها لإنه يكرهك ولا يريدك أن تتقرب من المدام سمية، لذلك اتفق مع أحلام على التخلص من ابنتك وأنا بدوري عرضت عليه مبلغ من المال مقابل أن آخذ آسيل وأتزوجها وأذهب بها بعيداً، وحدث ذلك الشيء فعلاً عندما كنت أنت مسافر إلى الإمارات، طبعاً مالك أوسعها ضرباً وضربها على رأسها حتى غابت عن الوعي لإنها رفضت آسيل الأمر إلى أن جئت أنا وأخذتها، وعندها قام مالك بكتابة رسالة بخط آسيل وأوصى أحلام بأن تضعها في غرفتها وتقول لك بأنها هربت، وبالمناسبة سبب بعد السيد هشام عنكِ يا مدام سمية هو تهديد أخاكي له، هدده بأنه سيقتله ويقتل عائلته إذا لم يتركِ بعد يوم واحد من ليلة زفافكما هذا هو سبب بعده عنكِ، طبعً السبب الرئيسي لذلك هو عدم موافقة السيدة هدى شقيقة السيد هشام على مالك، علمت أنه منذ سنين طويلة كان يحبها وهي رفضت حبه وكان رأيها الرفض بشأنه تماماً كرأي والد السيد هشام به.

المهم بدأت حياتي مع آسيل بشكلٍ جيد، لم اقترب منها أو ألمسها بناءً على طلبها، أثنائها قررت والدتي بأن تتخلص منها ودبرت لها مؤامرة بمساعدة هذه المرأة وجلبت والدتي رجل وأدخلته إلى غرفة آسيل كي يوهموني بأنها تخونني معه، أنا تخبطت بنفسي وبدأت اضربها وهي تبكي وتصرخ بين يداي ولكنني لم أبالي ولم أبتعد عنها إلا عندما فقدت الوعي، وطبعاً ذلك الرجل هرب وفي اليوم التالي والدتي جعلت آسيل توقع على ورقة طلاقها وزورت توقيعي وقدمت الأوراق للمحكمة وتم الطلاق، وبعد يوم واحد فقط هربت آسيل من المنزل بعد أن حدثتها والدتي بأنها ستسفرها مع ذلك الرجل اللعين وكانت أحلام طبعاً مشتركة بالمؤامرة مع والدتي لذلك هربت آسيل ولم أعد أعرف شيء عنها، تعذبت كثيراً ببعدها وكنت أموت ألف مرة في اليوم وكل ذلك من صنع يد والدتي، إلى أن وجدت ذلك الرجل الذي يدعى عماد وقمت باستجوابه وعلمت بكل شيء وبالمؤامرة التي حيكت ضدي وضد آسيل، وجلبت والدتي إلى المكان المتعفن الذي كنت أضع به ذلك اللعين وقمت بحرق عماد أمامها، لقد حرقته أجل وانتقمت وأخذت حق زوجتي، بقي عندي زوجتك المصون ولكن انتقامي لها سيكون مختلف، أعلم بأنها تعشقك لذلك عقابها سيكون بعدها عنك، فأنا جلبت لك شيء لا أعلم إذا كان سيفرحك أم سيحزنك، زوجتك قامت بخيانتك مع مالك ونامت على سريره عدة مرات وصورها بعدة وضعيات وبالنسبة إلى مالك لقد قمت بتدبير قضية له وقد حكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات، مجرد حشرة لعينة لا يستحق الحرية والحياة الرغيدة وطبعاً تدبرت أمر أمي ورميتها بالسجن بتهمة الدعارة، وها هو الشريط الذي يثبت صحة كلامي شاهده وستصدق كل شيء بعدها، وإذا أحببت أن تذهب إلى مكان فعل جريمتي التي ارتكبتها بحق عماد فا بإمكانك الذهاب، ما زالت الجثة بمكانها وأنا سأذهب كي أسلم نفسي للشرطة، ولكن كنت أنتظر فقط كي أنتهي من انتقامي وها قد انتهيت، والآن اسمحو لي، سأرحل، وبالمناسبة أنا أعشق آسيل كثيراً، كل نبض في قلبي ينبض باسمها بلغوا سلامي لها إن حدث وقابلتوها يوماً ما، بالإذن"

أنهى وائل حديثه ورحل تاركاً ثلاث أفراد شلت حركتهم من الصدمة وبالأخص أحلام، سكون، هدوء، صمت يعم بالمكان، لا يسمع فيه سوى أصوات الأنفاس المتسارعة فقط، هبطت دموع أحلام وكذلك سمية، أما هشام فقد وضع يديه على رأسه وتحسر على ابنته، لم يهتم لحال أحلام ولا لما فعلته، صب كل تركيزه على ابنته، أين هي الآن؟ وماذا تفعل؟ وأين تقيم؟ وماذا حدث لها؟ نظر لسمية التي كانت تضع يدها على فمها وتبكي بصمت، وجه نظره لأحلام التي كانت كالجثة الهامدة، لن يغفر لها ولن يرحمها، نهض بعنف وجلب الكمبيوتر المحمول الخاص به ليرى الشريط المسجل وقد رآه بالكامل، وبالفعل كانت أحلام بين يدين مالك أكثر من مرة، انتفض هشام ونهض من مكانه ليمسك أحلام من معصمها ويتحدث بحدة:

"أيتها اللعينة لن أرحمكِ أبداً"

نظرت له أحلام نظرة ترجي وتحدثت بخوف:

"أرجوك يا هشام لقد اضطررت لفعل ذلك أرجوك سامحني"

هز رأسها بعنف ليقول بغضب:

"لن أسامحك، هه بالأساس كنت أسعى للتخلص منكِ وها قد أتت الفرصة، لن أدع امرأة رخيصة على ذمتي هيا"

جرها وهي تصرخ وتبكي، رماها خارج المنزل وأغلق الباب بحدة وغضب، وتوعد لها بأنه سيرسل هذا الشريط لمنزل أهلها، توجه هشام إلى سمية التي كانت جالسة تبكي بهستيرية، ضمها لصدره ليبثها حنانه ويحدثها:

"لا تقلقي عزيزتي سنجد ابنتنا لا تقلقي"

ظلت تبكي وتنتحب، ابتعدت عنه قليلاً لتحدثه ببكاء:

"لماذا لم تخبرني لي عن سبب بعدك عني؟ لماذا هشام لماذا"

انتفض هشام ليقول:

"عزيزتي اهدئي كنت مجبور على فعل ذلك صدقيني أرجوكِ"

حركت رأسها نافية لتقول:

"لم أعد أصدق أي أحد ولا أريد أي أحد بعد الآن، سأعثر على ابنتي وسأجدها وأعيدها إلي أتفهم سأجدها"

ابتلع هشام ريقه بخوف ليقول مهدئاً:

"حسناً فقط اهدئي، سنجدها مؤكد سنجدها"

ابتعدت عنه بعنف لتقول بصراخ:

"ابتعد عني كل ذلك بسببك وبسبب تلك اللعينة، هي من أبعدت ابنتي عني لن أرحمها ولن أرحمك إذا عدت لحياتي من جديد أتفهم"

أنهت جملتها وأمسكت بحقيبتها وتوجهت لخارج المنزل بينما هشام جلس بعجز على الأريكة، لم يكتفي من فقدان ابنته أيضاً فقد سمية، فقد لذة حياته وفقد رغبته بالحياة، توعد لأحلام بالجحيم اللعين، سيريها مقامها وسيندمها أشد الندم، لن يتهاون معها ولن يستسلم لقرار سمية ببعدها عنه، سيعيدها إليه وسيعيد ابنته إليه ويظلون سوياً مدى الحياة.

تجلس على كرسيها، تميل بيدها وترسم باحتراف، كل خط وكل بقعة وكل بصمة تضعها على تلك الرسمة باحترافية، أصبحت تشغل نفسها بالرسم والألوان، عل وعسى أن تتلون حياتها مثلما تلون رسماتها باحترافية وإتقان، تكاد تجن لإنها لم تستطع أن ترسم شيئاً غيره، لا يوجد شيء في ذاكرتها سواه، والأدهى من ذلك كلما رسمت رسمة وانتهت منها تجد بأنها رسمته بوضعية مختلفة ولكن بنفس النظرة العابثة والحاجبين المعقودين، تموت شوقاً له وتعاني من بعده ولكن هو من اختار الرحيل، تحملت الكثير والكثير وقد نفذت قواها، أنهت رسمتها لتتنهد بعد أن رأت الرسمة، تأملتها مطولاً وابتسمت ابتسامة من قلبها، لإنها رسمته وهو يرتدي بذلة رسمية وكأنه في يوم زفافه، ظلت شاردة برسمتها مدة طويلة لتنتبه لنفسها وتعود لعيناها نظرة الحزن.

شعرت بالملل من المنزل لتنهض وتغير ثيابها لتخرج للتنزه قليلاً، خرجت من المنزل وهي تتجول بأرجاء المدينة، تكتشف كل شيء، طبعاً لن ننسى الحارسان اللذان يمشيان خلفها حرصاً على سلامتها، وبناءً على أوامر آسر، تمشي غير مبالية لأحد، فقط تنظر للمحلات التجارية وتكتشفها وتتجول بأرجاءها، تمشي والهواء يلفح وجهها وتتطاير خصلاتها البندقية لتعطيها مظهراً جذاب، وقفت تنظر للبحر بشرود، وترى مدى جماله وروعته، تنهدت بحزن و هبطت دموعها على وجنتها عندما تذكرت أيامها مع صديقة دربها، ابتسمت من بين دموعها عندما تذكرت مواقفهم المضحكة سوياً، اشتاقت لها ولجنونها، اشتاقت لوالديها ولأخوتها، اشتاقت لمعذبها والذي أسر قلبها، هي لا تريده فقط تريد قلبها الذي تركته معه، حائرة، ضائعة، شاردة، حزينة، لا تعلم ماذا تصنع، تريد الذهاب لوالديها ولكنها خائفة، خائفة بأن يرميانها بالباطل ولا يصدقانها، والأهم خائفة من أن تقابل زوجها السابق ويقتلها، لقد فاتها الكثير ولا تعلم بالأحداث التي مضت.

قررت أن تعود أدراجها إلى المنزل، دخلت إلى المنزل وجلست على الأريكة بإهمال، جلبت دفتر مذكراتها لتكتب مايجول في خاطرها:

" كَم يحرُقني شوقَ الابتعاد

أُحاولُ أن أُخمدهُ ولكني أخسر

أُحاول جاهدة أن أُطمأنَ نفسي

بأنَّ اللقاءَ باتَ قريباً أكثر فأكثر

ولكن ماالذي بوسعي فِعلهُ

فإن نسيتهُ أعودُ وبسرعة أتذكر

هيا لا تتأخر وعُد لي بسرعة

فأنتَ الوحيد الذي يجعلُني من قيودي أتحرر

فا بِوجودكَ ياسندي أُصبح قويةً

وإن غُبتَ فا سُرعانَ ما أتكسر "

أغلقت الدفتر وتنهدت بقوة وقد أثرت عليها هذه الكتابات بشكلٍ سلبي، فكرت بينها وبين نفسها هل تهاتفه أم لا؟ ولكنها لاتملك رقمه، كيف ستصل إليه، نهضت لتخرج إلى حديقة المنزل وتحدث الحارس:

"عذراً هل بإمكانك إعطائي رقم هاتف السيد آسر؟ أريد أن أهاتفه لأمرٍ مهم"

تحدث الحارس برسمية:

"آنستي قولي لي ما الأمر وأنا أحدثه، لا أستطيع أن أعطيكِ رقمه"

عقدت حاجبيها لتقول بترجي:

"أرجوك لا أستطيع أن أقول لك، أريد محادثته هو"

تنهد الحارس ليقول:

"حسناً آنستي سأهاتفه أنا وأعطيكِ الهاتف عندما يجيب، انتظريني"

حركت رأسها بإيجاب وانتظرته ريثما يأتي، تعجبت من نفسها على شجاعتها لمحادثته، كيف لها أن تحدثه وهو من أبعدها عنه؟ ولكنها تريد سماع صوته فقط، اشتاقت لبروده، لغروره، وكل شيء فيه، جاءها الحارس ليحدثها برسمية:

"سأهاتفه آنستي انتظري"

أخرج الحارس هاتفه ليهاتف آسر وهو ينتظر الرد، رنة اثنتان ثلاث ليجيب بنبرة متلهفة كونه يعلم بأن هذا الحارس الشخصي لآسيل فهذا الأمر يهمه جداً لإنه يأتيه بأخبارها كل يوم، تحدث آسر:

"أهلاً، ما الأمر تحدث"

ارتبك الحارس من سرعته ليقول بتوتر:

"سيدي الآنسة الصغيرة تريد أن تحدثك بأمرٍ مهم، طلبت مني رقمك ولكنني لم أعطها إياه، فقط قلت لها بأنها ستحدثك من هاتفي"

بدأ قلب آسر ينبض بعنف، يصرخ قلبه طالباً لسماع صوتها ولرؤيتها أيضاً، ولكنه هو يعلم نفسه جيداً ما إن سيسمع صوتها سيضعف فوراً وينطلق إليها من دون وعي، تنهد بحزن ليقول بصوتٍ بارد:

"حسناً قل لها بأن لدي عمل ولا أستطيع محادثتها الآن وانتبهوا لها جيداً، مع السلامة"

تنهد الحارس بحزن ليقول لها معتذراً:

"سيدتي السيد آسر لا يستطيع محادثتكِ الآن، لديه مهمة ضرورية، سيحدثكِ بوقت لاحق، أعتذر بشدة"

نظرت له بحزن ودخلت للمنزل وهي مكسورة الخاطر، كم هي غبية وساذجة، لماذا طلبت مهاتفته؟ لماذا ضعفت أمام قلبها وطلبت ذلك الشيء؟ تكاد تموت من شوقها له، ولكن هو ببساطة لا يبالي لها ولحالها، علمت بأنه يتهرب منها، أقسمت على أنها لن تعاود فعلتها هذه بعد الآن ولن تتنازل وتحدثه إذا طلب محادثتها بيوم من الأيام، كرامتها وكبريائها فوق كل شيء، جلست على الأريكة مطلقة سراح دموعها من جديد، ليس من أجله بل من أجل حياتها ووحدتها التي تعيش بها.

كما دخل في المرة السابقة إلى غرفتها دخل هذه المرة أيضاً، لم يأبه للحارس الذي كان نائماً في رواق المستشفى ودخل دون أن يشعر به.

كانت شهد شاردة بوجوم، وما إن رأته حتى بدأ قلبها يطرق بعنف وخافت منه كثيراً، كان ينظر لها بأسف وندم مسترسلاً معها خلال نظراته لها ليقول بهمس وهو يتقدم منها بحذر:

"لا تخافي شهدي، أتيت فقط لكي أودعكِ، هذه المرة الأخيرة التي سآراكِ بها"

نهضت بعنف وتراجعت للخلف لتقول بخوف:

"لا تقترب مني، لا تقترب، اخرج وإلا صرخت بأعلى صوتي، أين هو ذلك اللعين الذي في الخارج؟ كيف لم يراك أيها الحقير"

ابتسم بسخرية وهو متقدماً نحوها ليقول:

"لو اجتمعت كل جيوش الأرض لمنعي عن رؤيتكِ فسأصل لكِ، لا مهرب مني ياحبيبتي"

ابتلعت ريقها بخوف وهي تراه يتقدم نحوها لتبدأ بالبكاء وتتحدث بصوت مرتجي:

"أرجوك ابتعد عني، أرجوك، ماذا تريد مني أكثر من الذي أخذته؟ لقد دمرت حياتي واغتصبتني، ماذا تريد أكثر من ذلك"

بكائها أضعفه وجعله يود لو يقتل نفسه أمامها، كيف يفرط بمحبوبته؟ كيف يبكيها؟ كيف يغتصبها بوحشية ولا يشفق لحالتها؟ لا يعلم.

كل ما يعلمه بأنه يود لو أنه يعانقها ويأخذ وجعها ليضعه داخل أعماقه، فليتألم مئات المرات ولا تتألم هي بمقدار ذرة.

ابتلع ريقه ودموعه على وجنته، يبكي لبكائها، يحترق لاحتراقها، ويلعن نفسه على ما فعله بها، لم يندم على أي فعل قام به عدا فعلته بها، نادم أشد الندم على إوجاعها بهذا الشكل القاسي.

كور وجهها بين يديه ليحدثها بهمس:

"أرجوكِ لا تبكين، أرجوكِ ياشهد، للمرة المائة أقولها لكِ، أعلم أن فعلتي لا تغتفر ولكني نادم، إذا استطعتي مسامحتي فسامحيني، أنا أفضل الموت على أن أراكِ بهذا الحال، وهذا ما أتيت لفعله، أتيت لكي أموت أمام عينيكِ، أتيت لكي تنفذين بي حكم الأعدام بيدكِ أنتِ، أنت من يحق لها محاسبتي، لا محاكم ولا قضاة ولا ضباط، فقط أنتِ هل تسمعيني"

حركت رأسها بنفي لتقول ببكاء:

"لا أريد محاسبتك على أي شيء، لا أريد أن أراك أمامي حتى، فقط اغرب عن وجهي، أنا لا أستطيع النظر بوجهك حتى، لا أستطيع نسيان مافعلته بي، لا أستطيع مسامحتك، أنت شخص لعين، مغتصب، حقير، ابتعد عن.."

أرادت أن تصرخ بأخر جملتها ولكنه أطبق على فمها قائلاً بهمس:

"أنا لعين وحقير ورخيص، أجل، أنا كل الأشياء الرخيصة، لا يهم، المهم أن تسامحيني، لقد أتيت بقدمي إليكِ، أريد أن أموت على يديكِ ياشهدي، أنتِ من يحق لها محاسبتي فقط، أنتِ من يجب عليها أن تقتلني، لأجلكِ أنت أموت وأحترق بجهنم لا يهمني، المهم أن لا أموت على يد شخص سواكِ، أتيت لكي تصدرين الحكم علي بنفسكِ، إن قلتي لي مت فسأموت، إن قلتي لي اهرب فسأهرب، إن قلتي لي تزوجني فسأتزوجكِ"

أنهى جملته ببكاء وصوت مرتجف وبعينان لامعة ومتلهفة لهذه اللحظة التي إن وافقت عليها فسيكون أسعد شخص في الوجود.

أردف لها بصوت مرتجف ومتأمل:

"تزوجيني ياشهد، دعينا نتزوج، سنتزوج ونهرب بعيداً عن أي شخص يعرفنا، نهرب إلى بلاد أخرى ونعيش أنا وأنتِ طوال العمر، نأسس عائلة صغيرة ونجلب أولاد يضاهونكِ بالجمال والحلاوة والرقة، سأتغير لأجلك ياحبيبتي"

شهق بقوة وابتلع ريقه ليردف بلهفة:

"أعلم بأنني قتلت، وأعلم بأنني اغتصبتك ولكننا نستطيع أن نبدأ من جديد، كل شيء من جديد، سنهرب ونبدأ من جديد، وبطريقة صحيحة تعجبكِ وترضيكِ، فقط وافقي وأنا سأكون طوع أمركِ وعبداً تحت قدميكِ، سأقضي حياتي كلها أنتِ تأمرين وأنا أنفذ لكِ"

كانت تتابع حديثه مغمضة عيناها بقوة وتنتحب بشدة، تحاول تجاهل كلامه وكالعادة تهدأ نفسها على أنه كابوس وستستيقظ منه، ليس وجوده تعتبره كابوس فحسب بل مسألة اغتصابها ولقائها به هو كابوس بحد ذاته وستستيقظ منه.

دفعته وهي مازالت تنتحب ليقبل عليها مجدداً قائلاً بصوت مرتجي مليء بالحسرة والندم:

"ماذا ستقولين عن شخص أعماه الفقر والظلم منذ صغره؟ ماذا ستقولين عن شخص أهلكه الجوع عندما كان طفلاً؟ أنا لم أختار حياتي ياشهد، بل هي فرضت علي فرض، لم أحتمل الفقر لذلك عملت بالأعمال الغير قانونية، سرقت وعملت بأشياء جداً رخيصة فقط لكي أشبع مما حرمت منه في صغري، أولئك الذين قتلتهم هم أثروا علي وأصبحت مثلهم تماماً، إلى أن علم والدي بكل أفعالي وطردني من المنزل، المجتمع والبيئة هما من لم يتقبلاني، والدي لم يحاول أن يصلح حالي نهائياً، فأصبحت أسوأ من ذي قبل، منذ الصغر وأنا لدي عقدة، عقدة النقص من كل شيء، ماذا ستقولين عن طفل تعرض للاغتصاب عندما كان صغيراً؟ شعوركِ أنتِ بالحادث تماماً كشعوري عندما تم اغتصابي على يد شابين كنت أعمل معهما في مصنع الكراسي، كنت أعمل منذ صغري وهذا ماجنيته على نفسي، لم أستطع البوح حينها لإنهما كانا يهدداني بالقتل عندها.

صمت لبرهة وهي تتابعه بعينان شاخصة ليردف بحقد:

"إلى أن كبرت، وبعد طرد والدي لي بحثت عنهما طويلاً وقتلتهما، أجل قتلتهما ولم أبالي، هذا هو السبب الأساسي لانحرافي، هما من تسببا بضياعي وأنا قضيت عليهما ولم يرف لي جفن حتى، كنت أتابعهما بتشفي وهما يموتان أمام عيناي، لقد أخذت حقي منهما، وها أنا الآن أمامكِ، لكي تأخذين حقكِ مني، أتيتكِ بخيارين لا ثالث لهما، إما أن أموت أمامكِ أو أن تهربين معي ونتزوج ونعيش بعيداً عن الجميع"

وكأن الكون توقف عندها في هذه اللحظة وعند تلك الكلمات التي خرجت منه، كانت خائفة، مرتابة، تشعر بقلبها سينفجر إذا ما ابتعد عن ناظريها في هذه الدقيقة، لم تصدق ماتسمعه منه، ولا تريد أن تسمع بالأساس، مايطلبه منها صعب المنال، لا تستطيع قتله وبذات الوقت لا تريد أن ترى وجهه الذي تبغضه.

شهقت بحدة لتقول:

"اخرج من هنا، لو كنت آخر رجل في هذا العالم لن أتزوجك، اغرب عن وجهي أيها الحقير، كل ما قاسيته في حياتك لا يبرر فعلتك الشنيعة بي ولا يغفر لك عندي"

ابتسم بسخرية وسط دموعه ليومأ بصمت ويخرج مسدسه ويضعه في رأسه تحت انظارها المرتابة والخائفة، تحرك رأسها رافضة بعنف وهي تبكي، أما هو فتتسع ابتسامته ليقول:

"أخبرتكِ أن لا ثالث بينهما، إما أن أموت أمامكِ وتحت قدميكِ أو تتزوجيني، وأنتِ رفضتي الخيار الثاني ياحبيبتي"

تحدثت بتلعثم وارتجاف:

"أرجوك لا تفعل ذلك بي، ابتعد فقط، اخرج فقط، لا أريد أن أراك ميتاً ولا أريدك أصلاً، ابتعد فقط، اخرج من حياتي فقط أيها اللعين"

صرخت بآخر جملتها ليقول بجمود:

"سأخرج ياشهدي، ولكن جثة هامدة، سأخرج وستنسين مافعلته بكِ، ستكملين حياتكِ من بعدي، وأنا سأموت، سأموت لأجل عيناكِ، لأجل أن أكفر عن ذنبي، أقسمت أن لا أكون بحياة لستي أنتِ بها، وأن لا أموت سوى بين يديكِ، أعشقك ياشهد، سامحيني"

ضغط على الزناد لتخرج الرصاصة وتستقر برأسه ويسقط على الأرض أمام عيناها جثة هامدة كما وعدها، لتصرخ بذعر، صراخ جعل كل من في المستشفى يدخل عليها يرون ذلك المشهد الفظيع أمامهم.

سقطت شهد مغيبة عن الوعي تماماً بجانب سهيل الممدد على الأرض ودمائه تسيل على الأرضية، بينما كل من دخل كان واقفاً متصنماً لهول هذه الرؤية.

وكأن الشاعر أبو فراس الحمداني كان حاضراً هذا المشهد بينهما قائلاً:

"رَأَيتُكَ لا تَختارُ إِلّا تَباعُدي

فَباعَدتُ نَفسي لَاِتِّباعِ هَواكا

فَبُعدُكَ يُؤذيني وَقُربي لَكُم أَذىً

فلَكَيفَ اِحتِيالي يا جُعِلتُ فَداكا"

تسير تلك الفتاة في طريقها شاردة الذهن، لا تعلم لما هي حزينة إلى هذا الحد، تصرفات ليث معها قد زادت عن الحد، اعترفت لنفسها بأنها تحبه، ولكن اتضح لها من معاملته معها بأنه لم يعد يحبها كما في السابق، هي قوية وستتخطى هذه المرحلة، هذا حبها الأول ولكن إذا كان الحبيب لا يبالي فلماذا هي ستبالي؟ لن تظهر له مدى وجعها وحنقها من تصرفاته، ستصمد وستقف مكتوفة الأيدي لتراقبه بصمت من دون أي ردة فعل، وأي شيء موجع تمر به بسببه ستتخطاه وستكبت في نفسها ولن تخرج مآساتها لأحد.

زفرت بقوة وأكملت طريقها إلى المنزل، دخلت إلى المنزل لتسمع صوت ضجيج وعلمت بأن هناك ضيوف في المنزل، دخلت إلى غرفة المعيشة وصدمت من ما رأته، فقد كان ليث يجلس برفقة فتاة جميلة، ويجلسان معهما باسل ووالدته، أخفت كل معالم حزنها وبؤسها، دخلت إليهم ومشت بخطواتها الواثقة ورسمت على محياها ابتسامة واثقة لتلقي عليهما التحية وتجلس بجانب أخيها غير مبالية لوجودهما مع بعض، نظر لها ليث مطولاً ولم يرى أي علامات تدل على أنها منغاظة، حاول أن يغيظها ليقول:

"كيف حالكِ رنيم"

ابتسمت ابتسامة لم تصل إلى وجهها لتقول:

"بخير وأنت"

بادلها الابتسامة ليقول:

"أنا بخير"

حركت رأسها من دون أن تتفوه بكلمة لتسمعه يردف لها:

"اا عفواً لم أعرفكِ هذه مريم، محتمل أن تكون خطيبتي عما قريب، أتوقع بأنني حدثتكِ عنها أليس كذلك"

نزلت عليها كلماته كالصاعقة ولكن هذه الفتاة بالتحديد تستطيع أن تخفي ردة فعلها بسرعة كبيرة، كبتت حرقة قلبها لتهمهم بابتسامة واسعة وتقول:

"أجل لقد سمعت عنها، أهلاً وسهلاً بكِ يا جميلة ومبارك لكما أتمنى لكما الحياة الهنيئة"

صدم ليث من جوابها ومن ردة فعلها، كان يتوقع بأن تكون ردة فعلها مفاجئة وتحزن وتتملكها الغيرة، ولكنه لم يعلم بأن رنيم أقوى مما يظن، بينما مريم ابتسمت بوجهها ابتسامة ود وشكرتها على جملتها، ظلت رنيم جالسة وهي صامتة لا تتحدث بشيء، تجول الأفكار في رأسها، تعلم بأنه يتعمد إغاظتها ولكن ليس بهذا الشكل السلبي، فهذا الشيء سيؤثر على هذه الفتاة إذا كان بالفعل متعمداً إغاظة رنيم، نظرت له شذراً وقد تملكها بعض الكره

تجاهه، يقوم بنسيان فتاة بفتاة أخرى؟ يحاول إغاظة فتاة بفتاة؟ هه ظنت بأنه قد عقل والتزم ولكن مازال على تصرفاته الصبيانية وهذا لن يناسب رنيم أبداً، لا تنكر بأنها كانت تشعر بالغيرة والغيظ ولكنها أخفت كل هذه الصفات تحت قناع البرود واللامبالاة، كانت تهتم به وتشعر بنيران تتآكل في جوفها عندما يتجاهلها وكانت تبين له هذا الشيء، ولكن ليس بعد اليوم، ستصدمه أكثر وأكثر، كلاهما أخطئا بحق بعضهما، كيف ستنخمد هذه الحرب التي شنت بينهما؟ لا أحد يعلم. نهضوا جميعاً إلى مائدة الكعام وتناولو غدائهم بصمت، ولكن ليث كان بغير عالم، كان بعالم رنيم فقط، ينظر لها بتعجب، هو بالأساس متعجب من ردة فعلها ومصدوم بشدة، تنهد بقوة ونهض من على المائدة فجأة تحت أنظار الجميع المتعجبة من موقفه، نهض باسل ورائه بعد دقائق ليراه جالس في الحديقة ويدخن سيجارته، توجه له ليجلس بجانبه ويتحدث بسخرية:

"لقد فشل مخططك أليس كذلك"

نظر ليث له بغضب وحدثه:

"ماذا تقصد"

ابتسم باسل ابتسامة جانبية ليقول:

"ليث عزيزي أريد ان أقول لك شيئاً، أولاً أنا أعلم بأنك تتعمد إغاظة رنيم فقط من أجل أن تشعر بك، وثانياً أعلم بأنك لا تحب تلك الفتاة، فقط تحاول إغاظة رنيم بها، ثالثاً هذا الشيء ليس صحيحاً وليس من شيمك يا ليث لكي تغيظ فتاة بفتاة أخرى، رابعاً وهو الأهم هذا الشيء الذي تفعله سيجعلك تافه بنظر رنيم ولن تستطع أن تكسب قلبها، على العكس إذا كان هناك في قلبها ذرة مشاعر ستختفي الآن، لإنها علمت بأنك تحاول إغاظتها وتشعرها بالغيرة، رنيم فتاة لا مبالية وتكبت في قلبها ولا تظهر وجعها، لذلك أرجو أن تجد طريقة أخرى تحاول بها كسب قلب أختي"

أنهى باسل جملته ونهض راحلاً عنه، بينما ليث شعر بتفاهته وغبائه وأحس بأنه قد زاد الأمور عن حدها، لذلك قرر أن يصلح خطأه ولكن ليس هنا وإنما عند عودتهم إلى البلاد، وبما أن علاقته قوية مع ماريا وهناك مزاح وضحك بينهما سيجعلها تتولى أمره وتسانده بمخططه.

كانت جالسة في غرفتها تتضارب الأفكار في رأسها، لم يكن سهل عليها ذلك المشهد في ذلك اليوم، شعور جداً قاسي، كلماته، صوته، حديثه، نظراته، كلها لم تنساها ولم تستطع إخراجها من رأسها.

كانت تريد العقاب له ولكن لا تعلم كيف تعبر عما بداخلها الآن، أرادت أقسى عقاب له ولكن ليس بتلك الطريقة، أن يقتل نفسه أمامها هذه فعلة قاسية وجريئة جداً، وكيف لا! وهو من ذاب بها عشقاً وندم أشد الندم على مافعله وأراد الغفران منها.

كثيراً قالت أنه لا يهمها أمره وأنها تريد فقط أن يلقون القبض عليه دون أن تراه، أرادت أن يُعاقب أشد العقاب ولكن عندما وُضِعت في الموقف أحست أنها تائهة، لإنها لم تكن تريد هذا العقاب له، ربما قبل أن تسمعه كانت حاقدة عليه وتتمنى له الموت ولكن بعد أن سمعته تغير رأيها، ليس به بل بطريقة العقاب.

منذ الحادثة ومنذ أن خرجت من المستشفى وهي شارة، واجمة، لا تُحاكى، ولا تخرج منها كلمة واحدة، ماحدث صعبٌ عليها جداً وصعب نسيانه بسهولة.

لم تعلم ماحدث بعد أن أغمي عليها في ذلك اليوم، فقط عندما استيقظت رأت من حولها والديها ويوسف وهشام وسمية وآسر وماريا.

لم تكفيها تلك المعاناة لتأتيها معاناة صديقتها أيضاً وتتحسر عليها، تبكي وتشهق من أجلها، علمت بكل شيء حدث لها، لقد حدثها هشام بكل شيء وقد انهارت بالفعل عند سماعها لما حدث لآسيل، ترتجف شفتها السفلى ببكاء، تحاول أن تكتم شهقاتها لكن دون جدوى، شعور مؤلم يحدث لها الآن من أجل آسيل ومن أجل مامرت به، تمنت لو أن تلتقي بها وتحتضنها بشدة كما في السابق، اشتاقت لها، تريد رؤيتها، دعت ربها بأن يفرج كربها ويحميها أينما كانت وتلتقي بها عما قريب، أمسكت دفترها الصغير لتدون عليه عبارة صغيرة معبرة عن حزنها من أجل رفيقة دربها:

" يا صديقتي إن شعرتِ بالوجع

وبكيتِ يوماً، فلا تنسيّ نصيبي مما يؤلمكِ .

ليسَ عدلاً أن نفرح سوياً

وتتألمي أنتِ بمفردكِ

فأنتِ لستِ صديقتي

وإنما أُختي، تختلف نهايةُ أسمائُنا فقط .."

تنهدت بحزن ومسحت دموعها لتسمع طرقات على باب غرفتها وتأذن للطارق بالدخول، دخلت ماريا عليها بابتسامة واسعة لتنقض عليها شهد، احتضنتها ورحبت بها لتجلسان معاً، فرحت شهد بقدوم ماريا إليها كثيراً، علماً بأنها هي الوحيدة التي تستطيع أن تخرجها من حالة حزنها من بعد صديقتها آسيل، تحدثت ماريا بمرح:

"كيف حالكِ أيتها الحمقاء؟ ها مابكِ لماذا كنتي تبكين؟ يا إلهي ألم ننتهي من جو الكآبة بعد؟ ابتعدي"

أنهت جملتها وأبعدت شهد لتتمدد على سريرها بأريحية وكأن المنزل منزلها وأكثر، ابتسمت شهد وتجاوبت معها لتقول:

"أيتها البلهاء ماذا تحبي أن تشربي"

تنهدت ماريا بقوة لتقول وهي مغمضة عيناها:

"عصير فريش إذا سمحتي ولا تتأخري رجاءً"

عبست شهد لتتحدث:

"لماذا؟ هل ستأتين مرور الكرام وتذهبين"

فتحت عيناها ماريا لتقول:

"لاا سأظل عندكِ إلى أن يحل المساء لا تقلقي لن أبتعد عنكِ، أعلم بأنكِ لا تستطيعين على بعدي حسناً"

تحدثت شهد بسخرية:

"كم أنتِ متواضعة"

همهمت ماريا لتعتدل بجلستها وتقول:

"إذاً ما بكِ شهدي؟ لما كنتي تبكين؟ ألم تنسين بعد"

تنهدت شهد بقوة لتقول بحزن:

"لقد اشتقت إلى صديقتي آسيل، هي مختفية منذ شهور ولا نعلم عنها شيء"

عقدت ماريا حاجبيها باستغراب لتقول:

"لما لم تبلغون الشرطة"

سردت شهد عليها كل الأحداث التي حدثت مع آسيل، جحظت ماريا عيناها بقوة وشهقت لتقول من بعد ما انتهت شهد من حديثها:

"يا إلهي، كل ذلك حدث معها؟ مسكينة"

حركت شهد رأسها بحزن لتقول:

"أجل وأنا أكاد أجن أريد أن اطمئن عليها فقط"

نظرت لها ماريا بحزن لتقول مطمئنة:

"حسناً شهدي لا تقلقي بإذن الله ستكون بخير أنا متأكدة بما أنها بطيبتكِ وأخلاقكِ فإن الله سيقف بجانبها صدقيني"

ابتسمت لها شهد ابتسامة واسعة لتحدثها بمرح:

"أين المخدرات إذاً"

شهقت ماريا وصفقت بمرح لتقول:

"أجل أجل لقد جلبت الكثير معي سأخرجهم من حقيبتي انتظري"

أخرجت ماريا من حقيبتها كيس مليء بأنواع الشوكولا والتسالي، وسعت شهد عيناها من كثرة ما تراه لتقول بصدمة:

"أيتها الحمقاء ما كل هذا؟ إنهم كثيرون يطعمون قبيلة"

حركت ماريا رأسها لتقول بمرح:

"أجل أجل أنا وأنتِ القبيلة"

ضحكت شهد عليها لتهز رأسها بيأس على تصرفاتها، بدأت الفتاتان بتبادل الشوكولا وأكلها، صدح صوت رنين هاتف ماريا لترى المتصل ويكون أخاها، أجابت على هاتفها وهي تمضغ ما في فمها لتقول:

"ماذا تريد"

عقد يوسف حاجبيه ليقول:

"أيتها الغبية ماذا تأكلين؟ وماذا تفعلين؟ وأين أنتِ ها"

ضحكت ماريا لتقول:

"اهدأ يا رجل مابك كل هده أسئلة؟ حسناً أنا عند شهدي وأنا وهي جالستان ونأكل الشوكولا الآن"

ابتسم يوسف ابتسامة بلهاء ليقول:

"هل يمكنني المشاركة"

ابتسمت ماريا ونظرت لشهد التي كانت مشغولة بالأكل لتقول:

"أجل لا مانع ولكن انتظر لأخذ رأي شهد أولاً"

تحدث يوسف بسرعة:

"انتظري أيتها الحمقاء كنت أمزح، بالمناسبة كيف حالها"

همهمت ماريا لتقول:

"مم بخير وبأحسن حال هيا انصرف يافتى"

تحدث يوسف بغيظ:

"انتظري قليلاً ما بكِ على عجلةٍ من أمركِ"

زفرت ماريا لتقول بحنق:

"أجل ليس لدي وقت لإنني جالسة مع شهدي، وغير ذلك سيجهز الغداء بعد قليل، أليس كذلك شهدي أريد الطعام هيا"

نظرت لها شهد بصدمة لتقول بصوت مسموع ليوسف نوعاً ما:

"ولكنني لم أدعوكِ على الغداء، هيا انصرفي إلى منزلكِ، دعي أخاكِ يطعمكِ"

شهقت ماريا بعيون جاحظة، بينما يوسف ضحك عليها بشدة، تحدثت ماريا بغيظ:

"يا لكِ من بخيلة يا فتاة، كنت أريد أن أزوجكِ لأخي ولكنني غيرت رأيي"

عضت شهد على شفتها السفلى بخجل وتجاهلت كلامها لتردف ماريا بضحك:

"طماطم، طماطم"

ضحكت الفتاتان بينما يوسف كان يسمع كل شيء وعض على شفته السفلى بابتسامة، تحدثت ماريا مع يوسف من بين ضحكاتها:

"حسناً هيا انقلع، أريد أن أجلس مع شهدي، لا تسبب لي الصداع"

تحدث يوسف بغيظ:

"أصبحت الآن أسبب لكِ الصداع؟ حسناً كما تريدين ولكن لا تطلبي مني قرشاً واحداً بعد اليوم"

تحدثت ماريا باندفاع:

"حسناً كما تريد ولكن لن أزوجك بها أبداً وسأقول لها عن كل مصائبك"

شهق يوسف بقوة وخوف ليقول بسرعة:

"ماريا عزيزتي لا لا أرجوكِ أتوسل إليكِ اصمتي، حسناً سأفعل ما تشائين وأعطيكِ نقوداً كثيرة حبيبتي فقط اصمتي حبيبتي أنتِ"

همهمت ماريا وتحدثت بتعالي:

"ممم حسناً لا تنسى أن تأتي لتجلبني من عندها في المساء والآن هيا انصرف"

اغلقت الهاتف بوجهه وابتسمت ابتسامة مكر، بينما شهد تأكل الشوكولا وتنظر لها ببلاهة، نظرت لها ماريا لتعقد حاجبيها باستغراب من منظر شهد لتقول:

"هيبي ما بكِ ياحمقاء"

تحدثت شهد ببلاهة:

"ها"

ضحكت ماريا بقوة لتقول:

"واضح بأنه ليس بمفرده واقع في الحب"

عقدت حاجبيها باستغراب:

"من هو؟ وماذا تقصدين؟ أنا لا أفهم"

تحدثت ماريا بيأس:

"حسناً حسناً ستفهمين فيما بعد، والآن هيا انهضي لنجهز الغداء أنا جائعة جداً هياااا"

حركت شهد رأسها موافقة لتنهض بناء على طلب ماريا لتتجها إلى المطبخ.

بينما يوسف عندما أغلقت ماريا الهاتف بوجهه نظر للهاتف بعيون جاحظة وحدث نفسه:

"يا إلهي ماذا سيحدث إذا قالت لها شيء؟ أعني يارب"

تنهد بقوة وأرخى بجسده على الأريكة ليسمع صوت هاتفه يرن، ظن بأن ماريا من تتصل ولكن خاب ظنه ليكون آسر، أجابه يوسف فوراً:

"أهلاً أيها البارد اللعين"

تنهد آسر بحنق ليقول:

"لما لم تأتي إلى الفرع"

حك مؤخرة رأسه ليقول:

"مم لا شيء فقط ليس لدي مزاج، ما رأيك أن نسهر اليوم"

أجاب:

"حسناً ولكن في بيتي، لا أريد الذهاب إلى الملهى"

تحدث يوسف:

"حسناً لا مانع، أراك في المساء"

أنهى مكالمته وتنهد بعمق، لا يعلم ما الذي أصابه في الفترة الأخيرة، هو حتى أنه لا يعلم بمكوث آسيل عند آسر في السابق، ولكنه يريد أن ينفذ اليوم ويقوم باستجواب آسر ليعلم بكل شيء، كونه لم يقبل أن يتفوه بحرف ولا أن يشكي همه ليوسف لذلك سيتصرف يوسف بطريقته الخاصة.

حل المساء ليذهب يوسف إلى أخته ويجلبها من عند شهد، وقلبه يكاد ينفجر من شدة شوقه لها، دعى بسره أن يراها، مر على موضوع انتحار سهيل وخروج شهد من المستشفى أسبوعين تقريباً، ولم يرى ظلها بهذه الفترة، لذا هو مشتاق لها كثيراً، وصل يوسف إلى جانب المنزل ليقوم بمهاتفة أخته لتقوم بتوديع شهد وتهبط فوراً إلى أخيها الذي ينتظرها وكله أمل بأن يلتقي بشهد أيضاً، ما إن رأى يوسف ماريا تتجه نحوه بمفردها حتى أحبطت جميع آماله وتنهد بغيظ، وقفت أمامه ماريا لتقول بابتسامة:

"أيها الأحمق لما تقف عندك؟ هيا اركب"

تحدث يوسف بغيظ:

"لما لم تنزل معكِ شهد"

عقدت ماريا حاجبيها لتقول:

"ولماذا تنزل ها"

تنهد بقوة ليقول:

"لا شيء هيا اركبي"

ركبا بالسيارة لينطلق يوسف متوجهاً إلى المنزل، تحدث يوسف بتلقائية:

"مم ماذا فعلتما ها كيف قضيتما يومكما"

ابتسمت ماريا وتحدثت بحماس:

"استمتعنا كثيراً، لقد تناولنا كل أنواع التسالي وأيضاً تناولنا الغداء يا إلهي طبخ والدتها لذيذ جداً، وأيضاً جلسنا نشاهد الممثلين الوسيمين وضحكنا كثيراً، استمتعنا اليوم كثيراً"

همهم يوسف بغيظ ليقول:

"ولما لم تدعوني ها"

تحدثت ماريا بغرور:

"لإننا لا نريدك بيننا، أنت شاب ونحن فتيات لا يجب عليك أن تجلس معنا"

نظر لها يوسف بحنق ليقول:

"غبية"

تحدثت ماريا بغيظ:

"بقرة"

تحدث يوسف ببرود:

"قردة"

تحدثت ماريا:

"ديناصور"

جحظت عينان يوسف ليقول:

"ألم تجدي سوى الديناصور لتشبهيني به مختلة عقلياً يا فتاة"

تنهدت ماريا بقوة لتقول:

"أتمنى أن تنقرض مثلهم"

تحدث بغيظ:

"اصمتي فقط"

ضحكت ماريا لتزيد من غيظه بينما يوسف أردف لها قائلاً:

"بالمناسبة ليث وباسل ورنيم سيعودون إلى البلاد بعد فترة قصيرة لقد حدثوني البارحة"

نظرت له ماريا بقوة لتقول:

"اها جيد جداً"

نظر لها يوسف ليقول:

"أجل وسيعودون ليستقرون هنا لن يعودوا ويغتربوا"

ماريا:

"واووو"

تحدث يوسف:

"ألم تفرحي بهذا الخبر؟ رنيم صديقتكِ ستعود يا حمقاء"

تحدثت ماريا بحماس:

"أجل أجل وسأعرفها على شهد ونصبح أصدقاء يهووو"

ضحك يوسف عليها ليقول:

"أجل هذا جيد"

تحدثت ماريا بتوتر:

"مم ألم يتزوجا بعد؟ أقصد ليث وباسل"

نظر لها يوسف نظرة شك ليقول:

"لا ليس بعد"

همهمت ماريا بتفهم ليعقد يوسف حاجبيه ويردف لها:

"ألا تتحدثين مع رنيم"

تحدثت ماريا:

"لا لم نتواصل منذ مدة"

تنهد يوسف ليقول:

"أجل عندما تعود ستقرفاني حياتي، أنا واثق"

ضحكت ماريا وتحدثت من بين ضحكاتها:

"بالمناسبة شهد تبعث لك بسلام كبير"

تحدث يوسف بسرعة وحماس:

"حقاً؟ إذاً ماذا قالت لكِ عني؟ هيا قولي لي حبيبتي"

عقدت حاجبيها لتقول:

"لم تقل شيء فقط بعثت لك سلام"

نظر لها بطرف عينه وتنهد بقوة ولم يتحدث بينما هي نظرت له بشك لتقول:

"يارجل لما تتعب نفسك؟ هيا اعترف وقل بأنك تحبها هيا هيا"

تحدث ببرود:

"أجل وهل لديكِ مانع"

تحدثت بحماس وابتسامة:

"على العكس أنتما تليقان لبعضكما، ولكن انتبه جيداً إذا بقيت تعذبني وتشتمني سأحدثها بكل شيء عنك وعن علاقاتك يا زير النساء أما إذا كنت جيداً معي سأساندك وأقنعها بك"

جحظت عيناه ليتحدث بغيظ كبير:

"أيتها الحمقاء لا تهددينني هل فهمتي؟ حبيبتي ماريا لا تفشلي مخططاتي أنا ظريف ووسيم واستحق كل خير أليس كذلك"

نظرت له ماريا بطرف عينها لتتحدث ببرود:

"أجل أجل أعلم"

تحدث يوسف:

"حسناً إذاً ستساعديني أليس كذلك"

تحدثت ماريا بابتسامة مغرورة لتقول:

"ستنفذ لي جميع طلباتي أولاً"

عقد يوسف حاجبيه ليقول:

"وماهي طلباتكِ إذاً"

تحدثت ماريا بحماس:

"أريد أن أذهب إلى الولايات المتحدة وأتجول بها وأقوم بزيارة عمك وزوجته أرجووك"

تحدث يوسف بحماس:

"اسمعي إذا وافقت شهد على خطبتي لها سأخذكِ أنتِ وهي وهذا وعد"

قفزت ماريا بحماس لتقول:

"حقاً؟ سأجعلها توافق بالغصب، هيييي سأسافر سأسافر"

تحدث يوسف بنفس نبرتها الحماسية ليقول:

"هيييي سأخطب سأخطب"

انفجرا الأخوين ضاحكين وظلا على حالهما إلى أن وصلا إلى المنزل، كانت ماريا تشعر بالتعب والنعاس ألقت على أخيها التحية وتوجهت إلى غرفتها لتأخذ حماماً ساخناً وتنقض على سريرها بتعب بالغ، بينما يوسف جلس قليلاً سارح الذهن، كله أمل بأن توافق شهد بأمره، ولكن ماذا إن لم توافق؟ ماذا سيكون موقفه عندها؟ وكيف سيواجه الأمر؟ تنهد بقوة ودعى لربه بأن توافق وتصدق مشاعره تجاهها ولا تصده أبداً.

التفت للساعة ليجدها قاربت على الحادية عشر ليلاً، نهض وغير ملابسه وتوجه إلى منزل آسر ليسهران سوياً كما اتفقا، هبط يوسف من سيارته ودخل إلى المنزل ليرى آسر يجلس بغرفة المعيشة وبيده كأس الخمر وهو شارد الذهن، توجه له يوسف ليلقي عليه التحية ويجلس ويتحدث:

"ما بك يارجل؟ لما تجلس هكذا كئيب وشارد الذهن"

ابتسم آسر ليتحدث بجمود:

"لا شيء، كيف حالك أنت وحبيبة القلب"

عقد يوسف حاجبيه ليقول بحنق:

"هل تقصد شهد"

ابتسم آسر ابتسامة جانبية ليقول:

"ومن غيرها"

تحدث يوسف بتنهيدة:

"لا أعلم ما بك ولا أعلم إذا كنت في وعيك ولكن لن أدخلك بهذا الموضوع أو أحدثك عنه"

ضحك آسر بقوة ليقول من بين ضحكاته:

"يارجل يبدو بأنك أخذت القصة جدياً، حسناً أهنئك ولكن ليس من قلبي"

عقد يوسف حاجبيه وقد علم بأن آسر ليس بوعيه وهذه نقطة لصالحه لكي يعلم مابه، تحدث يوسف بتلقائية:

"آسر هل أنت ثمل"

ابتسم آسر ليقول:

"لا بل أنا في كامل وعيي"

تحدث يوسف بترقب:

"لا يتهيأ لي ذلك"

تحدث آسر بقليل من الثمالة:

"اصمت واهتم بأمر تلك الفتاة، إنها جيدة أجل، كونها صديقة آسيل فهي جيدة أنا واثق، لا يجب عليك التفريط بها"

رفع يوسف حاجبه ليقول بترقب:

"هل أنت واقع بالحب آسر؟ ومن أين لك أن تعرف صديقتها آسيل"

نظر آسر له بعدم وعي ليتحدث بثمل وهو يرتشف من كأسه:

"أجل أعرفها ولكن أنا أحقد عليك"

تعجب يوسف من حاله ليقول:

"ولماذا؟ ماذا فعلت لك"

تحدث آسر بضياع:

"لإنك أنت ترى محبوبتك بينما أنا لا أرى محبوبتي، أنا أحقد على كل شخص يحب ويرى محبوبته، وأحسد كل شخص سعيد مع حبيبته، أكرههم جميعاً"

نظر يوسف له بصدمة ليقول:

"هل أنت واقع لتلك الفتاة التي تدعى آسيل"

حرك آسر رأسه بإيجاب وابتسامة بلهاء ليقول:

"أجل واقع لها، أنا لا أحبها بل أعشقها"

مازالت الصدمة مسيطرة على يوسف ليتحدث بترقب:

"قل لي أين رأتيها ها؟ وكيف عرفتها؟ أنت لم تلتقي بها سوى مرة واحدة وهي في الفرع، إذاً من أين لك أن تقع لها"

ضحك آسر بشدة على حاله وحال صديقه، كونه لا يعلم شيء عن ماحدث، وعن ما كان يخفيه آسر عنه، كان ثمل بكل معنى الكلمة، لا يعي شيء من ما يقوله، ولكن كل كلمة خرجت منه كانت من داخل أعماق قلبه بحق آسيل وعشقه لها، كان يتحدث بثمالة بكل شيء حدث، حتى عن قبلته الأولى مع آسيل حدثه بها، بينما يوسف كان يسمعه بترقب واهتمام، تملكته الصدمة بحق، كونه آسر لم يقل له شيء والآن يوسف يسمع كل هذا، فهذه صدمة بحد ذاتها، كان يستدرجه بالكلام ويسحب منه الكلام بما أنه ثمل، وكلنا نعلم عندما يثمل الشخص يتحدث بكل شيء داخل قلبه بصدق ومن دون وعي، شعر يوسف بالضياع والحزن على صديقه لإنه علم من نبرة آسر بأنه تملكه الحزن ببعده عنها، تنهد يوسف بقوة وتحدث:

"حسناً آسر، لما تركتها تسافر إذا كنت تحبها"

تحدث آسر بثمالة:

"لإنني أحبها"

ابتسم يوسف بسخرية ليقول:

"ألم تقل لي بأنك لا تؤمن بالحب وليس لديك أية مشاعر"

همهم آسر وتحدث:

"أجل ولكنها هي جعلته ينبض بأسمها، هي عادت وزرعته من جديد بحبها"

ارتشف يوسف رشفة من كأسه وتحدث:

"حسناً إذاً قل لي بماذا تشعر الآن؟ وماذا تريد منها"

تحدث آسر بضياع وثمالة:

"لا أعلم أريدها هي فقط يوسف، أنا أحبها وأريد كل شيء منها، أريد أن أتزوجها وتصبح لي وحدي، لا أعلم لما تصرفت بغباء وتركتها تسافر ولكن أنا حقاً أحبها، لا أكذب عليك أقسم أنني أحبها، حتى قبلتها كانت كالدواء لكل آلامي، جعلتني أحلق بالسماء وأطير من الفرحة، يوسف أنا أريدها أنا لم أعد أحتمل بعدها عني"

أنهى جملته لتتجمع الدموع في عيناه، نظر له يوسف بتعجب وصدمة ورمش عدة مرات، ابتلع يوسف ريقه عندما رأى بأن آسر قد زاد بتصرفاته عن حده، فقد كان آسر يحطم ويكسر كل شيء أمامه، حاول يوسف تهدأته ومنعه عن فعل هذه الفوضى العارمة ولكن أبداً، لم يستطع على الإطلاق، فقد كان آسر كالثور الهائج لا يستطع أحد أن يهدأه، أُجبر يوسف على لكم آسر لعل وعسى يهدأ من موجة غضبه وهذا ماحدث، ما إن لكمه حتى ترنح ووقع أرضاً، جلس يوسف أمامه وبدأ يهدأه قليلاً، زفو بقوة ليقول:

"حسناً فقط اهدأ، ستأتي إليك صدقني، ولكن يجب عليك أن تقول لوالديها كل شيء، هكذا ستحصل عليها وتتزوجها أيضاً"

أنهى جملته بابتسامة ليحدثه آسر ببرود:

"ولكنها اليوم طلبت مني التحدث إليها ولم أحدثها، هي ستكرهني ولن تقبل العودة لي، أنا متأكد هي لا تحبني"

أجابه يوسف:

"حسناً ولكن يجب عليك أن تحدث والديها بكل شيء وتعلمهما بأن ابنتهما موجودة بتركيا وتدخل بينهم واسطة خير إذا كانا لا يريدانها فستقنعهما أنت بطريقتك، ومن بعدها ستعود إلى هنا وأساعدك باسترجاعها وهذا وعد مني"

حرك رأسه بإيجاب ولم يتحدث بشيء، بينما يوسف ظل ينظر له بحزن، ابتسم بسخرية على نفسه لإن حاله كحال آسر تقريباً، كونه يعاني هو أيضاً من أجل شهد، لا يعلم أيواسي نفسه أم يواسيه، ولكنه لن يتركه وسيقف بجانبه.

ساعد آسر على النهوض لإنه مازال ثمل نوعاً ما، توجه به إلى غرفته ليمدده على سريره ويقوم بتغطيته ويخرج من غرفته تاركاً إياه ينعم بالنوم، بينما آسر ظل يحدق بالفراغ وهو يراجع ذكرياته معها، تذكر عندما حدثها ببرود بموضوع السفر وجعلها ترحل ولم يأبه لحالها وتركها بمفردها.

يشعر بروحه تسلب منه، ندم أشد الندم عندما تركها تبتعد عنه، أجل ندم وسيندم إلى آخر عمره إذا لم يستطع إرجاعها، ولكن هل ينفع الندم عندما يجف القلم؟ رفعت الأقلام وجفت الصحف.

تململ آسر بفراشه لتقابل عيناه ضوء الشمس، انزعج من الضوء القوي الذي يضرب على عينيه، حاول فتح عينيه مجدداً ونهض من على سريره، أحس بدوار شديد وصداع قوي فور وقوفه، عاد للجلوس مرة أخرى وهو يدعك جبينه بأصابع يديه وهو عاقد الحاجبين، كان يحاول أن يتذكر أحداث أمس، ولكنه لم يتذكر سوى وجود يوسف بجواره، تنهد بقلة حيلة وتحامل على نفسه ليعاود النهوض ويتجه إلى الحمام ليأخذ حماماً بارداً يريح أعصابه فيه، خرج من الحمام بعد قليل ليرتدي ثيابه وهو زيه العسكري، بينما كان يرتدي البذلة حتى عاد ليراجع أحداث أمس وقد تذكر بأنه تحدث عن آسيل أمام يوسف، عقد حاجبيه بانزعاج وجلس على سريره

يحاول أن يتذكر أكثر، أخرج هاتفه ليهاتف يوسف ولكنه تراجع على الفور ولم يرد أن يفتح معه قصة البارحة من جديد، تنهد بانزعاج وأكمل ارتداء بذلته ليتجه إلى الأسفل بسرعة، قابله منظر البيت المليء بالفوضى والزجاج المكسور والمتناثر على الأرض، عقد حاجبيه باستغراب وحدث نفسه بأن يوسف مؤكد لن يفعل هذه الأفعال، مسح وجهه بيده وبدأت أنفاسه تتسارع وكور قبضته بغضب وتنهد بقوة ليخرج إلى الحديقة، تحدث مع أحد الحراس بصوت حاد:

"لما كل تلك الفوضى في الداخل؟ من افتعل ذلك"

ابتلع الحارس ريقه بخوف من حدته ليقول بتقطع:

"سيدي أنت من افتعل كل تلك الفوضى البارحة لإنك كنت ثمل"

رفع آسر حاجبه ليحدثه بغضب:

"وماذا حدث"

تحدث الحارس بتوتر:

"أنا لا أعرف شيء بإمكانك أن تسأل السيد يوسف هو من كان معك طوال السهرة"

حرك آسر رأسه بإيجاب و حدة، تنهد بحنق وقرر بأن يتحدث مع يوسف عندما يصل إلى الفرع، كان يعتصر عقله فقط من أجل أن يتذكر الأحداث كاملة ولكن دون جدوى، فهو لم يتذكر سوى وجود يوسف معه، انتشله من شروده حركة من أحد صغير، وجه نظره للأرض نوعاً ما ليرى طفل صغير يشد بنطاله ليطلب منه شيئاً ما، نزل لمستوى رامز الذي كان ينظر له نظرة بريئة، ذلك الصغير الذي تحبه آسيل، حدثه آسر بحاجبين معقودين:

"ماذا تريد رامز"

تحدث رامز ببراءة:

"أريد آسيل"

نظر له آسر بحزن وتنهد بقوة ليقول:

"آسيل ذهبت ولكن أعدك بأنني سأرجعها إلى هنا لكي تلعب معها اتفقنا"

انهى جملته بابتسامة لم تصل لعيناه ليبادله هذا الصغير الابتسامة ويتحدث بطفولية:

"اتفقنا ولكن لا تتأخر بجلبها لإنها زوجتي"

عقد آسر حاجبيه ليقول:

"ومتى تزوجتها"

حرك الطفل رأسه نافياً ليقول:

"لا لم أتزوجها ولكنها قالت لي عندما أكبر وأصبح شاب وسيم مثلك سأتزوجها"

نظر له آسر بقوة ليقول:

"هل قالت لك عني أنني وسيم"

حرك رأسه بإيجاب ليقول:

"أجل كانت تقول لي بأنك وسيم ومغرور وبارد وهي لا تحب ذلك"

نظر له بقوة ومن بعدها ابتسم له ليقول:

"اها حسناً أعدك عندما تأتي لن أعد مغرور وبارد"

ابتسم له الطفل ليقول:

"أجل وأنا سأتزوجها لن أنتظر إلى أن أصبح شاب"

عقد آسر جاجبيه وتنهد بحنق ليقول:

"مازلت صغيراً أيها الطفل هيا اذهب إلى والدتك"

عبس الصغير بوجهه ليقول بنبرة طفولية غاضبة:

"سأذهب ولكن عندما تأتي سأتزوجها وستكون أنت السائق الخاص بنا لتوصلنا إلى منزلنا"

أنهى الطفل جملته ومد لسانه ليغيظه ومن بعدها ركض بسرعة إلى والدته، بينما آسر جحظت عيناه وتملكه الغيظ من ذلك الطفل، تمتم آسر بخفوت:

"طفل جني"

تنهد آسر بحنق واتجه إلى سيارته ليتوجه فوراً إلى الفرع لينهي تلك القضية التي بين يديه ويحدث يوسف بشأن البارحة، فضوله وحنقه سيجعلانه مضطر لإن يتحدث مع يوسف بما حدث ليلة أمس.

بينما عند ماريا في المنزل، تجلس تلك الفتاة تتأفأف بضجر وملل، تقدم يوسف إليها وهو يحضر نفسه للذهاب إلى دوامه، ألقى عليها تحية الصباح وجلس معها قليلاً، شعر بأنها على غير عادتها، تحدث بتلقائية:

"ما بكِ؟ كأنكِ تشعرين بالملل أليس كذلك"

نفخت خديها بغضب لتقول:

"أجل"

همهم يوسف ليقول:

"حسناً اذهبي إلى شهد ستشعرين بتحسن المزاج أنا واثق"

نظرت له ماريا بحاجب مرفوع لتقول:

"يا لك من واثق، تريدني أن أذهب إليها كي توصلني أنت لعل وعسى ترى طيفها أليس كذلك"

جال يوسف بنظره بأرجاء الغرفة ولم يتحدث، ابتسم لها ابتسامة بلهاء، نظرت له ماريا وضيقت عيناها لتقول:

"لقد هاتفتها ولكنها لا تجيب على الهاتف أنا قلقة عليها"

تملكه يوسف الخوف ليتحدث بقلق:

"لماذا؟ ما بها ها"

تحدثت ماريا بتنهيدة قوية:

"كانت حزينة البارحة، لقد فقدت صديقتها، هي لا تعرف عنها شيئاً منذ شهور، مسكينة لقد تعذبت كثيراً هذه الفتاة وتدعى آسيل"

نظر لها يوسف باهتمام ليقول:

"لماذا؟ حدثيني ماذا حدث لها"

سردت عليه أحداث القصة كاملة بينما يوسف كان يحاول ربط جميع الأحداث، كان يستمع لها بتركيز واهتمام، لم يختلف حديثها عن حديث آسر في ليلة أمس، انتهت ماريا من سرد القصة ليهمهم لها ويقول:

"حسناً هل تريدين أن تساعدين شهد"

نظرت له ماريا بحاجبين معقودين لتقول:

"أجل بالتأكيد"

تحدث يوسف بإيجاب:

"حسناً هاتفيها ودعيها تأتي إلى هنا، أريد أن أتحدث معها بموضوع مهم جداً"

صدمت ماريا مما يقوله لتقول باستغراب:

"ولكن أنت كيف ستحدثها؟ وماذا تريد منها"

تحدث يوسف:

"أيتها الحمقاء ستعلمين في وقت لاحق فقط قولي لها بأن يوسف يريد أن يحدثكِ بشأن آسيل وأنا واثق بأنها ستأتي"

همهمت ماريا لتقول:

"ولكن هل أنت حقاً تعرف آسيل وستحدثها بشأنها"

تحدث يوسف بضجر وقد نفذ صبره من مجادلة شقيقته ليقول وهو متوجه إلى الباب:

"أجل هذا صحيح، سأذهب إلى الفرع لأرى آسر، عندما تأتي هاتفيني"

خرج يوسف من المنزل ليتجه إلى الفرع فوراً، صدح صوت هاتفه ليرى اسم آسر على الشاشة ويجيبه:

"صباح الخير"

تحدث آسر ببرود:

"صباح الخير، أين أنت؟ أريدك في موضوع مهم"

ضحك يوسف ليقول:

"بل أنا الذي يريدك في موضوع مهم، أنا في طريقي للفرع انتظرني سآتي إليك"

أنهى مكالمته وتوجه إلى الفرع بأقصى سرعة، هبط من سيارته ليتوجه إلى مكتب آسر فوراً، دخل يوسف على آسر الذي كان يريح بجسده على الكرسي وشارد الذهن، تنهد يوسف وجلس أمامه ليتحدث:

"ما بك"

تنهد آسر بقوة ليقول:

"ماذا حدث في الأمس"

ابتسم يوسف ابتسامة جانبية ليقول:

"لا شيء فقط ثملت جداً وبدأت تتحدث عن آسيل محبوبتك وحطمت كل شيء بالمنزل فقط هذا"

نهض آسر من مكانه ليجلس بمقابلة يوسف ويتحدث باهتمام:

"ماذا قلت عن آسيل؟ حدثني بكل شيء هيا"

تنهد يوسف بقوة ليسرد له كل أحداث ليلة أمس، بينما آسر تسمر بمكانه من هول ما سمعه، لم ينقص يوسف حرفاً واحداً عليه، بل فضّل أن يحدثه بكل شيء ليضع حداً لهوسه بهذه الفتاة ويحرك نفسه قليلاً ليحل هذه

المشكلة ويريح قلبه، ظل آسر يستمع إلى أن انتهى يوسف من حديثه، تعجب يوسف من بروده ونظرته الباردة ولكنها لا تنم على الخير أبداً، أردف يوسف:

"آسر يجب أن ترجع الفتاة إلى والديها، لا يجب عليك أن تبقيها بعيدة عنهما، بإمكانك الذهاب لوالديها أو اجلبهما إلى هنا وحدثهما بشأنها هما أحق بها، يجب أن يطمئنان عليها"

تنهد آسر بحنق ليتحدث:

"أجل أعلم ولكن إذا حدثتهما عنها سيأخذانها"

عقد يوسف حاجبيه ليقول:

"وما المانع؟ هما والديها ولقد سمعت من ماريا بأن شهد ووالدا آسيل قلقان عليها جداً ولا يعلمان عنها شيء، وغير ذلك لقد علما بكل شيء من زوجها السابق، هو الذي قال لهم الحقيقة"

صدم آسر من ما سمعه ليقول:

"ماذا قال لهم؟ وأية حقيقة قالها"

تنهد يوسف ليتحدث:

"يارجل لقد حرق الرجل الذي دخل لغرفتها من أجلها هي فقط، غير ذلك لقد فضح زوجة أبيها لـ آسيل وقام بإعطاء شريط لوالدها وهي بأحضان خال آسيل"

رمش آسر عدة مرات ليقول بعدم استيعاب:

"لقد ضعت، لم أعد اركز بشيء، حسناً والآن أين هو زوجها"

حرك يوسف رأسه نافياً ليقول:

"لا أعلم عنه شيء، ولكنه قال بأنه سيسلم نفسه للشرطة وغير ذلك لقد كشف أمر مالك الذي يهرب المخدرات وسلمه للشرطة وحكم عليه مدة عشر سنوات"

عقد آسر حاجبيه ليقول:

"ومن هو مالك"

أجاب يوسف:

"خال آسيل"

همهم آسر ليقول:

"حسناً وماذا عن الجثة التي احترقت؟ كيف سنعلم مكانها؟ وكيف سنعلم بمكانه هذا"

تحدث يوسف بنبرة ذات مغزى:

"لا أعلم ولكن يجب أن نجده فوراً وإلا من الممكن أن يجد آسيل ويأخذها"

نهض آسر وانتفض بغضب ليقول:

"سيكون هذا آخر شيء يفعله في حياته إذا تجرأ على لمسها حتى"

ابتسم يوسف ابتسامة جانبية ليقول:

"حسناً ما بك ولما غضبت هكذا؟ آسر الموضوع خطير جداً يجب عليك أن تقول لوالديها كل شيء وتأخذهما إليها أو تبعثها إليهما"

شعر آسر بالضياع لا يعلم كيف سيقابلها وبأي وجه، وتملكه الخوف من فكرة أن تعود لوالديها ولكن يجب أن يفعل ذلك الشيء لمصلحتها ولأجلها أيضاً.

بينما في منزل يوسف، تجلس شهد وهي مشغولة البال، قلقة، حائرة، كلها شوق لمعرفة الأخبار عن صديقتها الوحيدة، نظرت لها ماريا لتقول:

"شهدي ما بكِ"

تنهدت شهد لتقول:

"لا شيء، أين اخاكِ؟ لما لم يأتي"

ضحكت ماريا لتقول:

"هل اشتقتي له"

احتقن وجه شهد لتقول بغضب:

"أيتها الغبية أريد أن أراه من أجل صديقتي"

تحدثت ماريا بغباء لتقول:

"اهاا إذاً صديقتكِ اشتاقت له"

صرخت شهد بها ورمتها بالوسادة لتضحك عليها ماريا بقوة، تحدثت ماريا:

"اهدئي شهدي سيأتي هو مشتاق لكِ بصراحة"

تأفأفت شهد بضجر لتقول:

"ألن تكفين عن المزاح بعد"

تحدثت ماريا ببراءة:

"لا أنا لا أمزح أبداً، هو مشتاق لكِ ويريد أن يتزوجكِ ايضاً لإنه يحبكِ"

صدمت شهد من ماسمعته لتقول:

"اصمتي وكفاكِ مزاح، لست أنقصكِ"

تحدثت ماريا بحنق:

"لما لا تصدقيني؟ هو حقاً يحبكِ ويريدكِ أيتها الحمقاء، أخي وسيم جداً ومحبوب وظريف ولن تلتقين بأحسن منه، وسيصبح لديكِ أخت زوج مجنونة وجميلة وطيبة، ها ما رأيكِ"

نظرت لها شهد وابتسمت ابتسامة مصطنعة ولم تجب، لاحظت ماريا نفورها وهدوئها لتقول:

"شهدي هل انزعجتي مني"

نظرت لها شهد لتقول:

"لا أبداً ولكن بالي مشغول على آسيل"

همهمت ماريا وفهمت منها بأنها تتهرب من القصة وقد علمت لماذا، ولكنها لم ترد أن تضغط عليها، ستحاول إقناعها عندما يحين الوقت، بينما شهد كانت كلمات ماريا كافية لكي توقظ بها المشاعر المختبئة بداخلها تجاه يوسف، ابتسمت بسرها ابتسامة سخرية على نفسها، وعلى من تكذب فهي الآن مغتصبة وتشعر بنفسها ناقصة لذلك لا للحب، ولا للمشاعر، ولا للزواج بالنسبة لها، انتشلها من شرودها صوت يوسف ليحدثها بابتسامة:

"كيف حالكِ شهد؟ مابكِ لما شاردة الذهن"

ابتسمت له وتحدثت بارتباك:

"مم لا شيء أنا بخير"

حرك رأسه موافقاً ولم يتحدث بل ظل يتفرس ملامح وجهها بقوة، والآن تطيب كل أوجاعه، مجرد رؤيته لها جعلته يحلق في سابع سماء، بينما هي كانت تتجاهل نظراته لها، وماريا كانت تجلس بينهما كالبلهاء تنظر لهما اثناهما وكلاهما صامت، حاولت شهد أن تكسر الصمت وتجعل يوسف يكف عن التحديق بها لتقول:

"مم حضرة الضابط لقد قالت لي ماريا بأنك تريد أن تحدثني بشأن صديقتي، مم أين هي؟ هل تعلم عنها شيء"

تحدث يوسف بابتسامة صغيرة:

"لا داعي لإن تقولي حضرة الضابط، قلت لكِ من قبل أليس كذلك يا شهد"

نظرت له وابتسمت ابتسامة مصطنعة وحركت رأسها بإيجاب، ظل ينظر لها ولم يكف عن التحديق بها، انتبه لنفسه لينظر لماريا التي كانت تنظر لهما ببلاهة، حرك رأسه بمعنى اذهبي لتنظر له بغيظ وتدعي البراءة وتقول:

"شهدي سأذهب لأحضر الغداء لن أتأخر"

حركت رأسها بتوتر ولم تتحدث، ظلت تحدق بالأرض لتنتبه إلى يوسف الذي اقترب وجلس بقربها ليتحدث باهتمام:

"شهد من أجل موضوع صديقتكِ هي الآن موجودة بتركيا"

عقدت شهد حاجبيها لتقول:

"تركيا! وما الذي أخذها إلى هناك؟ وهي الآن مع من"

تنهد يوسف وسرد عليها كل الأحداث التي مرت بها صديقتها وحدثها بمكوثها عند آسر في السابق، توسعت عيناها وبدأت دموعها تتساقط على وجنتها، نظر لها يوسف وقد انفظر قلبه من رؤيتها بهذا الحال، حاول تهدأتها ليقول:

"شهد لا تقلقي، آسر سيذهب ليخبر والديها بكل شيء وسيجلبها لتعود إلى هنا، صدقيني هي بخير الآن"

نظرت له شهد وحركت رأسها بإيجاب ولم تتحدث، ظل يوسف يتحدث معها بمواضيع غير مهمة فقط ليكسر حاجز التوتر ويقوم بتهدأتها قليلاً، تنهد يوسف بحنق لا يعلم أيخبرها أم لا؟ ولكنه ليس الوقت المناسب لهذا الحديث أبداً، ولكنه سينفجر إذا لم يحدثها، سيتقرب منها شيئاً فشيئاً، حك مؤخرة رأسه ليقول:

" مم شهد هل أحببتي أحداً من قبل"

عقدت حاجبيها بعدم فهم وما لبثت أن فهمت قصده لتتحدث بتوتر:

"مم لا لم أحب أحداً"

همهم يوسف لها وتحدث:

"مم جيد"

تحدثت شهد ببراءة:

"ولما جيد"

وسع عيناه ليقول ببلاهة:

"ها لا لا شيء لا تهتمي"

حركت رأسها بإيجاب ولم تتحدث، كان يوسف لا يبدو عليه الارتياح فهو يريد أن يسألها أكثر من ذلك ولكنه خائف على مشاعرها، لا يريد أن يشعرها بنقصها أو يذكرها بأحداث تلك الحادثة التي مرت بها والتي خرجت منها بصعوبة بالغة، نظر لها لتبادله النظرة ويبتسم لها وتبادله الابتسامة أيضاً، تحدثت شهد بفضول:

"مم وأنت هل وقعت بالحب يوماً"

نظر لها بصدمة وابتسم ابتسامة بلهاء بعدها ليحرك رأسه موافقاً ويتحدث:

"أجل أنا أحب فتاة جميلة جداً، وأريد أن أتزوجها أيضاً"

همهمت له وشعرت بالضيق قليلاً، تحدثت بتلقائية:

"وأين هي؟ لما لا تتزوجها الآن"

تحدث يوسف بتوتر:

"مم لا أنا أصلاً لم أعترف لها بحبي إلى الآن"

حركت رأسها بإيجاب لتقول:

"إذاً حدثها إذا كنت صادق بمشاعرك وتريدها زوجة لك، صارحها بكل شيء"

ابتسم لها بتوتر ليقول:

"أجل ولكنني خائف أن ترفضني"

نظرت له شهد وتحدثت:

"ولما ترفضك؟ أنت لا تفعل العيب تريدها زوجة لك وتحبها ليس بها أي شيء خطأ"

توسعت ابتسامته ليقول:

"أجل معكِ حق"

اختفت ابتسامته بالتدريج ليردف لها:

"ولكن لا أعلم أنا خائف لإنها هي مرت بموقف صعب جداً وتخطته بصعوبة، لذلك لا أعلم إذا كانت ستوافق على الارتباط من بعد ذلك الموقف"

همهمت له لتقول:

"وما هو الموقف الذي مرت به"

جال بنظره أرجاء المكان ليتحدث بسرعة:

"مم حسناً اسمعي، اعتبري نفسكِ مكانها، افترضي بأنني جئت إليكِ واعترفت لكِ بحبي كيف ستكون ردة فعلكِ؟ وكيف ستتصرفين"

نظرت له بتوتر وشيء من الحزن وابتلعت ريقها، شعرت بالغصة من سؤاله وظلت صامتة ولم تجبه، شعر يوسف بحزنها ولعن نفسه بسره مئات المرات، حاول أن يصلح الموقف ليقول:

"مم حسناً شهد اعتبري نفسكِ لم تسمعي شيء أنا أسف، يبدو أن ماريا قد انتهت من تجهيز الغداء هيا انهضي لنتناول الغداء"

ابتلعت ريقها ونهضت ياستحياء لتجلس وتشاركهما الغداء ويتناولون طعامهم بصمت وهدوء، كان يوسف يلقي نظرة على شهد بين الحين والآخر ولكنها هي لم تعره اهتمام ولم تنظر له، حتى وإن كانت تحبه ستخفي ذلك الشيء، لقد علمت بأنه يلمح لها بحبه ولكنها تجاهلت ذلك الشيء، هي لا تريد أن تظلمه معها لإنه يستحق الأحسن منها هكذا كانت تفكر، لا تعلم بأنه يقبلها كيفما كانت وكم هو متيم بها وعاشق لها حد النخاع.

يجلس في الطيارة المحلقة بالسماء، يكاد قلبه ينفجر من شدة سعادته كونه علم أين ابنته، ولكنه خائف نوعاً ما، بأي وجه سيقابلها وكيف سيبرر لها عن عدم حفاظه عليها؟ كان يدعي بسره بأن لا تكون تحمل بقلبها تجاه أبيها الذي كاد أن يموت لفقدانها، وأخيراً سيراها ويعيدها لحضنه، بينما نجد ذلك الشاب جالس بحيرة من أمره، كيف سيواجهها وبأي عين؟ كلاهما كانا خائفين من مواجهتها ولكن بطريقة مختلفة، تنهد آسر بقوة عندما تذكر لقائه بوالد آسيل وكيف حدثه بكل شيء يخصها وكيف كانت ردة فعل هشام المتلهفة لرؤية ابنته.

انتشله من شروده صوت هشام ليقول:

"هل يبعد المنزل كثيراً عن المطار ياترى"

ابتسم آسر ليقول:

"لا، فقط قليلاً، ستهبط الطائرة قريباً جداً وسنصل إليها لا تقلق ياعم"

حرك هشام رأسه بإيجاب ولم يتحدث، بعد وقت قصير هبطت الطائرة معلنة وصولها إلى مطار تركيا، نزل هشام وآسر من الطائرة ليركبان بالسيارة ويتجهان فوراً إلى المنزل الذي تسكن به آسيل وبرفقتهم فريق الحراسة.

كانت تجلس بصالة البيت، تقلب بالقنوات بملل، زفرت بضيق لإنها لم تثبت أو تجد محطة مسلية، تنهدت بحنق ورمت الجهاز على الأريكة، تمددت بجسدها الصغير على الأريكة تلعب بخصلات شعرها تفكر بمستقبلها وبحياتها التي تعيشها حالياً، سمعت صوت رنين جرس المنزل، عقدت حاجبيها باستغراب شديد، لإنه لا أحد يأتيها أبداً، حتى الحراس لا يطرقون الباب عليها، فمن يا ترى؟ نهضت بسرعة ومازالت متعجبة جداً من رنين الجرس، فتحت الباب لتقابل وجه ذلك الرجل الذي نظر لها بأعين دامعة، تمتمت بخفوت وصدمة:

"أبي"

" اِقترب إليَّ جهراً

دعني أشعرُ بأنَّني مازِلتُ ملكاً لِـ يسارِ صدرك

دعني أتأمل عيناكَ علناً

دْون أن ينتابُني ذلكَ الكبرياء الطاغِي "

" بكيّنا اليوم ! غداً سنضحك

تعبّنا اليوم ! غداً سنرتاح

تألمنا اليوم ! غداً سننسى

أصابنا اليوم حزنٌ ! غداً سيعانقنا الفرح

لا شيء يظلُ ويستمر "

نطقت باسم أبيها ملجمة الصدمة عليها وقد شلت حركتها، لمعت عيناها بالدموع، بينما هو كان ينظر لها بفرح واشتياق، نظر لها من رأسها إلى أخمص قدميها، كم تغيرت وكم هزلت، تقطع قلبه على ابنته الصغيرة، تقدم خطوة منها ليأخذها بأحضانه ليبثها كل مشاعر الأبوة والحنان والمحبة، بينما هي كانت تبادله الحضن بحب واشتياق وفرحة عارمة، ظلا على حالهما فترة من الوقت، ولم ينتبها لذاك الذي يقف ورائهما بملامحه الباردة المصطنعة، فصلت آسيل العناق عن أبيها لتنظر لذلك الذي يقف بجمود ويبتسم ابتسامة لم تصل لوجهه، نظرت له مطولاً وعيناها تحدثه بالكثير من الأوجاع والآلام التي سببها لها، لا تعلم أنه تعذب وتألم أضعاف وأضعاف، فقط ظلا ينظران لبعضهما مدة ليست بقصيرة، ظل حديث العيون مستمراً تحت نظرات هشام المتعجبة، تحدث آسر وعيناه كلها اشتياق لها ليقول:

"كيف حالكِ آسيل"

ابتسمت ابتسامة سخرية ونظرت له نظرة بمعنى حقاً ليبتلع ريقه بتوتر، هو يعلم بأنها غاضبة منه بشدة، يعلم بأنها اشتاقت له وتحن إليه، ولكنه كان غبي عندما أبعدها عنه، يريد أن يصلح كل شيء، يريد أن يعترف بحبه الجنوني لها، لن يتخلى عنها، سيتزوجها ويجعلها ملكه، لن يتركها أو يسمح لها بتركه، حمحم هشام لينتبها اثناهما له، دخلوا ثلاثتهم إلى الصالة وجلسوا ليلتفت هشام إلى ابنته ويحدثها بابتسامة:

"اشتقت لكِ كثيراً بنيتي"

ابتسمت ابتسامة واسعة لتقول:

"وأنا أيضاً أبي، لقد اشتقت لك كثيراً واشتقت لأمي ولشهد وللجميع"

تنهد هشام ليقول:

"لا تقلقي عزيزتي، سنعود إليهم وسترينهم جميعاً"

ابتسمت باتساع لتقترب منه وتحتضنه بشدة، بينما آسر ينظر لهما ويراقبهما بغيرة واضحة وغيظ، تمنى لو أن هذا العناق كان له، هو أحق من أبيها بهذا العناق، ولكن ليس وقت الغيرة الآن، فهو موقفه ضعيف جداً الآن ولا يعلم كيف سيرضي آسيل، نظرت آسيل له نظرة خاطفة، قررت تجاهله كلياً وصبت كل تركيزها على أبيها، تنهد آسر بحدة عندما رأى تجاهلها له، بينما هشام كان يحدثها كيف علم بكل شيء وكيف علم بوجودها هنا، حدثها بكل شيء وحدثها عن طلاق والدتها وقد صدمت كثيراً ولكنه لم يخبرها عن سبب طلاقها لإنه بالأصل لا يعرف السبب، فقط لم يحدثها بقصة شهد واغتصابها، لا يريد أن يعكر صفو مزاجها الآن، تريث قليلاً لعودتهما إلى البلاد وقرر من بعدها أن يحدثها بالقصة، كان يتابع حركاتها وحديثها وابتسامتها، كما أن هشام نسي وجوده كلياً وصب تركيزه على ابنته، كان آسر يكاد يموت من غيظه، لقد تم تجاهله كلياً من قبلهما، كان يجلس بينهما كالحائط، حمحم هشام بحياء وقد تذكر أمر آسر ليقول:

"أعتذر منك جداً، اعذرني فابنتي قد سلبتني عقلي وفرحت جداً برؤيتها، أنا أشكرك كثيراً ياسيد آسر"

ابتسم له آسر ابتسامة مصطنعة ليحدث نفسه (ليس أنت وحدك من سلبتك عقلك)

تحدث آسر ببرود:

"بالمناسبة تستطيع أن تأخدها متى شئت يا عم"

ابتسم هشام ابتسامة واسعة ليقول:

"أجل سأخذها بالتأكيد، هيا حبيبتي اذهبي واجمعي أغراضكِ كي نعود"

حركت رأسها بإيجاب وهمت بالذهاب ولكن صوت آسر أوقفها ليقول:

"إذا أحببتي بإمكانكِ المكوث أنتِ ووالدك إلى حين تريدان"

استدارت له بكامل جسدها لتحدثه بجفاء ونبرة لؤم:

"شكراً لك، لا أريد البقاء هنا بعد الآن بمفردي، أكاد لا أصدق العودة مع أبي"

نظر لها وكز على أسنانه من شدة غيظه، آلمه قلبه من نبرتها وبرودها معه، شعرت آسيل بأن هذه الجملة لم تفي بالغرض بعد لاستفزازه لتردف له:

"أنا شاكرة أفضالك، أنت حقاً إنسان رائع، لقد مددت لي يد العون، حقاً أشكرك يا سيد! ماذا كان اسمك؟ ذكرني لقد نسيت"

اشتد فكه واحتدت ملامحه عندما نكرت اسمه ونسيته، ألهذه الدرجة قلبها ممتلئ منه؟ هو يعلم بأن قلبها ممتلئ منه ولكن لم يكن يتوقع إلى درجة أن تنسى اسمه وتستفزه بهذا الشكل، زفر بضيق ليقول:

"آسر، أنسيتي اسمي أيضاً"

تحدثت بلا مبالاة:

"أجل، ربما البعد يُنسي"

همهم بحدة ليقول:

"ولما لم تنسين اسم والدكِ مثلاً؟ إذا كان البعد يُنسي"

تحدثت ببرود:

"لإنه والدي بينما أنت غريب لا أعرفك، عن إذنكما"

أنهت جملتها وتوجهت للأعلى كي تقوم بجمع أغراضها للعودة مع والدها، بينما آسر كانت الشياطين تتراقص حوله، هشام كان يشعر بأنه كالأبله لم يفهم شيئاً ولم يعرف شيئاً، نظر لآسر ليراه مكور قبضة يده ووجهه غاضب، تملكه الشك بشأنهما ولكنه قرر عدم التحدث إلى أن يعودان للبلاد، لم يستطع آسر كبح غضبه أكثر من ذلك، استأذن هشام ليجيب على هاتفه ليستغل آسر الفرصة ويصعد خلف آسيل ويفتح باب غرفتها ويدخل ويقفل الباب تحت نظرات آسيل المتعجبة والخائفة بعض الشيء، توجه لها بملامح حادة وغاضبة ليمسك بمعصمها ويتحدث بغضب:

"أنسيتي اسمي؟ لم تتذكريني يا آسيل"

كانت تتألم من مسكه ليدها بقوة، ارتسمت على ملامح وجهها معالم الألم لتقول بتحدي:

"وما شأني بك ها؟ هل علي أن أتذكر اسمك وأصلك وفصلك وكل شيء يتعلق بك؟ أليس أنت من اختار رحيلي؟ أليس أنت من لم يقبل بمحادثتي عندما طلبت منك ذلك؟ إذاً لا تلومني على تصرفاتي، اسمعني جيداً يا سيد أنا أشكرك حقاً على وقوفك بجانبي ولكن أنا سأعود مع والدي وسيكون هذا آخر يوم لك تراني به لذلك لا داعي للدراما هذه واتركني رجاءً لإنك تؤلمني"

كان يستمع إلى كل كلمة تقولها، يراقب حركة شفتيها وانفعالاتها، صب كل تركيزه على شفتيها المتنكرزة لتوقظ غريزته، لم يعجبه حديثها، ولم يعجبه عدم اعترافها عليه، ألصقها بالحائط وكور وجهها بيديه ليتحدث بصوت أشبه للهمس:

"بعدكِ عني سيكون آخر شيء ممكن أن تفعلينه يا آسيل"

أنهى جملته تحت نظراتها المصدومة ليقترب ويلتقط شفتيها، لم تكن قبلة عادية كانت قبلة تنم على كل أنواع الألم والعذاب الذي قاساه ببعدها، كان يقبلها بوحشية عقاباً على جملتها تلك، لقد لقنها درساً قاسياً بفعلته هذه، بينما هي كانت تتألم بشدة وتأن وتحاول إبعاده ولكن دون جدوى، نزفت شفتيها واستقبل دماء شفتيها برحابة

صدر ليلعقها ويعاود تقبيلها بجنون مرة أخرى، ظل بقبلته مدة قصيرة تقريباً ليبتعد عنها وهو يلهث بأنفاس حادة، بينما هي كانت تبكي لإنه آلمها بحق، وضع جبينه على جبينها ليقول بأنفاس لاهثة:

"ستكونين لي يا آسيل، وهذا وعدٌ مني لكِ"

قبل جبينها وخرج من الغرفة بالكامل بينما هي ظلت تبكي وتلعنه تحت أنفاسها، هو من أخطأ بحقها، ظنت بأنه سيأتي ليحدثها بروية وهدوء، لا تعلم بأنها قد استفزته وزادت من حدته كثيراً ببرودها هذا، في الواقع هي لن تصمت، هو عذبها كثيراً لذلك ستريه من هي آسيل وستريه العذاب ألوان، تنهدت بحدة وأكملت جمع أغراضها وارتدت ثيابها لتخرج إليهما وتتحدث بجمود:

"أبي لقد انتهيت"

ابتسم لها هشام ونهض متوجهاً إليها ليلحق بهما آسر متوجهين للمطار ومن ثم للبلاد.

هبطت تلك الطائرة معلنة عن وصولها للمطار، هبط جميع الركاب منها، كانوا يقفون بالمطار محملين بأمتعتهم وكلهم اشتياق لبلادهم، توجهوا أربعتهم للسيارة التي ستنقلهم إلى المنزل، وصلوا بعد وقت ليس بطويل ليهبطوا ويدخلون المنزل، دخلت الأم إلى منزلها القديم وكلها شوق وحنين إليه، استرجعت ذكرياتها كلها التي قضتها بهذا المنزل وقد تذكرت زوجها لتنزل دموعها من دون سابق إنذار، بينما ليث ورنيم وباسل دخلوا للصالة وجلسوا وهم فرحين جداً بعودتهم، مسحت الأم دموعها وتوجهت لتنضم إليهم، جلسوا سوياً وهم متعبين من طريق السفر، كان ليث ينظر لرنيم بينما هي لا تعيره أي اهتمام، شعرت بنظراته لها لتنظر له نظرة خاطفة وتشيح بوجهها عنه، بينما باسل كان شيئاً واحداً يشغل باله وهو محبوبته، اشتاق لها ولرؤيتها، يريد أن يراها فوراً كما أنه اشتاق ليوسف وآسر، حمحم باسل ليقول:

"ما رأيكما أن ندهب إلى منزل يوسف"

نظرت له رنيم لتتحدث بمكر:

"ولما منزل يوسف مثلاً؟ لما لا يكون منزل آسر"

تنهد بحنق وزفر بقوة ليقول بغيظ:

"اصمتي أيتها الحمقاء، هل تريدان الذهاب أم لا"

تحدث ليث بملل:

"أذهب لوحدك يا رجل، لم نرتاح بعد"

تحدثت رنيم بتحدي:

"هيا باسل أريد أن أذهب لأرى ماريا، وأنت يا ليث إذا كنت لا تود الذهاب فا بإمكانك المكوث هنا"

نظر لها بحدة وتحدث:

"هل تتعمدين إغاظتي مثلاً"

تحدثت رنيم باستنكار:

"هه ولما أضيع وقتي بإغاظتك يا فتى؟ لا شأن لي بك"

نظر لها بغيظ وبدأ بقضم أظافره بينما باسل كان يحاول كتم ضحكته، وجه ليث نظره لباسل لينظر له بحدة، لم يتمالك باسل نفسه لينفجر بالضحك وتشاركه والدته، بينما ليث يكاد يفقد عقله منهما، تنهد ليث بحنق ليقول بغيظ مكتوم:

"حسناً يا برنسس رنيم تفضلي سنذهب جميعاً هيا"

تحدثت رنيم ببرود:

"باسل ليس لي مزاج للذهاب، خذ صديقك واذهبا بمفردكما"

عاد باسل للضحك وقد انفجر ضاحكاً أكثر من السابق، بينما ليث يكاد يجن جنونه من هذه المعتوهة ليحدثها بعصبية:

"أنتِ أيتها الحمقاء، اصمتي وهيا انهضي يا لكِ من خرقاء"

احتدت ملامح رنيم وأخذت وضعية الهجوم لتنهض وتنقض على ليث وتنهال عليه بالضرب المبرح، بينما هو كان يزعم بأنه يتألم ولكن هو كان يموت من شدة سعادته فقط لإنها تلمسه ولو كان بالضرب المبرح، بينما باسل ووالدته كانا يضحكان عليهما بشدة، لهثت رنيم ونظرت له بحدة لتقول بغضب:

"اسمع أيها الغبي لا تقل لي خرقاء وحمقاء، لست صديقتك وألعب معك في الشارع لكي ترفع الكلفة هل فهمت"

كان ليث يتابع انفعالاتها بابتسامة، ليتحدث باستفزاز:

"أتعلمين شيئاً أنتِ خرقاء وحمقاء وساذجة وبقرة أيضاً، وبالمناسبة هذا لا يسمى ضرباً لإنني شعرت بأن ذبابة تضربني وليست فتاة"

جن جنونها لتصرخ بانفعال وتنقض عليه وتلكمه وتضربه بشدة بينما هو كان يضحك عليها وهي تكاد تجن منه، نهض باسل وفصل بينهما ليوقف هذه الحرب ويقول بضحك:

"أيتها الحمقاء اهدئي ما بكِ"

ظلت صامتة ولم تتحدث، فقط تنظر لـ ليث بحدة وأنفاسها تعلو وتهبط، بينما ليث كان ينظر لها ويضحك على شكلها، تحدث باسل بابتسامة:

"هيا هيا فلنذهب قم أيها الأحمق"

نهض ليث وهو يحاول كتم ضحكته تحت نظرات رنيم المشتعلة، استأذنوا ثلاثتهم من والدة باسل وخرجوا متوجهين إلى منزل يوسف وذاك العاشق كله شوق وحنين لرؤية تلك التي سلبت عقله وعذبت فؤاده.

كان يوسف وماريا يتعاركان ويبرحان بعضهما بالضرب وهما يضحكان، ظلا يلكمان بعضهما ويلحقان ببعضهما وأصواتهما تعم أرجاء المنزل، بينما باسل وليث ورنيم حالما وصلوا إلى منزل يوسف حتى سمعوا صوت صراخ وضحك من الداخل، تعجبوا ثلاثتهم من تلك الأصوات ولكن باسل تنهد ورن جرس الباب وقلبه يطرق بعنف، سمع يوسف وماريا صوت قرع الجرس وقد تعجبا من الزائر الذي سيأتي بهذا الوقت، توجهت ماريا لتفتح الباب وسبقت أخاها ليلحق بها يوسف بسرعة ويفتحان الباب مع بعضهما، ما إن فتحا الباب حتى تقابلا ببعضهم، ألجمت الصدمة عليهما وقد تفاجئا كثيراً، ولكن ما لبثا حتى استقبلاهم استقبالاً حاراً، انقضت رنيم على ماريا وأخذتها بالأحضان، بينما باسل كان ينظر لها بابتسامة واسعة وقام بمصافحتها وعيناه كلها اشتياق، دخلوا جميعاً للداخل وكان المنزل بحالة فوضى، تحدث ليث موجهاً حديثه ليوسف:

"أيها الأحمق ما كل هذه الفوضى؟ وما هذه الاصوات التي سمعناها من الخارج قبل قليل"

ضحك يوسف ونظر لماريا التي بادلته النظرة ليقول:

"لا شيء فقط كنت أمازح شقيقتي قليلاً، لم أشبعها من مزاحي الثقيل اليوم لذلك كنت أعوضها"

كتم ليث ضحكته بينما باسل ابتسم ليقول:

"وهل مزاحك يجعل ماريا تصرخ هكذا؟ يا رجل ظننا بأن أحداً يبرحها ضرباً"

حك يوسف مؤخرة رأسه ليقول بضحكة:

"أنا أصلاً كنت أبرحها ضرباً وكذلك هي، كنا نتشاجر لا شأن لكم"

أنهى جملته ووجه نظره لشقيقته التي كانت تحرقه بنظراتها لتتحدث بغيظ:

"يا لك من أحمق، أكرهك"

تحدث يوسف باستفزاز:

"نفس الشعور عزيزتي"

تنهدت بغيظ لتستدير لرنيم وتتحدثان بأمور عادية وكلهما اشتياق لبعضهما بينما باسل كان ينظر لها بأعين مشتاقة ومتلهفة ولكنها لم تعره اهتمام، شعرت ماريا بنظراته ولكنها لم تلتفت له، لإنها تعلم إذا التفتت إليه سيصطبغ وجهها باللون الأحمر وتخجل لذلك ظل تركيزها مع رنيم، بينما يوسف كان يتحدث مع الشبان بأمور عدة ليقول باسل:

"أين آسر"

أجاب يوسف:

"لديه مهمة ولا أعلم إذا عاد أم لا، سأهاتفه"

طلب رقم آسر ولكن كان مغلق، حاول يوسف عدة مرات ولكن دون جدوى، تنهد يوسف بحنق ليقول:

"هاتفه مغلق"

همهم باسل ولم يتحدث، بينما ماريا كانت تتحدث مع رنيم لتنظر لباسل نظرة خاطفة وقد كان ينظر لها لتشيح بنظرها عنه وتخفض رأسها وقد توردت وجنتيها، ابتسم باتساع عندما رأى احمرار وجنتيها وخجلها منه، تمنى لو أن يأخذها بأحضانه ويشم رائحتها ويقبلها، تنهد بقوة وقد انتبه له يوسف ليقول:

"ما بك يا حثالة الأطباء لما يبدو عليك الكآبة"

ما إن سمع ليث هذه الجملة حتى انفجر ضاحكاً بينما باسل وجه ليوسف نظرات حارقة وتحدث بغيظ:

"اصمت أيها الضابط اللعين، أحمق سافل"

ضحك يوسف ليقول:

"ولما أنت منغاظ ها؟ ألست حثالة الأطباء"

تنهد باسل بحنق ليقول:

"أتمنى أن تكون تحت يدي في عملية ما لأريك الحثالة أيها التافه"

ضحك يوسف وقد شاركه ليث ولكن ماريا لم تعجبها جملة باسل لتقول بوجه عابس:

"لا تتحدث عن أخي هكذا يا باسل وإلا أوسعتك ضرباً هل فهمت"

ابتسم يوسف ابتسامة استفزاز بينما باسل ظل متصنم بمكانه وينظر لها ببلاهة ليقول:

"ها"

نظرت له بغباء وهو مازال على بلاهته، بينما يوسف ورنيم وليث انفجروا ضاحكين عليهما، خجلت ماريا وأخفضت رأسها للأسفل، بينما باسل حمحم على انجرافه بمشاعره، هي لم تقل شيئاً فقد تحدثت بشكلٍ عادي ولكن هو يقدسها ويقدس كل شيء تبديه لذلك سرح بها، حاولت رنيم أن تغير الموضوع لتقول:

"أين المخدرات أيتها الحمقاء"

اتسعت ابتسامة ماريا لتتحدث بحماس وهي تصفق بيديها:

"لدي الكثير منها سأجلبها لكِ"

قفزت ماريا متوجهة لغرفتها كي تجلب التسالي، بينما باسل يكاد يفقد عقله منها، فهو يدقق على أبسط حركاتها ويكاد يطير ويحلق في السماء من سعادته عندما تبدي أي ردة فعل أو تتحدث حتى، نظر له ليث ليجده شارد ينظر لمكان ماريا التي كانت تجلس به، كتم ضحكته ولم يتحدث بينما يوسف كان يتابع نظراته وحركاته وفهم عليه، هو يعلم بحب باسل لأخته ولا يجد به أي عيب كما أنه صديق طفولته ويعرفه عز المعرفة فلن يجد أحسن وأفضل منه، ولكن لا يستطيع التحدث أو إبداء رأيه إلا عندما تقرر أخته، فهو لن يجبرها على شيء لا تريده، غير ذلك باسل لم يتحدث بهذا الموضوع أبداً لذلك لن يتحدث هو الآخر، عادت ماريا وهي تقفز من حماسها ومازال باسل ينظر لمكانها بشرود، كانت ماريا تتبادل التسالي مع رنيم، تدخل يوسف بينهما ليقول:

"انظري يارنيم كم سمنت ماريا، ألا ترينها أصبحت كالبقرة من كثرة الشوكولا"

شهقت ماريا وتحدثت بغيظ:

"اصمت يا ذيل المعزة أكرهك سأذهب وأتركك سأعيش عند آسر يا أحمق لا أريدك"

ضحك يوسف عليها وشاركه الجميع بالضحك ليقول:

"كل هذه الانفعالات لإنني قلت عنكِ بقرة أيتها الحمقاء؟ سأوسعكِ ضرباً سترين"

تحدثت ماريا بغرور:

"لا تستطيع، باسل وليث سيدافعان عني أليس كذلك"

ابتسم باسل ليقول:

"أجل بالتأكيد"

بينما ليث تحدث ببرود:

"لا أنا لن أدافع عنكِ سأتركه يضربكِ، أنا أكرهكِ"

كزت ماريا على أسنانها وتحدثت بغضب مكتوم:

"سأضربك أيها الغبي"

تحدث ليث بعيون جاحظة:

"لا أرجوكِ، يكفي أن رنيم أوسعتني ضرباً قبل أن نأتي إلى هنا، أرجوكِ لقد اكتفيت"

شهقت ماريا وابتسمت ابتسامة مكر لرنيم، بينما رنيم جالت بنظرها بأرجاء المكان ولم تتحدث، صدح صوت رنين جرس المنزل لينهض يوسف ويفتح الباب وقد كان آسر، دخل آسر بغضب و حدة ولم يلقي السلام على يوسف حتى، تفاجأ آسر بوجود الرفاق ليبتسم لهم ويبادلونه الابتسامة وقد قام باحتضانهما بشوق ظاهر عليه بينما اكتفى بمصافحة رنيم، جلس بينهم وقد نسي همه من معذبته قليلاً، وجه باسل حديثه لآسر ليقول:

"أين كنت أيها الغبي"

نظر له آسر نظرة حارقة جعلت باسل ينظر له بخوف مصطنع، ضحك ليث عليه ليقول:

"أيها الأحمق مازلت بارد وغاضب كما أنت لم تتغير"

تحدث آسر ببرود:

"اخرس"

تمتم ليث:

"حسناً"

ضحك باسل عليه بينما يوسف كان عابس الوجه، انتبه له آسر ليقول:

"ما بك أيها الأحمق"

تحدث يوسف بانفعال:

"جيد بأنك تذكرت أن تسألني ما بي، دخلت علينا وألقيت السلام على الجميع بينما أنا لا، لماذا ها"

انفجر الجميع ضاحكاً على يوسف، بينما آسر وجه حديثه لماريا التي كانت مشغولة بأكل الشوكولا ليقول:

"ألم تكفي عن أكل الشوكولا بعد أيتها الحمقاء"

عبست ماريا لتقول بطفولية:

"وما شأنك أنت؟ لن أكتفي عاااا"

ضحك آسر على جملتها لتردف له ماريا باهتمام:

"بالمناسبة ماذا فعلتم بقصة تلك الفتاة التي تدعى آسيل؟ هل وجدتموها"

نظر لها آسر ويوسف بقوة بينما هي كانت تنظر لهما بعدم فهم، وجه آسر نظره ليوسف ونظر له بحدة لينظر له يوسف نظرة بريئة ويرفع يديه وكأنه يستسلم، أعادت سؤالها ماريا ليحمحم يوسف ويتحدث:

"ماريا ما رأيكِ أن تحركي الخلايا النائمة لديكِ وتتحركين وتقدمين الضيافة أنتِ ورنيم؟ هيا عزيزتي و دعي ليلتنا تمضي على خير"

نظرت له ماريا بعدم فهم ووجه عابس لتتحدث:

"لا أريد، أريد أن أعلم ماذا حدث بتلك الفتاة لإن شهدي خائفة عليها كثيراً"

"مارياا"

صدح صوت آسر تعبيراً عن صراخه بوجهها، جفلت من صوته ونظرت له بخوف بينما هو كان ينظر لها بحدة، نهضت مسرعة من أمامه للمطبخ لتلحق بها رنيم تحت نظرات باسل وليث اللذان كانا جالسان بينهم ولا يعلمان بشيء، تنهد آسر بحدة ليقول يوسف:

"ما بك"

تحدث آسر ببرود:

"لا شيء"

تحدث يوسف:

"هل كل شيء على مايرام"

تنهد آسر ليقول:

"أجل"

تدخل باسل بالحديث ليقول:

"ما بكما هل حدث شيء"

حرك يوسف رأسه تعبيراً عن رفضه ليحمحم ليث ويقول:

"حبيبي آسر ما رأيك أن نسهر اليوم سوياً ونشرب"

نظر له آسر وتحدث:

"لا مانع لدي"

تحدث يوسف باستنكار:

"ذكي جداً، وهل سنشرب أمام رنيم وماريا أيها المعتوه"

نفخ ليث خديه ليقول:

"لا سنذهب إلى منزل آسر وستظل رنيم عند ماريا"

همهم يوسف وحرك رأسه موافقاً، بينما آسر كان صامت طوال جلسته، يفكر بها ويكاد يفقد عقله، لا يعلم كيف سيتعامل معها، هو خائف من أن يعود زوجها ويأخذها، عندها سيخسرها للأبد، تنهد بقوة وانتهت جلسة الشبان مع الفتيات ليتوجه الشبان إلى منزل آسر ليفعلوا ما يحلو لهم، بينما آسر أوصى يوسف بأن ينتبه جيداً على حديثه إذا حدث وثمل، كونها تعاملت معه ببرود وعذبت فؤاده، سيضطر للشرب لكي ينسى ولو قليلاً.

" اشتقتُ إلى نورِكِ الذي هو كـَ نور الشمسِ دائم

اشتقتُ إلى كلامُكِ الذي يجعلني مستيقظاً نائم

أريدُ أن ألمسَ شفتيكِ بيدي

أريدُ منكِ أن تمشينَ في سبيلي

أريدكِ أن تشربينَ من كأسي

الذي وضعتُ فيهِ كُلَ دمائي

أُحبكِ أتسمعينني ؟

هل تفتقدينني ؟

هل علمتِ بوجعي ؟

إنهُ يقطعُ قلبي

هل نسيتِ من أنا

أنا الكونُ بأسرهِ

أنا الموتُ وعذابهِ

أنا الحياةُ ومشقاتهِ

أنا، من أنا ؟ أنا الذي في حُبكِ قتلَ نفسهِ "

وصلت تلك الفتاة برفقة أبيها إلى جانب منزل والدتها، تبتسم بحماس واشتياق، تريد رؤية والدتها بأسرع وقت، هي مشتاقة لها، مشتاقة لحضنها وحنانها، تكاد لا تصدق نفسها، وأخيراً عادت لحياتها الطبيعية، والأهم من ذلك بأن والديها لم يشككا بها وبأخلاقها أبداً وهذا ما أسعد آسيل، تقف لتدق على الباب وكلها حماس بينما والدها يتابعها ويتابع حماسها بابتسامة.

كانت سمية تجلس في الصالة حزينة وكلها شوق لابنتها، سمعت صوت طرقات على بابها لتنهض بتكاسل وتفتح الباب لترى ابنتها أمامها بابتسامتها العذبة وعيناها كلها شوق لوالدتها، تصنمت سمية بمكانها حالما رأت ابنتها، جحظت عيناها بقوة وبدأت دقات قلبها بالتسارع، لم تصدق أن التي أمامها ابنتها، وأيضاً لم تفق من صدمتها بعد، رجفت أوصالها وهبطت دموعها دون سابق إنذار، لم تبدي أي ردة فعل سوى الصدمة، بينما آسيل علمت بصدمة والدتها وتفاجئها، لذلك لم تناقش الأمر فقد ظلت على ابتسامتها لتتقدم من والدتها وتحتضنها بقوة، ما إن قامت آسيل باحتضانها حتى علمت بأنها ليست بحلم، بادلتها الحضن وهي تبكي بشوق وسعادة بالغة، وأخيراً عادت لها ابنتها الوحيدة، وأخيراً رأتها سالمة أمام عيناها، ظلت تبكي وتنتحب وقد شاركتها آسيل البكاء، إلى أن فصلتا العناق وابتسما لبعضهما، التفت سمية إلى ذاك الواقف أمام الباب لترى هشام، ابتسم لها وبادلته الابتسامة بسعادة ليرقص قلب هشام فرحاً فقط لإنه أسعدها ورأى ابتسامتها التي يعشقها، رحبت بهما ودخلوا سوياً إلى الصالة ليجلسوا ومازالت سمية محتضنة ابنتها بسعادة، فرح هشام كثيراً لإنه أعاد ابنته إليهما، بينما سمية شغلت كل حواسها مع ابنتها، تحدثت آسيل بابتسامة وتذمر:

"أمي سأختنق"

ضحك هشام على كلمتها وكذلك سمية، ولكنها لم تنفك عن ابنتها أبداً بل ظلت محتضنة إياها بشوق بالغ، بينما آسيل كانت سعيدة جداً بحضن والدتها وكم كانت تحتاج لهذا الحضن الدافئ لتريح نفسها وتشعر بالراحة والأمان، تنهد هشام ليتحدث:

"ها هي آسيل ياسمية، لقد وفيت بوعدي لكِ"

نسيت ألمها ووجع قلبها منه، نسيت كل شيء فعله بها وابتسمت له ابتسامة واسعة لتتحدث بسعادة:

"شكراً لك، أكاد لا أصدق نفسي أشكرك جداً ياهشام"

ابتسم هشام بسعادة لإنه فعل شيئاً أسعدها بينما آسيل كانت تحتضن والدتها وتراقب نظراتهما لبعض، ابتسمت بسعادة كونها تجد الأمل ظاهر على وجهيهما من فكرة رجوعهما إلى بعضهما، تحدثت آسيل بتوتر:

"أمي لما تطلقتي من عمي وسيم؟ هل أزعجكِ أو أهانكِ"

عبست بوجهها وتنهدت بحدة لتقول:

"لا أريد أن أتحدث بهذا الموضوع، انسي أمره، نحن لسنا بحاجة له، لقد خرج من حياتي وانتهى"

لم تكن ترغب آسيل بأن تسأل هذا السؤال ولكن فضولها قادها للتحدث، بينما هشام انزعج عندما سألت هذا السؤال ولكن جواب سمية أعجبه لذلك ابتسم برضى، حاولت آسيل أن تغير الموضوع لتقول:

"حسناً إذاً ألم تشتاقي لي ياسمية هانم"

ضحكت سمية على جملة ابنتها وقد شاركها هشام لتتحدث بحنان:

"اشتقت إلى جميلتي بحجم السماء، متى سأفرح بكِ"

تذكرت آسيل كلام آسر عندما حدثتها والدتها بهذه الجملة، لتسرح بملامحه وعلى محياها ابتسامة بلهاء، بينما هشام وسمية نظرا لها بتعجب على حالها ومن ثم نظرا لبعضهما بعدم فهم، تحدثت سمية وهي تلوح بيدها أمام وجه آسيل لتقول:

"هيييي أين سرحتي يا فتاة؟ هل وقعتي بالحب أم ماذا"

التفت آسيل لوالدتها لتتحدث ببلاهة:

"ها حب ماذا أمي؟ لا لا لست واقعة لأحد اطمئني"

صمتت سمية واكتفت بابتسامة بسيطة بينما آسيل عبست ملامحها وقد تذكرت شيء لتردف:

"هل تريدين التخلص مني وتزويجي بسرعة ها"

تحدثت سمية بسرعة:

"لا لا أنا لم أصدق متى عدتي إلي، لا أريد التخلص منكِ، هيا انهضي وبدلي ثيابكِ من أجل أن أطعمكِ بيدي"

ابتسمت آسيل بحماس لتقول:

"أجل أجل أريدكِ أن تطعميني بيدكِ حسناً سأنهض"

نهضت آسيل بسرعة بالغة متوجهة لغرفتها وكلها اشتياق لأيامها الماضية بهذا المنزل، بينما سمية ارتاح قلبها عندما رأت ابنتها أمام عيناها، أما هشام فقد كان يتنهد بقوة ويتصارع بأفكاره، أيحدثها بالرجوع أم ينتظر قليلاً بعد؟ ولكنه لم يعد يطيق الانتظار، اشتاق لها ويريدها له، انتشله من أفكاره صوت سمية لتقول له:

"أين وجدت آسيل ياهشام"

أجاب بهدوء:

"لقد جائني اتصال اليوم من قبل ضابط ويدعى آسر وقال لي بأنه يعرف آسيل، وهو من استقبلها في بيته وحماها وبعدها سفرها إلى تركيا خوفاً عليها من زوجها لإنه علم بكل شيء عنها، وذهبت اليوم أنا وهو وجلبناها"

ابتسمت سمية لتقول:

"أريد أن أشكر ذلك الضابط على معروفه"

تنهد هشام ليقول:

"حسناً أتوقع بأنكِ تعرفينه هو يكون صديق الضابط يوسف ذاك الشاب الذي كان مسؤول عن قضية شهد"

تمعنت به لتتحدث باهتمام:

"اها أظن بأنني رأيته فقط لمحة صغيرة، حسناً لا بأس"

حرك هشام رأسه موافقاً ولم يتحدث بشيء، فقط ظل يحدق بها مطولاً وقد انتبهت هي إلى نظراته ولكنها أشاحت بنظرها عنه بتوتر ظاهر عليها، تنهد هشام بقوة ونهض ليجلس بجانبها، تجرأ ومد يده على وجنتها ليمررها بهدوء وهو ينظر لها بهيام، بينما هي كانت متوترة جداً، لا تعلم أتبعده أم تظل ساكنة لكنها ظلت صامتة ولم تبدي أي ردة فعل سوى التوتر، ابتسم لتأثيره عليها وظل ينظر لها ويمرر يده على وجنتها، ابتلعت سمية ريقها لتتحدث بتوتر:

"اا هشام هذا لا ينفع"

تحدث هشام بهدوء:

"إذاً بعدكِ عني ينفع مثلاً"

التفتت له ونظرت لعيناه لتتحدث بتوتر:

"لا أريد أن أتحدث بهذا الموضوع"

ظل على حاله ليقول:

"لماذا تهوين تعذيبي سمية"

نظرت له نظرة حزن لتقول:

"أنت من عذبتني وليس أنا"

تحدث بنبرة حزن:

"كنت مجبور على ذلك"

أشاحت بوجهها عنه وصمتت بينما هو أردف لها:

"عودي إلي سمية أرجوكِ أنا أحبكِ كثيراً صدقيني"

نظرت له بصدمة ولم تستوعب ماقاله، رمشت بعيناها عدة مرات ونهضت واقفة لتقول وهي تتهرب منه:

"اا ولكن أنا لا أحبك"

أمسكها من معصمها ليقول بتحدي:

"كاذبة فعيناكِ تقول غير ذلك"

أشاحت بوجهها عنه ولم تتحدث بينما هو اقترب منها واشتم رائحة عطرها التي تسكره، زفر براحة وكأنه استنشق عطر الجنة، بينما هي كادت تفقد حصونها أمام لمسته وقربه منها، حاولت التملص منه ولكنه كان محكم قبضته عليها، أدار وجهها إليه ليتقابلا عيناهما وينظران لبعضهما بحب ظاهر عليهما، لم تشأ سمية أن يتركها ولكنها كانت تفكر بعقل، هي تريد تعذيبه قليلاً ولكنها دائماً ما تضعف أمامه، ظلت تنظر له ولملامحه التي تعطيه جاذبية خاصة وقدر حقيقي من الوسامة، فـ برغم كبر سنه وعمره الذي تجاوز الثالث والأربعين إلا أنه مازال وسيماً ولا يبدو عليه الكبر، بينما هو كان ينظر لها بحب وهيام، شعر بنفسه بأنه سينجرف بمشاعره، يريد أن يبتعد عنها ولكن قلبه يأبى ذلك كحالها هي، لم يعلم كيف تجرأ واقترب ليلتقط شفتيها ويقبلها بهدوء وحب بالغ، بينما سمية كانت مغيبة عن الوعي من قبل أن يقبلها، لذلك استسلمت لقبلته وبادلته فوراً، كان هائماً بها، يكاد لا يصدق بأنها بين يديه، يزداد تعلقه بها يوماً بعد يوم، لم يتذوق شفاه كشفاهها، بينما هي كانت مغيبة عن عالمها تماماً وهي تقبله، ابتعدا قليلاً عن بعضهما وألصق جبينه بجبينها لينظر لها بعشق، ولكن هي لم تتجرأ على فتح عيناها من شدة خجلها منه، ابتسم لخجلها وتحدث بأنفاس لاهثة:

"هل تتزوجيني"

فتحت عيناها على وسعها عندما نطق بكلمته ولم تعرف بماذا تجيب ليردف لها:

"ماذا قلتي هل تتزوجيني"

نظرت له مطولاً وهي غير مصدقة، لا تعلم كيف تضعف أمامه بهذا الشكل الكبير، تتسائل لما ظلت على حبها وعشقها له، ظنت بأنها بزواجها من وسيم ستنساه وستتعلق بوسيم، ولكن لم يحصل أبداً، كانت تقنع نفسها فقط بأنها تحبه ولكن هي تحب زوجها السابق، كحال وسيم الذي كان يقنع نفسه بأنه يحب سمية ولكنه كان يحب ابنتها، هي تريده وتريد العودة إليه، ولكنها خائفة أن يتكرر نفس الموقف، ولكن لحظة! لما سيتكرر؟ ولما تخاف؟ الذي كان السبب ببعدهما عن بعضهما قد سجن فلماذا تخاف ولماذا تقلق؟ ابتلع هشام ريقه وظن بأن بصمتها هذا هي غير موافقة، نظر لها نظرة ترجي لتبتسم له وتحرك رأسها موافقة، اتسعت ابتسامته وكاد يطير من فرحته، حملها ودار بها وسط ضحكاتهما وكأنهما مراهقان يجددان شبابهما، انزلها على الأرض ليحتضنها بقوة ويدفن وجهه برقبتها ليشتم عبيرها الذي يعشقه حد النخاع، فصلا العناق ليتحدث هشام بابتسامة واسعة:

"غداً سنقيم الزفاف ما رأيكِ"

نظرت له بحاجبين معقودين لتقول:

"لا، لا أريد زفاف فقط سنكتفي بعقد قراننا"

امتعض ليتحدث:

"ولماذا ها؟ سنقيم حفل زفاف وأنا من سيقرر"

همهمت سمية وأمسكت بياقة قميصه لتتحدث بدلع:

"حسناً لا مانع لدي ولكن يجب عليك أن تنتظر شهران أو أكثر وستكون هدأت الأحوال، أنت تعلم ما الذي حدث بأخر فترة لذلك انتظر قليلاً"

نظر لها وكاد أن يبكي ليقول باستنكار:

"سمية حبيبتي لا أريد حفل زفاف فليذهب للجحيم الزفاف، حسناً سنتزوج غداً ًونعقد القران ها اتفقنا"

ضحكت ضحكة رنانة لتقول:

"حسناً كما تشاء"

ابتسم لها بحب ليتحدث:

"تعالي لنخبر آسيل، ستفرح كثيراً بهذا الخبر"

حركت رأسها ليهمان بالخروج من الصالة ولكن آسيل قد سبقتهما ودخلت قبلهما لتعقد حاجبيها باستغراب وتقول:

"ماذا يحدث؟ هل وافقت سمية هانم عليك يا سيد هشام أم أنها مازالت تكابر"

أنهت جملتها بابتسامة مكر لتجحظ عينان سمية ويضحك هشام بشدة على جملتها ويحدثها من بين ضحكاته:

"حسناً بنيتي باركي لنا سنعقد قراننا غداً أنا ووالدتكِ، ما رأيكِ"

قفزت آسيل من سعادتها لتقول:

"حقاً؟ يبدو أن وجهي خير عليكما، لقد أتت السعادة منذ عودتي إليكما، كم أنا جميلة وكيوت"

أنهت جملتها بغرور وبساطة لينفجرا والديها بالضحك عليها، اتسعت ابتسامتها لتقفز عليهما وتقوم باحتضانهما بسعادة بالغة ليبادلانها الحضن بفرحة كبيرة.

ها قد عاد شمل العائلة ولكن هل ستكون آسيل سعيدة معهما أم ستشعر بنقص من بعدها عن ذلك المغرور؟ لا أحد يعلم.

استيقظ آسر متأخراً على غير عادته، فقد قضى في الأمس ليلة طويلة مع الرفاق بالشرب والسجائر وغيرها، التفت للساعة ليراها قاربت على الثانية عشر ظهراً، زفر بضيق واتجه إلى الحمام لفعل روتينه اليومي وخرج بعد دقائق ليرتدي ثيابه متجهاً لعمله، تنهد بضيق عندما مرت بباله تلك الفتاة التي تعذب فؤاده، مازال يفكر بها والأصح مازال يفكر بطريقة ما لكي يعيدها إليه ويقنعها به، غير ذلك بأنه قد وضع حارس أمام منزلها لكي يراقب تحركاتها ويأتيه بأخبارها كلها، توجه للأسفل بعد أن ارتدى بذلته ليرى الشبان الثلاثة مجتمعين بالصالة، عقد حاجبيه باستغراب فقد ظن أنهم رحلوا منذ زمن ولكن أخطأ ظنه، ألقى عليهم تحية الصباح وجلس معهم، تحدث باسل موجهاً حديثه لآسر:

"هل ستذهب للعمل"

حرك آسر رأسه بإيجاب ولم يتحدث ليردف باسل:

"إذا لم يكن لديك عمل فلتبقى اليوم لا داعي للذهاب لإن يوسف لن يذهب اليوم"

تنهد آسر بقوة ليقول:

"ليس لدي عمل ولكنني سأشعر بالملل إذا بقيت في المنزل"

تحدث ليث بسخرية:

"يارجل وماذا نفعل عندك نحن"

أجاب آسر:

"ظننتكم رحلتوا، لما لم ترحلوا"

امتعضت وجوههم ليتحدث يوسف بغيظ:

"أيها اللعين هل تطردنا مثلاً"

حرك آسر رأسه موافقاً بابتسامة مستفزة ليزفر باسل بقوة ويقول:

"بالمناسبة ليلة أمس كنت تهذي باسم آسيل، من تكون تلك الفتاة"

امتعض وجه آسر واحتدت ملامحه عندما ذكر اسمها ليجيب بغضب مكتوم:

"لا شأن لك"

تحدث ليث بابتسامة مكر:

"هل البارد اللعين واقع في الحب"

نظر آسر له بحدة وزفر بضيق ولم يتحدث ليصدح صوت رنين هاتفه ويجيب ببرود:

"ماذا تريد"

تحدث العسكري برسمية عبر الهاتف:

"سيدي هناك شاب قد سلم نفسه، هو متورط بجريمة حرق رجل منذ عدة أيام والآن جاء ليسلم نفسه وقد قمنا بسجنه ريثما تأتي"

تحدث باهتمام:

"ما اسمه"

أجاب العسكري:

"وائل عبد الرحمن"

جحظت عينان آسر وقد تذكر أمر زوج آسيل، انتفض من مكانه ليحدث العسكري:

"حسناً أنا قادم"

أغلق هاتفه وتوجه مسرعاً لسيارته متوجهاً إلى القسم بينما الشبان تعجبوا من حاله ومزاجه المتقلب ولم يعلموا ما الذي حدث معه، زفر يوسف بقوة ليقول:

"ماذا عن الفتيات؟ لقد ظلتا بمفردهما في المنزل ولم نطمئن عليهما"

تحدث باسل بعفوية:

"مم حسناً فلنذهب إليهما بما أن آسر قد ذهب"

همهم يوسف وحرك رأسه بإيجاب موجهاً نظره لباسل الذي كان يحاول أن يبدو طبيعياً وليس له أي غاية من ذهابه إلى هناك، تحدث يوسف بإيجاب:

"حسناً هيا بنا وسنتناول الفطور معهما، ولكن ماذا عن والدتك يا باسل"

تحدث باسل بسرعة:

"لا تقلق بشأن والدتي فخالتي عندها الآن، لقد حدثتها منذ قليل وقالت لي هكذا"

حرك يوسف رأسه بإيجاب وتوجهوا ثلاثتهم لمنزل يوسف.

بينما آسر كان يقود بأقصى سرعة ليصل إلى الفرع، لم يمر بضع دقائق حتى وصل حالاً، هبط من سيارته متوجهاً بسرعة إلى مكتبه ليدخل إليه العسكري، وجه آسر نظره له ليقول:

"هل جلبتم الجثة"

تحدث العسكري بإيجاب:

"أجل سيدي وقد عرضناها على الطبيب الشرعي وفحصها وتبين لنا بأن الجثة قد مضى على حرقها مدة عشرة أيام تقريباً"

همهم آسر ليقول:

"وهل تأكدتم من هويته"

تحدث العسكري:

"أجل سيدي جثة رجل يدعى عماد"

حرك آسر رأسه بإيجاب ليقول:

"وأين الجثة الآن"

تحدث العسكري:

"في المستشفى سيدي، لم نستطع تغسيل جثته لإن نصفها تحولت لرماد"

حرك آسر رأسه بإيجاب ليأمر العسكري بالانصراف وجلب وائل إليه، لم يمر دقائق حتى دخل العسكري وبرفقته وائل الذي كان مكبل الأيدي، خرج العسكري وبقي وائل، ظل آسر ينظر إليه مطولاً، لا يعلم لما تملكه الغضب عندما تذكر حبه الأعمى لآسيل، لا يريد أن يشاركه أحداً بحبه لها، أقسم في نفسه بأنه سيأخذ لها حقها، كونه هو من أخذها وظلمها وأوسعها ضرباً، فلن يتهاون معه أبداً، تحدث آسر بجمود موجهاً حديثه لوائل الذي كان يقف ببرود ليقول:

"تعال واجلس"

لم يعترض ولم يغير من ملامحه فقد توجه للكرسي وجلس بصمت، أردف آسر له:

"كيف حرقت ذلك الرجل"

تحدث وائل ببرود:

"لقد سكبت عليه البنزين وأشعلت الكبريت وحرقته"

همهم آسر ليتحدث:

"مم ولماذا"

تنهد وائل ليقول بجمود:

"انتقاماً لزوجتي"

ظل آسر على بروده ليقول:

"وماذا حدث لزوجتك"

تحدث وائل:

"جعلوني أشكك بها وبأخلاقها وكانوا يريدون تهريبها ليسفروها بعيداً عني وغير ذلك والدتي جعلتها توقع على ورقة طلاقها"

همهم آسر ليقول:

"إذا خسرت زوجتك تحرق رجل مثلاً"

تحدث وائل بلا مبالاة:

"أحرق الجميع أيضاً من أجلها"

ابتسم آسر بسخرية ليقول:

"ولما لم تحرق الطرف الثالث الذي هو أحلام إذاً"

نظر وائل له بصدمة، كيف له أن يعلم بأمر أحلام؟ ومن أين علم؟ وما شأنه بالموضوع أساساً؟ صدم من حديثه ولم يعرف بماذا يتحدث ليردف آسر ببرود:

"لا داعي للصدمة يا سيد وائل، فا أنا أعلم بالقصة كاملة، وأعلم من تكون زوجتك وأعلم بكل شيء، لا داعي لاستجوابك إذاً، ستوفر علي مجهود كبير"

مازالت الصدمة ملجمة على وائل، لم يستوعب شيء، تحدث بعدم فهم:

"كيف لك أن تعرف كل شيء؟ ومن أين تعرف زوجتي"

تحدث آسر باستفزاز:

"كانت زوجتك، الآن لم يعد يوجد بينكما أية صلة تذكر"

احتقن وجه وائل ليقول بغضب مكتوم:

"لا شأن لك فقط قل لي من أين تعرف آسيل"

ابتسم آسر بسخرية ليقول:

"عندما هربت منك وجدتها أنا ومكثت عندي قرابة الشهر ومن بعدها سافرت والآن عادت لوالديها سالمة غانمة"

كان يستمع بعدم استيعاب، صدم من كلامه، لو كان يعلم بأن آسيل قد عادت ماكان سيسلم نفسه، بل كان سيعود لاختطافها ويسافر بها بعيداً عن كل شيء، أدمعت عيناه ولم يتحدث بشيء، بينما آسر كان يتابعه ويتابع نظراته وحركاته ليردف له:

"هل تحبها"

هبطت دموع وائل ليبتسم ابتسامة سخرية وسط دموعه ويقول:

"أكثر من أي شيء"

تحدث آسر بجمود:

"لقد سألتها نفس السؤال وقد قالت لي في وقتها بأنها لم تحبك بل أحبت معاملتك معها، ولكنك ظلمتها واتهمتها بالباطل لذلك بعدها عنك كان عقابك"

نظر له وائل ولم تتضح الرؤية عنده بسبب دموعه ليقول بضعف:

"ولكنني رأيت كل شيء بعيني، لم أكن أعلم بأن والدتي ستكون لعينة وتتهم آسيل بالباطل"

تنهد آسر ليقول:

"لا أعلم إنه القدر"

ابتسم وائل بسخرية ليقول:

"و يا لسخرية القدر"

كان آسر وجهه خالي من التعابير، جامد، بارد، لم يتعاطف معه رغم أنه يعلم بأنه يحتاج الآن للشفقة لإنه خسر كل شيء وسيقضي عمره كله في السجن، ولكن آسر كان حاقد عليه كونه تسبب بكل هذه المأساة لآسيل، وعلى من نكذب فهو أيضاً سبب لها الوجع وقد عانت الفتاة من الجميع، قرر آسر بأنه لن يؤذي وائل ولن يعذبه، سيكتفي بتحويله إلى المحكمة ومن بعدها سيتولون أمره بأنفسهم، وعندها ستكون آسيل له هو فقط.

تمشي في طريقها وهي شاردة الذهن، مصدومة من الذي حدث في غيابها، لا تعلم كم الألم الذي عانته صديقتها في غيابها، لم تصدق عندما علمت من والدتها بأن شهد قد تعرضت للأغتصاب من قبل سهيل، بكيت بحرقة عليها، كانت تريد أن تذهب لها منذ ليلة أمس ولكن والدتها منعتها وأمرتها بأن تتريث للصباح الباكر فقط، لم تنم طوال الليل وهي تفكر بوجع صديقتها، أحست بنفسها كم هي سيئة لإنها تركتها وحيدة، ولكن قدر وحكم عليها لذلك لا داعي لإن تلوم نفسها، كلتاهما تعرضتا للأوجاع والآلام.

وصلت إلى منزل صديقتها لتقرع الجرس وكلها شوق لها، لم تمضي ثواني حتى فتحت لها تلك الفتاة البريئة بوجهها الملائكي وملامحها الجذابة، تلاقت عيونهما ببعضهما، ابتسمت شهد بسعادة عندما رأت صديقة عمرها واقفة أمامها، احتضنتها بشدة وبادلتها آسيل العناق بشوق بالغ، ظلتا مدة قصيرة ومن بعدها دخلتا للداخل، كانت شهد بمفردها بالمنزل، جلست آسيل أمامها وبدأت بالبكاء من دون سابق إنذار، تعجبت شهد من بكائها وهي تحاول تهدأتها، تحدثت آسيل من بين دموعها:

"سامحيني شهدي، أنا السبب بكل شيء، أنا من تركتكِ بمفردكِ"

نظرت لها شهد وقد فهمت ماتقصده صديقتها، ابتسمت بسخرية وتحدثت:

"لا حبيبتي أنتِ لا شأن لكِ، بل هذا ما كتب علي"

نظرت لها آسيل بضعف لتنظر لها شهد بانكسار، كلتاهما تتألمان من وجع ما، ولكنهما الآن قد أصبحتا سوياً لذلك لن يوجد للحزن مكان بينهما، ابتسمت شهد بسعادة كي تغير مجرى الحديث وتقول محتضنة آسيل:

"لقد اشتقت لكِ كثيراً جميلتي"

ضحكت آسيل ضحكة صغيرة لتبادلها العناق وتقول:

"وأنا أيضاً شهدي"

ظلتا على عناقهما مدة ليست بطويلة، ابتعدتا عن بعضهما لتقول شهد:

"ها آسيل، حدثيني ما الذي حدث معكِ؟ وهذه اللعينة زوجة أبيكِ ماذا فعلت لكِ"

تنهدت آسيل بقوة ومن بعدها بدأت تسرد عليها جميع الأحداث التي سبق وحدثت معها، حتى أنها حدثتها عن آسر لتتوسع شهد عيناها وتقول:

"يا إلهي لقد رأيت هذا الذي يدعى آسر برفقة يوسف في المستشفى، اها وماذا حدث بينكما قولي لي آسيل هيا قولي"

أنهت جملتها بابتسامة حماسية لتضحك عليها آسيل وتحدثها بكل شيء عن آسر، شهقت شهد عندما أخبرتها بأنه قبلها، ولكنها عادت وضحكت لتقول بشغب:

"وبماذا شعرتي ها ها"

عبست ملامح آسيل وضربتها ضربة خفيفة على كتفها لتقول:

"أيتها الحمقاء اصمتي لا أريد سماع صوتكِ"

ضحكت شهد لتقول:

"هل وقعتي بالحب يافتاة"

همهمت آسيل وتحدثت:

"لا، أقصد أجل، لا لا أقصد أجل أنا أحبه كثيراً شهدي"

ضحكت شهد عليها ضحكة قوية، لم تكن تعلم بأن صديقتها عندما خاضت مغامرتها قد خاضت تجربة الحب أيضاً، تحدثت من بين ضحكاتها:

"أيتها الحمقاء الحب ظاهر في عينيكِ، لا داعي للكذب"

نظرت لها آسيل وابتسمت ابتسامة واسعة، ولكن ما لبثت إلى أن تحولت هذه الابتسامة إلى ابتسامة شر لتقول بتشفي:

"ولكن لم أريه شيئاً بعد، سأجعله يندم على تركي وحيدة، سأريه"

نظرت لها شهد بعيون جاحظة وقد تحدثت بخوف مصطنع:

"أعانه الله عليكِ"

عبست آسيل لتقول:

"اصمتي"

ضحكت شهد لتقول بحماس:

"بالمناسبة لقد أصبح لدي صديقة جديدة، سأعرفكِ عليها تدعى ماريا وتكون شقيقة يوسف ذلك الضابط الذي يكون قريب آسر"

تحدثت آسيل بحزن مصطنع:

"هل استبدلتني فوراً؟ أكرهك بشدة وبهمزة وبكسرة"

ضحكت شهد على جملتها لتقول بوجه بريئ:

"لا حبيبتي أنا لا أستبدلك أبداً، أنتِ الأساس ومن بعدكِ يأتي الطوفان"

ضحكت الفتاتان وقد عادت السعادة إليهما من جديد، ستخوضان الحياة بتجارب مختلفة ومواقف مختلفة لتريان ما الذي سيكون بانتظارهما من مزيد إن كان السيء أم الجيد.

جالسين في صالة المنزل، كل منهم صامت لا يتفوه بحرف، يجلسون بملل واضح عليهم ولكن ليس باسل الذي يمل من حبيبة قلبه، كان ينظر لها وهو سارح بملامحها الطفولية، يتابع حركاتها البريئة والعفوية، ابتسامتها الشغوفة وضحكتها الرنانة، يتابع أدق تفاصيلها، بينما ليث كان يتابع رنيم ولكن رنيم لم تعره أي اهتمام، كان يفكر كيف سيرضيها وسيملك قلبها، كحال باسل الذي يفكر بطريقة ما كي يقنع ماريا بفكرة زواجه منها، بينما يوسف كان شارد الذهن يفكر بشهد، كيف سيعترف بحبه لها وكيف سيقنعها به؟ ثلاثتهم يفكرون بملكات قلوبهم، وجه باسل حديثه لماريا:

"كيف حال جامعتكِ ماريا؟ هل تدرسين"

لم تنظر له فقط أخفضت رأسها خجلاً منه، لا تعلم لما يتملكها الخجل عندما يحدثها هو بالذات، تحدثت بصوتٍ خافت:

"بخير مم أجل أدرس"

همهم لها ليقول:

"جيد بالتوفيق"

نظرت له نظرة خاطفة وابتسمت ابتسامة صغيرة ليبادلها الابتسامة وتشيح بنظرها عنه فوراً، بينما رنيم كانت تتأفأف بملل لتقول بضجر:

"ماريا لقد مللت أوف"

نظرت لها ماريا ببرائة لتقول:

"وأنا أيضاً"

تدخل يوسف بالحديث:

"

مم تشعران بالملل؟ حسناً ماريا هاتفي شهد لتأتي إلى هنا كي تعرفيها على رنيم وتجلسن سوياً، ها ما رأيكِ"

تحدثت ماريا بغرور:

"مم لا لقد حدثتها منذ قليل وقالت لي بأن صديقتها قد عادت وهي جالسة برفقتها الآن"

همهم يوسف ليقول:

"حسناً فلتأتي هي وصديقتها"

تأفأفت ماريا لتقول:

"لا لا لا أنتم شبان ولا يجب أن تجلسوا مع الفتيات، لن أدعها تأتي إلى أن ترحلوا"

امتعض يوسف ليقول:

"أيتها الحمقاء ها هي رنيم تجلس بيننا، لما شهد بالذات لا تريدين أن تجلس معنا"

تحدثت ماريا بغرور:

"أخاف عليها منك"

تدخل ليث بالموضوع ليقول:

"من تكون شهد أيضاً؟ في الأمس آسيل واليوم شهد ماذا يحدث"

كانت ماريا ستتحدث وتفضح أخاها ولكنه أسرع وأطبق فمها بيده وهي تهمهم بعصبية ليقول:

"أيتها الغبية أقسم إذا نطقتي بحرف سأزوجكِ للرجل الذي يأتي كل يوم ويأخذ القمامة من هنا، هل تفهمين"

نظرت له وهمهمت وحركت رأسها بإيجاب لتقول:

"أيها الأحمق"

تحدث يوسف من بين أسنانه:

"اصمتي وإلا سأزوجكِ به"

نظرت له وقد أوشكت على البكاء لتقول:

"لا أريده عاااااا"

بكت بكاء مصطنع وقد طرش يوسف بمعنى الكلمة من صوتها ليصرخ بها:

"اصمتي"

صمتت فوراً عندما سمعت صراخه ليتحدث بنبرة أمرة:

"هاتفيها هيا"

تدخل باسل ليقول:

"من هو الذي ستزوجها به"

تحدث يوسف باستفزاز:

"لا شأن لك"

ابتلع باسل ريقه بتوتر وظن بأن يوسف يتحدث بمحمل الجد، بينما رنيم وليث كانا يكتمان ضحكتيهما وماريا تجلس كالبلهاء لاتفهم شيء، حمحم باسل ليقول:

"أنا برأيي ماريا مازالت صغيرة على الزواج، أليس كذلك ماريا"

نظرت له ماريا وحركت رأسها بابتسامة حماس ليبادلها الابتسامة، بينما يوسف قرر أن يلعب بأعصاب باسل ليقول له باستفزاز:

"ممم حسناً وأنا الذي كنت أريدك أن تخلصني منها وتأخذها وتتزوجها كي أرتاح منها، حسناً حسناً سأدبر لها عريس آخر، ما رأيك أنت يا ليث"

كاد باسل يشق نفسه من شدة غبائه ورنيم نظرت ليوسف بحدة بينما ليث انفجر ضاحكاً على منظر باسل ورنيم، تحدث باسل بتوتر:

"حسناً لا مانع سأخلصك منها سأخذها لا بأس"

أنهى جملته ووضع يده خلف رقبته بعفوية بينما يوسف همهم له بابتسامة مكر، أما عن ماريا فكادت تنفجر من شدة خجلها، عضت على شفتها السفلى من شدة خجلها وقد انتبه باسل على هذه الحركة، شعر بأنه سينفجر وشعر بالحرارة تسري في جسده، تنهد بعدم راحة ونهض بسرعة البرق متوجهاً للخارج تحت نظرات التعجب من الجميع، تنهد باسل عندما خرج من المنزل بأكمله، لفح الهواء وجهه وأخذ نفس عميق ليزفر بقوة، لم يعلم لما تصرف هكذا، فقط شعر أنه بحاجة للهواء، للعزلة، للوحدة، يريد أن يتألم من حبها ولكن بعيداً عن أنظار الجميع، لا يريد الشفقة من أحد، فقط يريد شفقتها وإحساسها بقلبه، ولكن هيهات فهي بعيدة كل البعد عنه، لا تشعر به، لا يعلم أيخبرها أم لا، يخاف أن ترفضه، هو ليس مستعد لصدمة أخرى منها، سيحاول أن يمهد لها، ومن بعدها سيشجع نفسه ويعترف لها بحبه، شعر بأن هناك أحداً خلفه ليستدير ويراها هي أمامه، قلبه يكاد ينفجر، سيخرج من مكانه، نظر لها مطولاً وهي كانت تنظر للأرض لتقول بصوتٍ ناعم:

"اا ما بك؟ لما خرجت فجأة؟ هل حدث معك شيء"

صوتها تغلغل لمسامعه، يشعر بأن صوتها سمفونية عذبة الألحان، لا يستطيع تمالك نفسه، سينقض عليها لا محالة، حمحم بتوتر ليقول:

"يحدث معي كل شيء"

نظرت له بتعجب ولم تفهم مقصده ليبتسم ابتسامة سخرية ويقول:

"أعلم بأنكِ لم تفهمي قصدي"

تحدثت بتوتر:

"لا أعلم ما الذي تقصده ولكن الجميع يسأل عنك في الداخل هيا تعال"

نظر لها بحزن، يكاد يبكي من غبائها، كيف لها أن لا تفهم عليه؟ كيف لها أن تعذبه هكذا؟ ولكن مهلاً! هو لم يعترف لها بشيء، ولم يحدثها بشيء، فكيف لها أن تنتبه لحبه لها، زفر بقوة وتوجه خلفها للداخل ليدخلان اثناهما ويجلسان في مكانهما، ما إن رأى ليث ماريا وهي تدخل حتى وجه حديثه ليوسف:

"ا يوسف هل بإمكاني أن أتحدث مع ماريا قليلاً"

نظر له يوسف بحاجبين معقودين ليقول:

"ولما"

تحدث ليث بتلعثم:

"ا فقط هناك موضوع أريد أن أحدثها به"

همهم يوسف وأشار لهما بالانسحاب دليلاً على موافقته، توجها الاثنين تحت نظرات رنيم المشتعلة ونظرات باسل الحزينة، لم يتفوه أحدهما بحرف فقط اكتفيا بالصمت، بينما ليث وماريا كانا يجلسان في حديقة المنزل، كان ليث يحاول جمع الكلام ليتحدث ولكن ظل يزفر بقوة، تعجبت ماريا من حاله لتقول:

"ما بك يا أخرق؟ هيا تحدث ما هو الموضوع الذي تريد أن تحدثني به"

تنهد بقوة وتحدث:

"الموضوع من أجل رنيم"

همهمت ماريا لتقول:

"حسناً ما بها"

تحدث ليث:

"أريد أن أتزوجها"

تعجبت ماريا لتقول:

"حسناً وما شأني أنا؟ إذهب وحدثها بذلك الشيء"

تحدث ليث بغيظ:

"أيتها الحمقاء اسمعيني جيداً، أنتِ تعلمين بكل شيء حدث معي في السابق من أجل رنيم، وعندما عدت إلى باريس ورأيتها وجدتها مازالت تتبارد علي وتغيظني بتجاهلها، لذلك أحببت ان أشعرها بالغيرة قليلاً وقلت لها بأنني سأخطب ولكن هي لم تبدي أي ردة فعل، أجل أعلم بأن هذا التصرف خاطئ ولكن صدقيني أنا فعلت كل هذا من أجل أن تشعر بي، أرجوكِ ساعديني"

كانت تستمع له بتركيز واهتمام، همهمت ووضعت إصبعها أسفل ذقنها دلالة على أنها تفكر بشيءٍ ما لتقول:

"الذي فعلته خطأ"

نظر لها بغيظ ليقول:

"أجل أعلم لذلك أريدكِ أن تساعديني، أريد أن أتزوجها"

صفقت ماريا بمرح لتقول:

"هيييي سنحضر حفل زفافكما أليس كذلك"

تنهد ليث بحنق ليقول بنفاذ صبر:

"أيتها اللعنة اللعينة الملعونة أفهمي، أقنعيها بي أولاً ومن بعدها تحضرين حفل زفافنا"

عبست بوجهها لتقول:

"لا تتحدث معي هكذا وإلا لن أقنعها أبداً"

كاد ليث أن ينفجر ولكنه حاول تهدأة اعصابه وتمالك نفسه ليقول:

"حسناً لن أزعجكِ ولن أضايقكِ وسأجلب لكِ التسالي فقط ساعديني"

صفقت بمرح لتقول:

"يهووو حسناً لا تقلق سأتولى أمرها وأقنعها بك ولكنني أريد أن أرسم خطة وستتبعها معي ومن بعدها ستكون رنيم لك"

تحدث ليث باهتمام:

"ما هي الخطة"

تنهدت ماريا لتقول:

"دعني أفكر بخطة محكمة وسأخبرك لاحقاً"

ابتسم ليث ابتسامة واسعة لتبادله ماريا ويضربان بكفان بعضهما دلالة على اتفاقهما، نهضا سوياً متجهان للداخل وليث كله أمل أن تنجح خطة ماريا ليتزوج رنيم ويجعلها ملكه للأبد.

في المساء في منزل هشام يجلس بجانب المأزون من أجل عقد قرانه على سمية، لم يكن يوجد أحد فقط آسيل وسمية وشهد ووالديها، كان هشام يكاد يطير من السعادة لإنه استطاع إرجاع سمية له كحال سمية التي لم تختلف عن هشام بشيء من سعادتها وطمئنينة قلبها، بينما آسيل شعرت بالراحة والأمان، بما أن والدها سيكون بجانبها ووالدتها أيضاً فلن يعد يصعب عليها شيء، ستعيش بسعادة وهناء مع أسرتها الكاملة، وأيضاً لن ننسى وجود أولاد هشام اللذان عندما علما بأفعال والدتهما بحق أختهما لم يستطيعان العيش معها وقد عادا ليعيشان مع والدهما وقد رحبت بهما سمية وقررت بأنها ستكون الحضن الدافئ لهما وستعاملهما كما تعامل آسيل بالضبط، بينما أحلام لم تعد مثلما كانت، بعد هشام عنها جعلها تدخل بنوبات غضب، لم يعد أحد يقترب منها خصوصاً بعد أن أرسل هشام بشريط الفيديو لوالدها، وقد صدم والدها من ابنته أشد الصدمة وتبرأ منها ولم يستطع استقبالها في منزله، لذلك ذهبت وأخذت شقة بمفردها ولكن أولادها لم يتحملوها أبداً لذلك عادا لحضن والدهما، وهذا ما أثر على أحلام بشكل سلبي فأصبحت كالمجنونة وغاضبة طوال وقتها، وآخر التطورات بعث بها والدها إلى المصحة كي تتعالج من مرضها وهي الآن بالمصحة تعاني أشد المعاناة.

تمت فرحتهما وعقد قرانهما وأصبحا الآن زوجان أمام الناس أجمع، استقبلا المباركات من الجميع وهنؤوهما وتمنو لهما الحياة الأبدية سوياً، رحل الجميع ولم يتبقى سوى هشام وسمية، وقد رحلت آسيل وأخوتها مع شهد ووالديها فقط هذه الليلة، اقترب هشام من سمية وجلس بجانبها ومرر يده على وجنتها بحنان بالغ وهو يهيم بها بنظراته، بينما سمية كادت تنفجر من خجلها، ابتسم لها وبادلته ليحملها ويصعد بها إلى غرفتهما، وضعها على السرير وجلس بجانبها، اقترب منها ليطبع قبلة صغيرة على وجنتها، تحدث هشام بحب:

"وأخيراً أصبحتي لي ولم يعد هناك شيئاً يفرقنا"

ابتسمت بخجل وتحدثت:

"أسأل الله أن نظل سوياً ويجمعنا مع بعضنا إلى آخر العمر"

اتسعت ابتسامته ليقول:

"وهذا ما سيحدث بإذن الله"

لم يعد يستطيع التحمل أكثر من ذلك، أصبحت زوجته أمام الله وأمام الناس فلما الانتظار؟ اقترب منها ليلتقط شفتيها ويندمجان سوياً بحب بالغ ويهيمان ببعضهما في هذه الليلة الجامحة من بعد فراق دام سنين وها هما الآن مندمجان سوياً في عالمهما الخاص.

عند آسر في مكتبه، لم يستطع أن يذهب للبيت، من بعد قصة وائل يفكر ويفكر، يشعر به ويؤنبه ضميره لأجله، لقد ذاق العذاب مثلما ذاق آسر العذاب بألوانه، وكلاهما ذاقا العذاب من نفس الفتاة، سيحاول جاهداً أن يخفف حكمه، سيجعله يعيش، ليس مع آسيل لإن آسيل له وحده، هو أناني ولن يفرط بها أو يتركها له، ولكن سيحاول جاهداً أن يخفف عنه كونه لمس له العذر، وذاق العذاب في حياته كحاله هو، سيأخذ عقابه لإن كل من أخطئ لا بد أن يأخذ جزائه ولكن سيحاول التخفيف عنه، تنهد بقوة ليسمع صوت رنين هاتفه، أجاب مسرعاً لإنه كان ذاك الحارس الذي وضعه من أجل مراقبة آسيل، ليجيبه الحارس ويأتيه بالأخبار وآخر التطورات، همهم آسر وأغلق الهاتف، والآن نقطة لصالحه، كون والد آسيل عاد لزوجته فهذا من صالحه، فرح بهذا الخبر وأقسم على أنه لن يتنازل عنها مهما حدث، زفر بقوة وأخرج هاتفه وفتح على صورتها الوحيدة التي لديه في الهاتف، نظر لها بحب وابتسم ليقول بينه وبين نفسه:

"لنرى كم من الصعب ترويضكِ يا صغيرتي الجميلة"

" غابَ عني الحزنُ ولبِستُ فيهِ لباسَ المرح

إليكِ أنتِ يا من سرقتِ ببسمتُكِ قلباً لم يرى إلا الحُزن

فـ حولتِ حُزني بلمعةِ عينكِ إلى لحظةَ فرحٍ صورتُها

بعقلي ..

أحببتُ عيناكِ وعشقتُ روحكِ ... ياملاكي "

" خُذيني لأني أنا لا أُريدُ الحياة بدونكِ

لأني أنا لا أرى النور بعدكِ

لأني أنا لا أعرفُ الحب لغيركِ

لأني أنا أعيشُ في الظلام في غِيابكِ

لأني أنا دائماً أدعو الرب لكِ

لأني أنا أُريدُ الجمال لابنتي

لأني أنا أراكِ أجملُ مِن القمرِ

لأني أنا سأعيش مِن أجلكِ أنتِ "

صباح اليوم التالي

كان آسر يجلس في مكتبه برفقة يوسف يتحدثان بأمر ذلك الشاب الذي ذاق المر حتى شبع، تنهد يوسف بقوة ليتحدث بضيق:

"ما الذي ستفعله الآن"

تحدث آسر ببرود:

"سأساعده حتى يخفف الحكم عنه"

امتعض يوسف ليقول:

"كيف لك أن تساعده وقد حرق إنسان بدم بارد يارجل"

تنهد آسر ليقول:

"أجل أعلم ولكن يجب علي مساعدته"

تحدث يوسف بسخرية:

"وما الذي يجبرك على فعل هذا"

آسر بجمود:

"كل شيء"

عقد يوسف حاجبيه ليقول:

"أنا لا أفهمك"

آسر ببرود:

"ليس ضرورياً"

امتعض يوسف وبقي صامت، لا يعلم ما الذي يفكر به آسر، وكيف له أن يعلم وهو لم يذق الذي ذاقه آسر في آخر فترة، أجل يوسف تعذب بسبب شهد، ولكن ليس بمقدار عذاب آسر، طبعاً لن يستطيع أحداً أن يفهم آسر، هو أصلاً لا يفهم نفسه ولا يعلم لماذا سيساعده، ولكنه يعلم بأنه ظلم في حياته كثيراً لذلك سيحاول مساعدته، غير ذلك آسر لن يظل صامت سيسترد ملكه ويأخذ آسيل، لن يتركها أبداً ولن يقف مكتوف الأيدي، سيفعل مابوسعه لكي يسترجعها، فهي من حقه وملكه له هو فقط، هو يعلم جيداً بأنه تعدى على أملاك غيره وسيأخذ آسيل من وائل، فهو يظن بأنها ملكه لإنه يعشقها، ووائل أيضاً يظنها ملكه وسيظل على أمل اللقاء بها يوماً ما، ولكن آسيل تحب آسر، تحبه بمساوئه ومحاسنه، ولكنها بالتأكيد لن تقبل بأن تكون گـ لعبة بيد أحد، خرج يوسف من مكتب

آسر ليذهب إلى منزله، بينما آسر ظل في مكتبه يفكر بمحبوبته، اشتاق لها ويريد رؤيتها ولكن كيف سيراها؟ وكيف سيحدثها؟ كبريائه يمنعه من الذهاب إليها، بينما قلبه يطلب صارخاً لرؤيتها، يصارع نفسه كل يوم فقط من أجل أن لا ينزل من كرامته ويحادثها، فهو يمشي على هذا المبدأ، يريدها أن تأتي هي إليه، تنهد آسر بضيق وخرج من مكتبه متجهاً إلى وجهته.

في الجامعة عند آسيل وشهد

تمشي الفتاتان بأرجاء الجامعة تتحدثان بأمور عدة، تحدثت آسيل بضيق:

"يا إلهي كم فاتني من الدروس والتصاميم"

همهمت شهد لتقول:

"أجل وأنا كذلك"

تنهدت آسيل لتقول:

"حسناً سنضغط على أنفسنا في هذه الفترة كي نعوض مافاتنا"

خرجت آسيل وشهد إلى خارج الجامعة لتقف آسيل مصدومة مما رأت، تجمدت أطرافها عندما رأته يقف بشموخ وبإطلالته المحببة إلى قلبها، توقفت الدنيا من حولها في هذه اللحظة، لا تصدق أنه أتى إلى هنا من أجلها، كيف تنازل بهذه السهولة؟ فهي كما تعلم بأنه لا يتنازل أبداً حتى وإن كان يحبها، شعرت بأنها في حلم، ظلت متجمدة في مكانها ترمش بصدمة، شعرت بأنها ستركض إليه وتحتضنه بقوة ولكن لا، لن تتهاون ولن تستسلم ولن تضعف، ظلت تردد هذه الكلمات في عقلها، لإن قلبها الأحمق سيدمرها ذات مرة، وقفت شهد باستغراب عندما رأت صديقتها متجمدة بمكانها، ظلت تنادي عليها حتى صرخت بها لتفيق آسيل من شرودها وتنتبه لها، تحدثت شهد باستغراب:

"ما الذي يحدث لكِ ياحمقاء"

تحدثت آسيل ولكن عيناها ظلت موجهة على آسر:

"إنه هنا"

تعجبت شهد لتقول:

"من هو"

تحدثت آسيل:

"آسر"

جحظت عينان شهد لتقول:

"أين هو"

ظلت آسيل تحدق به ولم تزحزح نظرها عنه كحاله هو لتوجه شهد نظرها مكان نظر آسيل وتراه، شهقت شهد بقوة لتقول:

"أيتها الحمقاء لا تنظري إليه، لا تقولي لي بأنكِ ستذهبين وتحدثينه"

رمشت آسيل عدة مرات لتقول:

"لا لا لن أذهب، هيا بنا"

مشت الفتاتان في طريقهما بينما آسر يتابعهما بنظره، مشى خلفها بسرعة ليلحق بها ويمسكها من معصمها، بينما آسيل عندما شعرت بيد أحدهم تجمدت بمكانها، استدرات لتراه هو، تحدث آسر بجمود:

"ألم تتعلمي بأن تلقي السلام عندما ترين أحد تعرفينه"

انتشل آسيل من صدمتها وقد استفزها ببروده لتتحدث ببرود مماثل وتقول:

"عفواً ومن تكون حتى ألقي السلام عليك يا سيد"

أحبت شهد أن تتدخل بالأمر لتقول مساندة لصديقتها:

"معذرة سيدي، ولكن يتهيأ بأنك تشبّه على صديقتي لذلك دعنا نسير في طريقنا"

ابتسم بسخرية ليقول بتحدي:

"لا يا آنسة شهد، فصديقتكِ آسيل تعرفني جيداً لذلك لن أذهب"

همهمت آسيل لتقول:

"حسناً يا سيد، يا إلهي كم أنسى اسمك لا أعلم لما، المهم ما الذي تريده مني"

غضب آسر منها أشد الغضب ولكن حاول أن يتماسك قليلاً، فأولاً وآخراً يظل موقفه صعب جداً، تحدث بهدوء مصطنع:

"أريد أن أتحدث معكِ"

تحدثت آسيل ببرود:

"ماذا تريد"

تحدث آسر بحدة:

"واللعنة لا تتباردي علي هكذا أتفهمين"

عقدت حاجبيها لتقول:

"حقاً لا أفهمك، تأتي إلي وتوقفني بمنتصف الطريق وتقول بأن لا أحدثك ببرود، لماذا؟ هل بيننا شيء لكي تأمرني أو ما شابه"

هنا ولم يعد يحتمل برودها هذا، نسي الأخلاق ونسي الرقي ليمسكها من خصرها المنحوت ويشدها إليه، أمسك يداها الاثنتين بيد واحدة وثبتهما خلف ظهرها تحت صدمتها ليتحدث ببرود:

"هل ستتوقفين عن برودكِ؟ أم أفعل شيئاً بالشارع يجعل وجهك الجميل يتحول إلى مزرعة طماطم"

ظلت متجمدة تنظر إليه بفاه مفتوح، كحال شهد التي شلت حركتها من فعلته، حاول أن يخفي ابتسامته بصعوبة فقط على منظرها، أردف لها آسر:

"هيا تفضلي معي"

استعادت وعيها لتتحدث بحدة:

"من تكون لتفعل معي هكذا؟ اتركني يا سيد، إذا كنت أنت عديم الأخلاق فأنا لدي أخلاق هيا ابتعد"

بقي على بروده فقط يتابع حركة شفتيها ليتحدث بجمود:

"هل تريدين أن أريكِ أخلاقي هنا"

ابتلعت ريقها لتقول:

"ابتعد عني يافتى"

صدم من كلمتها ليردد باستنكار وصدمة:

"فتى"

ظلت صامتة ليردف لها بغضب:

"هل كنا نلعب بالكرة سوياً لتقولي لي فتى"

ابتسمت باستفزاز لتقول:

"لا ألعب مع الفتيان الصغار"

بلغت ذروة غضبه واحتدت ملامحه ليمسك شفتيها بيده ويكز عليها، هبطت دموعها لإنها بموقف لا تحسد عليه أبداً كما أنها تقف بالشارع، بينما شهد شهقت بقوة وصدمت مما رأته، ظلت آسيل تقاومه حتى ابتعد عنها وتركها وهو ينظر لها بحدة بينما هي تبكي، وقف بجمود ولم يتحدث لتقول له آسيل ببكاء:

"اللعنة عليك أيها الأحمق اللعين، ليتني لم أراك يوماً، ابتعد عني هل تفهم، أنت وغد حقير"

استفزته كلماتها ليتحدث بحدة:

"لا تتحدثي معي هكذا وإلا سأريكِ جحيمي يا آسيل"

دفعته للخلف ونظرت له بسخط وتقول:

"لن أتحدث لإنني لن أتنازل وأقف معك في المرة القادمة"

تحدث آسر بغضب:

"أنتِ من أجبرتني على فعل ذلك"

همهمت آسيل لتقول:

"حسناً ابتعد عني ولا تريني وجهك بعد الآن، لا أريد رؤيتك ولن أقف معك أبداً بعد الآن"

ابتسم بسخرية ليقول بتحدي:

"سنرى"

نظرت له بقوة لتشيح بوجهها عنه وتأخذ صديقتها وتمشي متجهة إلى بيتها، بينما آسر ظل واقفاً بجمود، يلعن نفسه مئات المرات على انجراف مشاعره وهذا التصرف الغبي، اعتبرها إهانة له أيضاً عندما وضع نفسه في هذا الموقف، غير ذلك شعر بالإهانة عندما شتمته آسيل، أحس بنيران تأكل صدره، ولكن لن يلومها فهو من وضع نفسه بهذا الموقف، تنهد بغضب وزفر بقوة، الآن قد ساء الوضع أكثر من قبل، كان يريد أن يحدثها بلطف ويطلب منها الذهاب معه للتحدث بكل احترام، ولكن هي من جعلته يغضب واستفزته بكلامها، والآن ما الذي سيفعله؟ وكيف سيبرر موقفه؟ لا يعلم! توجه إلى سيارته والشياطين تتراقص حوله لكي يعود إلى الفرع ويفرغ طاقته السلبية بأي شيء كان.

بينما آسيل وهي بطريق عودتها ظلت تبكي طوال طريقها، وكانت شهد تحاول تهدأتها، لم يعجبها تصرفه وحقدت عليه بشدة، أقسمت أن تذيقه الويل لإنها تعلم جيداً بأنه لن يكف عن ملاحقتها إلى أن ترضخ له، ولكن ليست آسيل من ترضخ وتتنازل، ستقلب له موازينه وتغير تفكيره بالكامل وسيرى منها ما لايعجبه.

في الجامعة الأخرى ومن الجهة الأخرى

خرجت ماريا من محاضرتها الأخيرة وقد حان وقت عودتها للبيت، كانت تشعر بالملل ولم تحبذ فكرة رجوعها للبيت، تأفأفت بملل وجلست على إحدى المقاعد الموجودة بحديقة الجامعة، تنهدت بضيق وجلست تراقب الطلاب بصمت، لم تعلم كيف مرت بعقلها صورة باسل، لا تعلم لما يرتبك ويتوتر عندما يتحدث معها، كيف ستفسر اهتمامه اللامقصود لها؟ وكيف ستفسر توتره وارتباكه عند حديثه معها؟ هل يعقل بأنه ينجذب لها؟ أم أنه يحبها؟ أم أنه معجب بها؟ هذا ما كان يجول في خاطرها، سألت نفسها هل هي تحبه أم معجبة به؟ أبعدت فكرة

الحب من ذهنها نهائياً، هي معجبة به وبشخصيته فقط، فمن هي التي سترى باسل ولا تقع له فوراً؟ امتعضت ماريا بوجهها لتحدث نفسها بصوت مسموع:

(إلهي كم هو جميل وجذاب، ولكنه يكبرني سناً بكثير، هو بعمر أخي، حسناً لا مشكلة فأخي يحب شهد وشهد من عمري لا بأس، ولكن لماذا أتوتر وأخجل عندما يحدثني؟ هل أنا أحبه ياترى؟ لا لا أيتها الحمقاء وهل الحب يأتي في يومان؟ هو هنا منذ ثلاثة أيام فقط، ولكن كيف يحدث معي هكذا؟ سأحدث شهدي وأسألها، ولكن هي حمقاء أكثر مني بالحب، هل أسأل رنيم؟ لا لا رنيم ستشك بي وتقول لأخيها لا أريد، إذاً من؟ يا إلهي رأسي سينفجر، حسناً سأذهب إلى بيت شهد وأسألها، لعلها تفهم قليلاً في هذه الأمور)

تنهدت ماريا وانتبهت إلى نفسها بأنها كانت تحدث نفسها كالحمقاء، تحدثت بصوت مسموع:

(إلهي كم أنا حمقاء، حسناً ماريا لا بأس عزيزتي أنتِ مجنونة وتفتخرين بنفسكِ لا بأس، من لم يعجبه فـ للجحيم السابع)

نهضت ماريا متوجهة إلى بيت شهد وبينما كانت تمشي في طريقها كانت تفكر كيف ستفتح مع شهد الموضوع وتحدثها به ومن أين ستبدأ، بدأ عقلها يتشوش وكانت تسير شاردة الذهن تماماً لتقطع الشارع وإذ بـ سيارة مسرعة تأتي من بعيد وتصطدم بماريا لتقع أرضاً ودمائها تسيل على الأرض، بينما ذاك الشاب الذي كان يخرج من المستشفى ليتوجه إلى سيارته سمع صوت الضجة ورأى الحادث بعينيه ولكنه لم يرى من تكون تلك الفتاة، جحظت عيناه على ذاك المشهد الذي رأه فالحادث كان كبير جداً، لإن السيارة اصطدمت بماريا ومن بعدها أخذت جهة اليمين لتسير وتصطدم بسيارة أخرى والسائق يتضرر أيضاً، ومن الجهة الأخرى الشاب الذي صدمت سيارته تضرر كذلك، أسرع باسل إلى مكان الحادث والناس متجمعة حولهم لتقع عيناه على محبوبته والدماء تغطي وجهها، لم يصدق بأنها هي، اقترب منها مسرعاً ودموعه تغطي وجهه وهو يصرخ بها بأن تستيقظ، حملها وركض مسرعاً بها إلى المستشفى لكي يعالجها، بينما أتت سيارة الإسعاف التي كانت قريبة من مكات الحادث، لتأخذ الشابان اللذان تضررا، تاركين دماء ماريا في الأرض تغطي المكان وتشهد عليه.

في منزل هشام يجلس على الأريكة بكل أريحية، يبتسم ببلاهة فقط لإنه حصل على سمية، جاءت إليه محبوبته بابتسامتها الجميلة لتجلس بقربه وتحدثه:

"عزيزي مابك"

أمسك يدها وقبلها ليتحدث بابتسامة:

"لا شيء حبيبتي"

همهمت سمية بابتسامة لتقول:

"أين الأولاد؟ لما لم تبعث بالسائق لكي يجلبهم"

ابتسم هشام بخفة ليقول:

"دعكِ منهم سيأتون فيما بعد، لنأخذ راحتنا ونكون بمفردنا"

ابتسمت بخجل وأخفضت رأسها ليمسك وجهها ويرفعه ويقبلها قبلة سطحية على فمها الصغير، ابتسمت باتساع وبادلها لتقول:

"بالمناسبة ماذا حدث لأحلام"

امتعض وجهه وعقد حاجبيه ليتحدث بغضب:

"لا أريد سماع اسمها حسناً"

توترت سمية وحاولت أن تخفف عنه لتقول:

"حسناً عزيزي لا تغضب كما تشاء، هيا تعال معي"

نظر لها باستغراب ليقول:

"إلى أين"

ابتسمت بخجل لتقول:

"فقط تعال معي هيا"

ابتسم باتساع ونهض معها ليتوجهان للأعلى ومن بعدها يهيمان بعالمهما الخاص.

في منزل يوسف

يجلس بتوتر بالغ، يقضم أظافره ويحرك قدمه بتوتر، بينما آسر وليث ورنيم كانوا يجلسون معه وحالهم كحال يوسف، جو مليء بالتوتر وبعض الخوف، يكاد يجن يريد أن يعلم أين شقيقته، حاول مهاتفتها كثيراً ولكن هاتفها

مغلق، سأل عنها في الجامعة وقالوا له صديقاتها بأنها خرجت منذ مدة، كما أنه بعث بعدة دوريات لكي يقومون بالبحث عنها ولكن إلى حد الآن لم يأتيه أحد بالخبر المريح، قلق، خائف، حالة رعب يعيشها من خوفه على شقيقته التي لا يملك غيرها في هذه الدنيا، يكاد يبكي لإنها مفقودة، هاتف شهد وسأل عنها وأجابته بأنها لم تراها، كما أنها أوصته حالما تأتي يطمئنها عنها، تنهد بضيق وخوف ونهض ليأخذ الصالة ذهاباً وإياباً، كحال آسر الذي كان واقفاً والرعب يدب في قلبه، صدح صوت رنين هاتف يوسف ليجيب فوراً:

"ماذا حدث"

تحدث العسكري:

"سيدي لقد بحثنا عنها كثيراً ولم نجدها، ولكن علمنا الآن بأنه حدث حادث سير في الشارع العام ولقد تضررت فتاة وشابان ولكن لم نعلم من يكونوا"

دب الرعب في أوصال يوسف ليتحدث بحدة:

"أيها اللعين ابحث عنها في جميع المستشفيات هل تفهم؟ واسأل عن أصحاب هذه الحادثة ومن تكون تلك الفتاة"

تحدث العسكري بإيجاب:

"حاضر"

أغلق يوسف هاتفه، عقد حاجبيه بحزن وأوشك على البكاء، لم يعد يستطيع التحمل، هو يبحث عنها منذ أكثر من ثلاث ساعات ولكن لا وجود لها، لا يعلم بأن شقيقته هي من صدمتها السيارة، ولكن لماذا باسل لم يحدثهم عنها ويطمئنهم؟ هه وكيف له أن يحدثه وهو الذي يحاول معالجة محبوبته الآن من أجل إنقاذها لتعيش ويعيش هو لأجلها، تنهد يوسف بضيق بعد أن حدث الجميع باللذي قاله له العسكري ليصدح صوت رنين هاتفه مرة أخرى ليرى المتصل ويكون باسل، أجاب بسرعة:

"ماذا هناك"

زفر بتعب ليقول:

"أريدك أن تأتي إلى المستشفى"

هبط قلب يوسف ليقول:

"ماذا حدث؟ هل ماريا بخير؟ أرجوك أخبرني"

تحدث باسل بتوتر:

"لا تقلق هي بخير فقط رضوض بسيطة، تعال للمستشفى هيا"

تملكه الخوف، هبطت دموعه دون سابق إنذار عندما علم بأن شقيقته بالمستشفى، كحال آسر الذي تملكه الخوف عندما رأى دموع يوسف، وحال ليث ورنيم لا يختلف عنهما، ابتلع آسر ريقه ليقول:

"ماذا حدث"

شهق يوسف ليقول:

"ماريا في المستشفى"

صدم آسر بينما رنيم بدأت بالبكاء، أما ليث فقد ضرب الحائط بيده، تحدث آسر بسرعة:

"حسناً هيا بنا للمستشفى"

خرجوا أربعتهم متوجهين للمستشفى، بينما يوسف طوال طريقه لا يكف عن البكاء كحال رنيم، أما آسر قاد سيارته بأقصى سرعة لكي يصل، لم يمر دقائق حتى وصلوا للمستشفى وصعدوا للطابق الذي متخصص به باسل، التقوا به ورأوه يجلس على إحدى المقاعد في المستشفى، هم يوسف راكضاً إليه ليتحدث بخوف:

"أين هي ها؟ أين أختي باسل تحدث"

زفر باسل بقوة ليقول:

"يوسف اهدأ هي بخير لا تقلق"

تحدث يوسف بخوف:

"ولما أنت هنا؟ أليس عليك أن تعالجها، ألم تعالجها باسل؟ ماذا حدث لها"

تحدث باسل بتعب:

"أجل أجل لقد عالجتها، صدقني هي بخير، مجرد رضوض بسيطة، لقد كسرت يدها اليسرى كما أنها تعرضت لجرح طفيف في رأسها ولكننا قمنا بخياطته، لقد عرضناها للأشعة وكنا خائفين بأن يكون قد حدث لها نزيف داخلي في رأسها ولكن الحمد لله هي سليمة، فقط رضوض بسيطة وجرح في رأسها، كما أن قدمها اليسرى قد جرحت جرح خفيف وقد عقمنا الجرح وهي الآن بخير، ولكن مازالت مغيبة عن الوعي تحتاج إلى الغد لتستيقظ على الأقل"

ابتلع يوسف ريقه بخوف، كل هذا تعرضت له شقيقته؟ تمنى لو أنه يأخذ أوجاعها ويضعها فيه هو، ضرب الحائط بيده وتهاوى بجسده على الأرض، بينما آسر تحدث:

"حسناً ولما أنت جالس هنا"

تنهد باسل ليقول:

"يجب أن ترتاح قليلاً، لقد انتظرتكم هنا حتى تأتون واطمئنكم عليها"

ابتلع آسر ريقه ليتحدث بتوتر:

"هل ستتعرض لغيبوبة أو ما شابه"

تحدث باسل بنفي:

"لا أعتقد، فالجرح الذي برأسها لا يدل على أنها ستغيب عن الوعي لمدة طويلة أنا واثق"

همهم آسر وتنهد بارتياح، كحال ليث ورنيم اللذان ما إن سمعا هذا الخبر حتى اطمئنت قلوبهم، طلب يوسف أن يراها ولو لخمسة دقائق وقد سمح له بأن يدخل إليها هو فقط، دخل إليها ليراها نائمة على سريرها بسلام، رأسها لف بالشاش، ويدها اليسرى مجبرة، وقدمها اليسرى أيضاً ملفوفة بالشاش، هبطت دموع يوسف ما إن رآها بهذه الحالة، اقترب منها وأمسك بيدها السليمة ونظر لها بأعين دامعة، شهق بقوة وهو يراها بهذه الحالة، شعر بسكاكين تخترق صدره كونها بهذا الموقف، قبل يدها واقترب ليقبل رأسها مطولاً ويوزع قبلاته على جميع أنحاء وجهها، بينما هي لا تشعر بشيء نائمة أو بالأصح مغيبة عن الوعي، مسح يوسف دموعه وحدثها بضعف:

"ماريا حبيبتي هيا انهضي، هيا استيقظي سأجلب لكِ مخدراتكِ والكثير منها، لن أضربكِ مرة أخرى ولن أغيظكِ وسأكون مطيعاً لكِ وسأجلب لكِ ماتتمنين فقط انهضي، هيا ماريا أريد أن أرى مشاغباتكِ أريدكِ أن تشاكسيني قليلاً وتنقضي علي لتضربيني هيا حبيبتي، اسمعي سأجلب لكِ شهد، ألم تقولي لي بأنكِ تعلقتي بها كثيراً وأحببتيها؟ حسناً سأجلبها لكِ من أجل أن تجلسين معها وتأكلان الشوكولا، ماريا لاتدعيني أحدث نفسي هيا انهضي ودعيني اطمئن عليكِ"

لم يرى منها أي ردة فعل ولا أي حركة، شهق بقوة وعاد للبكاء عندما رآها ساكنة لا تستجيب، دخل عليه باسل ليخرجه من عندها لكي ترتاح ليخرج معه وهو يمسح دموعه بظهر كفه، بينما باسل استاذن منهم وذهب إلى مكتبه لكي يفرغ طاقته السلبية التي لم يرد أن يفرغها أمامهم ويفضح حبه لها، ما إن دخل للمكتب حتى بدأ بالبكاء، لقد افتعل الضجة بكل معنى الكلمة، فمكتبه قد أصبح رأساً على عقب من الفوضى والأغراض المتناثرة على الأرض، هبط بجسده على الأرض ليبكي بمرارة، هو خائف عليها كثيراً، يريد فقط أن ينسى منظر وجهها المغطى بالدماء، آلمه قلبه بشكلٍ كبير، لا يمكن وصف شعوره بهذا الموقف، ظل يبكي ويشهق لدرجة أنه أحس بغصة واختناق، احمر وجهه وبلع غصته بصعوبة بالغة ليعاود الشهيق والزفير بحدة وسرعة مماثلة، شعر بالوهن والتعب، لم يحدث معه ذلك الأمر من قبل ولكن من أجلها سيحدث معه الكثير والكثير، بدأت الدنيا تلف به وأصبحت الرؤية عنده غير واضحة، وآخر ما رآه هو دخول آسر وليث عليه ومن بعدها أراح بجسده على الأرض فاقداً للوعي مستسلماً للواقع ليذهب لأحلامه الوردية ويساند محبوبته عل وعس بأن يلتقي بها بأحلامه وهي بأحضانه.

" وأحْسَسْتُ أنكِ حِينَ ذَهبْتِ

أخْذتِ مِنَ العُمْرِ كُلُ البريقْ

فلمْ يبْقَ فِي العُمْر غيرُ الصّدأ

وأنَّ دَمي تاهَ بينَ العروقِ وخاصمَ نَبضيِ

وماذا سَيفعلُ نَبضٌ غَريقْ

َفـ أرجوكِ رُديْني إليكِ

أو رُديْني إليّ

لاتترُكيْني أقفُ في المُنتصْفِ "

" خُذني إليك

قَد حارَ نَبضِي في الهوى بينَ يَديْك

قَد سالَ الوردُ دمعاً مُرَّاً شَوقاً إلَيْك

مَوْتاً حَياةً لا أُبالي فقَلبي لَديْك

خُذني إليك "

في اليوم التالي

مكان يعم بالهدوء، لا يسمع به سوى صوت دقات القلب المنتظمة والتنفس المنتظم من فتحة الأوكسجين، في تلك الغرفة البيضاء، تتمدد تلك الفتاة الصغيرة مغمضة العينين، شاحبة الوجه، ولكن مع كل هذا لا يمنع بأنها مازالت فاتنة، دخل عليها آسر وليث ورنيم ويوسف ليطمئنون عليها وإلى الآن مازالت فاقدة للوعي، ينظر لها يوسف بملامح حزينة ومتعبة، بينما آسر قد انفطر قلبه على رؤيتها بهذا الشكل، كحال ليث الذي حزن عليها أشد الحزن ورنيم التي لم تجف لها دمعة منذ البارحة، تنهد يوسف بقوة وجمود، التفت إليه آسر لينظر له ويراه متعب بكل معنى الكلمة، تحدث آسر بهدوء:

"يوسف أذهب وأرح نفسك قليلاً، سأظل أنا معها"

جلب الكرسي ليضعه بجانب سرير أخته ليجلس عليه ويتحدث بتعب:

"لا لن أذهب، محتمل أن تستيقظ في أي لحظة"

تنهد آسر ليقول:

"حسناً عندما تستيقظ سأهاتفك لتعود هيا اذهب"

رفع يوسف حاجبيه وعيناه نصف مفتوحة ليقول:

"لا لن أذهب، سأظل هنا"

تدخل ليث بالحديث ليقول:

"يارجل انظر لوجهك كيف هو متعب، اذهب وأرح نفسك قليلاً ومن ثم عد إلى هنا"

تحدث يوسف بهدوء:

"لا، لا أريد ولا تتدخلوا بي أنا جيد هكذا"

لم يستطيعوا أن يتحدثوا، علموا بأن الحديث سيكون معه عقيم لذلك فضلوا الصمت، تنهد يوسف بقوة ليقول:

"كيف حال باسل؟ ألم يستيقظ بعد"

أجابت رنيم:

"لا، لقد هبط ضغطه لذلك فقد الوعي وإلى الآن لم يستيقظ"

ما إن أنهت جملتها حتى دخل عليهم باسل ووجهه شاحب وينظر بجمود، تعجبوا منه ليقول ليث:

"لماذا نهضت من سريرك"

تجاهل باسل حديث ليث وظل جامداً في مكانه ينظر لها مطولاً دون أن يرف له رمش، بينما يوسف يتابع نظراته لشقيقته وقد علم سابقاً سبب تعبه وإغمائه، ابتلع يوسف ريقه وظل صامتاً، بينما آسر يكاد رأسه ينفجر من المصائب التي تنزل فوق رأسه، لا يعلم كيف سيحل أموره وأمور الذين يهمه أمرهم، اقتربت رنيم من باسل ووضعت يدها على كتفه لتقول بحزن:

"أخي يجب عليك أن ترتاح قليلاً، مازلت متعب"

للمرة الثانية يتجاهل كلام أحدهم ليظل على حاله ينظر لها بجمود، ظل على حاله مدة ليست بطويلة، تقدم لجانب سريرها ليجلب كرسي ويجلس عليه وهو موجه نظره لها هي فقط متجاهل نظرات الجميع له، شعر يوسف بالغيرة على أخته، لم يعجبه موقف باسل ونظراته لها، أحس بسكاكين في صدره، نظر له مطولاً وهو يتخيل شقيقته أصبحت زوجته وأصبحت على اسمه، لا يعلم ما هذا الشعور الذي أتاه فجأة، شعور قاتل ومخيف، يخاف أن تتزوج ماريا وتتركه وحيداً، لا يريدها أن تبتعد عنه، ولكن ماهذه الأنانية؟ فهو قد أحب فتاة وينوي الزواج بها، فلماذا شقيقته لا تفعل المثل؟

نفض تلك الأفكار من رأسه لينتبه لنفسه ويرى بأن باسل ينظر إليه بهدوء، بادله النظرة ومن ثم أشاح بنظره عنه غير مبالياً له، أمسك يد أخته بتملك وهو ينظر لباسل ليقبل يدها مطولاً ويفركها بخفة، ظل على حاله ليشعر بيد ماريا تتحرك، رفع رأسه فوراً ونظر بعينان جاحظتان، بدأت ماريا تهمهم ليعتدل الجميع ويقفون منتبهين لها، بينما باسل وقف فوراً ليقترب قليلاً ويتحسس وجهها تحت نظرات يوسف القاتلة، لم يأبه له ولم يهتم لحاله فقط ظل ينظر لمحبوبته، فتحت ماريا عيناها بوهن لتستقبل الضوء القوي، عقدت حاجبيها وأغلقت عينيها لتعاود فتحهما ببطئ، نظر لها يوسف وابتسم باتساع عندما رآها قد استيقظت، كذلك الجميع لم تسعهم الدنيا من الفرحة كونها بخير، التفتت ماريا بوجهها ليوسف لتقابل عيناها بعيناه، نظر لها بانتباه وقد تدخل باسل وأزال عن فمها الأوكسجين لتحاول التحدث، ظلت ماريا ممسكة بيد أخيها بقوة وهو يبتسم لها ويقبل يدها بين الحين والآخر، تحدثت ماريا بوهن:

"أريد الماء"

أسرع ليث وجلب لها الماء ليمسك باسل بالكوب ويقوم بسقايتها وهذا مازاد من حنق يوسف، أردفت وهي تنظر لأخيها:

"ماذا حدث معي"

ابتسم بخفة وتحدث:

"لا تهتمي الآن، مجرد رضوض بسيطة حبيبتي لا تقلقي فقط استريحي"

تنفست بسرعة وهي تنظر للجميع بوهن، بينما وقعت عيناها على آسر ولكن تعجبت من عدم إقترابه إليها، لا يعلم بماذا شعر هو الآخر عندما رآها بهذا الشكل، فهم من نظرتها له بأنها تريده أن يقترب، اقترب منها وهو مبتسم لها لينزل ويقبل جبينها ويقول:

"لقد أخفتنا أيتها القردة"

ابتسمت بوهن وتحدثت:

"لن تتخلصون مني أبداً"

ضحك الجميع عليها فا برغم أنها متعبة وتعرضت لحادث سير ولكنها مازالت تمرح وتضحك ولو كان هذا الشيء تفعله بصعوبة، وجهت نظرها لباسل الذي كان ينظر لها بحب وهيام، ابتسمت له وبادلها الابتسامة، لتقترب رنيم وهي تمسح دموعها وتقول:

"أيتها الحمقاء، طوال عمركِ تفتعلين المصائب والآن لقد جلبتي لنا هذه المصيبة، يا لكِ من غبية"

ابتسمت ماريا لتقول:

"طبعاً أريد أن أخيفكم قليلاً، ولكنني مازلت قوية لم يحدث لي شيء"

ابتسم الجميع ليقترب يوسف منها ويبدأ بتقبيلها على وجنتيها، لا يكل ولا يمل فقط يقبلها قبلات متتالية على وجنتيها، ابتسمت لتقول:

"أيها الأحمق كفى أنا أخجل"

ضحك عليها لتعقد حاجبيها باستغراب وتقول:

"أين الطبيب؟ ومتى سأخرج من هنا"

اعتدل باسل بوقفته ليقول:

"لا يمكنكِ الخروج الآن حتى تتعافين بالكامل، وبالنسبة للطبيب فأنا أمامكِ"

ابتسمت لتقول:

"حسناً وهل سأظل على حالتي هكذا؟ هيا عالجني أيها الطبيب"

ابتسم باتساع ليقول:

"لقد عالجتكِ طبعاً، ولكن يجب عليكِ أن تبقين بالمستشفى لفترة محدودة"

عبست وظلت صامتة، بينما يوسف يتابع الحديث بغيظ تحت نظرات آسر المستمتعة، صدح صوت رنين هاتف يوسف ليرى اسم المتصل وقد كانت شهد، ابتسم بخفة عندما رأى اسمها ليجيب فوراً:

"أهلاً شهد"

تحدثت شهد عبر الهاتف بتلعثم:

"ااا حضرة الضابط كيف حالك، أنا كنت أريد أن أطمئن على ماريا لقد قلقت عليها، منذ البارحة وأنا أتصل بك وبها ولكن هواتفكما مغلقة، هل حدث شيء"

ابتسم على اهتمامها ليقول:

"مم لقد تعرضت ماريا لحادث بسيط وهي بالمستشفى الآن ولكنها استيقظت الحمد لله، وهي الآن بخير"

تحدثت شهد بخوف:

"حادث! حادث ماذا؟ وكيف حدث ذلك ها؟ أين أين المستشفى أعطني العنوان"

ضحك يوسف على خوفها ليعطيها العنوان وتغلق الهاتف فوراً دون حتى رد السلام، امتعض يوسف ونظر للهاتف بغيظ بينما ماريا كانت تتابع الحديث لتقول:

"ما بها شهد"

ابتسم ليقول:

"لا شيء حبيبتي ستأتي إليكِ"

فرحت ماريا كثيراً لتنهض وتقول بحماس:

"حقاً"

نهضت ونسيت بأنها بهذه الحالة، تأوهت بألم عندما نهصت ليقترب منها باسل ويوسف في نفس الوقت ولكن باسل قد سبقه وعدل لها نومتها، بينما يوسف يكاد ينفجر من غيظه وغيرته على أخته، تنهد بحدة وحاول تجاهل الأمر، والآن هو سعيد جداً لإن شهد ستأتي إليهم، بينما رنيم كانت تقضم أظافرها بغيظ، كتمت في نفسها ولكنها لم تعد تستطيع لتتحدث بغضب:

"أيتها الحمقاء هل أستبدلتني بهذه التي اسمها شهد ها؟ أراكِ فرحتي وتحمستي عندما علمتي بأنها قادمة"

ضحكت ماريا عليها وكذلك الجميع لتقول ضاحكة:

"أنتِ الأساس ياحبي"

ابتسمت رنيم برضى وغرور ليضحكوا عليها جميعاً، ابتسم يوسف في سره كونه سيقابل شهد، بينما آسر كان خجلاً من أن تراه شهد بعد الذي حدث، ولكن طبعاً لن يريها بأنه خجلاً منها أبداً، سيظل على بروده لإنه أولاً

وآخراً رأي شهد به لا يهمه لذلك سيتجاهل الوضع، لم يمر وقتاً طويلاً حتى دخلت عليهم والجميع ينظر لها، وللمفاجأة الكبرى فقد كانت آسيل برفقتها، دخلت الفتاتان بابتسامتهما و تحملان الورود لماريا، كانت آسيل متوترة جداً فهي تعلم بأنها ستراه هناك ولكنها لن تبالي، بينما آسر عندما رأها بدأ قلبه يطرق بعنف وتهلهلت أساريره لرؤيتها، أما شهد فكانت متوترة جداً من نظرات الجميع الموجهة لها ولآسيل دخلتا وألقتا التحية على الجميع وقدمتا الورد لماريا بابتسامة كبيرة، تحدثت شهد بحزن:

"ماري أنا حزينة من أجلكِ"

ايتسمت ماريا باتساع لتقول:

"أعجبني اسم مار، من الآن سينادوني جميعاً بـ ماري، ولكن لم تعرفينا شهدي من هذه الفتاة"

ابتسمت شهد وتحدثت:

"هذه صديقتي آسيل، لقد حدثتكِ عنها من قبل"

تحدثت ماريا بحماس:

"أجل أجل آسيل التي كانت ..."

لم تكمل جملتها لإنه صدح صوت في الغرفة منعها من إكمال حديثها وقد كان صوت آسر ليقول:

"ماريا عزيزتي يجب أن ترتاحين وتكفين عن الحديث من أجل أن تتعافين بسرعة، أغلقي فمكِ ها"

عبست ماريا ليكتم يوسف ضحكته وقد علم بأنه يسكت ماريا كي لا تتحدث عن قصة آسيل أمام أحد، تحدث يوسف موجهاً حديثه لآسيل:

"أهلاً وسهلاً بكِ"

حركت آسيل رأسها بابتسامة صغيرة لتقول:

"أهلاً بك"

بينما رحب الجميع بها وبـ شهد لتقول ماريا:

"حسناً آسيل لقد أحببتكِ، من الآن أصبحتي صديقتي"

ضحكت آسيل على جملتها لتقول:

"وأنا أيضاً أحببتكِ كثيراً ويسعدني ذلك"

ابتسمت ماريا باتساع بينما هناك عينان مشتعلتان تكاد تموت من غيظها، وجهت شهد نظرها لرنيم لتقول:

"من هذه الفتاة ماريا"

ابتسمت ماريا لتقول:

"هذه رنيم أخت باسل وباسل صديق يوسف ويوسف شقيق ماريا وماريا هي أنا يهووو"

ضحك الجميع على جملتها لتتحدث شهد بضحك:

"حتى وأنتِ مريضة تضحكين وتمزحين يافتاة"

حركت ماريا رأسها بإيجاب لتعبس وتقول:

"أين الشوكولا شهدي"

همهمت شهد لتقول:

"أجل انتظري لقد جلبت لكِ الكثير سأخرجهم من حقيبتي"

أخرجت شهد كيس مليء بالشوكولا والتسالي الكثير والكثير منها فهي تعلم جيداً بأن ماريا لا تكف عن هذه الأكلات فهي مخدراتها الخاصة، ابتسمت ماريا باتساع لتأخذهم منها وتبدأ تخرجهم واحدة تلو الأخرى، تقدمت رنيم لتتحدث:

"أعطني واحدة ماريا"

تحدثت ماريا بصوت عالي:

"لاااا كلهم لي"

كادت رنيم أن تبكي فقط من أجل الشوكولا، لتنظر لها شهد وتقول لها:

"انتظري رنيم لدي اثنتان في حقيبتي سأعطيكِ"

أخرجت شهد الشوكولا المتبقية معها وأعطتها لرنيم لتبتسم رنيم باتساع، بينما آسيل تراقب الوضع بابتسامة، أما آسر لا يفعل شيء سوى النظر لآسيل وهي تتجاهله، أما يوسف فكان يتابع شهد ببرائتها ولطافتها، طبعاً باسل وليث يجلسان أيضاً ويراقبان الفتيات بصمت ويضحكان عليهن بين الحين والآخر، تحدثت ماريا:

"آسيل هل لديكِ أخوة"

ابتسمت آسيل وتحدثت:

"أجل لدي أخ وأخت، مرام وغيث"

همهمت ماريا بابتسامة لتقول:

"هذا جيد، هل يضربكِ أخاكِ"

أنهت جملتها موجهة نظرها ليوسف الذي فتح فمه من الصدمة عندما سمعها، لتضحك آسيل وتقول:

"لا إنه أصغر مني هو ومرام، ولكنهما من غير امرأة أقصد أبي كان متزوج امرأة ثانية وأنجب منها أخوتي"

همهمت ماريا باهتمام لتقول:

"والدكِ يحب النساء"

ضحكت آسيل لتقول:

"لا ليس كذلك ولكن حدث عدة أمور أجبرته على الزواج من أخرى"

حركت ماريا رأسها بابتسامة لتسمع آسيل صوت آسر وهو يقول:

"وأين تقيمين الآن يا آسيل عند والدكِ أم والدتكِ"

أراد أن يغيظها قليلاً ليسمع الجواب الذي يصعقه منها:

"ليس هنا ولا هنا، أقيم عند شهد الآن"

رمش بعيناه عدة مرات بينما يوسف كتم ضحكته بصعوبة بالغة، تحدث آسر:

"أها وأين هي الآن زوجة والدكِ"

تحدثت آسيل بعبوس:

"لا شأن لك، يا لك من حشري"

احتدت ملامح آسر بينما الجميع يحاول كتم ضحكته على حديثهما، تحدثت رنيم:

"آسيل هل أنتِ متزوجة"

صدمت من سؤالها، بينما آسر يكاد يموت من غيظه، أحبت آسيل أن تستغل الوضع وتغيظ آسر لتقول:

"كنت متزوجة وتطلقت منذ فترة"

صدم آسر من جوابها كما أن شهد وماريا ويوسف الذين يعلمون بالقصة أيضاً صدموا من جوابها، همهمت رنيم لتقول:

"لماذا تطلقتي"

توترت آسيل لتجيب:

"اا لم نتفق كما أنني لم أكن أحبه فتطلقت فقط هذا"

همهمت رنيم بابتسامة ولم تتحدث، بينما باسل وليث لم يقتنعا بجوابها لإنهما يعرفان بأن آسر يحب آسيل لذا مؤكد بأنها تخفي شيء ما، تحدث باسل:

"إذاً أنتِ تعيشين عند شهد الآن"

تحدثت آسيل:

"اا في الواقع لا، أنا أعيش مع أبي وأمي ولكن قضيت الليلتين الماضيتين عند شهد"

همهم باسل وصمت ليتحدث ليث:

"وأين زوجة والدكِ"

تحدثت آسيل:

"لقد تطلقت وهي الآن بالمصحة لإنها جنت بالكامل"

حرك ليث رأسه بهدوء ليقول باسل:

"هل دخلت للمستشفى لإن والدكِ طلقها"

تحدثت آسيل:

"لا ليس لهذا الأمر ولكن حدثت مشاكل بينها وبين عائلتها والجميع تخلى عنها وهذا ماجعلها تدخل المصحة"

همهم باسل وصمت لتتحدث ماريا بملل:

"أووف كفاكم أحاديث مملة، أريد الطعام هيا أطعموني اهتموا بي أنا مريضة"

تحدث يوسف بضحك:

"سيأتي الطعام بعد قليل يابقرة"

عبست ماريا لتقول بغيظ:

"اصمت يا أحمق"

ابتسموا جميعهم لتتحدث شهد:

"هل تشعرين بالوجع"

حركت ماريا رأسها بنفي لتبتسم شهد وتبادلها، بقي آسر على هدوءه وصمته وبروده، لم يبدي أي ردة فعل، بينما آسيل لكزت شهد وحدثتها بأن تذهبان، استأذنت شهد من ماريا ووعدتها بأنها ستزورها في اليوم التالي وطبعاً لن ننسى آسيل التي أحبت ماريا ووعدتها أيضاً بأنها ستأتي لزيارتها في وقت آخر، ذهبت الفتاتان تحت أنظار الجميع وأنظار آسر التي كانت موجهة لآسيل، وعندما خرجتا تنهد بقوة وكتف يديه وبقي جالس بصمت، أما يوسف فلم يعجبه رحيل شهد فوراً، تمنى لو أنها تظل وقت أكثر ولكنه سيعد الساعات والدقائق لكي يلتقيها في اليوم التالي، بينما آسر استأذن وتركهم راحلاً إلى بيته، هو يعلم جيداً بأنه أخطأ في حقها ولكنه عاجز عن فعل أي شيء، وعاجز عن إرضائها، يريدها ويريد أن يحصل عليها، لو كانت تعلم ما الذي مر به لما كانت فعلت كل هذا معه، فكر بأن يحدثها بكل شيء عنه ولكنها ستقول بأنه يخبرني حتى أشعر بالشفقة تجاهه، كلما حاول التقرب منها والاعتراف لها بحبه ترجعه مائة خطوة للوراء، كل شيء أصبح ضده، حتى الإنسانة التي

دق قلبه لها هي ضده الآن، يشعر بالضياع والعجز، لا يجد الراحة أبداً، يريد حضن دافئ يشد عليه بقوة ويشكي كل ألمه، ولكن سيعاند ويصارع ويحارب فقط من أجلها وسيرجعها إليه مهما كلفه الثمن.

" أحياناً نختنق بـ كبريائُنا وصَمتُنا

فَتعجز عَن قولِ ما يَبتغيه القَلب "

في صباح اليوم التالي

استيقظ آسر كعادته وفعل روتينه اليومي وارتدى ملابسه ليهبط للأسفل ويتناول فطوره ومن ثم يتوجه للمستشفى إلى ماريا، لم يمر وقت طويل ليصل للمستشفى ويتوجه لغرفة ماريا، دخل عليها ليراها جالسة برفقة باسل ويوسف، ألقى تحية الصباح عليهم واقترب منها ليطبع قبلة مطولة على جبينها، ابتسمت له وبادلها، نظر لها مطولاً وقد رأى بأنه قد طرأ تحسن على حالتها عن البارحة، تحدثت بحماس:

"أين الشوكولا"

قلب آسر عيناه ليقول:

"ألم تجلب لكِ شهد الشوكولا البارحة؟ أنا لا أفهم أين تذهبين بهم"

ابتسم يوسف بسخرية وتحدث باستنكار:

"لقد أكلتهم كلهم وهذا ماجعلها تتقيأ اليوم"

نظر لها آسر بغضب بينما هي خبأت وجهها بالشرشف الأبيض، تحدث آسر بقليل من الحدة:

"ماريا لما لا تفهمين؟ ولما تفعلين ذلك ها"

تمتمت بخفوت:

"آسفة"

امتعض آسر لإنه يكره كلمة أسف، بينما باسل لم يعجبه الأمر ليتحدث معاتباً:

"ما بك يارجل لما تصرخ عليها؟ لم يحدث شيء، ماريا لن تفعلها مرة أخرى أليس كذلك"

ابتسمت وحركت رأسها موافقة ليبتسم لها، بينما يوسف نظر لهما بحدة، أما آسر ابتسم بسخرية وظل صامتاً، لم يعلم يوسف لما يشعر بالغيرة تجاه ماريا من قبل باسل، أحب أن يلعب بأعصابه قليلاً ليبتسم ابتسامة ماكرة ويتحدث:

"ماريا لقد تقدم لكِ شاب وحدثني بموضوعكِ منذ ثلاثة أيام ما رأيكِ"

عبست ماريا وامتعضت، بينما آسر ظل على بروده لإنه فهم ما الذي يجول بخاطر يوسف، أما باسل فما إن سمع هذا الحديث حتى بدأ قلبه يطرق بعنف ونظر لماريا بخوف منتظراً إجابتها، تحدثت ماريا بانزعاج:

"لا أريد"

همهم يوسف ليقول:

"ولكنك لم تعلمين من هو الشاب"

نظرت له لتقول:

"ومن هو"

تحدث يوسف مراقباً نظرات باسل الخائفة:

"إنه صديقي في العمل وهو شاب جيد جداً، ما رأيكِ"

نظرت ماريا لباسل الذي كان ينظر لها بخوف وترجي، لم تعلم لما أصبح يدق قلبها بسرعة، ابتلعت ريقها لتتحدث:

"لا أريد"

نظر يوسف لباسل ليقول:

"ما رأيك أنت"

حمحم باسل ولم يستطع التحدث من الصدمة والخوف، ابتسم يوسف بمكر ليقول:

"أرى بأنني يجب أن أختار لأختي شاب مناسب أكثر من ذاك الشاب أليس كذلك يا آسر"

ابتسم آسر ابتسامة جانبية ليتحدث باسل بسرعة ومن دون وعي:

"أجل أجل يجب أن تختار شاب أفضل أجل"

ضحك يوسف وشاركه آسر الضحك بينما ماريا تبتسم كالبلهاء ولا تعلم ما الذي يقصده أخاها، أما باسل فقد شعر بالإحباط والخجل بسبب تسرعه وقلبه الأحمق الذي يضعه بمواقف مخزية كهذه، ابتلع باسل ريقه بتوتر ليقول:

"مم حسناً سأذهب لأكمل عملي، سآتي بعد ساعة كي أعطي الحقنة لماريا"

همهم يوسف وصمت،بينما باسل خرج من الغرفة هارباً منهم وقلبه ينبض بعنف، تحدثت ماريا:

"أنا جائعة"

تحدث يوسف بقلة حيلة:

"الصبر يارب"

ضحك آسر عليهما ليتحدث:

"ما بكِ أنتِ هل تجوعين دائماً؟ سيفلس زوجكِ عندما يتزوجكِ من كثرة طلباتكِ المتكررة"

عبست ماريا ولم تتحدث، بينما يوسف يبتسم باستمتاع كونها شعرت بالغيظ من الحديث، تنهد آسر تنهيدة قوية واستأذن منهما ليتوجه إلى عمله الذي أهمله منذ يومان واعداً إياهما بأنه سيعود في المساء وأيضاً سيقوم بإنهاء جميع أعمال يوسف المكدسة عليه.

في منزل هشام

عادت آسيل برفقة أخوتها إلى بيت أبيها، استقبلتهم والدتها بابتسامة واسعة واحتضنتهم بكل حب وحنان، لم تميز بين آسيل ومرام وغيث، كلاهما تعاملهما نفس المعاملة وتبثهم حنانها الذي أعجب مرام وغيث كثيراً، دخلوا إلى الصالة ليجدون والدهم جالس، ليتقدموا إليه ويلقو التحية عليه ويحتضنوه، تحدثت آسيل بمرح:

"إذاً ياعصافير الحب كيف حالكما"

ضحك هشام على جملتها بينما سمية أطرقت برأسها خجلاً، أردفت آسيل:

"مابكِ سمية هانم؟ حسناً أين الغداء أنا جائعة وغيث ومرام جائعان أليس كذلك يارفاق"

تحدثا بصوتٍ واحد:

"أجل"

ضحك كلاً من هشام وسمية عليهم ليقول هشام:

"حسناً هيا اصعدوا وغيروا ثيابكم بينما يجهز الغداء"

حركت آسيل رأسها بالنفي لتقول:

"لا أنا سأبدل ثيابي ومن ثم أذهب أنا وشهد لكي نغير جو قليلاً"

عقدت سمية حاجبيها لتقول:

"ألم تشبعي منها يافتاة"

قفزت آسيل وقبلت والدتها على وجنتها لتقول بمرح:

"كلا"

ضحك الجميع على فعلتها ليتوجه الأخوة إلى غرفهم ويبدلون ثيابهم ريثما يجهز الغداء.

كان مشغول بالقضايا والأوراق التي بين يديه، لم يعلم كم مضى من الوقت وهو يعمل عنه وعن يوسف الذي ترك له كل المسؤولية على عاتقه، يعمل ولكن باله مشغول بآسيل، يكاد يجن لدرجة أنه سيبكي فقط لإنها تتجاهله وتنكر معرفتها به، تأفأف بانزعاج وهو يأخذ مكتبه ذهاباً وإياباً، ركل الكرسي الذي أمامه تعبيراً عن

حنقه، قرر الاتصال بها ليمسك هاتفه ويطلب رقمها، بينما كان يرن ويرن ولكن دون رد، أعاد الاتصال مرة أخرى ولكن دون جدوى، زفر بضيق وعصبية ليطلب رقم آخر ويجيبه بـ:

"أمرك سيدي"

تحدث آسر بسرعة وجمود:

"ما الأخبار"

تحدث العسكري:

"سيدي لقد عادت لمنزل والدها فقط هذا"

همهم آسر ليردف له العسكري بسرعة:

"سيدي لقد خرجت الآن"

تحدث آسر باهتمام:

"حسناً راقبها واعلم أين وجهتها ومن ثم هاتفني"

تحدث العسكري:

"تحت أمرك سيدي"

أغلق الهاتف وزفر بضيق، قرر مهاتفتها مرة أخرى ولكنها أيضاً لم تجيب، ازداد حنقه منها ونفذ صبره منها، لم يعد يستطيع التحمل أكثر من ذلك، اتصل بـ رقم العسكري الذي يراقبها ليجيبه فوراً ويأمره آسر:

"اعترض طريقها وخذها إلى منزلي"

تحدث العسكري:

"حاضر"

توجه آسر إلى منزله بسرعة البرق، وكان كعادته بارد، جامد، ونظرة الإصرار بادية عليه، لم يستغرق وقتاً طويلاً ليصل إلى منزله بسرعة، دخل إلى المنزل وجلس على الأريكة الذي اعتاد أن يجلس عليها دائماً، تمدد بكل أريحية منتظراً جلبها له بفارغ الصبر، مضى وقتاً ليس بطويل ليدخل عليه العسكري وهو يشد على آسيل لكي تدخل تحت صراخها وتذمرها، احتقن وجه آسر عندما رأى العسكري يمسك بها، نظر له بحدة واقترب منه ليقف أمامه ويلكمه على وجهه لكمة جعلته يرتد للخلف عدة خطوات، تحدث آسر ببرود:

"قلت لك اجلبها إلي، لم أقل بأن تمسكها بهذه الطريقة، اغرب عن وجهي"

خرج العسكري من أمامه بسرعة بينما آسيل نظرت لآسر بحدة وتحدثت:

"أنت أيها اللعين كيف تسمح لنفسك بأن تأمرهم بجلبي إليك ها؟ وكيف تضربه للرجل بهذه الطريقة العنيفة؟ يا لك من همجي"

احتدت ملامحه أكثر من ذي قبل ليقترب منها ويمسكها من معصمها ويتحدث بنبرة مخيفة:

"إياكِ يا آسيل بأن تدافعي عن رجل أمامي أو أن تنظري لأي شخص غيري عندما أكون معكِ هل تفهمين"

نترت يدها منه لتتحدث بنفس الحدة:

"لا شأن لك، ثم أن من أنت حتى تعطيني الأوامر ياهذا؟ أنت لست سوى شاب ملتوي، غير ذلك أنا لن أقبل بشاب قد ترك والداه وإلى حد الآن لم يقبل بالمسامحة، كيف لي أن ألتفت لك بالأساس، أنت فقط ..."

لم تكمل جملتها لإنه قد صرخ بأعلى صوته:

"آسيييل"

جفلت من صراخه وقد شعرت بالخوف فقط من صوته، ابتلعت ريقها بتوتر وظلت صامتة لتنظر له وهو يقترب منها، أمسكها من وجهها وتحدث بصوت أشبه للهمس:

"لقد تحملتكِ وتحملت تذمراتكِ كثيراً، آن الآوان بأن تطيعيني الآن"

نظرت له بأعين جاحظة ولم تتحدث ليردف لها:

"اسمعيني جيداً آسيل، قلت لكِ من قبل لا أحد يقول لآسر لا ولا أحد على وجه الأرض يحدثني بنبرتكِ هذه لذا الزمي حدودكِ معي وكفي عن تجاهلكِ لي"

تحدثت بغضب:

"قل لي من أنت حتى تأمرني، لقد مددت لي يد المساعدة وشعرت بالأمان معك عندما قمت بحمايتي وبعدها ماذا فعلت غير أنك تخليت عني ونفيتني عن العالم وأبعدتني عنك، لماذا قررت الآن بأن تسترجعني ها؟ هل هو حب أم تملك أم سيطرة أم ماذا؟ لقد شعرت بالأمان معك وأحببتك من قلبي وكنت أنت الرجل الوحيد الذي سكن قلبي ولكن أنت بماذا كافئتني سوى البعد، قل لي لماذا فعلت ذلك قل لي آسر هيا قل لي ل..."

قاطع حديثها ليصرخ بها بأعلى صوته:

"لإنني أحبكِ"

صمت عم بالمكان، لم يعد يسمع أي حركة سوى أنفاس آسر المتسارعة والغاضبة وصدمة آسيل، كانت تتحدث بقهر وهو كان يسمع لها بقهر أكبر، أخذ نفس عميق ليتحدث:

"أنا أحبكِ آسيل، أنتِ الفتاة الوحيدة الذي دق قلبي لها وآمنت بالحب لأجلها، أبعدتكِ عني لإنني كنت خائف على نفسي منكِ، خائف على قلبي من حبكِ، منذ أول لقاء لنا وأنا مغرم بكِ، عندما أتيتي إلي شعرت بالسعادة تغمرني، عندما قبلتكِ أول مرة كنت بعالم الأحلام، كنت بالجنة ذاتها، سئمت من بعدكِ عني، وسئمت من تذمركِ وتجاهلكِ لي، ما الذي تريدينه أنتِ فقط قولي لي أرجوكِ؟ أنتِ أصلاً لا تعلمين ما الذي مررت به حتى تفعلي معي كل هذا، لا تعلمين كم من الألم والأوجاع تعرضت لها، أنا لا أقول لكِ كل هذا حتى تشعرين بالشفقة نحوي لا، ولكن أريدكِ أن تشعري بي فقط، ثم أن اللذان تتحدثين عنهما ولا أعلم من أين علمتي بأنني قد هجرتهما هما من تركاني ولست أنا، هما من تخليا عني فقط لإنني أردت تحقيق حلمي وأدخل بالتخصص الذي أريده، لم يتركا لي شيء حتى أملاك والدي قد حرمني منها ولم يعطيني شيء، هذا النعيم كله الذي أنا به أنا من صنعته وأنا من جلبته تحت إصراري للوصول جمعت كل هذا، وأنتِ الآن تجرحيني وتتحدثين بكل هذه القساوة، أجل لن أسامح لإنني رأيت العذاب ببعدهما عني، لذلك أبعدتكِ عني، لم أكن أريد التعلق بكِ ولكنني تعلقت بكِ وانتهي الأمر"

ألجمت الصدمة عليها، شعرت بقلبها يتمزق لأجله، كيف لها أن تفعل كل هذا به؟ هي لا تعلم كل أحداث قصته فقط علمت بالقليل من هبة خادمتها الخاصة، هبطت دموعها على وجنتها دون سابق إنذار، تنظر إلى ملامحه الرجولية المتعبة والحزينة، انفطر قلبها لأجله، تمنت لو أنها تستطيع احتضانه ولكنها لن تبادر لإنها خائفة من فكرة الصد منه، بدأت شهقاتها تتعالى شيئاً فشيئاً، بينما هو كان ينظر للاشيء بحدة، ما إن سمع صوت شهقاتها حتى التفت لها ونظر لها بحزن، لا يعلم ما الذي يفعله معها، هي حتى لم تبدي أي ردة فعل سوى البكاء، لم تواسيه ولم تحدثه، فقط بكاء، اقترب منها ومسح دموعها بأبهامه وهو ينظر لها بجمود، اقترب ليضع جبينه على جبينها، تحولت نظرته للحزن بسرعة ليتحدث بصوتٍ خافت:

"حباً بالله قولي لي ما الذي تفعلينه بقلبي؟ وكيف لقلبي بأن لا ينساكِ ولا يهيم بكِ؟ ما الذي أفعله حتى أرى منكِ نظرة الرضى"

لم تتحدث فقط اكتفت بالبكاء بصمت ليردف لها بحزن:

"لم أتوسل لفتاة بحياتي كلها، وها أنا أتوسل لكِ بأن تعطيني قلبكِ الذي سأجعله يحلق من السعادة يا آسيل، فقط آمني بي وآمني بحبي لكِ وكوني معي"

للمرة الثانية لا تتحدث ولا تجيب ليردف لها أيضاً:

"آسيل قولي أي شيء تحدثي مابكِ؟ ألهذه الدرجة لم أعد أعني لكِ شيئاً"

نظرت له بأعين دامعة وقد اصطبغ وجهها باللون الأحمر من شدة البكاء، تحدثت بصوتٍ خافت:

"أنت كاذب لا تحبني"

نظر لها بأعين دامعة ليقول بسخرية:

"هذا الذي توصلتي إليه؟ حسناً سأتركِ وشأنكِ ولكن أعطني قلبي الذي يظل برفقتكِ دائماً"

كان يتحدث بصراخ، لم يترك شيئاً أمامه إلا وركله من شدة غضبه، بينما آسيل فهي بطبيعتها لا تحب الصراخ أو الضجة، وصراخ آسر وغضبه زاد من وتيرة بكائها وخوفها منه، اقترب منها بأعين حمراء متوعدة ليمسكها من معصمها ويقول:

"ماذا تريدين آسيل؟ إلى متى سأتحمل جفائكِ هذا؟ هل تريدنني أم لا فقط أجيبي"

كانت تتلوى بين يديه من شدة ألمها، لإنه كان يحكم قبضته على معصمها ويعتصره بقوة، ولكن ألم معصمها لا يساوي شيئاً أمام ألم روحها لأجله، تريد التحدث تريد أن تطمئنه بأنها ستظل بجانبه ولكن بكائها الهستيري منعها من التنفس حتى، ازدادت حدة آسر وغضبه، أعماه غضبه ولم يعد يرى أمامه، شد على معصمها ليتحدث بغضب:

"حسناً يا آسيل، سأخرج من حياتكِ للأبد، لن أعترض طريقكِ أبداً، سأتركِ وشأنكِ كما تشائين، أعدكِ بأنكِ لن تريني بعد الآن، هيا اذهبي واقضي حياتكِ بالجانب الذي يحلو لكِ، ولكن ثقي تماماً بأنكِ لن تلتقين بأحداً يحبكِ كما أحببتكِ أنا، هيا اذهبي هيا"

كان يتحدث بغضب و حدة وصراخ لينهي جملته بقهر، بينما هي حركت رأسها نافية عندما سمعت جملته، تحدثت بصعوبة بالغة لتقول:

"لا أريد الذهاب"

تحدث آسر بغضب:

"أذهبي، لا أريد رؤيتكِ بعد الآن أذهبي، أعدكِ بأنك لن تريننني بعد الآن"

انفجرت بالبكاء وهي تشهق وتنتحب، لينفطر قلب آسر عليها ولكن لن يتراجع عن كلمته، سيحاول الابتعاد حتى لو كان هذا الابتعاد على حساب ألم روحه وحرقة قلبه، انكمشت آسيل على نفسها ونهضت من على الأرض بعد أن كانت تنتحب بقوة، تقدمت وخطت خطواتها متوجهة للباب، تجر ورائها آمالها الخائبة بحرقة قلب ويأس.

مشت في طريقها وهي تبكي كثيراً، لقد فقدته، فقدت أغلى ماتملك على قلبها، علمت بأنها زادت من تجاهلها له، لم تصدق بأنه كان متعلق بها إلى هذه الدرجة، ولم تكن تعلم بمدى ألمه منها، لعنت نفسها ولعنت غرورها آلاف المرات، سمعت صوت سيارة آتية من خلفها، نظرت لها بأعين دامعة وهبط السائق من السيارة ليوقفها ويتحدث برسمية:

"آنستي لقد طلب مني السيد آسر بأن ألحق بكِ وأوصلكِ للمنزل خوفاً عليكِ لإن الليل قد حل"

ابتسمت وسط دموعها، حتى وهو غاضب منها ولا يريدها خائف عليها، حركت رأسها بإيجاب واستقلت السيارة برفقة السائق ليوصلها إلى منزلها، هبطت من السيارة أمام منزلها بينما السائق قد عاد أدراجه، كانت حالتها مزرية بكل معنى الكلمة، وجهها كان بالمكفى لذلك، فقد كانت بوجه شاحب وعيون حمراء كالدم من شدة البكاء، تنهدت بقوة وحاولت بأن تعدل من هيئتها كي لا يراها والداها بهذا الشكل، أخذت نفس عميق وزفرت بقوة لتدخل إلى المنزل وترى والداها وأخوتها يتوجهون إليها بقلق ليقول هشام:

"أين كنتي آسيل لقد أخفتنا، هاتفتنا شهد وقالت بأنكِ لم تأتي إليها هي قلقة عليكِ"

تذكرت أمر شهد التي كانت ناسية أمرها بالكامل، تحدثت بصوت مبحوح:

"كنت أمشي في البلدة لوحدي لم أرد أن أذهب إليها فقط هذا"

تحدثت سمية بقلق:

"ما بكِ؟ ولما عيناكِ حمراء؟ ما الأمر آسيل؟ هل تعرض لكِ أحد"

تحدثت بضيق:

"لا أمي لا شيء فقط أريد أن أنام تصبحون على خير"

أنهت جملتها وتوجهت لغرفتها بصمت تحت نظرات والديها المتعجبة، دخلت لغرفتها وبدأت بالبكاء بحرقة، هي الآن نادمة أشد الندم على تجاهلها له وقسوة قلبها عليه، تريده وتريد أن تبقى بجواره ولكن ليس بعد الآن، لإنه هو من سئم منها وهو من طلب منها الرحيل هذه المرة، شهقت بقوة وأمسكت بهاتفها لترى عدة مكالمات من شهد وعدة رسائل، طلبت رقمها لتجيبها شهد بسرعة:

"آسيل أين كنتي؟ لقد قلقت عليكِ أين أنتِ الآن"

لم تتحدث بل ظلت تبكي وتشهق وهذا مازاد من خوف شهد لتقول بخوف وترقب:

"آسيل حبيبتي مابكِ قولي لي هيا"

تحدثت آسيل ببكاء:

"أنا متعبة شهد تعالي إلي أرجوكِ"

تحدثت شهد بقلق:

"مابكِ؟ تحدثي"

شهقت آسيل وتحدثت:

"عندما تأتين أحدثكِ بكل شيء فقط تعالي أرجوكِ، سأبعث بالسائق ليجلبكِ إلي، إلى اللقاء"

تحدثت شهد:

"حسناً جميلتي إلى اللقاء"

أغلقت مكالمة شهد وطلبت رقم آسر ولكنه لم يجيبها، حاولت مهاتفته عدة مرات ولكنه أيضاً لم يجيبها، وفي المرة الأخيرة أعطاها خارج الخدمة ليشتد بكائها أكثر.

لم يمضي وقتاً طويلاً حتى أتى السائق ليوصل شهد إلى بيت آسيل، وصلت شهد بعد وقت قصير جداً لتفتح لها آسيل ومن ثم تتوجهان إلى الغرفة، عقدت شهد حاجبيها بحزن على صديقتها لتتحدث:

"آسيل مابكِ حبيبتي تحدثي"

شهقت آسيل بقوة وبدأت بالبكاء لتحتضن شهد ومن ثم تربت شهد على ظهرها مهدأة إياها، بدأت آسيل تهدأ شيئاً فشيئاً لتبتعد عن شهد وتنظر لها بحزن، تحدثت شهد بقلق:

"آسيل حبيبتي هيا تحدثي مابكِ"

أخدت آسيل نفساً عميقاً وزفرت بقوة لتحدث شهد بكل ما حدث معها، كانت شهد تستمع لها بتمعن واهتمام، وصدمت من ما حدث بحق، أنهت آسيل حديثها لتعود وتنفجر بالبكاء بينما شهد ظلت تربت على ظهرها وتقوم بتهدأتها وتواسيها، تنهدت شهد بقوة لتقول:

"آسيل جميلتي لا داعي للبكاء، حسناً كل شيء يحدث له عبرة وحكمة، انتظري قدركِ عزيزتي ستفرج أنا متأكدة"

زادت وتيرة بكاء آسيل لتتحدث من بين شهقاتها:

"أنا لا ذنب لي لم أكن أعلم بأنه يحبني ويتعذب من أجلي، ظننته مجرد حب تملك، هو أبعدني عنه الآن"

تحدثت شهد بهدوء:

"أجل أعلم ولكن كل شيء من تدبير الله ولا تعلمين أين يكون الخير لذلك لا تحزني، لعل وعسى يعود وتكونين له، لا تفكري بشيء الآن فقط نامي هيا، وأنا سأظل عندكِ الليلة"

حركت رأسها موافقة وتمددت على سريرها وهي تحاول كتم شهقاتها، بينما شهد قامت بتغطيتها بشكلٍ جيد وظلت تمسح على شعرها إلى أن شعرت بانتظام أنفاسها، تنهدت شهد بقوة وزفرت بضيق، هي الآن تقع في ورطة كونها لا تستطيع مساعدة آسيل ولكن خطر على بالها فكرة ستحاول أن تنفذها في الغد كي تساعد صديقتها، لعل وعس تعود المياه لمجاريها بين آسيل وآسر، ظلت تفكر وتشغل بالها بشأن صديقتها إلى أن تعبت من التفكير لتدخل في نوم عميق.

في صباح اليوم التالي استيقظت شهد وفعلت روتينها اليومي بمنزل آسيل لتتركها نائمة وتتوجه إلى وجهتها، لم يمضي وقتاً طويلاً حتى وصلت شهد إلى المستشفى، توجهت فوراً إلى غرفة ماريا وطرقت على الباب ليسمح لها بالدخول وتدخل عليهم، وجدت الجميع جالس برفقة ماريا ومن بينهم آسر، ابتسمت شهد بدورها وتقدمت من

ماريا التي اتسعت ابتسامتها عندما رأت شهد واحتضنتها بخفة وألقت التحية على الجميع، بينما يوسف كان يتابعها بنظراته ويهيم بها عشقاً، نظرت شهد بطرف عينها لآسر وجدت بأن وجهه شاحب وينظر بجمود وبرود إلى اللاشيء، تنهدت بقوة وابتسمت بوجه ماريا لتحدثها:

"كيف حالكِ اليوم ياجميلة"

تحدثت ماريا بدرامية:

"أووه أووه كم هذا جميل يا إلهي سيغمى علي"

ضحك الجميع على جملتها عدا آسر الذي كان يتابع كل شيء ببروده المعهود لتقول شهد:

"ألم تعقلي بعد"

ضحكت ماريا لتقول:

"لا وبالمناسبة أنا أصبحت جيدة جداً وسأخرج من المستشفى بعد ثلاثة أيام"

همهمت شهد بابتسامة لتقول:

"مم هذا جيد"

حركت ماريا رأسها موافقة بابتسامة لتعقد حاجبيها من بعدها لتقول بنبرة حزينة:

"أنا حزينة شهدي"

ضحكت شهد عليها وقد فهمت مايجول بخاطرها لتخرج من حقيبتها كيس مليء بأنواع الشوكولا وتقدمه لماريا لتقول:

"لم أنساكِ جميلتي، أعلم بأنكِ قد أكلتي جميع الشوكولا التي جلبتها لكِ منذ يومان، أليس كذلك يابقرتي الصغيرة"

ضحكت ماريا بخجل ليضحك الجميع عليهما بينما آسر اكتفى بابتسامة حزينة، تحدثت ماريا:

"في الواقع كنت سأقول لكِ أين الشوكولا ولكن أريد أن أسألكِ عن آسيل أين هي؟ ألم تقل لي بأنها ستأتي مرة ثانية إلي"

مثلت شهد الحزن أمامهم وها قد حان دورها بأن تبدي لهم براعتها في التمثيل لتقول:

"أجل ماري ولكن آسيل متعبة جداً ولم تستطع المجيء لا أعلم ما الذي حدث معها ولكن تبعث لكِ سلام كبير واعتذار أيضاً كونها لم تستطيع المجيء"

انتبه آسر إلى حديث شهد ورفع نظره لها وبدأ قلبه يطرق بعنف، بينما ماريا عقدت حاجبيها بحزن لتقول:

"مسكينة آسيل، ما بها؟ ما الذي حدث معها"

تنهدت شهد وتحدثت:

"لا أعلم ولكنني ذهبت إليها البارحة وقضيت الليلة عندها بناء على طلبها، كانت متعبة جداً وكانت تبكي من اللاشيء لم تقل لي شيئاً أبداً"

تحدثت رنيم بحزن:

"يا إلهي مسكينة هذه الفتاة يجب أن نقوم بزيارتها"

همهمت شهد وحركت ماريا رأسها موافقة، بينما آسر كان يتابع الحديث ويكاد يموت من شدة قلقه على محبوبته، هو لا يريد أن يحدث لها شيئاً بسببه، ولكن هي من عاندت وهي من تجاهلته، شعر بأنه سيعود بكلامه ويرجعها إليه ولكنه حدث نفسه بأن هذا الشيء الصحيح ولن يريها وجهه بعد الآن، وهذا سيكون الأنسب لها وله، ستعاني بأول فترة ومن بعدها تنساه، بينما هو يعلم أنه لن يستطيع نسيانها وإخراجها من قلبه ولكنه يستطيع أن يتحمل ويكابر قليلاً، تنهد بحدة وهدوء، بينما يوسف نظر لآسر فوجده سارح بخياله وملامحه تدل على الحزن وهنا قد فهم بأنه حدث شيء بينه وبين آسيل لذلك هو بهذه الحالة، لم يرد أن يضغط عليه وقرر أن لا يفتح معه الموضوع أبداً، سيفعل كما يفعل بالعادة وينتظره حتى يأتي هو إليه ويحدثه بجميع أوجاعه كما يفعل هو.

مر شهران على الأحداث

آسيل تعيش حياتها بشكل طبيعي ولكن لا يمنع من أنها تفكر به كثيراً، حزينة ببعده عنها، تكاد تجن من هجره لها، كما أنها حاولت كثيراً مهاتفته ومراسلته ولكنه كان دوماً يتجاهلها، إلى أن طفح الكيل معها وملت من المحاولة وقررت تجاهله مثلما يفعل هو، لم تعلم عنه شيئاً أو تراه منذ ذلك اليوم وهذا ما جعلها تفقد الأمل منه نوعاً ما.

بينما آسر يصارع نفسه كل يوم من أجل أن يخرج ببروده وجموده المعتاد مخفي جميع آلامه وأوجاعه عن جميع العالم، أصبح بارد أكثر من ذي قبل، يهتم بعمله فقط ولا يجتمع مع أحد، حتى يوسف لا يجلس معه إلا قليلاً ولا يجلس مع الشبان فقط يكتفي بمهاتفتهم كل عدة أيام، لم يخرجها من عقله ومن قلبه أبداً، لم يمنع نفسه من التفكير بها، يشتاق لها ويحن لها كل ليلة ولكن يرى بأن ذلك أنسب حل لهما هما الاثنان، يتابع أخبارها من ذلك الحارس الذي يقوم بمراقبتها دائماً، يشعر بأنه سيفقد حصونه ويذهب إليها طالباً العفو والغفران ولكن يعود للوراء فور تذكره آخر لقاء بينهما والوعد الذي قطعة على نفسه، كما أنه كان يتابع قضية وائل وحاول جاهداً بأن يخفف حكمه وقد أقيمت محاكمته وحكم عليه بالسجن سبع سنوات مع الأشغال الشاقة.

يوسف يعيش حياته أيضاًبشكل طبيعي برفقة ماريا التي خرجت من المستشفى وتحسنت حالتها الصحية كثيراً، مازالت تعاني من بعض الأوجاع برأسها ولكن تواظب على أخذ الدواء تحت اهتمام يوسف بها، كما أنها قد فكت التجبير من يدها، كما أن يوسف لا ينفك عن التفكير بشهد وهو يصارع نفسه من التهور وفعل أي شيء خاطئ قد يخيفها منه كلما رآها، يفكر بأن يفاتحها بموضوع الخطوبة والاعتراف بحبه لها ولكن حالة آسر وبروده تجعله مكبل الأيدي، إضافة إلى أن يوسف مازال يشعر بالغيرة تجاه أخته من باسل الذي لا ينفك عن عشقه لها وهيامه بها.

بينما شهد تظل بجانب آسيل وتجلس بجانبها طوال الوقت ولا تتركها أبداً كي لا تترك لها مجال للحزن والبكاء، ثم أنهما قد بدأتا بتقديم الامتحانات لكي يترفعا للمرحلة الأخرى من السنة القادمة وهي سنتهما الثالثة، وها قد خرجت النتائج وترفعت كل من آسيل وشهد للسنة الثالثة بينما رنيم وماريا قد ترفعتا للسنة الرابعة ويفكرن الفتيات بأن يقيمن حفل بمناسبة نجاحهن.

بينما ليث ورنيم يعيشان حياة كوميدية، لا ينفكان عن المشاجرات والمشاكل فيما بينهما، يفكر ملياً بأن يطلبها للزواج ولكن ينتظر ماريا إلى أن تتفرغ له حالما تتعافى بشكل كامل.

هشام وسمية يعيشان حياتهما بحب وسعادة غامرة ولكن هناك شيء يقلقهما بشأن ابنتهما التي تسرح طوال الوقت وتظل شاردة، لا يعلمان ما الذي أصابها وكيف لهما بأن يرضونها، كما أن سمية تعتني كثيراً بغيث ومرام وقد كانت لهما بالفعل الحضن الدافئ والحنون وهذا مازاد من سعادة هشام وشعوره بأنه يملك الدنيا لإنه يملك امرأة كـ سمية.

في مكان عام

تجلس الفتيات الأربعة يتحدثن ويمرحن ويضحكن، بينما هن يتفقن على إقامة ذلك الحفل، تحدثت ماريا:

"حسناً يافتيات الحفل سيكون غدً اتفقنا"

همهمت كل من شهد وآسيل ورنيم لتتحدث شهد بحماس:

"سنرقص ونجن ونمرح ونضحك يهووو"

ضحكت الفتيات لتقول ماريا:

"أجل سنفعل كل شيء ولكن سندعوا الجميع للحفل إضافة إلى وجود الشبان"

بدأ قلب آسيل يطرق بعنف عندما سمعت جملتها وقد تأكدت بأنه سيحضر للحفل وستراه، حاولت أن تبدو طبيعية وابتلعت ريقها لتخرج الفتيات كل منها إلى وجهتها متفقن على كل شيء.

في اليوم التالي

تجهزت الفتيات للحفل وقد كان حفل صاخب، كل من له معرفة بالفتيات قد أتى، وقد أقيم الحفل في منزل آسيل تحت إصرار والدها على هذا الشيء إضافة إلى أنه قد تكفل بجميع مصاريف الحفل بنفسه ولم يستطيع أحد أن يعارضه.

بينما آسيل تقف أمام مرآتها تبتسم ببلاهة لإنها ستراه ولكنها ليست متأكدة من قدومه، تنهدت بقوة ونظرت لنفسها في المرآة وابتسمت برضى على شكلها، فقد كانت ترتدي فستان باللون الوردي وعليه حزام فضي، كما أنها صففت شعرها وجعلته منسدل على ظهرها مع تمويجة محببة تخطف الأنظار، كذلك مساحيق التجميل لم يكن مبالغ فيه فقد كانت تضع القليل من أحمر الشفاه الوردي والقليل من الكحل لترسم عيناها باحترافية، كانت بكامل أناقتها ورقتها، بسيطة لدرجة أنها تخطف الأنظار وتأخذ الأضواء من جميع الفتيات، أخذت نفس عميق لتهبط على الدرج وهي تصدر صوت بكعبها العالي، توجهت لحديقة المنزل، لإن الحفلة أقيمت بحديقة المنزل الخارجية الواسعة، تمشي بثقة غير مبالية لأحد ولا لنظرات الإعجاب التي تصدر من المدعوين، اقتربت من شهد وماريا ورنيم اللاتي نظرن لها بإعجاب وابتسامة لتلقي التحية عليهن وتقف بجانبهن.

كانت الفتيات بكامل أناقتهن ولو تحدثنا عن جمالهن فلن نعطيهن حقهن بالكامل، فقد كانت ماريا ترتدي فستان أحمر اللون يصل لركبتيها مع حزامها الأسود وحذائها الكعب العالي الأسود.

بينما رنيم كانت ترتدي فستان فضي اللون مرصع بأحجار اللولو من فوق ومن تحت أسود اللون يصل لفخذيها، أما شهد فقد كانت رائعة بكل معنى الكلمة بفستانها الناعم ذو اللون الأسود الذي يصل إلى فوق ركبتها بإنش صغير، لم يبالغن في اللبس أو المساحيق كان ببرائتهن المعهودة وجمالهن الطبيعي الذي يخطف الأنظار، وإلى حد الآن لم يظهر أحداً من الشبان.

ظلت آسيل تجول بنظرها بالمكان عل وعسى تجده ولكنه لم يظهر بعد، تنهدت بقلة حيلة وقليل من الحزن عندما رأت يوسف وليث وباسل يدخلون بوسامتهم المعهودة ولكنهم كانوا من دونه، شعرت بوخز في قلبها عندما لم تراه، اقترب الشبان من الفتيات ليذهلون بجمال الفتيات وكل منهم يسرح بمحبوبته التي تظهر كل واحدة منهم بإطلال مميز، أدمعت عيناها عندما لم تجده قد أتى، تمالكت نفسها حتى لا تبكي وتخرب الحفل، أخذت نفس عميق وحاولت أن تهدأ من روعها، وقفت وحيدة تراقب الجميع بصمت، كانت تكسو ملامحها الحزن واليأس، التفتت بنظرها إلى بوابة المنزل لترى شاباً يتقدم للداخل بوسامته وملابسه الأنيقة، ينظر لكل من في الحفل ببرود وجمود عكس النيران التي تشتعل بفؤاده إذا حدث ولم يقابل محبوبته التي نازع لأجلها وحاول جاهداً بأن

لا يأتي للحفل كي يراها ولكنه لم يستطع المكابرة وجلبه قلبه إلى مكان محبوبته الصغيرة، توسعت عيناها عندما رأته يتقدم للداخل، ابتلعت ريقها بتوتر وبدأت ضربات قلبها تتعالى أكثر فأكثر، كان يمشي ويبحث عنها بناظريه لتقع عيناه عليها وهي تنظر له بأعين متوسعة، ازدادت ضربات قلبه العنيفة، تهلهلت أساريره عندما رآها، كان يحدث نفسه أيذهب لها أم لا؟ فلم يشعر إلا وهو يتقدم إليها دون وعي، نظرت له وهو يتقدم لها ومازالت على صدمتها ليتوقف الزمن من حولها عندما رأته يقف أمامها بملامح جامدة ومشاعر مختلطة، لم تشعر بنفسها إلا وهي تنطق اسمه بصدمة لتقول:

"آسر"

" في حضرةِ الغياب

سيدري العابِرونَ إلى قلوبِنا

كيفَ هوَ الجفاءُ

وكيفَ سيفقدُ اللقاءُ رونقهُ

بعدَ كُلِ هذا الانتظارِ "

لفظت اسمه من بين شفتيها وكم كان متلهف لسماع ذلك الصوت الرقيق، ظلت تنظر لرجولته وهيئته الطاغية، تحدق به بكل اشتياق ومزيج من الصدمة، توقفت الدنيا من حولها ولم تعد تشعر بشيء غيره، بينما هو ينظر لها بجمود يخفي عشقه وهيامه بها، نظر لها مطولاً لهيئتها ولفستانها ليشتم جميع من في الحفل فقط لإنهم رأوها جميلة، هو لا يريد أن يراها أحد جميلة غيره، تمنى لو أن يستطيع أن يأخذها ويذهب بها بعيداً لعالمهما الخاص المغلف بعشقهما وجنونهما، قرر أن يكسر الصمت ليتحدث بتوتر حاول جاهداً أن يخفيه كي لا يضعف أمامها ولكنه فشل:

"كيف حالكِ"

لم تتحدث فقط ظلت تنظر له وإلى أدق تفاصيله وحركة شفتيه، أردف لها بسخرية:

"ماذا؟ ألم تتذكريني أم أنكِ ستتجاهليني أيضاً"

لم تشعر بنفسها إلا وهي تقول:

"اشتقت لك"

ابتسم ونظر لها بحب وهيام لتتسع ابتسامته عندما رآها تبتسم له وتنظر له بحب بالغ، ولكن تلاشت ابتسامته شيئاً فشيئاً عندما تذكر وعده لها، نظر لفستانها بحاجبين معقودين ويقول بلهجة آمرة:

"غيري فستانكِ إنه فاضح"

قلبت عيناها بملل، هاقد بدأ بالأوامر وعاد لغروره، لم تتحدث فقط ظلت صامتة بملامح منزعجة ليردف لها:

"اذهبي وغيري فستانكِ"

تحدثت بشيء من الغضب:

"لا لن أغيره، لم أقيم الحفل و أخرج بأبهى طلتي كي تأتي إلي وتأمرني بكل برود بأن أغير الفستان"

تنهد بحدة ووجد بأنه لا فائدة من الحديث معها، حرك رأسه موافقاً ووضع يده على ذقنه وهو يجول بناظريه على جميع من في الحفل، اقترب منها وأمسكها من معصمها ليسحبها خلفه لداخل المنزل ويصعد بها إلى غرفتها بعد أن أجبرها أن تقوم بدله عليها، دخل بها للغرفة وأغلق الباب خلفه وقد أحكم إغلاقه ومن ثم استدار لها بعينان غاضبتان ليقترب منها ويحاصرها بين يديه في زاوية الحائط، بينما هي كانت خائفة جداً من أنه قد رآهم أحداً وهو يتجه بها إلى الغرفة، شعرت به وهو يقترب منها ولم يفصل بينهما سوى بضع إنشات لدرجة أنها شعرت بأنفاسه الحارة تلفح وجهها، نظرت له لترى نظرة الرغبة بعينيه، فزعت منه وحاولت التملص منه ولكن إستحالة، تحدث آسر بهدوء:

"غيري اللعنة التي ترتدينها وإلا سأغيره لكِ بنفسي"

جحظت عيناها بقوة لتقول:

"اا أخرج من هنا أرجوك محتمل أن يأتي أحداً من والداي الآن"

ابتسم بسخرية ليقول بتحدي وبرود:

"وإن كان؟ لا يهم فليأتيان"

تحدثت بتوسل:

"أرجوك اذهب هيا"

تنهد بقوة ليقول:

"لا تغيري الموضوع وغيري فستانكِ هيا"

كزت على أسنانها لتتحدث بغيظ:

"وما شأنك أنت ها"

رفع يده ليتحسس وجنتها ومن ثم يقول:

"غيري الفستان آسيل وإلا ستصبحين من دونه بعد قليل"

ابتلعت ريقها بتوتر ولم تجبه، ليشرد هو بملامحها التي تجعله يجن، لا يعلم أين ومتى وكيف وقع بحبها، كل مايعلمه هو أنه يعشقها حد الهوس، يريدها له ويريد قربها، لعن نفسه ولعن الوعد الذي قطعه عليها، لم يعد يريد ذلك الوعد، لن يكمله سيعيدها له ويهيم بها، كما أنه يرى الحب بعينيها تجاهه، أسند جبينه على جبينها ليتحدث بغير وعي ونبرة هادئة ومتهدجة:

"حباً بالله ما الذي تفعلينه بي؟ لما لا أستطيع أن أبتعد عنكِ؟ قولي لي كيف أحظى بالرضى منكِ لأفعل المستحيل، لا أريد شيئاً سواكِ، قلبي لا يعلم غيركِ، يحبكِ بجميع حالاتكِ، كنت أموت وأتعذب كل يوم ببعدكِ عني، لعنت نفسي ولعنت ذاك الوعد الذي وعدتكِ إياه، لم أعد قادر على هذا الجفاء يا آسيل، أرجوكِ لا تعذبيني حبيبتي، أنا أريدكِ أنتِ فقط، والآن ياروح آسر وقلبه غيري هذا الفستان قبل أن أقلب هذا الحفل لعزاء وأتصرف تصرف غير لائق"

كانت تستمع له مستمتعة بحديثه الذي يجعلها تطير من السعادة، ولكن كلمتة الأخيرة جعلتها تبتسم ابتسامة صغيرة، حركت رأسها موافقة وتحدثت:

"حسناً سأغيره"

ابتسم من عيناه ليقول:

"اشتقت لكِ"

اتسعت ابتسامتها عندما سمعت هذه الكلمة ليقترب منها هو ويلتقط شفتيها برغبة وحب، بينما هي كانت تبادله وتهيم به عشقاً، ظلا على حالهما مدة ليست بطويلة ليبتعد عنها ويستند جبينه بجبينها ويحدثها بأنفاس لاهثة:

"أحبكِ"

ابتسمت بخجل ولم تنظر لعيناه لتقول:

"وأنا أيضاً"

ظل يحدق بها مطولاً وهو يسأل نفسه كيف له أن يضعف أمامها هكذا؟ هو أصلاً ًلا يفكر عندما يكون بجانبها، نظرت له نظرة ترجي لينزل إلى الأسفل تاركاً إياها بقلب ينبض بجنون من السعادة والفرح، بدلت فستانها لتلبس فستان باللون الاسود وقد كان له أكمام يصل لتحت الركبة بقليل، هبطت للأسفل لتراه واقفاً ًمع الشبان والفتيات، بينما هو نظر لها وقد شتم ولعن تحت أنفاسه لإنها تخطف الأنظار كيفما بدت، اقتربت منهم وقد تعجب الجميع من تبديلها لفستانها ولكنهم لم يعلقوا، ظل آسر ينظر لها دون أن يتفوه بحرف بينما هي تجول بنظرها بأنحاء المكان، كان الجو مليء بالرقص والمرح والسعادة، لم يتركوا شيئاً إلا وفعلوه، كانت أمسية جميلة وحفلة رائعة، وقد قضوا أجمل الأوقات، كذلك آسر الذي تحسنت نفسيته من بعد ما رأى آسيل فقد شعر بالسعادة تغمره، وها هما الآن يرقصان مع بعضهما بجو مليء بالفرح، تغمرهما السعادة ولا يريان شيئاً ًغيرها.

انتهى الحفل على خير ليعود كل منه إلى منزله، بينما آسر ودع آسيل بقلبة صغيرة ورحل، لقد طرأ تحسن كبير بعلاقتهما وها قد حان الوقت كي يطلبها للزواج وكفى انتظاراً أيضاً.

صباح اليوم التالي استيقظت آسيل بكل نشاط وحيوية، فعلت روتينها اليومي وهبطت للأسفل كي تتناول فطورها مع عائلتها، كانت في غاية السعادة، وقد لاحظ والديها بأنها سعيدة جداً وهذا ما أفرحهما لأجلها، لم يعلمان ما الذي حدث معها ولكنهما اطمئنا عندما رأو تغير حالتها ومزاجها، استأذنت منهم لتصعد إلى غرفتها وتقوم بتبديل ثيابها لتتوجه إلى منزل شهد.

وبينما كانت تمشي في طريقها لصديقتها وقفت سيارة أمامها، نظرت باستغراب لترى آسر هبط من السيارة متوجه إليها بابتسامة واثقة، تفاجئت عندما رأته ولكنها فرحت جداً برؤيته ليقول إسر:

"أتريدين توصيلة أيتها الجميلة"

ضحكت بخجل لتقول:

"في الحقيقة لا يا سيد آسر فها أنا قد وصلت لمنزل صديقتي"

همهم آسر وحرك رأسه بإيجاب ليمسكها من رسغها ويشدها ويركبها السيارة تحت نظراتها المتعجبة منه، توجه بها إلى منزله وقد كان يحاول كسر الصمت بينهما ويسألها عدة أسئلة عادية وغير مهمة، وصلا للمنزل ومازالت متعجبة آسيل منه، دخلا للداخل وما إن دخلا حتى أمسك آسر بآسيل وشدها إليه محتضناً إياها بكل حب واشتياق، بينما هي تعجبت كثيراً منه ولكنها ما إن أصبحت بأحضانه حتى نسيت العالم بأكمله، تحدث بصوتٍ هادئ ومازال محتضنها:

"اشتقت لكِ"

فصلت العناق قليلاً لتتحدث بابتسامة:

"وأنا أيضاً"

ابتسم لها وتحسس وجنتها الطرية ليسرح بملامحها البريئة وابتسامتها الجميلة قائلاً بحب ومن دون أي مقدمات:

"هل تقبلين الزواج بي"

لم تصدق ما سمعته، فرحت جداً عندما سمعت هذه الجملة، ابتسمت بتوسع وحركت رأسها موافقة لتتسع ابتسامة آسر ويصرخ من سعادته، احتضنته بقوة وسعادة ولكنها تذكرت شيئاً مهماً لتتحدث بهدوء وشيء من التوتر:

"ماذا عن والداك آسر"

تلاشت ابتسامته تدريجياً عندما سمعها لتعود إليه ملامح الجمود، ابتعد عنها وخطى خطوتان ليتنهد ويقول:

"انسي أمرهما، لا أريدهما في حياتي أبداً، سنعيش وحدنا أنا وأنتِ فقط"

عقدت حاجبيها بحزن لتقول:

"لماذا تقسو عليهما؟ أجل هما أخطئا في حقك ولكن يجب عليك المسامحة"

زفر يحنق ليتحدث بجمود:

"قلت لكِ أنسي أمرهما، لا شأن لكِ بهذا الموضوع"

حاولت أن تجعل الأجواء هادئة لتحدثه بابتسامة وهدوء:

"ألم تشتاق لهما؟ هما والداك يا آسر غير ذلك كيف تطلب مني أن لا أتدخل وأنا سأصبح جزءاً منك وزوجتك أيضاً"

تحدث آسر بنفاذ صبر:

"آسيل هذا الموضوع يجعلني أشعر بالضيق، لن أسامح ولن أراهما أبداً، حتى أنني لا أريدهما في حياتي ولن أعرفهما على أولادي في المستقبل"

عقدت حاجبيها بقليل من الانزعاج لتقول:

"ولكن هذا الشيء خاطئ، أنت تظلمهما هكذا"

تحدث آسر بشيء من الصراخ والغضب:

"أجل أظلمهما وهما لم يظلماني أليس كذلك؟ آسيل انسي عن هذا الموضوع نهائياً وهذا سيكون جيد لكِ"

احتدت ملامحها قليلاً لتقول:

"لا لن أنسى هذا الموضوع ويجب عليك أن تسامحهما وكل هذا لأجل مصلحتك أيضاً"

صرخ بها ليقول:

"آسيل اصمتي ولا تتحدثي معي هكذا، لست أنا الذي يطيع أوامر أحد هل تفهمين"

زفرت بحنق وامتعضت على طريقة تفكيره لتقول:

"أنا لا أفهمك ولا أعلم لما أنت بهذا التفكير، حتى وإن أخطئا بحقك يجب عليك أن تسامحهما"

نفذ صبره ولم يعد يحتمل حديثها بهذا الموضوع ليقترب منها ويمسكها من معصمها ويقول:

"أسمعيني جيداً، أنا أمشي على الجانب الذي يعجبني هل تفهمين؟ أنتِ لا شأن لكِ بهذا الموضوع وأغلقي فمكِ هذا هل تسمعين"

لم يعجبها رده، نترت يدها من يده لتتحدث بحدة:

"ليس كل شيء يأتي على مزاجك يا سيد آسر، ثم أنني لا أحدثك بشأن أحد غريب، هما والداك ويجب عليك المسامحة لأجلك ولأجل والدك المريض، لقد حدثتني ماريا بكل شيء وحدثتني عن قسوتك تجاههما، لما كل هذا ها أجبني هيا"

احتدت ملامحه ليتحدث بشيء من الحدة والسخرية:

"ومن أنتِ حتى تحكمين على قساوتي وأنتِ لم تتذوقي ربعها فقط ها؟ لا تشغلين عقلكِ الصغير بأموري الخاصة هل تفهمين"

ابتسمت بسخرية لتقول:

"حسناً وأنا لن أكون لك حتى تسامحهما وأرني ما لديك"

صدم من جملتها وهبط قلبه ولكنه ظل على حدته ليتحدث:

"هل تتحدينني آسيل؟ هل ترينني لعبة بين يديكِ؟ في المرة السابقة قلتي لي بأنني كاذب ولا تريدنني والآن تقولي بأنكِ لن تكوني لي إلا عندما أسامح والداي؟ هل أصبحت مسألة تعجيز أم ماذا، لا تتهربي مني، إذا كنتي لا تريدنني فـ بإمكانكِ أن تقولين وانتهينا"

بدأت طرقات قلبها تزداد لتتحدث بهدوء وجمود:

"أنا لا أتهرب منك، ثم أنني لو كنت أتهرب لما كنت نظرت لوجهك البارحة، ولكن أنا أخيرك إما أنا ووالداك أو لا أحد"

صعق من ردها ليبتسم بشر ويقول:

"حسناً، وأنا لا أريد المسامحة فلتفعلي ما يحلو لكِ وللجحيم السابع"

أدمعت عيناها لتقول:

"هل أعتبر من جوابك بأنك لا تريدني"

تحدث بجمود:

"أنتِ التي وضعتي خيارات في موضوعنا لذا تحملي العواقب آسيل، افعلي ما تشائين لن أمنعكِ"

ابتسمت بسخرية وهبطت دموعها لتتحدث:

"حسناً آسر ولكن هذه المرة سأخرج من حياتك للأبد"

نظر لها مطولاً وازدادت وتيرة أنفاسه وطرقات قلبه العنيفة ليتحدث بصراخ:

"حباً بالله ما الذي تريدينه؟ لما تفعلي هذا وتعذبيني وتعذبي نفسكِ بهذا الشكل ها؟ أنا حقاً لا أفهمكِ، ماذا تريدين بالتحديد؟ أتهوين تعذيبي أنتِ أم ماذا؟ حسناً كما تشائين اذهبي للأبد لم أعد أبالي بكِ فقد تعبت حقاً"

ازداد بكائها لتتحدث ببكاء:

"حسناً سأذهب ولكن صدقني أنني أحبك وكنت أحدثك بكل هذا لأجلك ولكن أنت من اخترت بعدي هذه المرة ولست أنا لذا لن تراني بعد الآن، سأسافر بعيداً ولن أعود أبداً"

ابتلع ريقه ونظر لها ببرود، ما إن ذهبت حتى بدأت نوبة جنونه وغضبه، ستذهب بعيداً عنه ولكن دون رجعة، ستبتعد ولن تبالي لأي شيء، كما أنها قد سئمت من تفكيره وغروره كحاله هو الذي سئم من كبريائها وتقلب مزاجها، اتجهت إلى منزلها حاسمة أمرها وعازمة على السفر دون رجعة.

بينما من الجهة الأخرى يجلس بتوتر بالغ، يهز بقدمه ويقضم أظافره بتوتر، لم يتحدث ولم يصدر أية حركة فقط يكتفي بالتحديق باللاشيء وجو التوتر يسوده، تنهد بقوة والتفت ليرى والد شهد يتقدم منه لاستقباله، نهض ليلقي التحية عليه مع ابتسامة توتر، جلس أمامه والد شهد ليقول:

"أهلاً بك حضرة الضابط يوسف"

ابتسم بتكلف ليقول:

"أهلاً بك ياعم، كيف حالك"

تحدث سليم والد شهد:

"بخير وبأحسن حال"

حرك يوسف رأسه موافقاً ليقول:

"وكيف حال شهد والخالة هدى"

ابتسم سليم ليقول:

"بأحسن حال الحمد لله"

ابتسم يوسف وظل صامتاً بينما دخلت عليهما هدى وألقت التحية على يوسف بابتسامة واسعة وانضمت لهما بالجلوس، وهذا مازاد من توتر يوسف، ولم يعلم كيف سيطلب طلبه من والد شهد، بينما سليم عقد حاجبيه باستغراب من حالة يوسف وقد اتضح له بأنه متوتر جداً، حمحم سليم ليقول:

"ما بك حضرة الضابط؟ لما يبدو عليك التوتر"

بلل يوسف شفتيه ليتحدث بتوتر:

"اا أنا أريد أن أتحدث مع شهد، أقصد يعني أريد أن أطلب منك شيئاً"

همهم سليم ليقول:

"حسناً سننادي على شهد ولكن ماهو طلبك"

ابتلع يوسف ريقه ليتحدث بتوتر:

"أا أنا أريد، أقصد أريد يعني أن .."

صمت وابتلع ريقه ولم يكمل ليتنهد بقوة وهو يهز قدمه بتوتر، شجع نفسه ليقول بسرعة:

"أريد أن أتزوج شهد"

جحظت عينان هدى ولم تصدق ماسمعت ولكنها فرحت جداً بطلبه، بينما سليم ابتسم وتحدث بهدوء:

"حضرة الضابط أنا ليس لدي مانع أبداً"

ابتسم يوسف بتوسع ليردف له سليم:

"ولكن أنت تعلم باللذي حدث مع شهد وأنا لا أعلم بردة فعلها ورأيها في هذا الموضوع بصراحة"

حك يوسف مؤخرة رأسه ليقول:

"عمي أنا أريدها لأنني أحبها، أريد أن أقف بجانبها، لا يهمني الماضي وإذا كانت شهد تعرضت للاغتصاب من قبل فهذا لا يعني بأنها أصبحت منحلة أو غير قابلة للزواج ولتكوين عائلة، فأنا أريدها لأنها فعلاً هي مميزة بالنسبة لي ولا أريد غيرها"

ابتسم سليم بتكلف، هو ليس لديه مانع بيوسف أبداً ولكنه خائف على شهد كثيراً ًخصوصاً بعد ما حدث معها ولكنه قد أعجبته إجابة يوسف، نظر له يوسف وكأنه قرأ من عيناه مايجول بخاطره ليردف له:

"صدقني ياعم وثق بي تماماً بأنني لن أؤذيها أو أجرحها أبداً، سأكون رجلها وسندها في هذه الحياة ولن أذكرها بالماضي أبداً لإنني أنا بالأساس قد نسيته"

ابتسم له سليم وحرك رأسه موافقاً ليقول:

"حسناً يا يوسف ولكن يجب عليك أن تقنعها لإنني أعلم بأنها لن توافق"

حرك يوسف رأسه موافقاً بابتسامة لينهض سليم وينده على شهد، لم يمر وقت طويل حتى دخلت شهد عليهم، ألقت التحية على يوسف وجلست بجانب والدتها، نظر لها يوسف وابتسم لها وبادلته الابتسامة، حمحم سليم ليقول:

"شهد حبيبتي، يوسف يريد أن يتحدث إليكِ بموضوع مهم، سأذهب أنا ووالدتكِ للغرفة، تحدثا بهدوء"

نظرت له شهد بحاجبين معقودين لينهض كل من سليم وهدى للغرفة الثانية، بينما شهد توترت قليلاً كونها تجلس مع يوسف بمفردها، حمحم يوسف وسألها عدة أسئلة عادية كي يكسر الصمت قليلاً، ابتلع ريقه من بعدها ليقول:

"شهد الموضوع الذي أريدكِ به هو أنني ."

صمت يوسف ولم يكمل، عقدت حاجبيها باستغراب لتقول:

"أنك ماذا حضرة الضابط، تحدث ما بك"

ابتلع ريقه ليقول:

"اسمي يوسف يا شهد، ألم نتفق من قبل"

ابتسمت بتوتر لتحرك رأسها موافقة بينما أردف لها:

"شهد اسمعيني جيداً، أنا بصراحة أريد أن أحدثكِ بشيءٍ مهم، منذ أول لقاء بيننا وأنا أفكر بكِ ليلاً ونهاراً، أحسست بأنكِ مسؤولة مني ويجب علي مراعاتكِ والحرص عليكِ جيداً، ومع الوقت تعلقت بكِ وأحببتكِ من كل قلبي"

صمت قليلاً ليبلل شفتيه ويردف لها:

"صدقيني أنا أحبكِ كثيراً وأريدكِ أن تكوني زوجةً لي، أنا لن أكذب عليكِ بشيء، لقد كان لدي علاقات كثيرة مع النساء ولكن أقسم لكِ بأنني لم أعد أواعد أية امرأة منذ أن التقيت بكِ ومن قبلها بالأصح، لقد أحببتكِ كثيراً، أنتِ الفتاة الوحيدة التي دخلت قلبي، ولا تظني بأنني أريدك لشفقة أو أي شيء من هذا القبيل، أقسم لكِ بأنني أريدكِ بكل جوارحي ولقد نسيت الماضي لذلك لا تظني هكذا أبداً، والآن هل تقبلين الزواج بي"

ألجمت الصدمة عليها ولم تعد تستطيع النطق حتى، شلت حركتها بكل معنى الكلمة، هي لم تكن تفكر بهذا الموضوع بتاتاً، لا تنكر بأنها متعلقة به وولدت نقطة حب بداخلها تجاهه، ولكن لا تستطيع أن تكون له، فهي ليست مكتملة بالنسبة لها وبرأيها، تظن بأنها ناقصة ولا تستطيع الزواج، لا تصدق أي أحد بحبه ولن تستطيع تصديق ذلك، فعلاً هي تظن بأن يوسف يشفق عليها ويريد الزواج منها فقط من أجل السترة ومن بعدها سيتخلى عنها لا محال، ولكنها لمحت الصدق بكلماته، هي لا تريد أن تجرح قلبه وبنفس الوقت لا تريد أن تنجرح هي أيضاً، بينما يوسف كان يتابع صدمتها، يريد أن يعلم ردة فعلها، ولكنه انتظر كثيراً ولم يرى منها أي ردة فعل وهذا مازاد من قلقه، ابتلع ريقه ليقول:

"شهد صدقيني بأنني أحبكِ كثيراً وأريدكِ زوجةً لي، لن أجد مثلكِ ولن ألتقي بمثلكِ لذا لا تظلميني وترفضين طلبي"

ابتلعت ريقها وبللت شفتيها وهي تنظر للاشيء، تحولت نظرتها لنظرة حنق لتقول بجمود:

"طلبك مرفوض حضرة الضابط"

عقد حاجبيه بحزن وبدأ قلبه يقرع كالطبول ليتحدث بشيء من الخوف:

"اسمعيني أرجوكِ، أنا أحبكِ وأعلم ما الذي يجول بخاطركِ، صدقيني بأنني سأظل سندكِ بهذه الحياة ولن ترين مني أي شيء مزعج، سترين الحب والحنان فقط ياشهد"

ما إن سمعت هذا الكلام حتى هبطت دموعها على وجنتها، صدقته وصدقت مشاعره بالفعل، كونه علم بجوارحها وبـ الذي يجول بعقلها، ولكنها مع ذلك لن تظلمه معها ولن تقبل به، لإنها لا تريده أن يظلم معها، علمت بأنه لن يؤذيها أو يجرحها ولكن هي ستجرحه بخوفها من لمسته وخوفها من الماضي أيضاً، بينما هو عندما رأى دموعها لم يعد يعلم كيف سيتصرف، أصابه التوتر، يريد أن يطبطب عليها ويواسيها ولكن خائف من صدها ومن خوفها أيضاً، مسحت شهد دموعها لتتحدث بانكسار:

"صدقني لن ينفع هذا، أنا لا أناسبك، أنت لا ذنب لك بأن تقضي حياتك مع فتاة مثلي"

عقد حاجبيه بحزن ليتحدث بسرعة:

"لا لا ياشهد لا تقولي ذلك، أنتِ فتاة جيدة وجميلة وأنا أريدكِ لي، صدقيني أنا لا أفكر بهذه الطريقة التي تفكرين بها"

تحدثت بجمود:

"أجل أعلم ولكن مع ذلك أنت لن تتحمل عقدتي وخوفي من أي شيء، لن تتحمل تصرفاتي وبكائي المفاجئ، لن تتحمل تقلب مزاجي واكتئابي، صدقني لن تتحمل لذا لن ينفع ارتباطنا أبداً"

تحدث بإصرار وصدق:

"صدقيني سأتحملكِ بكل حالاتكِ، لن تهوني علي أبداً يا شهد، أنا لا أريد جسدكِ أريد أن تبادليني الحب الذي في قلبي لكِ فقط، أنا على استعداد تام بأنني لن أقترب منكِ ولن ألمسكِ إلى أن تتقبلين الأمر أنتِ، سأساعدكِ وأساندكِ بكل شيء إلى أن تنفكي عن عقدتكِ، وبما أنكِ ستكونين بجانبي فلا داعي للخوف أبداً"

تسمع حديثه وتعلم بأنه صادق، ولكن حالتها النفسية تمنعها من موافقتها وارتباطها بأي أحد، عاجزة، منكسرة، كئيبة، لا تريد شيئاً سوى عودة الزمن للوراء ومقابلتها له بغير هذه الظروف، عندها ستكون محظوظة بالفعل عندما سترتبط بإنسان مثله، ابتلعت ريقها لتتحدث بجمود:

"أنا أرفض الفكرة، اعذرني"

نظر لها وابتسم بحزن ليقول:

"حسناً يا شهد، ولكن أريد أن أعلم شيئاً واحداً، هل تبادليني المشاعر نفسها؟ أقصد هل تحبينني مثل ما أحبكِ"

توترت جداً عندما سمعت بسؤاله، لن تنكر بأنها أحبته ولكنها أخفت هذا الشيء عن الجميع، حتى آسيل ذاتها لم تحدثها بذلك، قررت الاعتراف له، حتى وإن كانت سترفضه ولكنها ستعترف له، تريده أن يعلم بأنها أحبته أيضاً وبادلته المشاعر ولكنها لن تقبل به ولن تقبل بأي أحداً كان، تنهدت بقوة لتتحدث بتوتر:

"أا أجل أحبك وأبادلك المشاعر ولكنني لن أكون لك ولا تطلب مني هذا الشيء أرجوك"

ابتسم بسخرية وصمت، لا ينكر بأنه تهلهلت أساريره عندما علم بحبها له ولكنه حزين من أجل رفضها، ومع ذلك لن يشعر باليأس أبداً، كونها تبادله نفس المشاعر فهذا يعني بأنه سيظل لديه أمل، تنهد بحرقة ليتحدث بابتسامة حزينة:

"حسناً يا شهد كما تشائين، ولكن اعلمي جيداً بأنني لن أتركِكِ، سيظل عندي أمل بأن تكونين لي في يوم من الأيام، وبالمناسبة إذا لم تقبلي بي كـ شريك حياتكِ، فأريدكِ أن تقبلي بي كـ صديق لكِ ولكن مؤقتاً اتفقنا"

نظرت له بحزن وهبطت دموعها من جديد لتحرك رأسها باستسلام ويأس، بينما هو تنهد بقوة وعادت إليه ملامح الجمود، نهض من جانبها ليذهب ولكنه التفت فجأة إليها ونظر لها نظرة أخيرة بحزن لدرجة أنه أدمعت عيناه من رؤيتها وهي عاجزة، تنهد بحزن وتوجه إلى الخارج ليعود أدراجه إلى منزله مكسور الخاطر حزين من رفض محبوبته له.

من الجهة الأخرى وصلت آسيل إلى منزلها ودموعها على وجنتيها، تملكها اليأس والتعب، لم تعد تحتمل هذه الأوجاع، ستبتعد عن كل شيء موجع ومتعب، لا تريد شيء سوى راحة بالها وقلبها، حدثت والديها برغبتها بالسفر ولكنهما عارضاها على فكرتها بشدة ولكن مع إصرارها وافقا وسمحا لها بالذهاب، وعدتهما بأنها ستعود وكذبت عليهما ولكنها لن تعود إليهما أبداً إلا عندما تنتهي جميع أحزانها وتلتئم جراحها من محبوبها البارد والمغرور.

بينما آسر من بعد ذهاب آسيل لم يبدي أي ردة فعل سوى أنه بدأ بالشرب والتدخين، لم يعد يعلم كيف يتصرف أو كيف سيرضيها، هي تدخلت بشيء لا يعنيها، كان يحاول أن ينساهما ولا يحتك بهما ولكنها جاءت لتوقظ بقلبه جميع مشاعر الحنين والاشتياق إلى حضن والديه، ومع ذلك سيبقى على موقفة ويحاول أن يعود ليدفن مشاعره تجاه والديه وتجاهها هي أيضاً، ولكنه يعلم جيداً بأنه لن يستطيع نسيانها فهي من ملكت قلبه وتربعت على عرشه.

" أبداً لن تنساني

أبداً لن تنسى

أبدٌ مِنَ الندمِ ينتَظِرُكَ

مَن أضاعني مِن يدهِ

قضى وحيداً كـَ حِصانٌ

لا مربطَ بعدي لقلبِه "

" دُلني عَنْ قَلبِها

فإنَ شَوقي يُحرِقُ

وأنا المُتيمُ لـِ لقِاء

حتى جَفاها أعشقُ "

مضى سبعة أشهر على حياة أبطالنا

ولكنه طرأ تغيرات كثيرة بهذه الأشهر، فباسل قد اعترف بحبه لماريا وقد كانت هي مشاعرها تجاهه تفوق الحد، فهي حقاً أحبته وصدقت قلبه وحبه، لم تنكر بأنها أحبته وكذلك لقد ألجمت الصدمة عليها حين اعترف لها بحبه، كما أنها فرحت كثيراً باعترافه ولكن لم تنطق بحرف وهذا مازاد من خوف باسل، نهضت وتركته مكانه متخبط بمشاعره، خائف من رفضها، وخائف من قلبها إذا حدث ولم يتقبل هذا الحب، ولكن ماجعله يطير من سعادته وتحليقه في السماء هو اعترافها بحبها له الغير المباشر بعد عدة أيام من اعترافه لها، كانت رقيقة بكلماتها، ينبع اعترافها بإحساس صادق، الآن علم باسل ما هو طعم السعادة والفرح، لذا قد قررا بعد ثلاثة أشهر أن يقيمان حفل زفافهما، طبعاً بعد أن أخذا رأي يوسف وموافقته، وقد جاءت والدة باسل وطلبتها بشكلٍ رسمي وتمت الموافقة وحددوا موعد الزفاف بعد ثلاثة أشهر وهما في غاية سعادتهما وفرحتهما.

أيضاً قد تجرأ ليث واعترف بحبه وإخلاصه لرنيم، طبعاً تحت تشجيع ماريا له ومساعدتها شجع نفسه واعترف لها بحبه، لم تنكر هي بأنها فرحت جداً ولمست الصدق بكلماته، ولكنها أحبت بأن تلعب بأعصابه قليلاً لذا قد رفضت الفكرة أولاً، ولكن تحت تشجيع ماريا لـ ليث بأن لا يتخلى عنها وإصراره عليها وافقت واعترفت هي

أيضاً بمشاعرها تجاهه بكل صدق ومحبة، وقد كانت فرحته لا توصف حينما علم بمشاعرها الصادقة، وقد تقدم لها رسمياً وأيضاً تمت الموافقة، وتم تحديد موعد زفافهما بنفس اليوم الذي سيقام به حفل زفاف باسل وماريا.

بينما يوسف عندما علم بصدق مشاعر باسل لشقيقته وافق على الفور، هو لا يريد شيئاً من هذه الدنيا سوى سعادة شقيقته وراحتها، وكونها تحبه وتبادله المشاعر فليس لديه مانع أبداً بأن ترتبط شقيقته وتكون زوجة صديق طفولته، لا ينكر بأنه يشعر بالغيرة من باسل على شقيقته، ولكنه يخفي ذلك أمامهما ويحاول التحكم بأعصابه، هو أيضاً لا يريد أن يراها حزينة أو تخسر حب حياتها، يريدها سعيدة معه طوال عمرها، لا يريدها أن تجرب الخذلان وحرقة القلب من محبوبها لإنه هو قد جربه وذاق عذابه.

لا يكل ولا يمل عن تفكيره بشهد، يزداد حبه لها يوماً بعد يوم، منذ ذلك اليوم ورفضها له لم يعد يضايقها أو يشعرها بأي شيء، عندما يراها ينفجر قلبه من هيامه بها ولكنه يتحكم بأعصابه ويهدأ من روعه ويحاول التصرف معها بشكلٍ طبيعي، ومع كل مرة يحاول فيها يفشل لإنه يرتبك ويتوتر عندما ينظر لعيناها أو يحادثها، ومع كل ذلك لم يفقد الأمل بعد، سيظل يحاول معها إلى أن تقبل به وتكون له.

بينما شهد منذ ذلك اليوم مع يوسف ازداد حبها له ولفت نظرها بشكلٍ كبير، تعشق تفاصيله عندما يحادثها ويرتبك، تفكر في نفسها كيف لقلبها أن يحبه ويتعلق به وهي أصلاً كانت قد أقسمت على عدم محبتها لأحد أو تقربها من أحد، ولكن مع يوسف قد فعلت وأحبته، كانت تلتقي به نادراً عندما تأتي لماريا، لا تعلم بأنه يتعمد المكوث في المنزل كلما علم بأنها قادمة، يحترق قلبها ببعدها عنه وعجزها عن فعل أي شيء، أحبته وأحبت رجولته، كبر بعينها كثيراً عندما احترم رغبتها ولم يعد يفاتحها بموضوع الزواج، وهذا ماجعل قلبها يتمزق، نعم رفضته من أجله ومن أجل عدم ظلمها له، تظن نفسها بأنها ستقضي حياتها هكذا للأبد، كلما فكرت بأن يوسف سيتزوج من غيرها في يوم من الأيام تكاد تتمزق من داخلها وتأتيها رغبة كبيرة في البكاء، ومع ذلك وإلى حد الآن صامدة، قوية، بشخصية جامدة وواثقة، ألجمت الصدمة عليها وتعجبت كثيراً عندما علمت بسفر صديقتها دون حتى توديعها، حزنت كثيراً ببعدها لإنها دائماً ما تحتاجها، تتواصل معها وتحادثها كل فترة وقد علمت أيضاً ماهو سبب سفرها وأعطتها العذر، كما أن شهد قد حدثتها بشأن يوسف وهي من شجعتها وزادت من ثقة نفسها وقوتها وأخبرتها بعدم الاستسلام والمضي للأمام.

كحال الشبان والفتيات الذين صدموا جميعاً عندما علموا بموضوع سفر آسيل، عدا آسر الذي كان جامداً ولم يبدي أي ردة فعل لإنه يعلم بأنها ستفعل ذلك، قلبه يحترق لأجلها، نيران العشق توأد في قلبه، يشتاق لها، يحن لها ويعيش على ذكراها، في كل مرة تأتي سيرتها تلمع عيناه ويتنهد بحزن، فكر كثيراً بأن يسامح والديه فقط من أجل أن يسترجعها، ولكن لا، إذا لم يكن يريد المسامحة من قلبه فلن يستطيع استرجاعها، يعيش على أمل أن يلتقي بها يوماً، في كل ليلة يضع رأسه على الوسادة تأتي صورتها في مخيلته، ينظر لصورتها الموجودة عنده ويتأملها لساعات وساعات دون كلل أو ملل، يحترق من داخله ولا أحد يشعر به، لعن الحب آلاف المرات كونه وصل إلى تلك المرحلة بسببه، أصبح متعجرف، بارد، غاضب، غير مبالي أكثر من ذي قبل، ازداد سوءاً وازداد غضبه وأصبح الجميع يتجنبه خوفاً من غضبه، لا ينفك عن الشرب والتدخين، لم يعد يطيق حياته السوداء، ولم يعد يخالط أحد كثيراً، حتى يوسف قد بدأ يتجنبه وهذا مازاد من قلق يوسف عليه وقد علم بكل شيء حدث بينه وبين آسيل.

كان يفكر كثيراً بأن يميل لإحدى النساء ويخرج طاقته السلبية وعذابه بهن ولكن لم يستطع، حاول مراراً وتكراراً بأن يقترب من إحدى النساء التي تحوم حوله ولكنه مجرد تذكره لآسيل ينفر من المرأة ويبتعد عنها فوراً دون عودة، حاول كثيراً المضي في حياته وتكوين علاقات ولكنه عجز عن فعل ذلك، يريد أن ينساها بامرأة أخرى ولكن يعود لوعيه ويبتعد فوراً عندما يتذكرها ويؤنبه ضميره ويعاتب نفسه على طريقة تفكيره، هو لم يخنها بالجسد ولكنه خانها بالتفكير، وبعد عدة محاولات منه بالتفكير أيضاً لم يستطع أن يخرجها من عقله لحظة واحدة، يغضب من أبسط الأشياء ويفتعل المصائب فقط من أجل أن يفرغ شحنته السلبية.

بينما آسيل عندما سافرت إلى الإمارات كانت منهارة كلياً ونفسيتها متعبة بشكلٍ ملحوظ، أصبحت تائهة من بعده، حالها كحاله، لا تستطيع إخراجه من رأسها، ولم تستطع نسيان مافعله بها، ابتعدت عن كل شيء موجع وأوله هو فقط من أجل أن ترتاح، أيضاً ابتعدت عن الرسم فقط من أجل أن لا ترسمه لإنها تعلم جيداً حالما أمسكت الريشة والألوان سترسمه هو، لا ننكر بأنه قد طرأ تحسن عليها عندما ابتعدت قليلاً، مضت للأمام وأصبحت باردة ولم تعد تبالي بشيء، نعم تتذكره وتحن له وتشتاقه كل ليلة ولكن كبريائها لم يعد يجبرها على التنازل، ستنسى أو بالأصح ستتناسى فقط من أجل أن تعيش بسلام، هي تعلم بأنها لن تنساه ولكنها ستحاول، لقد مرت بصعوبات كثيرة هذه الفترة وتجاوزتها لذا ستتجاوزه هو أيضاً.

تجلس تلك الفتاة البريئة في غرفتها، ابتسامة بلهاء ترتسم على شفتيها، فرحة كبيرة تجتاحها لإنها تشعر بالحب والحنان تجاه حبيبها، كما أنها سعيدة جداً كونها ستتزوج منه في الأسبوع المقبل، دخل عليها أخيها مبتسم لتنهض وتنقض عليه معانقة إياه ويبادلها العناق، ابتعد يوسف عنها ليقول:

"عروستنا الجميلة كيف حالها"

ضحكت ماريا خجل لتقول:

"بخير وبأحسن حال"

همهم يوسف قائلاً:

"هل جهزتي كل حاجياتكِ"

حركت رأسها بابتسامة لتقول:

"أجل أعني تقريباً كدت أنتهي، سأنزل اليوم أنا ورنيم وشهدي للتسوق لكي نكمل الاحتياجات وكل شيء"

ما إن سمع اسم شهد حتى حرك رأسه وتنهد بقوة، نظرت له ماريا بحزن لتقول:

"مابك يوسف؟ أنا أسفة لقد ذكرتك بها"

ابتسم بحزن ليقول:

"أنا لم أنساها لكي تذكريني بها يامارياء أتمنى فقط أن تعلم بقوة مشاعري تجاهها وحبي لها وتكون لي"

ماريا:

"مازلت تحبها أليس كذلك؟ ولكنني أراك عندما تلتقي بها تعاملها بشكل عادي وبرسمية جداً"

تنهد بحزن ليقول:

"أجل لقد وعدتها بذلك ولكن سيظل لدي أمل وستكون لي في يوم من الأيام أنا متأكد"

حركت رأسها بابتسامة حزن لتغير الحديث وتخطي خطوتان وتفرد يداها لتتحدث بدرامية ومرح:

"احم احم والآن انظروا إلى البرنسس ماريا، حفل زفافها في الأسبوع المقبل، ستكون في غاية الأناقة والجمال، وطبعاً لا شيء جديد فهي دائماً تبدو بأبهى طلة لها، اها شكراً شكراً على التصفيق الحار أشكركم"

أنهت جملتها بتواضع لتصفق بمرح ومن بعدها تطلق تصفيرة عالية كالشبان، بينما يوسف يكاد يموت من شدة ضحكه على فعلتها هذه، فرحت كثيراً كونها استطاعت بأن تضحكه وتخرجه من هالة حزنه قليلاً، ابتسمت باتساع لتراه مازال يضحك عليها، أطلقت صرخة عالية وانقضت عليه لتبدأ مشاجراتهما التي لا تنتهي أبداً.

في منزل آسر

يمدد جسده على الأريكة بكل ارتياح، ينظر للاشيء ببرود وكأس النبيذ يرافقه أينما كان، يرتشف منه ببرود وجمود، مسك هاتفه ليفتح على صورتها ويتأملها، ينظر لأدق تفاصيلها، عيناها، شفتاها، وجهها، ابتسامتها التي يعشقها، تنهد بجمود ليأتيه الحارس ويلقي التحية ويقول:

"سيدي السيد جلال والسيدة أمينة قد أتيا"

رفع نظره له بصدمة ليقول:

"ما الذي جاء بهما؟ وأين هما"

تحدث العسكري بإيجاب:

"إنهما في الخارج سيدي، ينتظران سماحك لهما بالدخول"

احتدت ملامحه وزفر بقوة ليتحدث بغضب:

"أدخلهما"

حرك العسكري رأسه بإيجاب وخرج ليعتدل آسر بجلسته وينظر للاشيء بجمود، دخلا عليه لينظرا له بشوق كبير، هبطت دموع والدة آسر فوراً، بينما والده اكتفى بالتحديق به والنظر لهيئته ورجولته الطاغية، كم تغير عليه وكم كبر، شتم نفسه أفظع الشتائم لإنه تخلى عن ولده الوحيد، نظر له بحزن وانكسار لتهبط دموعه بعجز، بينما آسر لم يكلف نفسه حتى بالنظر لهما، ظل ينظر للاشيء بجمود وبرود، ولكن قلبه سينفجر من حنينه لهما، كما أنه يسمع شهقات والدته ونحيبها وبكائها وهذا مايزيد من حزنه عليها وحنينه لها، ابتلع ريقه بصعوبة لينهض بجمود مصطنع وينظر لهما، كم تغيرا هما أيضاً وكم كبرا، تغيرا عليه بشكلٍ بالغ وغزى الشيب رأسيهما، ابتسم لهما بسخرية ليقول:

"أهلاً بالسيد جلال والسيدة أمينة، ما الذي أتى بكما ياترى؟ أووه لا أصدق والداي العزيزان هما الآن أمامي؟ هه يا للسخرية"

نظر له والده بحزن ليقول:

"بني آسر اشتقت لك ياعزيزي"

ضحك بسخرية ليقول:

"حقاً اشتقت لي؟ الآن تذكرت بأن لديك ابن"

تحدثت أمينة ببكاء:

"أرجوك بني لا تقسي قلبك علينا، نحن اشتقنا لك بحق، حبيبي أنا والدتك ألم تشتاق لي؟ ألم تشتاق لحضني ها"

نظر لها بحزن وشوق، لم يطيق المكابرة ولكنه مكسور وحزين منهما جداً، تنهد بحنق وأشاح بوجهه عنهما ليعود ويجلس بمكانه، بينما تقدما والداه وجلسا أمامه، عم الصمت بالمكان، لم يتحدث أحداً منهم، فقط يناظرانه باشتياق وحنين، ابتسمت والدته من بين دموعها لتقول:

"ابني الوحيد أصبح رجلاً وسيماً جداً"

ظل جامد الملامح ولم يلين أبداً، ازدادت وتيرة بكائها لتقترب منه وتضمه إلى صدرها دون أي اعتراض منه، ظل جامداً بحضنها لم يبدي أي ردة فعل، ولكن شعور جميل لا يوصف اجتاحه عندما احتضنته، شعر بالأمان

والراحة، وكم كان يحتاج لهذا الحضن فقط لكي ينسى جميع آلامه، ظل ساكناً بين يديها لا يبادلها العناق فقط ساكن، بينما والدته تجهش بالبكاء وتحدثه بكلمات اعتذار، ابتعد عنها ووقف بجمود ليقف والده أمامه ويقول:

"آسر بني أنت لن تقسو علينا هكذا، كفاك فقد تعبت جداً ببعدك عني"

نظر له بحزن وغضب بنفس الوقت، أجل والده تعب جداً ولكن آسر كان تعبه مضاعف أكثر، احتقن وجهه وعلقت الغصة بحلقه، تنهد بضيق وأشاح بنظره عنهما ليقول:

"لن أسامح ولن أعود آسر القديم، أنتما من فعلتما بي هكذا لذلك لا تلوماني على قسوتي"

اقتربت منه والدته ووضعت يدها على خده لتقول ببكاء وحنان:

"حبيبي آسر نحن ندمنا جداً، أليس لدي خاطر عندك ياولدي"

حرك رأسه ونظر لها بحدة ليقول بغضب:

"اها تريدان أن أسامحكما أليس كذلك؟ حسناً وماذا عني؟ ماذا عن عذابي طيلة العشر سنوات التي قضيتها لوحدي ها؟ بسببكما أصبحت قاسي غير مبالي لأحد، بسببكما كرهت حياتي وكرهت نفسي، بسببكما خسرت حب حياتي، خسرت الفتاة التي أعشقها فقط لإنها أرادت مني أن أسامحكما ولكنني رفضت وتركتها، بسببكما أنا الآن وحيد أتعذب من دونها وببعدها عني، هي جعلت حياتي أجمل، أنتما ماذا فعلتما؟ أجيباني ماذا فعلتما"

أنهى جملته بصراخ وقهر، ليسقط والده على الأريكة ويتنهد بحزن وهو عاجز تماماً، بينما والدته وضعت يدها على فمها لتكتم شهقاتها، أما آسر ينظر للاشيء بحدة وغضب، التفت لهما ليحدثهما بحدة:

"إذا كنتما تريدان المكوث هنا لا مانع لدي، ولكن أنا أحذركما من الاقتراب مني والاحتكاك بي، أعلم بأنكما أتيتما إلى هنا من أجل حضور زفاف ماريا وليس من أجلي، لذلك قدما واجبكما وارحلا بعيداً عني"

أنهى جملته ورحل خارجاً من المنزل بأكمله، لا يعلم كم من الألم الذي أصابه، كل ما يعلمه بأنه يشتاق لهما ويحن لأيامه معهما وخصوصاً والدته التي كانت تهتم به وتبثه حنانها، هو لن يسامح بهذه السهولة ولن يضعف أمامهما أبداً، سيصارع ويحاول أن لا يضعف مهما كلفه الثمن.

ها قد حل موعد الزفاف، والكل يجهز له بكل حماس وفرح، بينما كانت خبيرة التجميل تضع لمساتها الأخيرة على وجه كل من ماريا ورنيم، كانت تبدوان بأبهى طلة لهما، جمالهما يأخذ العقول، تزينتا بشكل بسيط وبدت كل واحدة منهما بغاية الجمال بفساتينهما البيضاء، كانتا كالبدر بذاته برقتهما وجمالهما وبساطتهما.

بينما ليث وباسل لا أستطيع وصف وسامتهما، فكل منهما كان يحمل قدراً كبيراً من الجاذبية والجمال ببذلهما السوداء، كل منهما كان ينتظر هذا اليوم على أحر من الجمر، سواء الفتيات أو الشبان، فرحة كبيرة تحيطهم، وتوتر بالغ ينبع من الفتيات، القلوب تدق بسرعة كبيرة سواء كانت من الفرحة أو التوتر، باسل لا يستطيع وصف شعوره وفرحته بحوزته وأخيراً على محبوبته التي تعذب لأجلها سنوات طويلة.

بينما ليث كان أسعد رجل في الدنيا لإن حبيبة قلبه ستصبح حلاله وزوجته، كحال رنيم التي تكاد تطير من الفرحة والسعادة لإنها وأخيراً ستكون مع محبوبها.

أما ماريا يحيطها شيئاً من التوتر لإنها تخاف من المسؤولية ومن تلك الأشياء وطبعاً عقلها يصور الكثير من الأشياء المفزعة، ولن يمنع إذا افتعلت القليل من المشاكسة في هذه الليلة فقط من أجل أن تفقد صواب زوجها، ولكن لا تنكر بأنها تشعر بالراحة والاطمئنان تجاه حبيبها الذي سيصبح بعد أقل من ساعة زوجها طوال العمر.

تجهز الشبان والفتيات ليأتي كل من الشبان ويأخذ عروسه، لم يستطع باسل أن تحمله قدماه عندما رأى كل هذا الجمال، نزلت إليه محبوبته لينظر لها بصدمة ويفتح فمه ببلاهة ويجلس على الأريكة والصدمة مازالت تحيطه.

أما ليث عندما رأى رنيم ابتسم باتساع وأقسم بأنه الآن أسعد رجل في الدنيا لإنه حاز على زوجة بجمال رنيم ورقتها، ظل ينظر لها وهي تتقدم له بكل خجل وحياء وعيناه مسلطة عليها بحب، حتى أنه لم ينتبه لصديقه الذي قد شلت حركته وجلس على الأريكة بصدمة، بينما ماريا تعجبت من باسل عندما جلس هكذا، تقدمت منه بحياء ووقفت أمامه بخجل وتوتر ومازال باسل ينظر لها ببلاهة وصدمة، اقترب يوسف الذي كان قد انفجر من الضحك عندما رأى باسل بهذه الحالة لينهضه ويسلمه عروسته الجميلة، أفاق من صدمته ليبتسم لها باتساع وتبادله الابتسامة بخجل، اقترب منها وقبل جبينها بكل حب وحنان، جلست الفتاتان بجانب الشابين ليأتي المأزون ويبدأ بعقد قران كل ثنائي وسط فرحتهم التي لا توصف، طبعاً لن ننسى حضور شهد التي كانت تبدو بغاية جمالها وبرائتها، وقد كانت سعيدة جداً من أجل صديقاتها التي تعلقت بهما بشكلٍ كبير بعد غياب صديقتها عنها، كذلك والدا شهد ووالدا آسيل وأخوتها كانوا في الحفل فرحين لأجلهم وقد أتوا للمباركة ولمشاركتهم هذه الفرحة، أما يوسف كان يتابع شهد بلهفة وحب، تلاقت عيناها بعيناه لينظرا لبعض ويسرحان ببعضهما مدة قصيرة، ابتسم لها لتبادله الابتسامة وتخفض رأسها بحياء، لم يستطع منع قدماه من التقدم إليها بابتسامة عذبة مقترباً منها ليقول:

"اسمحي لي يا صديقتي المؤقتة بأن أغازلكِ وأقول لكِ بأنكِ أجمل فتاة رأتها عيناي"

قلبها يطرق بعنف من شدة سعادتها لسماع كلماته، ابتسمت ابتسامة واسعة وهي مطرقة برأسها، تجرأ يوسف ومد يده ليرفع رأسها وتقابل عيناه بعيناها، أصابها التوتر من فعلته وابتسمت ابتسامة خفيفة، نظر لها بحب ليقول:

"أنرتي الحفل"

ابتسمت بحياء وتحدثت بخفوت:

"شكراً لك"

ابتسم على حيائها ليقول:

"لقد عُقد القران، ألا تريدين أن تباركين لهم"

حركت رأسها بإيجاب ليحرك يوسف رأسه بمعنى هيا، توجهت برفقته لكي تبارك للعرسان بابتسامة نابعة من قلبها.

بينما آسر الذي كان موجود في الحفل ولكنه كان كالغريب، هو أصلاً لم يعد يطيق حياته ولم يعد يطيق أي شيء، فرح جداً بشأن ماريا وصديقيه لإنهما قد استقرا بحياتهما وبدأت حياتهم الزوجية، ولكن غصته وحرقة قلبه تمنعه من أن يظهر فرحته لهم، كان جامداً، بارداً، عاقد الحاجبين، كان والداه يتابعانه بحزن وحرقة قلب، ولكن مابيدهم حيلة سوى الصمود والتحمل إلى حين أن يحن عليهما ويعود لأحضانهما من جديد.

وهنا سيبدأ السيناريو وسيصدم كل من في الحفل من أجل تلك الفتاة الرقيقة التي تدخل بكامل أناقتها وجمالها، ينظرون لها الشبان بجرأة وانبهار على جمالها الآخاذ، تدخل وتمشي بكل ثقة غير مبالية لنظرات الجميع نوعاً ما إليها، توجهت بكل ثقة للعرسان لتبارك لهما، ليصعقوا كل من ليث ويوسف وباسل وشهد ورنيم وماريا لإنهم يرون آسيل التي تقف أمامهم بابتسامة لطيفة، انقضت عليها شهد محتضنة إياها بكل شوق لتبتعد عنها وتحتضن الفتيات وتبارك للشبان وتلقي التحية على يوسف، تحدثت شهد بحماس وفرحة:

"متى أتيتي"

ابتسمت آسيل لتقول:

"لقد وصلت مند نصف ساعة تقريباً وأتيت فوراً، طبعاً لن أضيع فرصة الحضور لزفاف هاتان الجميلتان"

اتسعت ابتسامة كل من رنيم وماريا ليتحدث ليث باستنكار:

"فقط هاتان الجميلتان، ألا يوجد هذان الجميلان مثلاً"

ضحك الجميع على جملته وبدأو بالأحاديث المعتادة، لتتوجه آسيل وتلقي التحية على والديها اللذان صدما عندما رأوها، اتسعت ابتسامتهما وفرحا جداً عندما رأوا ابنتهما أمامهما، ولقد لاحظا التغير عليها وعلى نفسيتها، بينما كان هناك من ينظر لها بصدمة، شوق، حب، ندم، حزن، لم يصدق أنها أمامه، شعر بدوار برأسه، وشعر بأنه وحيد في هذا المكان فقط هو وهي، رمش عدة مرات وأنفاسه متسارعة، ينظر لها ويرى محبوبته أمام ناظريه.

أما هي كانت تجول بنظرها بحثاً عنه، لم تظهر للآخرين بأنها مهتمة أو أنها تبحث عنه ولكن داخلها نيران من الشوق توأد بصدرها، وقعت عيناها عليه وقد رأته ينظر لها بصدمة، توقف العالم من حولها، تسارعت أنفاسها

وبدأ قلبها يخفق بقوة، نظرت له ولهيئته لتراه متعب بكل معنى الكلمة، هبطت دمعة ساخنة على وجنتها عندما رأته بهذه الحالة، لم يعلم كم من الوقت مر عليه وهو ينظر لها، قلبه وعقله وحواسه كلها معها هي فقط، بينما هناك من يتابعهما وقد كانوا الشبان والفتيات، اقترب منها آسر ومع كل خطوة يتقدمها تزداد طرقات قلبه، وقف أمامها لتنظر له من رأسه إلى أخمص قدميه ببرود مصطنع، أما هو كانت عيناه تلتمع ليقول بصوت جاهد كثيراً لكي يخرجه ثابتاً ليقول:

"متي عدتي"

نظرت له مطولاً لتبتسم بسخرية وتحدثه بجفاء:

"وما شأنك أنت؟ اهتم بنفسك فقط"

ابتلع ريقه بتوتر ليقول من دون وعي:

"اشتقت لكِ"

نظرت له بحزن لتقول:

"حقاً؟ ألم تقل لي بأنك لم تعد تهتم لي"

صمت ولم يجيبها لتشيح بوجهها عنه وتقول:

"لا يوجد كلام بيني وبينك، ثم أنني لقد عدت بعد أن نسيت كل شيء ولم أعد أبالي لك، جئت من أجل والداي وأصدقائي فقط"

نظر لها بحزن ليقول:

"ولكنني أريدكِ لي، سامحيني آسيل"

تنهدت بقوة لتتحدث بجفاء:

"عن إذنك"

خطت خطواتها بعيداً عنه لينظر لها بحزن، عاد أدراجه لمكانه مكسور الخاطر وجلس بصمت دون أن ينطق بحرف أو يبدي ردة فعل، بينما هي ذهبت ووقفت في ركن منزوي لتطلق سراح دموعها وتبكي بحرقة قلب، لم تكن تريد أن تحدثه بهذا الشكل ولكن عذابها منه قد أثر عليها بشكلٍ سلبي جداً، مسحت دموعها وعدلت من

هيئتها لتعود وتجلس بجانب والديها وصديقتها، بينما يوسف كان منشغل بتفكيره، يفكر بأن ينفذ خطته وفي الحال من أجل أن يكسب قلب شهد، شجع نفسه ونهض للمنصة ليمسك المايك بيده ويحمحم ليقول:

"احم مساء الخير لكم جميعاً، أريد أن أهنأ العرسان من كل قلبي، وأتمنى لهم الحياة الزوجية السعيدة من كل قلبي، والآن أريد أن أعترف بشيء لفتاة جميلة تجلس هنا"

أنهى جملته ونظر لشهد، بينما شهد توسعت عيناها وبدأ قلبها بالخفقان السريع، دعت بسرها بأن لا يكون مقصده هي، أكمل يوسف حديثه وهو ينظر لشهد:

"شهدي حبيبتي وحياتي، لا تعلمين كم من المشاعر أحملها لكِ، صدقيني بأنني أحبكِ من كل قلبي وسأكون الدرع الحامي لكِ، فقط آمني بي وصدقي قلبي الذي لم يعلم الحب إلا عندما قابلكِ، أنتِ أجمل فتاة عرفتها في حياتي، وعدتك ِمن قبل بأنني لن أفقد الأمل وسأظل ورائكِ حتى تقبلين بي زوجاً لكِ، والآن ياحبيبة يوسف هل تقبلين الزواج بي"

تقدم لها وركع أمامها ليخرج من جيبه خاتم من الألماس وعلى محياه ابتسامة صغيرة، بينما هي ترمش بصدمة ولكن ما إن أفاقت من صدمتها حتى اتسعت ابتسامتها وهبطت دموعها من فرحتها، نظرت لآسيل التي كانت تنظر لها بابتسامة محبة لتحرك رأسها بمعنى وافقي لتنظر ليوسف وتحرك رأسها موافقة بابتسامة وينهض ويحتضنها بكل حب، بينما الجميع كان يتابعهما ليصفقوا لهما بحرارة وسعادة، كما أن والدة شهد لم تصدق ما حدث وقد فرحت جداً من أجل ابنتها الوحيدة، فصلا العناق ليخرج يوسف الخاتم ويلبسها إياه، نظر لها بحب وأمسك يدها ليقبلها وتبتسم بخجل وتخفض رأسها للأسفل، بينما ماريا كانت تقفز من فرحتها كالبلهاء من أجل أخيها، كحال الشبان والفتيات الذين فرحوا كثيراً بهذه الخطوة التي اتخذها يوسف من أجل شهد، بينما آسر كان يتابع الموقف بابتسامة حزن ليقترب من يوسف ويحتضنه ويبارك له ولشهد، أيضاً ًوالدا آسر قد تقدما وباركا لهما.

انتهت هذه الليلة على خير ليعود كل منهم إلى منزله، بينما ماريا وباسل اتخذا طريقهما إلى منزلهما تحت فرحة باسل وتوتر ماريا، لم يمضي وقتاً طويلاً ليصلا للمنزل ويدخلان إليه، كان المنزل كبير وغاية في الجمال والهدوء، تماماً كما تحب ماريا، حمحم باسل ليقول:

"حسناً ماري تعالي لنغير ثيابنا ونتناول العشاء"

حركت رأسها بإيجاب ليصعدان ويغيران ثيابهما ويهبطان للأسفل لكي يتناولان عشائهما، مضى وقت ليس بطويل لينتهيان ويصعدان لغرفتهما، دخلت ماريا الغرفة وورائها باسل، لتخطر على بال ماريا فكرة شيطانية، التفت له ونظرت له بخوف مصطنع وتقول:

"ابتعد عني واخرج حالاً أنا خائفة منك"

نظر لها بصدمة وكان سيشد شعره ليقول باستنكار وغيظ:

"ماريا حبيبتي أنا زوجكِ الآن، ثم أنكِ لا يجب عليكِ أن تخافي مني ما بكِ حبيبتي"

نظرت له بغضب لتقول:

"ابتعد عني ولا تقترب، إياك والاقتراب وإلا سأقتلك، كل شيء إلا الشرف"

فتح فمه بصدمه ونظر لها بعينان جاحظة ليحرك رأسه بمعنى ماذا، رمش عدة مرات ليقول:

"اا حسناً حبيبتي حسناً، ألا تريدين النوم"

نظرت له وتحدثت بغرور:

"بلى أريد ولكن أريد النوم لوحدي هيا اخرج"

نظر لها بصدمة وكاد أن يبكي ليلعن ويشتم ويتحدث بغيظ:

"اللعنة على تفكيري وأنا من ظن بأنه سيكون أجمل يوم في حياتي"

نظرت له بغيظ لينظر لها وهو على وشك البكاء وهو يدعي بسره الصبر، ظل واقفاً مكانه لتخطر على باله فكرة ويتحدث بمرح:

"ماريا حبيبتي ألا تريدين المخدرات"

نظرت له بفرح لتتحدث بحماس:

"أجل أجل أريد أرجوك"

ابتسم لها ليقول:

"حسناً هل ترين ذلك الجرار إنه مليئ بالشوكولا، تعالي لكي أطعمكِ ومن بعدها نجلس سوياً اتفقنا"

شدد على حروف كلماته الأخيرة لتحرك رأسها بحماس وتصفق بمرح، اقترب وأخرج لها كل أنواع الشوكولا لتصرخ ماريا من سعادتها وتبدأ بأكل الشوكولا وهي تتلذذ بطعمها، بينما باسل قد علم بأنها ستفعل هكذا لذلك قد

جلب لها كل أنواع الشوكولا من أجل أن يسكتها ويقضي ليلته الأولى معها بكل حب وحنان، ظل ينظر لها وهي تأكل الشوكولا وقد مل من الانتظار، تأفأف ليحدثها بضجر:

"ماريا هيا ألم تنتهي بعد من الشوكولا؟ حبيبتي دعينا نكون سوياً الآن وغداً سأجلب لكِ منها أضعاف التي جلبتها لكِ هذه"

ضحكت برقة لتقول:

"بسبوسي ما رأيك أن تفتح لي معمل شوكولاتة"

همهم باسل وابتسم ببرود لتختفي ابتسامته ويتحدث باهتمام:

"ماذا قلتي؟ بسبوس من أيتها البقرة الصغيرة؟ هل تريننني قط مثلاً"

ضحكت بقوة لتحرك رأسها موافقة وتقترب لتقرصه من وجنته بينما هو ينظر لها بغيظ، اقترب منها لتبتعد هي وكلما اقترب تبتعد ليصرخ من غيظه ويقول:

"ماريا أنا لم أعد أستطيع التحمل هيا حبيبتي وإلا سأبكي"

نظرت له وقلبت شفتها السفلى كالأطفال لينظر لها بانتباه ويكز على أسنانه، تحدثت بدلال:

"بسبوسي أنا أتناول الشوكولا الآن"

تحدث باسل بغضب وغيظ:

"اللعنة على بسبوسك وعلى الشوكولا وعلى تفكيري حسناً"

عقدت حاجبيها بغضب وأشاحت بوجهها عنه وأكملت تناول الشوكولا خاصتها، نظر لها بغيظ وهو يقضم أظافره ليقترب منها مبتسم ويقول:

"ماري حبيبتي ما رأيكِ أن أريكِ القطة التي تنجب فئران"

التفتت له باستغراب قائلة:

"قطة تنجب فئران! كيف ذلك"

أراد مجاراتها ومسايرتها ليقول:

"أجل، يوجد نوع من القطط لا ينجبون سوى الفئران، هل تريدين أن أريكِ"

عقدت حاجبيها باستغراب ولم تعد تستوعب كلامه لتقول:

"ماذا ستريني؟ وكيف تنجب القطة فئران؟ هل تمازحني"

مثل الذهول ليقول:

"أمازحكِ! وهل بيننا شيء كي أمازحكِ مثلاً؟ اسمعيني، دعكِ من الشوكولا وتعالي لكي أريكِ القطة التي تنجب فئران هيا"

كانت تشعر بأنها تائهة من حديثه فعلاً لتقول بعد تفكير:

"هل جلبت قطة لكي نربيها هنا بسبوسي"

تنهد بنفاذ صبر مجيباً:

"لا لا، ولكني أريد أن أريكِ القطة فقط، تعالي"

أمسكها من معصمها وجذبها نحوه ليمد اللحاف عليهما ويقوم بتغطية وجهه وتتعجب ماريا وتقول:

"ماذا تفعل فقط أخبرني؟ يكاد عقلي يتوقف"

أبعد الغطاء عن وجهه ليقول هامساً:

"إنها هنا، تعالي وانظري لها"

نظرت له بذهول وبلاهة لتقترب وتنظر تحت غطاء السرير ويردف لها:

"أترين القطة"

نظرت له بغضب وانفعلت قائلة:

"أي قطة وأي فئران؟ هل تضحك على عقلي"

أجاب:

"صدقيني إنها قطة، وستصبح تحت أغطية السرير بعد أقل من ثواني، القطة التي برفقة الأسد الذي لم يعد يحتمل حماقتكِ وفصولكِ البلهاء مثلكِ ياقلبي"

جذبها من معصمها ومددها بينما هي تحاول إبعاده عنها تحت صرخاتها وتذمراتها ليطبق علي شفتيها ويقبلها بقوة وما هي إلا ثواني حتى تجاوبت معه وذهبت معه برحلة وردية.

بينما عند ليث ورنيم، كانت رنيم يتملكها التوتر والخوف نوعاً ما، اقترب منها ليث ونظر لها بحب وقبل يدها ليقول:

"مبارك لنا حبيبتي"

ابتسمت له بتوتر ولم تتحدث ليعقد حاجبيه ويقول:

"ما بكِ حبيبتي"

توترت جداً ولم تعلم ماذا تقول، ابتلعت ريقها لتقول:

"الجو حار"

نظر لها بصدمة ومن ثم أشاح بنظره لجهاز التكييف الذي قام بتشغيله منذ وصولهما ليتحدث باستنكار:

"حبيبتي التكييف على وضع التشغيل"

نظرت له وابتلعت ريقها لتبدأ نوبة بكائها، نظر لها بصدمة ليقول:

"رنيم لماذا تبكين حبيبتي؟ هل حدث شيء"

تحدثت ببكاء:

"أريد أمي"

نظر لها بصدمة ليشد شعره ويقول:

"ومن أين أجلب لكِ أمكِ الآن"

نظرت له وشهقت لتقول بغضب:

"لا أعلم اجلبها لي"

مسح وجهه بكفه ليحاول تهدأة نفسه ويقول:

"مم حسناً حبيبتي لا تخافي اجلسي هيا وقولي لي من هو ابن الحمقاء ومن نسل أحمق الذي أخافكِ بهذا الشكل ها"

قلبت شفتها لتنظر له وتتحدث ببكاء:

"ماريا لقد قالت لي بأنك ستضربني ومن بعدها تمارس معي بعنف وتعاود الكرة كثيراً، أرجوك لا تفعل ذلك ليث أنا حبيبتك لا تفعل ذلك بي"

نظر لها بصدمة وقضم أظافره بغيظ وهو يتوعد لماريا بأفظع الأفعال عندما يراها، نظر لرنيم التي كانت مازالت تبكي ليقول:

"حبيبتي كيف سأضربكِ وأنا أحبكِ؟ لا تخافي ياقلبي بما أنها ليلتنا الأولى فـ سأراعي مشاعركِ وأكون هادئ لا تخافي، هيا تمددي تعالي حبيبتي"

طاوعته وتمددت لتتوسد وتنام بين ذراعيه، بينما هو يملس على شعرها وهو يفكر بطريقة إجرامية لكي يتخلص من ماريا، تنهد بقوة ليمضي وقتاً ليس طويلاً وينزل لمستواها وينظر لها ويتحسس وجنتها، بينما هي ابتسمت ابتسامة صغيرة وأخفضت رأسها بحياء، رفع رأسها لتتقابل عيناه بعيناها ويقترب ليلتقط شفتيها بكل حب.

لم تكن ليلتها الأولى سيئة كما قالت لها ماريا، على العكس تماماً فقد كان ليث حنون معها لأبعد حد، راعى مشاعرها وتعامل معها بلطف لتشعر بطعم السعادة وتحلق معه في السماء بعالمهما الخاص المغلف بجنونهما.

" غيابكِ لم يكُن كافياً حتى أنساكِ

فـَ كُلُ أشيائي تُذكرني بكِ

وكُلُ الدُروبِ تَقودَني إليكِ

فنحنُ كنا بعيدان ومهما افترقنا

فما زالَ في راحتيكِ الأمان

تغيبينَ عني وكم مِن قريبٍ

يغيبُ وإن كانَ ملئُ المكان

فلا البُعدُ يعني غيابُ الوجوه

ولا الشوقُ يعرفُ قيدَ الزمان "

خُذني إليك

إنيّ ظَلامٌ يَرتَجي وجْهَ الضُّحى

حنينٌ هامَ كَهمْسِ سَرابٍ بِوهْمٍ قَضى

يُسابقُ وهْجَ صحوةٍ فيها الرَّجاء

خُذني إليك

نائمة تلك الفتاة بسلام، ولكن أظن أنها كانت تلعب المصارعة في نومها، فهي نائمة كالأموات، فقد كان نصف جسدها على الأرض وقدميها ممددة على السرير، تنام بعشوائية وشعرها منسدل على الأرض، استيقظ باسل ونهض بنصف جسده ليرى بوجهه قدمان صغيرتان، رمش عدة مرات ليمد رأسه ويرى ماريا نائمة بتلك

الوضعية، جحظت عيناه بصدمة من ذلك المنظر وسؤال واحد يتردد في عقله بـ (من هذه)، لم يعلم بأن حبيبته وزوجته تلعب المصارعة وهي نائمة، نهض من على سريره ليتوجه للناحية الأخرى ويحمل زوجته ويعدل وضعية نومها العجيبة مبتسماً على نومها الطفولي، مرر يده على أنحاء وجهها لتتململ بانزعاج وتتسع ابتسامته على منظرها، ظل يحرك يده على وجهها وهي تتململ وتهمهم بانزعاج، تذكر باسل ليلة أمس وماذا حدث لينظر لها بهيام ويقترب منها ويقبلها قبلة سطحية على فمها، لقد كانت أسعد ليلة في حياتهما، عندها علم ماهو معنى الحب والسعادة وهي بين أحضانه، حاول إيقاظها ولكن لا حياة لمن تنادي، حركها بعنف وقد بدأ يفقد أعصابه من نومها الثقيل، بدأت ماريا تهمهم لتفتح نصف عيناها وتنظر له، ضحك باسل على مظهرها ليقول وهو مقترب من وجهها:

"صباح الخير ياحبيبتي الباندا"

نهضت بنصف جسدها لتعقد حاجبيها وتتحدث بغضب طفولي ونبرة ناعمة:

"لست باندا بسبوسي، أهذا هو صباحي كـ عروس كانت ليلة زفافها في الأمس"

همهم باسل ليقول:

"ممم حقاً؟ وهذه الوضعية التي كنتي تنامينها تدل على أنكِ عروس جديدة"

عقدت حاجبيها باستغراب لتقول:

"أي وضعية؟ أنا أنام بهدوء ونومي خفيف كالريشة"

صعق باسل من جوابها لإنها لم ترى نفسها وهي نائمة، حرك رأسه بغيظ ليسمعها تقول:

"أين الفطور بسبوسي"

تحدث بتهكم:

"حبيبتي هيا انهضي وجهزي الفطور لنأكل هيا"

صرخت بوجهه:

"لاا أنا عروس ويجب عليك أنت أن تجهز الفطور"

أنهت جملتها وضمت ذراعيها لصدرها، نظر لها باسل بغيظ ليبتسم بخبث ويقول:

"حبيبتي هل أعجبتكِ القطة التي تلد فئران"

نظرت له بصدمة وبعدها أخفضت رأسها وتوردت وجنتيها خجلاً ولم تجب، ليردف لها مبتسماً بشغب:

"بالنسبة لي لقد أعجبتني كثيراً، والآن مارأيكِ بجولة أخرى"

جحظت عيناها بصدمة وصرخت:

"لاااا لا أريد، منحرف"

لم يسمعها ولم يدعها تكمل لإنه انقض على شفتيها بسرعة، لتبادله ماريا بعد محاولاتها التي باءت بالفشل ويحلقان سوياً في عالمهما الخاص.

بينما من الجهة الأخرى

تململ ليث في فراشه ليستيقظ وينظر لجانبه ويرى رنيم نائمة بجانبه بهدوء، ابتسم واقترب ليتحسس وجنتها ويتأمل شكلها اللطيف وهي نائمة، اقترب وطبع قبلة على وجنتها وهو مبتسم، لتتململ رنيم وتفتح عيناها وترى ليث مقترب منها، شهقت بخفة ليضحك عليها ويملس على شعرها ليقول:

"صباح الخير يازوجتي الجميلة"

ابتسمت بخجل لتقول:

"صباح الخير"

اتسعت ابتسامته وطبع قبلة سطحية على شفتيها لتدفعه مبتعداً عنها من شدة خجلها بينما ليث ضحك على خجلها، توجهت لحمام غرفتهما وغسلت وجهها ومن ثم توجهت للمطبخ لكي تعد الفطور لتشعر بيدان تحاوط خصرها، شعرت بأنفاس زوجها على رقبتها، توترت من قربه ولكنها مستمتعة بذلك الشعور، بينما ليث كان يدفن وجهه برقبتها ويقبلها قبلات متقطعة، جعلها تستدير له لينظر لوجنتيها المتوردة، ابتسم لها لتبادله بخجل وتحدثه:

"سأعد الفطور"

همهم لها ليتحدث:

"هل تريدين المساعدة"

تحدثت رنيم:

"لا شكراً، هيا اخرج وانتظرني في الصالة"

اقترب وطبع قبلة على وجنتها ليتحدث:

"وإن لم أفعل"

ابتسمت لتقول:

"اذهب هيا، وسآتي بعد قليل"

حرك رأسه بإيجاب ليقول متصنع البرائة:

"مارأيكِ أن نتوجه لغرفتنا بدل الفطور"

نظرت له بعينان جاحظة لتقول بتوتر:

"هاا؟ لا لا سنبقى هنا أفضل"

حرك رأسه نافياً ليقول:

"لا سنذهب لغرفتنا هيا"

ابتلعت ريقها وحاولت التملص من بين يديه ونجحت لتبتعد عنه وينظر لها بغيظ، تحدث بإصرار:

"حسناً سنتناول الفطور ونصعد لغرفتنا"

نظرت له وعبست لتكمل إعداد الفطور بهدوء تحت نظراته التي تأكلها، جلسا وتناولا فطورهما تحت مشاغبات ليث لها وظلت رنيم تماطل في أكلها فقط من أجل أن تنسيه الأمر، بينما ليث بدأ يمل وانزعج من مماطلتها ليقول بنفاذ صبر:

"هيااا رنيم"

نظرت له ببراءة لتقول:

"ماذا"

زفر بحنق ليقول:

"ارحميني لم أعد أحتمل"

تحدثت بتوتر:

"اا مازلت أتناول فطوري مابك"

نهض من على المائدة وأنهضها من على الكرسي ليحملها بين يديه ويقول:

"سأطعمك ألذ فطور ولكن في غرفتنا"

أنهى جملته واتجه بها لعالمهما الذي يمارسان فيه حبهما وجنونهما اللامنتهي.

يجلس في غرفته بهدوء، ينظر للاشيء ببرود تام، شارد، كئيب، حزين، يتذكرها ويتذكر كل شيء يخصها، تذكر لقاءهما في البارحة وكيف عذبت فؤاده وتجاهلته ببرودها الذي كرهه ومقته، لم يستطع تحمل جفائها، في كل مرة كان يقسم بأن ينساها ولكنه يعود ويتذكرها ولا يستطع إخراجها من رأسه، ظل يتذكر مواقفهما جميعها وأولها برودها وجفاءها، كلماتها ليلة أمس تتردد في عقله وتتغلغل في داخله لتهشم قلبه، نهض من على سريره واحتدت نظراته، أمسك برأسه وأغمض عيناه على أمل أن يخرجها من رأسه، دخل بحالة هستيرية، يحطم ويكسر كل شيء يراه أمامه، لم يستطع التحكم بأعصابه، هي وحدها من تستطيع أن تقوضه للجنون وهي وحدها من تستطيع أن تهدأه بكلمة واحدة منها، أتلفت أعصابه وأحس بنيران تأكل صدره، لا يعلم من أين سيجدها، جفاء محبوبته التي يموت بها حباً، أم والداه اللذان ظلماه وفعلا به مافعلاه، ظل على نوبة جنونه هذه إلى أن دخلت عليه والدته ورأت ذلك المنظر، كل شيء كان محطم، الزجاج المتناثر، والغرفة التي قلبت رأساً على عقب، تصنمت في مكانها من ما رأته، بينما آسر عندما رأى والدته أمامه احتدت نظرته وأشاح بوجهه عنها، احترق قلبها لأجله وهبطت دموعها على وجنتها، اقتربت منه بحذر وجلست أمامه لتمد يدها وتمسح على شعره، بينما هو ساكن بمكانه لا يبدي أي ردة فعل ولا يسمع له صوت سوى أنفاسه المتسارعة، تحدثت أمينة بحنان:

"حبيبي مابك ياقلب أمك"

نظر لها ببرود ولم يجب لتبتلع ريقها وتردف له:

"آسر حبيبي قل لي ما بك"

تحدث بنبرة تحذيرية:

"اخرجي من هنا حالاً، الزفاف انتهى، بإمكانكِ أن تعودين أنتِ وزوجكِ من حيث جئتما"

اشتد بكائها لتقول:

"ألم تسامح بعد؟ ماهذه القسوة يا آسر؟ لقد تعبت جداً، حباً بالله سامحني وسامح والدك، قلبي يحترق، أيهون عليك حرقة قلبي يا آسر"

نظر لها بعتاب ليقول:

"أنتما من تركتماني وحيداً يا أمي، لم تأبها لحالي أبداً، كيف تريدينني أن أسامحكما ها"

ابتسمت بسرها وكم كانت متشوقة لسماع كلمة أمي من بين شفتيه، مسحت دموعها لتتحدث:

"أجل نحن أخطئنا بحقك ولكن أقسم لك بأننا ندمنا كثيراً، نحن نحبك كثيراً، أنت ولدنا الوحيد ولن تهون علينا، لا تعلم كم الألم الذي كنا نعانيه بغيابك"

نظر لها بضعف، لم يعد يستطع المكابرة، يحتاج حنان والدته وقوة والده، يحتاج حضنهما، تهدمت حصونه ولم يعد يستطع أن يخفي أوجاعه، أحس كم هو ضعيف في هذه اللحظة وارتمى بأحضان والدته، بينما هي لم تسعها الدنيا من فرحتها، ظلت تمسد على شعره، بعد وقت ليس بطويل تنهدت أمينة بقوة وقبلت جبين ولدها بحنان بالغ، كانت فرحة جداً بسكونه بين أحضانها، بينما هو شعر بأن أوجاعه قد خففت عنه قليلاً، لإنه كان يحتاج لهذا الحضن كثيراً، تحدثت والدته بنبرة حنونة:

"ألن تقول لي ما بك؟ أعلم بأنك تخفي شيئاً عني، هل سبب نوبة جنونك هو تلك الفتاة التي كنت واقفاً معها البارحة"

فصل العناق ليتنهد بقوة ليقول:

"أجل أمي هي لا تشعر بي أبداً، أنا أحبها كثيراً صدقيني"

ابتسمت بخفة لتقول:

"حسناً اذهب واطلبها للزواج"

ابتسم بسخرية ليقول:

"أنتِ لا تعلمين شيئاً مما حدث بيني وبينها"

همهمت والدته لتقول:

"حسناً وأنا الحضن الحنون لك، بإمكانك أن تقول لي وتخرج كل مافي قلبك"

نظر لها وابتسم من عيناه ليقترب ويطبع قبلة على رأسها، ابتسمت ابتسامة واسعة بفرحة كبيرة، وضع رأسه على قدميها ومدد جسده على الأريكة، بينما هي ملست على شعره لتقول:

"هيا حبيبي قل ما في قلبك"

حدثها بكل شيء حدث بينه وبين آسيل، منذ أول لقاء بينهما إلى ليلة أمس، بينما هي كانت تستمع له بتركيز وإمعان، احترق قلبها على حال ابنها والحالة التي وصل لها، أما آسر فقد أنهى حديثه وتنهد بقوة وصمت، تحدثت أمينة بهدوء:

"أنا أشعر بك ولكن أنت تخليت عنها، هي كانت تريد مصلحتك، لماذا لا تفكر بروية؟ حبيبي أعلم بأن العتاب لا يجدي نفعاً الآن ولكنني أريدك أن تعلم بأنها ليست وحدها المخطئة، كلاكما أخطئتما ولم تعلمان كيف تحافظان على حبكما، لا تتركها يا آسر، اجعلها لك وحارب من أجلها، لقد رأيتها البارحة ورأيتها كيف كانت تحدثك بجمود، ولكن لمعة عيناها أكدت لي بأنها مازالت تحبك، لذلك لا تتخلى عنها، هي ظلمت كثيراً ورأت الكثير، كن سندها ورجلها، أنا متأكدة بأنها تحبك كما تحبها أنت"

كلماتها جعلته يشعر بالراحة جداً، وكأنها وضعت يدها على جرحه لتخفف عنه آلامه بكلماتها الحنونة وحثها على تشجيعه بعدم الاستسلام، اعتدل بجلسته وابتسم لها ابتسامة واسعة وحرك رأسه بإيجاب، ليرتمي بأحضانها من جديد وهو يشعر براحة كبيرة، وكيف أن لا يشعر بهذه الراحة ووالدته التي حرم منها عشر سنوات عادت لتداريه وتوجهه وتبثه حنانها.

ابتسمت له بحنان بالغ ليبادلها بسعادة، بينما جلال كان يقف ويستمع لحديثهما بالكامل، آلمه قلبه على ولده واحترق فؤاده لأجله، شجع نفسه ليدخل عليهما، بينما نظر له آسر بهدوء، وقف جلال بصمت ولم يتحدث ولم يعلم كيف ومتى أصبح ولده بأحضانه، صدم أولاً ولكن ما لبث وعاد لواقعه ليبتسم بسعادة بالغة، كل مايعلمه بأن

ولده الوحيد قد سامحه بمجرد عناق، فصلا العناق ليبتسم له آسر بهدوء ويبادله والده، وضع يده على كتف ابنه ليقول:

"ابني الوحيد أصبح شاباً وسيماً ووقع في الحب أيضاً"

أحرج من هذه الكلمة، فها قد عاد آسر بشخصيته المرحة والضحوكة أمام والداه، وضع يده خلف رقبته بعفوية وإحراج ولم يتحدث، ليضحكان والداه على مظهره.

وها قد عاد شمل العائلة من جديد بعد طول انتظار وطوال عشر سنوات، ولكن بالنسبة لآسر لن تكتمل عائلته بعد إلا عندما يعيد محبوبته لأحضانه ويجعلها زوجة له، وهنا ستطيب جميع أوجاعه وتبدأ حياته بأخذ الجانب المحب والسعيد، وبهكذا يصبح لا يريد ولا ينقصه شيئاً من هذه الدنيا سوى دوام هذه السعادة عليه وعلى عائلته.

جالسة في غرفتها تنظر أمامها ببرود تام، ولكن نظرة الحزن ظاهرة بعيناها، ندمت أشد الندم على حديثها البارد معه في ليلة أمس ولكن بالنسبة لها يستحق، فهي ذاقت الكثير منه، تعبت وتألمت بحق.

صدح صوت هاتفها في الأرجاء لترى المتصل ويكون آسر، هبط قلبها من مكانه وابتلعت ريقها بتوتر، أتجيبه أم لا؟ توترت بشدة ولم تعلم كيف تتصرف، تنهدت بثقل عندما صمت هاتفها ليعاود صدح صوت رنينه مرة أخرى، ابتلعت ريقها ونبضات قلبها تقرع كالطبول، شجعت نفسها لتمسك بهاتفها وتجيبه ببرود:

"أهلاً"

بينما من الجهة الأخرى عند آسر كان يدعي بسره بأن تجيبه ونبضات قلبه تدق بعنف، اتصل بها أول مرة ولم تجبه ولكنه لم يشعر باليأس ليعاود الاتصال مرة أخرى ويسمع صوتها تجيبه ببرود، ابتلع ريقه ليحدثها بتوتر:

"اا كيف حالكِ آسيل"

امتعضت قائلة:

"بخير، من المتكلم"

زفر بقوة ليتحدث بغضب:

"حباً بالله كفاكِ، ألم تتعرفي على صوتي أم أنكِ تتعمدين ذلك؟ أنا آسر"

همهمت لتقول:

"مم أهلاً سيد آسر ماذا تريد"

صك على أسنانه ليجيبها بحدة:

"أريد أن أراكِ لأمر هام جداً، نصف ساعة وسآتي لأخذكِ، نصف ساعة ودقيقة سأدق الباب عليكِ هل تفهمين هيا لا تتأخري"

أنهى جملته بأمر ليغلق الخط بوجهها، بينما هي نظرت للهاتف بغيظ وصدمة، تغلغلت من غيظها لتصرخ بأعلى صوتها (باااارد)، نهضت من مكانها لتأخذ غرفتها ذهاباً وإياباً، لا تنكر بأنها فرحة جداً كونه مازال يلاحقها ومصراً عليها، ولكنها خائفة من بعده عنها مرة أخرى، حدثت نفسها (أذهب أم لا؟ يا إلهي كيف سأذهب؟ ماذا سيفعل؟ هل سيضربني؟ أم يهزأني؟ أم ماذا؟ إن لم أذهب إليه سيأتي إلي هو بنفسه وعندها لن أنتهي من تحقيقات والداي، يا إلهي سأجن، كيف سيتعامل معي، هل يعقل بأن يحتضنني أم يقبلني)

أنهت حديثها مع نفسها بصوت مسموع بابتسامة بلهاء، عقدت حاجبيها بغباء لتضرب على رأسها، وجدت باب غرفتها يفتح لترى والدها يدخل عليها وعلامات التعجب ظاهرة على وجهه، نظرت له لتسمعه يقول:

"ما الأمر آسيل؟ لما كنتي تصرخين"

نظرت له بغباء لتقول:

"ها لا، لا شيء أبي، فقط كنت أحدث نفسي لا شيء"

ابتسم واقترب منها ليقول:

"حبيبتي ما الأمر تحدثي"

تحدثت بتوتر:

"اا لا شيء أبي لا يوجد شيء"

همهم لها ليقول:

"حسناً هيا إلى الغداء، الساعة الثالثة هيا"

حركت رأسها بابتسامة لتنظر له وتشهق بصدمة وتقول:

"كم الساعة الآن؟ يا إلهي"

نظر لها بصدمة ليقول:

"ما الأمر؟ مابكِ"

تحدثت بسرعة وهي تخرج ثيابها:

"أبي يجب أن أذهب إلى شهد، أجل أجل هيا اخرج كي ارتدي ثيابي"

نظر لها بعدم فهم ليقول:

"حسناً ولكن انتظري حتى.."

لم يكمل جملته لإنها حدثته بسرعة:

"أبي المسألة بها حياة أو موت، هيا اخرج اخرج"

أنهت جملتها وهي تجر أبيها للخارج وتغلق الباب بوجهه، التفتت سريعاً وارتدت ثيابها لترى الساعة ولم يتبقى على موعدها سوى خمسة دقائق، شهقت بقوة وعدلت من مظهرها ورتبت شعرها وخرجت مسرعة للخارج تحت نظرات والديها وأخوتها المتعجبة، خرجت لتراه يقف أمام السيارة ببرود وشموخ منتظرها، ابتلعت ريقها وحولت نظرتها للبرود لتتقدم له، اقتربت منه لتوشك على الحديث ولكنه قاطعها وعيناه مسلطة على ساعته ليقول:

"متأخرة نصف دقيقة يا آنسة"

نظرت له بصدمة وكاد فمها يصل للأرض، حاول آسر جاهداً أن يخفي ابتسامته فقط على مظهرها، تحولت نظرتها لغيظ لتقول:

"يا إلهي ماهذا؟ ماذا تريد ها"

أخذ نفس عميق وحاول التحكم بأعصابه وابتسم ابتسامة باردة وقال:

"كل خير"

أنهى كلمته وأمسكها من يدها متوجهاً بها إلى مقعد السيارة الأمامي، أركبها وركب بعدها ليتوجه بها إلى حيث يريد، ظلت طوال الطريق صامتة تدعي بسرها بأن لا تبدأ عليها نوبة غضبه، لإنها تعلم جيداً بأنها لن تسلم منه، بينما آسر كان يفكر بطريقة ما لإرضائها وكيف له بأن يصلح الأحوال بينهما، تنهد بقوة وبدأ يفكر بطريقة حديثهما سوياً وكيف ستبتعد عنه وستتركه، استبق الأحداث فوراً ليشد بقبضته على مقوض السيارة ونظر للأمام بحدة، أقسم بينه وبين نفسه بأن لا يعيدها إلا وهي موافقة على الزواج منه وإلا لن يعيدها للبيت وسيعقد قرانه عليها بالغصب، هو مجنون ويفعلها ولن يهمه شيء، لم يمر وقتاً طويلاً حتى وقف بسيارته بمكان شبه معزول، عقدت آسيل حاجبيها باستغراب لتقول:

"لماذا وقفت هنا"

تحدث بجمود:

"يجب أن نتحدث"

همهمت لتقول:

"أجل ولكن ليس هنا، لنذهب إلى مكان عام"

ابتسم بسخرية ليقول:

"هل تخافين مني"

رفعت حاجبيها لتتحدث باستنكار وبرود:

"ولماذا أخاف منك؟ هل أنت ذئب مثلاً"

همهم ليقول بهجوم:

"آسيل أنا أحبكِ"

تحدثت بسخرية:

"حسناً وبماذا أخدمك مثلاً"

كز على أسنانه ليقول:

"آسيل لا تتباردي علي ولا تتحدثي بسخرية، كوني جدية ولو لمرة في حياتكِ، مالعنتكِ"

أنهى جملته بصراخ لتتحدث بحدة:

"ما الذي تريده مني"

تحدث بغضب:

"أريدكِ أنتِ"

همهمت لتقول:

"اها حسناً المسألة بسيطة وأنا لا أريدك"

نظر لها بغضب ليقول:

"أنا لم أجلبكِ إلى هنا كي آخذ رأيكِ وإنما جلبتكِ لكي آمركِ وتنفذين هل فهمتي"

نبرته جعلت غضبها يثور لتتحدث بغضب:

"وأنا لن أطيع أوامرك، لست عبدة لديك لكي تعطيني الأوامر، هل فهمت ياهذا"

مسح على وجهه وحاول أن يتحكم بأعصابه ليقول بحدة:

"آسيل لا ترفعي صوتكِ علي هذا أولاً، وثانياً لا داعي للنقاش لأنني قررت وانتهيت"

تحدثت باستنكار وغضب:

"اها وإلى ماذا توصلت"

تحدث بجمود:

"سنتزوج في الشهر القادم"

ضحكت بسخرية لتقول:

"في أحلامك عزيزي"

نظر لها بتحدي ليقول:

"سنرى"

نظرت له بحدة وأشاحت بوجهها عنه وقد فعل المثل، تنهد كل منهما بقوة وعم الصمت لمدة، كسر الصمت ليقول:

"آسيل دعينا نعطي لأنفسنا فرصة ثانية"

همهمت بشيء من الغضب لتقول:

"فرصة ثانية أليس كذلك؟ وكيف لي أن أثق بك؟ أنت لم تعد تطاق وأنا لم أعد أفهمك، لقد تركتني أذهب ولم تكترث أو تمنعني حتى، تخليت عني وهذه المرة الثالثة، ماذا تريد مني حباً بالله ما الذي تريده؟ لم أعد أفهم منك شيء أو كيف تفكر، كنت أحدثك بشأن والديك من أجلك لإنني أعلم جيداً بأنك تتألم من بعدهما عنك، أردت أن أكون وجه السعد عليك وتعود لوالديك كي يفرحان بنا سوياً ولكن أنت ماذا فعلت؟ لم تكترث لي وتركتني للمرة الثالثة، لقد أحببتك رغم كل شيء ولكن الآن ثق تماماً بأنني لم أعد أحمل لك أية ذرة مشاعر صدقني، أنا لم أعد أثق بك، سأعود إليك لتتركني مجدداً وهذا ما سيؤلمني كثيراً لذا الأفضل بأن تبحث لك عن فتاة أخرى"

أنهت جملتها وهبطت دموعها بغزارة، كان يستمع لها والشرار يتطاير من عينيه، غير ذلك آلمه قلبه بشدة على ما فعله بها، تحدث بغضب وهجوم:

"كيف لي أن أبحث عن فتاة أخرى وأنا أحبكِ أنتِ؟ لم أستطع نسيانكِ لحظة، لم تغيبي عن بالي أبداً، لا تظني بأنني تركتكِ وحيدة لا، لقد خصصت مجموعة رجال ليحمونكِ ويأتوني بأخباركِ، لم أستطع تحمل جفائكِ، آلمني قلبي ببعدكِ عني، في كل ليلة أتأمل صورتكِ وأنام وأنا أتخيلكِ بأحضاني، أجل لقد أخطأت بحقكِ ولكنني أستحق فرصة ثانية لإنني تعذبت عذابكِ أضعاف وأضعاف صدقيني، سامحت والداي وهما الآن يقيمان معي، حدثتهما عنكِ وشجعاني على استعادتكِ، لم أستطع التحمل آسيل ارحميني فقط"

أخذ نفس عميق وزفر بقوة وأغمض عيناه بألم، بينما هي كانت تبكي وتشهق، لم تعد تفهمه أو تفهم طباعه، هي تريده وتحبه ولكنها خائفة منه وخائفة من أن يتركها مجدداً، في كل مرة يعود إليها يعطيها وداع أقسى من سابقه، مسحت دموعها لتتحدث بنبرة بها قليلاً من الضعف:

"أنا لم أعد أثق بك، ولم أعد أحبك وانتهى أمرنا"

همهم لها ليتحدث بحدة:

"مم متأكدة بأنكِ لا تحبينني"

تحدثت بجمود وهي تمسح دموعها:

"أجل"

حرك رأسه بإيجاب ليقترب منها وينظر لعيناها، بينما هي شعرت بأنفاسه الحارة تضرب وجهها، تحدثت بتلعثم:

"اا أنت لماذا تقترب"

لم يتحدث وإنما ظل صامتاً يتأمل عيناها بقوة، تجرأ واقترب ليطبق بشفتيه على شفتيها، توقف العالم من حولها وكم كانت متشوقة لتلك الشفاه، بينما آسر كان له هدف من قبلته هذه، فهو يريد أن يختبرها ويعلم إن كانت بالفعل لم تعد تحبه أم لا، فصلا القبلة بعد مدة قصيرة ولكنهما لم يبتعدا، ظلت آسيل مغمضة عيناها وكأنها تخدرت من قبلته ليقول آسر بشغب:

"أقلتي بأنكِ لم تعودي تحبينني؟ إذاً لماذا بادلتيني القبلة"

ابتعد آسر عنها وقد شعرت آسيل بابتعاده وسمعت كلماته التي نزلت عليها كالصاعقة لتفتح عينيها على وسعها، ابتسم لها آسر ابتسامة نصر بينما هي تمنت أن تنشق الأرض وتبتلعها، ابتلعت ريقها وحاولت الدفاع عن نفسها لتتحدث بتوتر:

"ااا أنا كنت فقط أعني أنني لم أقصد و.."

لم تكمل كلامها لتسمعه يقول:

"آسيل لا تنكري وكفاكِ ألاعيب، أريدكِ زوجةً لي وسيحدث شئتي أم أبيتي"

أنهى جملته لتبتلع ريقها بتوتر وتصمت، بينما هو نظر لها وقد كانت مخفضة برأسها ليمسك يدها ويقبلها بحنان بالغ ويضعها على وجنته وهو ينظر لها، بينما هي سرحت بملامحه ولم تعلم بماذا تتحدث، ظلت تتأمل تقاسيم وجهه الوسيم وابتسامته العذبة لتسمع صوته يقول:

"لماذا أشعر بأنكِ مازلتي تريدين الكثير من قبلاتي"

أنهى جملته بابتسامة لعوبة لتحدثه بتوتر:

"ها ماذا تقصد؟ لا لا، لا أريد شيئاً"

همهم لها بابتسامة ليقترب منها ويلامس شفتيها بشفتيه دون تقبيلها، تحدث ضد شفتيها بنبرة لعوبة وأشبه للهمس:

"متأكدة"

تخدرت بكل معنى الكلمة لتضغط بشفتيها على شفتيه، بينما هو كان يحلق من السعادة وابتسم أثناء القبلة، لم يفصلا القبلة مع أنهما كانا بحاجة للهواء، ولكن الابتعاد عن رحيق شفتيها كابتعاد طفل رضيع عن والدته، والابتعاد عن الجنة ذاتها، كانا كالمغناطيس، أحس بإنها بحاجة للهواء ليفصل القبلة وظلا مقتربان من بعضهما ليتحدث آسر بأنفاس لاهثة:

"أعشقكِ"

ابتسمت بحب لتقول:

"وأنا أيضاً"

ابتسم بسعادة ليعاود تقبيلها، لم يستطيعان الابتعاد عن بعضهما، كانا في أشد السعادة سوياً، يريدان أن تتوقف عقارب الساعة عند هذه اللحظة، يهيمان ببعضهما، يعزفان تناغيم الحب سوياً غير مكترثان للعالم الخارجي، كل شيء كان رائع، يحلقان في السماء بسعادة، يشعران بأنهما في النعيم، تلاقت أعينهما، عادا لبعضهما، ليتبادلان العشق والهوس والجنون بسعادة كبيرة، لم يظلا وقتاً طويلاً سوياً علماً بأنهما كانا يريدان قضاء وقت أطول من هذا ولكنهما ودعا بعضهما على أمل اللقاء في الغد وبهذه الأثناء سيأتي آسر بوالديه إليها ويطلبها رسمياً ليجعلها زوجته وحبيبته الأبدية.

تجلس في غرفتها تلك الفتاة البريئة، شيء من الملل يتملكها، زفرت بقوة وفكرت في نفسها بأن تحدث يوسف ولكنها تخجل، تنهدت بغيظ مكتوم لتسمع صوت رنين هاتفها ويكون يوسف، اتسعت ابتسامتها عندما رأت اسمه يزين الشاشة لتجيبه بخجل:

"أهلاً يوسف"

تحدث بنبرة هائمة:

"أهلاً ياقلب يوسف"

ابتسمت بخجل ولم تتحدث، وكأنه شعر بخجلها ليقول ضاحكاً:

"هل ظهرت الطماطم أم ماذا"

ضحكت ضحكة رنانة وقد رقص قلبه فرحاً لسماع صوت ضحكتها لتحدثه بخجل:

"أجل ظهرت"

تحدث بنبرة حب:

"أعشقكِ أيتها الطماطم، سألقبكِ بالطماطم من الآن فصاعداً"

ضحكت ضحكة خفيفة لتقول:

"لا مانع لدي، اها بالمناسبة هل حدثت ماريا أم لا"

همهم ليقول:

"أجل لقد حدثتها وطبعاً باسل سيقتل نفسه من جنونها، إنها مجنونة"

ضحكت لتقول:

"لا تقول عن ماري هكذا"

همهم لها بابتسامة ليقول:

"حسناً جلبت لكِ خبر مفرح"

تحدثت بحماس:

"وماهو أرجوك تحدث"

"ضحك على حماسها ليقول:

"مم آسر سيتقدم لخطبة آسيل في الغد"

صرخت من سعادتها وفرحت كثيراً لتسمع يوسف يضحك عليها، تحدث بهدوء:

"حسناً اهدأي حبيبتي لا تكوني مثل أختي أرجوكِ"

همهمت ولم تتحدث لتسمعه يردف لها:

"شهدي"

ابتسمت بخجل لتقول:

"نعم"

تحدث بهيام:

"أعشقكِ"

أحست بحرارة وجنتيها من غزله معها، وكل هذا الغزل على الهاتف فما بالها إن كان أمامها؟ مؤكد بأنها ستنقلب إلى مزرعة طماطم، كان يبثها كل أنواع الغزل والحب بينما هي مستمتعة بكلماته، خجلة منه لأبعد حد، وفرحة عارمة في قلبها، ظلا يتحدثان سوياً مدة من الوقت، ليغلقان الخط ويتواعدان غداً بموعد يقضيانه سوياً وينسيان كل شيء، ليظلا فقط في عالمهما المغلف بغزل وحب وعشق يوسف لشهده.

جالسة في غرفتها وابتسامة بلهاء على محياها، تشعر بأنها خلقت من جديد، وكيف لا؟ وهي كانت مع من ملك قلبها وستصبح له عما قريب، تضحك بسرها وتتذكر محادثته معها، تذكرت عندما ودعها كيف طبع تلك القبلة المفاجئة على شفتيها ليقول بنبرة هائمة (اغتصاب القبلة ألذ من طلبها)، خجلت، توترت، وتوردت وجنتيها، لم تسعها الدنيا من الفرحة، تركته وهبطت من السيارة لتهرب منه وتتحكم بقلبها الذي يدفعها للجنون تجاهه دائماً، الآن ستضحك لها الدنيا وستكون برفقة محبوبها للأبد، ستعيش حياة هادئة وسعيدة، ستكون أسعد إنسانة في الوجود، انتشلها من شرودها صوت هاتفها، لترى المتصل ويكون رقم مجهول، عقدت حاجبيها باستغراب لتجيب بـ:

"أهلاً"

تحدث المتصل بجدية:

"الآنسة آسيل"

نبرتها كانت أشبه للسؤال وليس جواب لتقول:

"أجل"

همهم المتصل ليقول بجدية وثبات:

"عفواً آنستي ولكن السيد آسر أصيب بطلق ناري في صدره وهو الآن في المستشفى"

"تماسكي في هذهِ الساعاتُ يا حبيبتي

فـ عِندَما يُقررُ الشاعرُ أن يثقُبَ بالحروف جلدُ الكرةِ

الأرضيه

وأن يكونَ قلبهُ تفاحةً يَقضُمها الأطفالُ في الأزقةِ الشعبية

وعِندما يحاولُ الشاعرُ أن يجعلَ مِن أشعارهِ أرغِفةً

يأكُلها الجياعُ للخبزُ وللحرية

فـ لن يكونَ الموتُ أمراً طارئاً

لأنَّ مَن يكتبُ يا حبيبتي يحملُ في أوراقهِ ذبحتهُ القلبية"

تجمدت بمكانها، لم تعد تبدي أي ردة فعل، جحظت عيناها بقوة، تسارعت أنفاسها وهبطت دموعها على وجنتها بصمت، بينما من الطرف الآخر والذي كان منتظراً ردها على الهاتف ظل يتحدث وينادي ولكنها لا تجيب، أغلق الخط وقد كان أحد حراس آسر هو من أخبرها كما أمره إذا حدث له أي مكروه، هو نفذ أمره وأخبرها وأغلق الخط ليبعث لها رسالة نصية تحتوي على عنوان المستشفى، بينما سنعود قليلاً للوراء لنعلم كيف تلقى آسر الرصاصة.

:Flash back

بعد أن ودعها كان يقود سيارته ليأتيه اتصالاً من العقيد ليجيبه آسر باحترام:

"أمرك سيدي"

تحدث العقيد برسمية:

"حضرة الضابط آسر ربع ساعة وتكون موجود في مكتبي"

همهم آسر ليقول:

"تحت أمرك سيدي"

أغلق الهاتف وتوجه إلى منزله بسرعة البرق ليرتدي بذلته العسكرية ويتوجه فوراً إلى العقيد، لم يمضي خمسة دقائق ووصل لمكتب العقيد ودخل عليه ليلقي التحية باحترام وإيجاز، نظر له العقيد الذي يدعى سلمان نظرة ذات مغزى وأشار له بالجلوس، توجه آسر وجلس ليسمع صوت يحدثه بنبرة هادئة:

"حضرة الضابط آسر لديك مهمة اليوم في الساعة الثانية عشر بعد منتصف الليل"

ظل آسر ينظر له ببرود وهمهم له ليردف له سلمان:

"اسمعني جيداً سأوكلك بهذه المهمة لإنها خطيرة جداً وأنا أعتمد عليك بكل شيء يا آسر وأعلم بأنك أهل للثقة ولهذه المهمة الهامة لنا بشكلٍ كبير"

حرك رأسه بإيجاب ورسمية ولم ينطق بحرف ومعالم البرود على وجهه، تنهد سلمان بقوة ليبلل شفتيه ويردف له:

"سيكون معك طقم كامل من العساكر والحراس، وطبيعة المهمة هي بأنني أريدك أن تنفذها بروية وحكمة وتقبض على جميع من في مصنع الأدوية، إنهم يهربون الأسلحة والمخدرات من خلاله، ويعتبرونه ركناً هاماً وآمناً لهم كونه بعيد كل البعد عن هذه المدينة وبمكان شبه مهجور، لقد بحثت وجمعت كل المعلومات عنهم بمساعدة أعواننا وعلمنا بكل شيء عنهم، والشخص الذي يترأسهم هو هذا الرجل (محمود) وهو من أكبر رجال المخدرات وتهريب الأسلحة، وطبعاً أنت تعرفه جيداً لإنه لا غنى عن التعريف ومعروف جيداً في وسطه، كما تعلم منذ مدة ونحن نبحث عنه ولكن كان يختفي، واليوم وصلني معلومات بأنهم سيهربون شحنة كبيرة من المخدرات لمعمل الأدوية ومن بعدها سيهربونها إلى خارج البلدة وسيكون محمود برفقتهم كونهم يعتبرون هذه الصفقة مهمة جداً بالنسبة لهم، وكما تعلم أيضاً بأن محمود ليس لديه أعوان أو أحداً يستطيع أن يكون أهلاً لثقته لذلك سيكون هو المشرف عليهم اليوم، وأريد منك أن تقبض عليهم جميعاً وإذا اضطررت لإطلاق الرصاص وجلبهم أموات فلا مانع لدي"

كان يستمع له بتركيز وبكل حواسه ونظرة البرود بعينيه، هو لا يهمه شيء ولا يخاف من شيء، يمارس عمله بكل جد، ولم يكلف بمهمة ذات مرة إلا ونفذها على أكمل وجه، ولكن الآن الموضوع يختلف فهذه المهمة صعبة وخطيرة جداً، ولكن لا يوجد صعب وخطير على آسر، همهم له ليحدثه آسر بإيجاب:

"تحت أمرك سيدي، متى التنفيذ؟ طبعاً يجب علينا أن نراقب المكان وننطلق بأقرب وقت من موعد الصفقة أليس كذلك"

حرك سلمان رأسه بإيجاب ليقول:

"أجل طبعاً ستنطلقون من هنا في تمام الحادية عشر وسأعطيك العنوان لتنطلقون فوراً"

حرك آسر رأسه بإيجاب ليقول:

"بإذن الله"

تحدث سلمان:

"لقد جهزت طقم العساكر والحراسة وستترأسهم أنت وأتمنى لكم الحظ الموفق"

ابتسم آسر من عيناه ولم يتحدث ليسمع صوت سلمان يقول:

"اها بالمناسبة لقد وصلني أخبار بأن الضابط يوسف قد أقيمت خطبته البارحة أليس كذلك"

ابتسم ابتسامة صغيرة ليقول:

"أجل سيدي لقد أقيم حفل زفاف أخته وهو استغل الأمر وخطب الفتاة التي يريدها"

همهم له سلمان بابتسامة ليتحدث بنبرة لعوبة:

"وأنت متى سيحين دورك وستخطب"

اتسعت ابتسامته ليقول:

"غداً"

ضحكا اثناهما ليقول سلمان:

"هذه أخبار جيدة ومفرحة يا آسر، أنت تعلم جيداً بأنني قبل أن أعتبرك ضابط فأنا أعتبرك كأخي الصغير وأتمنى لك الحياة الهنيئة برفقة محبوبتك"

ابتسم آسر مجيباً:

"شكراً لك سيدي، طبعاً ستكون أول المدعوين"

همهم سلمان ليقول:

"بالطبع لن أفوت فرصة كهذه وسأكون أول الحضور لكي أشاركك فرحتك"

ابتسم له بامتنان وحرك رأسه بإيجاب ليردف سلمان بنبرة جدية:

"حسناً أيها الضابط أتمنى لكم الحظ الموفق، هيا اذهب لكي تجهز نفسك وطبعاً السرية التامة لا تنسى ذلك"

نهض آسر بسرعة ليلقي التحية ويتحدث بإيجاب:

"تحت أمرك سيدي، بالطبع لن أنسى"

حرك سلمان رأسه بإيجاب ليستأذن منه آسر ويتوجه إلى مكتبه كي يجهز أموره، بينما سلمان ظل جالساً يحدق بالفراغ، لا ينكر بأنه قلق على آسر وعلى من معه فهو يعرف آسر منذ أكثر من ثمانية سنوات وكان دائماً المرشد والناصح له، يخاف عليه وعلى يوسف كأنهما أخوته ومسؤول منهما، هو بطبيعة عمله يمثل الصرامة والجبروت أمام جميع الضباط ولكن آسر ويوسف حالة خاصة بالنسبة له، تنهد بقوة ودعا ربه بأن يعود سالماً لإنه لن يتحمل إذا حدث له أي مكروه، هو لم يكن يريد أن يبعث به إلى هذه المهمة ولكنه مجبر كونه من أكفأ

الضباط لديه وأكثرهم خبرة وذكاء، لذا اضطر إلى تكليفه بهذه المهمة كما أنه يثق به ثقة عمياء ويعلم بأنه يداري عمله بكل حكمة وروية.

بينما آسر في مكتبه وقد بدأ بجمع لوازمه، واستعد للمهمة بشكل كامل، كان يريد أن يحدث آسيل ويطمئن عليها ويخبرها ولكنه لا يريدها أن تقلق عليه وتظل على أعصابها، زفر بقوة وبدأ يفكر، ماذا إن حدث له أي مكروه؟ ماذا إن لم يعود؟ ماذا سيحدث لها عندها؟ وكيف سينفذ الوعود التي وعدها بها عندها؟ هو لا يهمه نفسه ولكن يريد العيش فقط من أجلها ومن أجل والديه، توكل على ربه ولم يأبه لشيء ودعا ربه بأن يعود سالماً فقط من أجل من بحاجته، تنهد بقوة وأكمل جمع حاجياته ليتوجه إلى مهمته.

الساعة 11:45

يختبأ آسر بسيارته وبرفقته الحراس والعساكر، ينتظر في ذلك المكان الذي ستتم فيه الصفقة، كانوا يختبئون بمكان بعيد قليلاً عن مكان التسليم كي لا أحد يراهم، فـ أي خطوة خطأ يقومها أحدهم سيموتون جميعاً عندها، يراقب الوضع بتركيز، كما أنه وزع عدة دوريات بكامل المنطقة كي يحاصروهم من جميع الجهات، ظل ينتظر إلى أن ظهر أحد الرجال ولا يبدو عليه من رجال محمود لإنه هبط من سيارته وتوجه إلى مصنع الأدوية وعلى الأغلب بأنه أحدٌ من رجال الطرف الآخر الذين سيقومون بتسليمهم الشحنة، انتظر قليلاً ليرى عدة رجال يتوجهون لداخل المصنع وورائهم تأتي شاحنة كبيرة ومؤكد بأنها شحنة المخدرات، بدأوا الرجال ينزلون الصناديق ونقلها للمصنع وكل هذا وآسر يتابعه بتركيز، كان ينتظرهم إلى أن يدخلوا جميعهم للمصنع وعندها سيسهل عليه القبض عليهم، مرت قرابة النصف ساعة وهم يحملون الصناديق المليئة بأكياس البودرة، إلى أن اجتمعوا كلهم في المصنع ليبدأوا بتفريغ الصناديق ووضع أكياس البودرة الصغيرة بـ علب الأدوية.

بينما آسر هم بالنزول من السيارة ليتوجه للمصنع طبعاً بعد أن جمع بحوزته جميع الدوريات وحدثهم عبر اللاسلكي، وأبقى دوريتان تراقبان الوضع من الخارج، تسلل آسر للمصنع برفقة العساكر بهدوء ودون إصدار أية حركة، وزع العساكر على كامل المصنع ليحاصروهم، بينما بقي هو وعدد قليل من العساكر، ظل ساكناً بمكانه لا يتحرك إلى أن خرج أحد الرجال وقد قام بتدبر أمره وضربه على رأسه حتى أغمي عليه، أعطى آسر أمر الهجوم لجميع العساكر الذين كانوا يحاصرون المصنع من الداخل ويحتبئون في ركنٍ ما، ليهجم آسر ومن معه على رجال المصنع ويدخلوا العساكر المتبقيين، كانوا يوجهون أسلحتهم على الرجال، بينما رجال المصنع تسمروا في مكانهم وقد أمرهم آسر بأن يرفعو أيديهم للأعلى وفعلوا مثل ما حدثهم، أمر العساكر بأن يجمعوهم واحداً واحداً ليأتي من يترأسهم وهو محمود ويقف بوجه آسر موجه مسدسه عليه، ليبتسم آسر ابتسامة جانبية بينما محمود ابتسم بشر ليقول:

"لا تعلم كم أنا سعيد بهذه اللحظة، فقط لإن الضابط آسر يقف أمامي"

ابتسم آسر بسخرية ولم يتحدث ليردف له محمود:

"اتطنني غبياً كي أدعك تقبض على رجالي بهذه السهولة، وهل تظنني لا أعلم بأنك أنت من تدبرت أمر رجالي عندما كانوا يبيعون المخدرات في الجامعات"

ابتسم آسر ببرود ليقول:

"وهل رأيت شيئاً بعد؟ نحن مازلنا في البداية، أنت لم ترى شيء صدقني"

حرك رأسه وهو جاحظ العينين ليقول بنبرة غل وتشفي:

"تشاهد على روحك يا ابن زين الدين"

نظر له آسر نظرة قاتلة ليبدأ دوي إطلاق النار هنا وهناك بين رجال محمود والعساكر الذين برفقة آسر، بينما آسر كان يتولى أمر محمود فعندما ألتقط منه المسدس استطاع بأن يهرب منه ويمر من بين هذه المعركة ويختبأ، بينما العساكر استطاعوا بأن يقتلوا عدداً كبيراً من الرجال وقد ساندهم آسر لتتم السيطرة عليهم والقبض عليهم جميعاً، انتهوا من جمع الرجال والقبض عليهم وقد كان هناك إصابات للعساكر، وقد تم نقلهم للمستشفى وتم القبض على الرجال الذين استسلموا وتم الاستيلاء على شحنة المخدرات من قبل العساكر. أما آسر بالنسبة له المهمة لم تنتهي بعد لإن محمود استطاع أن يهرب منه واختفى ولم يعد آسر يراه من شدة الظلام الذي حل، ظل آسر في المصنع وهو يعلم جيداً بأن محمود مازال موجوداً هنا، لم يبقى أحد في المصنع سواه، سمع آسر صوت حركة خفيفة آتية من المخزن الداخلي، اتجه بخطوات بطيئة وحذرة ليدخل إلى المخزن بترقب وحذر، صدح صوت ضحكة خشنة ليلتفت آسر إلى مصدر الصوت ويرى محمود أمامه موجهاً مسدسه نحوه، بينما آسر كان ينظر له ببرود وكذلك كان موجهاً مسدسه نحوه ليسمع صوت محمود يقول:

"العناد في دمك يا آسر"

تحدث آسر بجمود:

"محمود سلم نفسك وهذا أفضل لك، سيخفف عنك العقاب عندما تسلم نفسك"

ضحك ضحكة قوية وساخرة ليقول من بين ضحكاته:

"أتصدق لقد أقنعتني ولكن أريدك أن تتمنى آخر أمنية في حياتك لكي أنفذها لك لإنني لن أسلم نفسي ولن أستسلم، وها أنا أدعك تختار أمنية أخيرة، عد هذه الجمائل"

ابتسم ابتسامة شر ليقول:

"عد أنت آخر لحظات حياتك"

ضحك بسخرية ليقول:

"أنت تحمل المسدس الخطأ يا سيد آسر، فالمسدس الذي بين يديك فارغ الرصاص"

لم يعلم آسر إذا كان صادقاً أم كاذباً، فآسر الآن يحمل مسدس محمود الذي أخذه منه عندما واجهه أول مرة ولكنه كان يستعمل مسدسه الأساسي عندما كان يساند رجاله وقد أفرغ رصاصه وحمل هذا المسدس، ظل جامداً لا يبدي أي ردة فعل ولا يسمع سوى صوت ضحكات محمود الساخرة، تملكه الغيظ من ضحكاته الساخرة وحسم أمره ليضغط على الزناد ولكنه لم يخرج أي رصاصة لإنه بالفعل كان يحمل المسدس الخطأ، ازدادت ضحكات محمود بينما آسر رمى المسدس أرضاً ووضع يديه في جيبه، تحدث محمود ساخراً:

"ألم أقل لك، يا إلهي كم أنت عنيد، هيا هيا اختر أمنيتك الأخيرة"

لم يخف آسر ولم يرمش له جفن، ظل جامداً ليقترب منه بخطوات واثقة وكلما اقترب يبتعد محمود ليقول له:

"لا تقترب وإلا سأطلق النار صدقني"

ابتسم بشر ليقول بتحدي:

"ها أنا أمامك هيا أطلق النار"

في الواقع محمود رجل ذو شخصية شريرة ولا يهاب شيء ولكن نبرة آسر واقترابه منه جعل الخوف يتملكه لا إرداياً، وقف آسر أمامه ليبتسم ابتسامة جانبية ويقول:

"أرني ما لديك يامحمود"

حسم محمود أمره وقام بتلقين المسدس ليوجه المسدس على آسر، بينما آسر استغل قربه منه ليحاول أخذ المسدس منه بحركة سريعة، تجمدا اثناهما بمكانهما بسبب صوت تلك الرصاصة التي أطلقت وقد أصابت أحدهم، ظل آسر واقفاً وابتلع ريقه ولم يعد تحمله قدماه ليسقط أرضاً بسبب تلك الرصاصة التي أطلقت عليه من قبل محمود، ابتسم محمود بتشفي ليوجه مسدسه مرة أخرى عليه وينهي حياته، صدح صوت إطلاق رصاصة أخرى ولكن لم تصب آسر فيوسف هو من أطلق الرصاصة وقد استقرت الرصاصة برأس محمود ليسقط أرضاً جثة هامدة، وها هو يوسف قد أتى في الوقت المناسب عندما علم بهذه المهمة وعلم أيضاً بعدم رجوع آسر وبقية العساكر، ليتوجه إليه فوراً دون التردد حتى، اقترب يوسف منه بسرعة وحدثه بلهفة:

"آسر هل أنت بخير؟ آسر أجبني"

لم يسمع الرد منه لإنه أغمي عليه، دخل جميع العساكر إليه وقد جاءت سيارة الإسعاف لتنقل آسر إلى المستشفى.

.End flash back

استفاقت من صدمتها لتنهض وتتوجه إلى المستشفى بأقصى سرعة، نشر الخبر فوراً واتجه الجميع إلى المستشفى، بينما أدخلوا آسر إلى غرفة العمليات، كانت آسيل تجهش بالبكاء كحال والدة آسر وماريا، لم يكفوا عن البكاء طيلة مكوثهم، ينتظرون الخبر الشافي والمفرح بتوتر وهم على أعصابهم، جاءوا الجميع إلى المستشفى طبعاً الشبان والفتيات ووالدا آسيل ووالدا آسر ووالدا شهد ووالدة باسل، كما أن سلمان كان يقف بملامح حادة ونظرة الندم ظاهرة بعينيه، ندم أشد الندم على إرساله إلى هذه المهمة، شعر بأنه هو السبب بحال آسر الآن، الأعصاب مشدودة، والتوتر بالغ، والخوف ظاهر، كل منهم يدعي له بالشفاء العاجل، كانت آسيل تتآكل من جوف قلبها على محبوبها الذي بين الحياة والموت، ولكنها تدعي بسرها له والخوف يجتاحها.

مضت ساعتان ليخرج باسل وينتفض الجميع ويحومون حوله منتظرين الجواب منه، متأملين بالخبر السار في حالته الصحية، رفع باسل الكمامة من على فمه وتحدث بعد تنهيدة قوية:

"الرصاصة دخلت في صدره أي أن فوق القلب بإنش واحد، ولقد استطعنا إخراج الرصاصة بصعوبة بالغة ولكنه بغيبوبة الآن ولا نعلم كم سيظل على وضعه، كما أننا أثناء العميلة عرضناه للصدمات الكهربائية لإن قلبه قد توقف ولكننا نجحنا بالعملية"

ابتلع يوسف ريقه ليقول بخوف:

"حسناً ولكن ماهي أقصى مدة للغيبوبة"

أجاب بأسف:

"لا أعلم صدقني، محتمل يومان أو شهران أو سنتان، على حسب قوة جسده وإرادته وتحمل قلبه"

عادت وتيرة البكاء لوالدة آسر، بينما آسيل لم تبدي أي ردة فعل سوى الصمت والجمود، ليقوموا الممرضين بنقل آسر إلى العناية المشددة.

مر شهران على الحادثة وآسر مازال في غيبوبته، لم يحدث شيئاً جديداً منذ ذلك اليوم، آسيل تأتيه كل يوم وتجلس بجانبه ولا تدعه أبداً، تحدثه وكأنه يسمعها، تتألم لرؤيته بهذه الحالة، ولكن مع كل ذلك لم يتملكها اليأس أبداً، فهي على أمل لقاءها بعيناه الساحرتان يوماً ما، ولن تمل أو تكل منه أبداً، أقسمت على عدم ابتعادها عنه

والوقوف بجانبه، بينما يوسف لا يختلف بشيئاً عن حال آسيل فهو أيضاً كل يوم يأتي إليه ويجلس أمامه ويحدثه بكل شيء حدث في العمل أو في أي مكان يهمه، كما أن ليث وباسل لا ينفكان عن رؤيته ويأتيان لرؤيته دائماً وباسل لا يتركه أبداً كونه الطبيب المشرف على وضعه الصحي. بينما هناك من يتآكل من ندمه على تسببه بهذه الحالة لآسر وهو سلمان، أيضاً لا ينفك عن زيارته، كل يومان يأتي ويشجعه ويحدثه بأن يستيقظ ليعود لهم من جديد، الجميع يدعون له بالخير والشفاء العاجل، كما أن الجميع كانوا ينتظرون بأن يستيقظ لكي يعود لهم لإنهم اشتاقوا له بحق.

جالسة في غرفته، تضم يده بين يديها الصغيرتين، تقبلها بين الحين والآخر، تنظر له بكل حزن واشتياق، تذرف دموعها بسببه وعلى حاله، تلومه وتعاتبه على غيابه الطويل عنها، بينما هو ممدد على سريره بحالة سكون، لا يبدي أي ردة فعل، تنظر له وتشهق ويحتد بكاءها، في كل يوم تأتي إليه، تنتظره بفارغ الصبر على أمل الاستيقاظ والرجوع لها، اشتاقت لغضبه عليها، اشتاقت لحنانه، لمغازلته، ولبروده المعتاد، تدعي له دائماً بسرها، تبثه كل أنواع حنانها وشوقها حتى وهو بغيبوبته، قلبها ينزف، عينيها تذرف، يديها ترتعش، قدماها لا تقوى على الحركة، دعت الله أن يشفيه، تظاهرت أمام الجميع بالقوة، وهي بداخلها بركان من الخوف، تمنت لو تخفف عنه آلامه وتشاطره المرض، تنعت الدنيا بالحقارة لإنها تتمنى منها الأماني ولا تأتيها إلا بالمآسي، تسأل نفسها؟ كيف لها أن تقف مكتوفة الأيدي وهو في غيبوبته لا تستطيع الحراك، كيف لهذا الزمن القاسي الذي لم يتوقف عن صفعها ليل نهار أن لا يرأف بحالها؟ أن لا يبكي لدموعها؟ أن لا يكون جليسها بسهر الليالي؟ كيف له أن يجعلها بعيدة عنه فهي في واقعها الأليم وهو في غيبوبته التي ليس لها وقت لكي تنتهي؟ كل يوم تمسك بيده وقلبها خاشعاً في محراب الرحمن تدعوه بدعوة متضرعة أن يشفيه، تضع رأسها على يده وتغمض عيناها داعية لربها بأن يستيقظ، لتشعر بيده تتحرك، رفعت رأسها بصدمة لتشعر به يشد على يدها وهو مغمض العينين، ابتسمت بسعادة لتسمعه يهمس باسمها، لم تسعها الدنيا من فرحتها عندما رأته بهذه الحالة، توجهت فوراً للخارج لكي تنادي على باسل ليأتي برفقتها وبسرعة كبيرة مقترباً منه وهو يفحص حالته الصحية، ابتسم بسعادة بالغة عندما رآه يفتح عيناه وينظر لهما بوهن، اقتربت منه آسيل ليوجه كامل حواسه لها وتقبله من جبينه وهي مبتسمة بسعادة، بينما هو ابتسم بوهن ليقول بصوت خافت:

"أحبكِ"

اتسعت ابتسامتها لتقول:

"أعشقك"

قالتها وأمسكت بيده وقبلتها بكل حنان بينما باسل يقف مكتف يديه وينظر لهما بابتسامة فرحة.

علم الجميع باستيقاظ آسر من غيبوبته ليجتمعوا عنده على الفور وهم في غاية سعادتهم.

وها هو آسر يخطو خطواته خارجاً من المستشفى بعد مرور أسبوعين على استيقاظه من الغيبوبة، برفقة محبوبته التي لا تسعها الدنيا من الفرحة ويوسف، تحدث يوسف بمزاح:

"أيها الأحمق بسببك قمت بتأجيل موعد زفافي"

همهم له آسر ليقول:

"ممم لم يحدث شيء ستقيمه في الشهر القادم وسيقام حفل زفافي أنا أيضاً"

قالها وهو ينظر إلى آسيل التي أخفضت رأسها خجلاً، بينما يوسف قفز من سعادته ليقول:

"سيكون هذا رائع ياحبي"

ضربه آسر على بطنه ليتأوه بشدة ويقول آسر:

"لست حبيبك"

تحدث يوسف:

"إذن أنت حبيب من"

أشار آسر بيده على آسيل التي ابتسمت بخجل، ضحك يوسف بخفوت وصمت، بينما آسر وجه نظره إلى آسيل التي كانت تحاول قدر المستطاع بأن تتجنبه من شدة خجلها، لتسمعه يهمس في أذنها:

"حبيبتي لا أريد الخجل عندما نتزوج، كوني جريئة اتفقنا"

أنهى جملته غامزاً لها لتتورد وجنتيها خجلاً وتخفض رأسها للأسفل، ليتجهوا إلى السيارة وينطلق بهما يوسف إلى وجهتهما.

بعد مرور ثلاثة أيام توجه آسر لخطبة آسيل برفقة والديه وقد وجد القبول منهم ليتفقوا على موعد الزفاف بعد شهر من اليوم وطبعاً سيقام حفل زفاف يوسف معه، لم يشعروا بمرور الأيام وقد مضى شهر كامل وجاء اليوم الموعود الذي ينتظره آسر ويوسف بفارغ الصبر.

وسامة، أناقة، طلة بهية، وشخصية محببة، ورجولة صارخة، كل هذه الصفات اجتمعت بهذان الشابان اللذان يقفان بشموخ وبابتسامة محببة، يحاول آسر التحكم بأعصابه وينتظرها بفارغ الصبر، لم يعد يستطيع الانتظار أكثر من ذلك، لقد صبر كثيراً وهو ينتظر الآن ودقات قلبه المتسارعة وعجلته تشهدان على ذلك، تنهد بضيق ليرى ملاكه البريء تتوجه إليه، كانت غاية في الجمال والبرائة، كالملاك الصغير، تتوجه إليه بابتسامة خجولة، توقف العالم عنده في هذه اللحظة عندما رآها بأبهى طلة لها، سحر بها، وأغرم بها أكثر من ذي قبل، لا يصدق بأن كتلة الجمال هذه ستكون له إلى الأبد، وقفت أمامه واخفضت رأسها بحياء بينما هو ارتسمت على وجهه ابتسامة بلهاء وقد أبهر من شدة جمالها، أمسك بيدها وقبلها بحب لتبتسم له خجلاً.

بينما يوسف كان ينتظر شهده على أحر من الجمر لتهبط إليه والبراءة والجمال ظاهران على وجهها، ارتسمت ابتسامة محببة على وجهه عندما رآها بهذا الجمال، أنوثتها تجعله يركع لأجلها، جمالها وشدة برائتها التي لم يرى لها مثيل، ابتسامتها وضحكتها وكلماتها الناعمة تتغلل في كيانه، اتجهت له بحياء لتتسع ابتسامته ويقترب منها ليطبع قبلة مطولة على جبينها، توجهوا أربعتهم إلى المنصة كي يعقدوا القران تحت تصفيقات الجميع، كان الحفل مميز بشكل ملفت للأنظار، ومع وجود كتلتا الجمال هاتان زاده جمال وجمال.

عُقد القران على خير وكل منهم يصرخ من شدة سعادته، لتبدأ رقصة كل ثنائي ويتوجهون لحلبة الرقص، كان آسر ينظر لآسيل بهيام، يتفحص تفاصيل وجهها بحب، كأنه مغيب عن العالم، بينما هي لمسته لها تجعلها ترتعش بقوة، تحاول الهروب من نظراته ولا تحدق به خجلاً منه.

أما شهد ويوسف كانا مغيبان عن الواقع تماماً، يهيمان ببعضهما فقط من النظرات المسترسلة بينهما، كانا فرحان جداً، لا تنكر شهد بأن بعض التوتر والخوف يتملكها ولكن بوجود يوسف لا داعي للخوف، انتهت الرقصة ليعودان إلى أمكنتهم، كان آسر يريد الرحيل فقط، لم يعد يطيق الانتظار، زفر بقوة ليرى ماريا تتجه إليهما وتبارك لهما وتجلس بجانب آسيل وتهسهس في أذنها، لم يعلم بماذا حدثتها، ولكنه يعلم جيداً بأن الخير لا يأتي من وراء هذه الفتاة، شهقت آسيل بخفة لتقول:

"كيف لي أن أفعل ذلك ماريا"

ابتسمت بخفة لتقول:

"صدقيني سيجن جنونه فقط افعلي مثلما حدثتكِ اتفقنا"

حركت رأسها وابتسامة خبيثة نمت على شفتيها لتردف لها ماريا:

"حسناً سأذهب إلى شهدي"

أنهت جملتها وهي تراقص حاجبيها لتضحك آسيل بخفة، ضيق آسر عيناه ليقول:

"ماذا كانت تقول لكِ"

تحدثت بابتسامة:

"لا شيء فقط تحدثني عن حياتها مع باسل"

همهم آسر ليقول:

"مم اها كانت تحدثكِ عن حياتها مع زوجها أم أنها تعلمكِ ما يجب عليكِ فعله في هذه الليلة"

جحظت عيناها بقوة بينما هو ابتسم ابتسامة ماكرة لتقول له:

"أنت ليس لديك أخلاق صدقني، لعين"

حرك رأسه ليقول بتوعد وهو موجه نظره للأمام:

"سأريكِ هذا اللعين ما الذي سيفعله بكِ"

نظرت له بشيء من الخوف لكنها لم تبالي ونظرت للأمام بغرور، بينما ماريا توجهت إلى شهد لكي تحفر في رأسها أفكارها المجنونة، ولكن يوسف منعها من الاقتراب منها لإنه يعلم جيداً بأن شقيقته ستوسوس لها ولن تدعها وشأنها، كما أنه علم بـ الحديث الذي قالته لرنيم في يوم زفافها، لذلك منعها ولم يدعها تقترب منها خوفاً عليه وعلى شهد.

انتهى الحفل بسلام ليتوجه كل ثنائي إلى منزله بحماس، بينما أيضاً الجميع رحلوا متمنيين لهم الحياة الهنيئة طوال الدهر، اتجه آسر بزوجته إلى الجناح الذي حجزه من أجلهما، كحال يوسف أيضاً الذي خصص له جناح في نفس الفندق، توجهوا جميعاً إلى هناك ليدخل كل شاب بعروسه إلى جناحه الخاص، بدأت آسيل تجول بأرجاء المكان وقد أذهلت من منظره، فقد كان رائعاً بكل معنى الكلمة، بينما آسر كان يتابعها بعيناه ويتابع نظرة الانبهار، وأخيراً تحقق حلمه وأصبحت له بعد طول انتظار، اقترب منها ليقول:

"هل أعجبكِ"

حركت رأسها بابتسامة ناعمة وحماس ليبتسم ابتسامة جانبية، توجها لتغيير ثيابهما وتناول العشاء، لم يمضي وقتاً طويلاً ليدخلان إلى غرفتهما، كانت آسيل تفكر بكلام ماريا هل تنفذه أم لا؟ ولكنها أعجبتها الفكرة لذا ستنفذها، اقترب منها آسر ووضع يديه على خصرها وقد كان عاري الصدر، جحظت عيناها بقوة عندما رأته بهذا المنظر، كذلك صدمت من عضلاته البارزة وضخامة جسده، انبهرت من هذا المنظر وسرحت، أما آسر كان يحاول كتم ضحكته على منظرها المضحك، فهي يكاد فمها يصل للأرض، حمحم آسر ليتحدث بابتسامة:

"مابكِ"

تحدثت بعيون جاحظة:

"ها"

ضحك آسر عليها بقوة بينما هي انتبهت إلى نفسها وتوترت بشدة، اقترب منها ليلامس جبينه بجبينها، أغمض عينيه مستمتعاً بهذه اللحظة، الأن يستطيع أن يفعل معها ما يحلو له ولا أحد سيقف بوجهه، توترت آسيل لتبتعد عنه بتوتر ليعقد آسر حاجبيه ويقول:

"ما بكِ آسيل"

جالت بنظرها بأنحاء الغرفة لتقول:

"اا لن ينفع ذلك، لا أستطيع"

تحدث بشيء من الحدة:

"ماذا تقصدين"

بللت شفتيها لتقول:

"قلت لك لا أستطيع أريد النوم"

كانت ستمشي ولكن يده منعتها من التحرك ليعقد حاجبيه ويقول:

"لماذا لا تستطيعين ها؟ ما الذي حدث لكِ"

أصابها التوتر لتقول:

"مم لا أستطيع فأنا لا يُسمح لي الآن"

رمش آسر عدة مرات وابتلع ريقه، دعى بسره بأن لا يكون الذي في باله صحيحاً ليقول بنبرة مترقبة:

"هل أنت في اللعنة الشهرية آسيل"

حركت رأسها بإيجاب وأخفضت رأسها بخجل لينظر لها بغيظ ويقول بصوت أشبه للصراخ:

"ولما لم تقولي مثلاً؟ وأنا اللعين أنتظر هذا اليوم بفارغ الصبر، اللعنة على حظي"

كتمت ضحكتها وصمتت، بينما آسر يجول بأرجاء الغرفة وقد تملكه الغيظ والغضب، زفر بقوة ليقول:

"والآن اذهبي ونامي، اللعنة على هذا اليوم"

حاولت جاهدة أن تخفي ابتسامتها، بينما آسر أصبح يزفر بشدة ولعن هذا اليوم تحت أنفاسه مئات المرات، بدأ يقضم أظافره بغيظ وهو عابس الوجه، أما آسيل كانت تتابعه بابتسامة مستمتعة، ولكنها لم تستطع تحمل رؤيته بهذا الشكل لتنهض وتتوجه له، جلست بقربه ووضعت رأسها على كتفه بينما هو زفر بقوة ليقول:

"آسيل اذهبي من هنا، لا تغيظيني أكثر هيا اذهبي"

ضحكت ضحكة صغيرة لتقول:

"حبيبي أريد أن أقول لك شيئاً ولكن من دون أن تصب علي كل غضبك اتفقنا"

نفخ خديه ليقول:

"ماذا"

ابتسمت لتقول:

"كنت أمزح معك فقط، أنا سليمة"

نظر لها بصدمة وما لبث ليتحول إلى غيظ كبير، نهض ليمسكها من يدها ويتحدث بغيظ و حدة:

"آسيل هل تريدين أن أموت بسكتة قلبية أم ماذا؟ أجيبي"

هزها بعنف لتتأوه وقد شعرت بغضبه لتقول مدافعة:

"صدقني هذه ماريا هي من قالت أن أفعل ذلك"

عض لسانه بغيظ ليتحدث بغضب مكتوم:

"اها هي من قالت لكِ أن تفعلي ذلك"

حركت رأسها بإيجاب ليحرك رأسه ويتوعد لماريا بأشد العقاب، جرها ورائه إلى السرير ليدفعها بقوة وتتأوه قليلاً، اعتلاها ونظر لها بغضب لتبتلع ريقها وعلمت بأن ليلتها لن تمر على خير، تحدث آسر بهمس:

"ستنالين عقابكِ"

اقترب منها والتقط شفتيها بقبلة عميقة وقوية لدرجة أن شفتيها نزفت، ابتعد عنها ليرى دمعة ساخنة سالت على خدها ليمسحها بإبهامه ويلامس أنفه بأنفها ويقول:

"أنا أسف"

عاد لتقبيلها مرة أخرى ولكن كان هادئ جداً لتبادله هي من بعدها ويتعمقا بالقبلة، رحلا لعالمهما الخاص، عالمهما الذي يشوبه الدفئ والحنان والعشق اللامنتهي لديهما، لم يعكس شخصيته الحادة عليها بهذه الليلة بالذات وهي بين يديه، احترم بأنها ليلتها الأولى وكان يبثها حبه وحنانه، بينما هي فقد رأت الجانب اللطيف والمحب منه، لم تعلم بأنه بتلك الحنية والهدوء، يهيمان ببعضهما أكثر وأكثر، غير آبهين للعالم الخارجي ومن فيه، فقط هو وهي.

" تحققَ الحُلم

أصبحتَ حبيبي الآنَ بينَ يدي

تركتَ أهلكَ مِن أجلي وجئتَ إلي

وبأمرِ الله وسنةِ نبيهِ أصبحتَ سيدي وصياً علي

تحققَ الحُلم

لم يعُد يقفُ شيء بَيني وبينكَ

لم يعُد بـِاستطاعة أحدٌ أن يمنعني مِن رؤيتكَ عِندما تشتاقُ إلي

وصارَ باستطاعتي أن أختبئَ منكَ حتى تبحثُ عني بلهفةِ عاشقٍ إلي

بينما عند يوسف وشهد، جالسان في غرفتهما، التوتر ظاهر على شهد، بينما يوسف لم يحبذ إخافتها منه أو الاقتراب منها لذا بدأ يحدثها بأمور عدة كي يزيح التوتر عنها، هدأ من روعه قليلاً فهو خائف أكثر منها، لا يعلم لما، علماً بأنه كان زير النساء وكان الأمر طبيعي جداً له ولكن الآن الوضع مختلف، فهي محبوبته وزوجته وكل شيء في حياته، لذا ستكون معاملته معها مختلفة تماماً، حمحم ليقول:

"حبيبتي هل تريدين النوم"

ابتلعت ريقها بتوتر لم تعلم بماذا تجيب، حركت رأسها نافية بصمت، هو لا يريدها أن تخاف منه أو أن يجبرها على شيء، زفر بقوة وهو لا يعلم كيف يتعامل معها، أيقترب أم لا؟ يريدها أن تعطيه الإشارة الخضراء فقط ومن بعدها تسهل أموره ولكنها صامتة لا تبدي أي ردة فعل، اقترب منها وحاوط خصرها بيديه وابتسم لها لتبادله الابتسامة بتوتر ليقول بهدوء:

"شهدي حبيبتي أعلم بأنكِ متوترة جداً ولكن أنا لن أجبركِ على شيء، كوني مطمئنة اتفقنا"

ابتلعت ريقها وحركت رأسها بإيجاب ليردف:

"حسناً هيا إلى النوم"

توجها سوياً للسرير وتمددا ليناما، اقترب يوسف منها وأحاط بذراعيه جسدها الصغير، بينما هي أغمضت عيناها وكانت تشعر بالخجل، لم تعلم ماذا تفعل، أتوافق أم لا؟ فهو لا ذنب له، هو رجل ولديه رغبات وهي زوجته وعليها أن تطيع رغباته، عقدت حاجبيها بحيرة ولم تعلم ماذا تصنع، هي لا تشعر بالخوف بوجوده ولكن الحادثة التي حدثت معها جعلتها تخاف من العلاقة الزوجية ذاتها، رفعت نظرها لترى يوسف مغمض العينين ويده تعبث بشعرها، بحركة لا إرادية منها بدأت تعبث بشعيرات صدره العاري، فتح يوسف عينيه وبدأ قلبه يطرق بعنف، اقشعر بدنه من لمستها، ظل ساكناً وهو يفكر هل يعقل بأنها تريده أم هي حركة عفوية، ظلا على حالهما مدة قصيرة لينظر لها يوسف وترفع رأسها لتتلاقى أعينهما، ابتسم لها ابتسامة جانبية لتبادله، تجرأ ونزل لمستواها ليلتقط شفتيها بقبلة هادئة ومحبة، بينما هي صدمت أولاً ولكن بعدها تخدرت لتبادله فوراً، مزيج من المشاعر كان يشعر بها يوسف كأنه يحلق في السماء، شعور لا يوصف اجتاحه عندما قبلها، نعم لم تكن أول امرأة يقبلها ولكن شهده حالة خاصة وكتلة جمال تخصه، أما شهد كانت غارقة معه لأبعد حد وتشعر بالسعادة التي لا توصف، ابتعد عنها قليلاً وبأنفاس لاهثة وصوت متهدج تحدث:

"هل تسمحين لي"

رأت نظرة الرغبة والحب، حركت رأسها بخجل ليبتسم بسعادة ويعاود تقبيلها من جديد، لم يشعر بالرفض منها بادلته وتجاوبت معه، كان حريص جداً عليها، يبثها أنواع الغزل والحب أثناء فعلته معها، يهيم بها ويخاف عليها ويعاملها برقة كأنها لوح زجاج شفاف يخاف أن ينشعر أو يكسر، احترمها وعاملها بروية، يشعر بالسعادة وهي بأحضانه ومتجاوبة معه، لا يصدق بأنها بين يديه وبإرادتها، رحلا سوياً لعالمهما الخاص ليعزفان أحلى الأنغام بحب وحنان ومشاعر متبادلة.

" خُلوتي

ملاكي

إفتحي ذِراعيكِ ودعيني أتوه

دعيني أنسى نفسي ومَن أنا

وأخُذُ

جُرعة مُفرطة منكِ "

بعد مرور أربعة سنوات:

يخرج ذاك الشاب، يرى النور ويرى الشمس، يأخذ نفساً عميقاً مستمتع بحريته، ولكن خرج ولا يعلم إلى أين ينتمي ولمن ينتمي، ليس له أحد، تخلا الجميع عنه، أو بالأصح هو من تخلى عنهم لإنهم لم يصلحون له، يفكر بينه وبين نفسه، أضغاث زمن هاربة من سجن الزمن، صوته مخنوق بين قضبان ذاته، وتنهدات روحه وصفعة الأيام على أعتاب قلبه، لا يمكنه الكلام، فصوته ضاع بين الزحام، قلبه الآن أضحى غابة محترقة تماماً، لم ينجو منها سوى أشباح الماضي، الساعة تدق في داخله الآن، وساعة الحائط غير موجودة، وساعة يده مركونة على الرف، وساعة الزمن تدور لتعلن أن الوقت قد انتهى في الماضي، تعطلت ساعته الوحيدة لنفاذ بطارية التشغيل مع أول يوم سجن فيه، وكبلت يداه السلاسل لتكبل معها مصير حياته، ومستقبل أيامه التي بقيت من الماضي، وأضحى الماضي هو الحاضر والمستقبل بعد الإفراج عنه.

الماضي لدى محكمة الجنايات الكبرى للزمن، يتربص لحظة تنفيذ الإعدام لكل شيء، لكل الأحلام الوردية، الماضي قاضي ظالم، وحاكم ظالم، وبشر ظالم، وزمن ظالم، ومجتمع ظالم بالنسبة له، الماضي ابتسامة صفراء تسللت إلى شفاه ممنوع عليها الكسب الحرام في زمن الحرام، الماضي بكارة قلب فضت باسم الشرف بزمن اللاشرف، الماضي طلقة نارية طائشة من سلاح غير مرخص يصيب الهدف من أول مرة، الماضي قاتل غير مستفيد من أسباب التبرير في قانون عقوبات يرفض الجريمة في زمن الجريمة والإرهاب.

هل سيجد مآواه بعد خروجه من السجن؟ وإن لم يجد من يئويه سيعود لقضبان السجن في عزلته ووحدته وهذا سيكون أفضل بالنسبة له، لقد ظلم وظُلم، قتل نفس بغير حق ونال جزائه، خرج بعد أربع سنوات من عذاب

وشقاء السجن، حكم بسبع سنوات ولكن نظراً لحسن سلوكه وتوبته الصادقة أصدروا عفواً وقد شمله لبداية حياة جديدة وأشخاص جديدة، تاركاً الماضي خلفه ورامياً كل شيء وراء ظهره.

تنهد بقوة متجهاً إلى منزله، لم يمضي وقت طويل ليصل إلى منزله الذي هجره منذ أربع سنوات ونصف تقريباً، دخل ليراه مظلم وهادئ، شعر بوهلة منه، لم يحبه ولم يطيقه، دخل إلى غرفته التي كان يمكث فيها، ما إن دخل حتى تذكرها وتذكر رائحتها التي تغلغل في كيانه، هبطت دموعه دون سابق إنذار، يتمنى لو أن يعود الزمان للوراء لكان أفضل وأحسن من ماهو عليه ولم يكن ليخسرها، مازال يحبها ولكنه اقتنع بأنها ليست له، مسح دموعه بباطن كفه ليبدأ ويتلمس صورتها التي ظلت معه منذ أن رحلت عنه، يتأملها ويتأمل براءتها، يفكر هل تزوجت أم أنها مازالت عزباء؟ هل كلفت وأصبح لديها رجل تسلمه جسدها بكل حب؟ وهذا الرجل هنا يحترق من داخله، ابتسم بسخرية على تفكيره الساذج، تنهد بعمق ونظرة البرود تحيطه، قرر الابتعاد ولم يعد يريد المكوث هنا، سيسافر ويترك كل شيء، سيبدأ حياة جديدة بعيداً عن كل وجع وكل حزن، نهض ليرتب أموره وهو عازماً على السفر دون عودة.

في المساء بعد أن رتب جميع أموره وحجز بالطائرة المتوجهة إلى تركيا حصراً، يتنهد بعمق، قلبه يدق بسرعة، يريد الابتعاد والطمأنينة، لا يريد شيئاً سوى راحة البال، حزم أمتعته وخرج لينتظر سيارة أجرة تنقله إلى المطار، بينما كانت من الجهة الأخرى فتاة تنتظر سيارة أجرة أيضاً، لتأتي سيارة أجرة ويهم الشاب والفتاة بالركوب بالسيارة سوياً، نظر لها عاقد الحاجبين باستغراب وهي كذلك ليقول:

"لو سمحتي يا آنسة أنا من ركبت قبلكِ لذلك تفضلي بالنزول"

تحدثت الفتاة والتي تدعى فرح ذات الاثنان والعشرون عاماً لتقول بامتعاض:

"لا يا أستاذ أنا من ركبت قبلك وأنت من سينزل وليس أنا"

زفر بقوة وهو يحاول تهدأة أعصابه لإنه صدقاً ليس له المزاج الجيد كي يناقش ليقول بثبات:

"الأفضل لكِ أن تنزلي يا آنسة ومن دون نقاش لإنني أنا من ركبت قبلكِ هيا إذا سمحتي"

اغتاظت فرح من طريقة كلامه لتقول بقليل من الحدة:

"قلت لك لن أنزل ولن أتزحزح من مكاني، وأنت يجب أن تنزل هيا إذا سمحت"

احتقن وجهه وتصاعدت الدماء لوجهه ليقول بنفاذ صبر:

"واللعنة لما لاتفهمين ها؟ لا تسببين لي الصداع، هيا انزلي واركبي بغير سيارة"

احتدت ملامحها ونفخت خديها بغضب، وكل هذا الحديث يسمعه سائق التكسي والسيارة متوقفة، تدخل السائق ليقول كي يحل هذه المشكلة:

"عذراً على تدخلي ولكن إلى أين وجهتكما أنتما الاثنان"

تحدثا بصوتٍ واحد:

"إلى المطار"

نظرا لبعضهما باستغراب ليبتسم السائق ابتسامة خفيفة ويقول:

"حسناً هل تمانعان الركوب معاً وإوصالكما أنتما الاثنان في نفس الوقت بما أن طريقكما واحد"

لم يعترض وائل ولا حتى فرح، ظلا صامتان وقد علم السائق إجابتهما لينطلق متجهاً إلى المطار.

في المطار

يجلس وائل منتظراً نداء طائرته، بينما تلك الفتاة تجلس أمامه في المقعد الأمامي وهي تتابعه بعيناها، تنظر له ولملامحه الرجولية، شعرت بالإحباط كونها تحدثت معه بتلك الطريقة الغبية، بينما وائل كان جالساً بصمت، شعر بنظرات تلك الفتاة وبدأ ينظر لها بطرف عينه، يتأمل ملامحها من دون أن تنتبه، ابتسم من عيناه عندما رأى لون شعرها البندقي ليتذكر لون شعر آسيل فوراً، تذكر أيضاً طريقة حديثها وامتعاضها، كـ طريقة حديث آسيل وغضبها وعنادها، زفر بقوة ونظر للأمام ليراها متجهة له بحياء، ضيق عيناه عندما رآها جلست بجانبه، تعجب من فعلتها لتحمحم هي وتقول:

"اا أنا أسفة على الإزعاج ولكن أريد أن أعتذر على طريقة كلامي في السيارة، لقد كنت أمزح فقط"

ضحك ضحكة رنانة على توترها وحديثها ليقول:

"تمزحين؟ وهل تعرفيني حتى تمزحين معي"

توردت وجنتيها من حيائها وغبائها الشديد لتقول بتوتر:

"مم لا، لا أعرفك أعني أنني لم أكن أقصد فقط"

همهم ليقول بابتسامة:

"حسناً لا بأس، وأنا أعتذر أيضاً منكِ، بالمناسبة ما اسمكِ"

ابتسمت بخجل لتقول:

"اسمي فرح وأنت"

اتسعت ابتسامته ليقول:

"وائل، اسمي وائل"

همهمت لتقول:

"تشرفنا"

حرك رأسه بإيجاب لتردف له:

"مم إلى أين وجهتك؟ أقصد إلى أين ستسافر"

تحدث وائل بهدوء:

"إلى تركيا"

ضحكت ضحكة بلهاء لتقول:

"واوو وأنا أيضاً، يبدو أننا سنصبح أصدقاء"

ابتسم لها بلطف ليقول:

"أجل لا مانع لدي، يسعدني ذلك"

اتسعت ابتسامتها وحركت رأسها ببلاهة، بينما هو ابتسم بتهكم على طلاقتها وعفويتها واسترسالها في الحديث، صدح نداء الطائرة ليتوجه كل من وائل وفرح إلى الطيارة، جلسا بجانب بعضهما، وأقلعت الطائرة، بدءا بالتعرف شيئاً فشيئاً والأحاديث العادية جداً، استطلف وائل تلك الفتاة جداً على ظرافتها وحديثها المسلي، بينما فرح فرحت كثيراً بالحديث معه وشعرت بانجذاب كبير له، كانا يتحدثان بأمور عدة وقد نسي وائل كل همومه بحديثه معها.

مضى وقت طويل ليصلان إلى تركيا وهبطت الطائرة معلنة عن وصولها، نزلا سوياً ومازالا يتحدثان ويضحكان وقد أصبحا أصدقاء بالفعل، تبادلا أرقام الهواتف ورحل كل منهما إلى وجهته موعودان بلقاء آخر قريب جداً.

مر أربعة أشهر على صداقتهما ومازالا يخرجان مع بعضهما البعض، شعر وائل بشيء من الحب تجاهها ولكنه خائف من المبادرة، بينما هي كانت مشاعرها أقوى بكثير فهي من اللقاء الأول بينهما وهي واقعة له ولعيناه الزرقاء، تفرح كثيراً عندما يحدثها بأموره، تطير من سعادتها عندما تسمع صوته الرجولي، تتأمله كل مرة بلقاءها به، بينما هو اعترف بأنه وقع لها وأعجب بها، ولكن مازالت محبوبته السابقة تسيطر عليه وتخطر على باله في أغلب الأوقات، يريد التقدم في حياته ونسيانها لإنه علم من مصادره الخاصة بأنها تزوجت وقد أنجبت من زوجها أيضاً، هو لم ينساها أبداً عندما كان في السجن وكان دائماً يتذكرها وتخطر على باله إلى حد الآن، يريد أن يعيش حياة هادئة طبيعية وأن يعيش مع التي يحبها ولكن ليس قبل أن ينسى آسيل، هو يريد فرح ولكنه لن يظلمها معه، مازال يفكر بآسيل وهو لا يريد أن ينساها بفتاة أخرى.

تذهب أيام وتأتي أيام ومازال وائل على معرفة بفرح، جاءت فترة من الزمن وانقطعت أخبارها عنه وعندها شعر بشيء ينقصه وحزن جداً عندما علم بأنها عادت لبلادها ولكنها عادت بعد أسبوعان، وقد فرح جداً برجوعها وأقسم على أنها زينت حياته وأفرحتها.

يقف أمام المرآة يعدل من هيئته، يضع من العطر الخاص به وهو بكامل أناقته، حسم أمره وسيجعلها ملكه، لن يضيعها من يده بعد أن التقى بها، يتنهد بقوة ويتجه لها بعد أن طلب منها موعد خاص، بينما هي تزين نفسها وتخرج بكامل أناقتها، اختارت فستان ناعم وجميل باللون الأزرق كلون عيناه التي تعشقها، تتوجه له وهي بكامل أنوثتها، كان ينتظرها بالأسفل في سيارته، تمشي بخطوات واثقة ورزينة، وهذا ماجعل من وائل يصر على قراره، ابتلع ريقه وبدأت حرارة جسمه بالغليان، ركبت بجانبه لتلقي عليه التحية ويتجه بها إلى وجهته، لم يمضي وقت طويل حتى وصلا إلى شاطئ البحر، يقف أمامها بجمود ولكن داخله قلق وخوف، يحاول جمع كلماته بينما هي تتابعه بعيناها الزيتونية الممزوجة بالعسل، تحاول أن تكتشف مايريد قوله، زفر بقوة ووضع يده على وجهه تعبيراً عن توتره، ابتسمت ابتسامة خفيفة وقد ظهرت غمازتيها الصغيرتان لتقول:

"ما بك أبو اللول"

نظر لها رافع الحاجبين ليقول باستنكار:

"ماذا قلتي فرح"

ضحكت ضحكة صغيرة لتقول:

"أبو اللول، ما رأيك بهذا اللقب؟ أو ممم لولي ها ما رأيك اختر واحداً"

امتعض وجهه ونظر لها بغيظ ليقول بغضب مكتوم:

"لا أحب الدلع، اسمي وائل وانتهينا"

قلبت شفتها السفلى وقد نظر لها وائل ولفتت نظره، عض على شفته السفلى من دون إرادته، بينما هي رأته ورأت نظرة الرغبة بعيناه لتخفض رأسها خجلاً، تنهد بقوة وقال بهدوء:

"حسناً سأتحدث وأنتِ بعدها تعطيني الجواب النهائي اتفقنا"

عقدت حاجبيها لتقول ببراءة:

"لم أفهم"

تسارعت أنفاسه وحدث نفسه (واللعنة لا تنظري لي هذه النظرة، يا إلهي أعني يارب)، زفر بقوة ليتحدث بهجوم:

"هل تقبلين الزواج بي"

شهقت بقوة ونظرت له بصدمة، لم تصدق ماقاله وما طلبه لتقول بصدمة:

"أعد ماقلته"

عقد حاجبيه ليقول:

"مابكِ؟ قلت هل تقبلين الزواج بي"

ظلت مصدومة من حديثه، نظر لها باستغراب ليقول:

"ما بكِ لما تنظرين هكذا؟ اها واضح بأنكِ لن تقبلين، حسناً سأغير رأيي"

شهقت بقوة لتتقدم خطوة منه وتمسكه من ياقة قميصه وتقول:

"تغير رأيك في ماذا أيها المجنون"

نظر لها وهو متعجب منها بشدة، رمش عدة مرات وتسارعت أنفاسه من اقترابها، ظلت سارحة بعيناه الزرقاء، لم تعلم كيف ومتى تجرأت لتتقدم منه وتمسك رأسه بكلتا يديها بلطف وتقبله قبلة عميقة، جحظت عينان وائل بقوة ولم يصدق بأنها هي من بادرت بهذا الشيء، ابتسم أثناء القبلة وأغمض عيناه مستمتعاً بهذه اللحظة، وأقسم على أنه أسير لعيناها ولها بالكامل وبأن هذه الفتاة ستقوده للجنون بعفويتها وبرائتها، فصلا القبلة لتبتعد فرح وتعض على شفتها السفلى من شدة خجلها وغبائها، لعنت نفسها على تسرعها وعفويتها، تقدم منها وائل ليمسكها من خصرها ويقول بصوتٍ متهدج:

"لم أسمع جوابكِ"

نظرت له بحب لتبتسم له وتقول:

"موافقة"

اتسعت ابتسامته وحملها ليدور بها وهما يضحكان، أمضيا أجمل يوم في حياتهما وقد قررا إقامة حفل زفافهما في الأسبوع المقبل، وصل بها إلى أمام منزلها، توقف بسيارته لينظر لها وقد كان وجهه جامد، شعرت بجموده لتقول:

"ما بك وائل"

تنهد بعمق ليقول:

"اسمعيني جيداً فرح، إذا كنتي تريدين إمضاء بقية حياتكِ معي فلا أريدكِ أن تسأليني عن ماضيي أبداً، أنا لست ملاك وقد مررت بتجارب كثيرة وخاطئة أيضاً وها أنا قررت بأن أمضي وأتقدم في حياتي معكِ أنتِ فقط، فهذا كل ما أريده منكِ لا أريد التحدث عن الماضي أبداً اتفقنا"

ابتسمت بلطف وأمسكت يده وقبلتها قبلة لطيفة لتقول:

"حبيبي لا يهمني أي شيء من الماضي ولا يهمني كم أخطئت وكم أذنبت، كل ما يهمني هو أن تظل بجواري لأجعل حياتك جنة ونعيم، صدقني لن تهون علي وسأحافظ عليك بقلبي وبكامل قوتي وسننسى كل الماضي لنبدأ صفحة جديدة وبداية جديدة"

نظر لها بأعين دامعة، ألهذه الدرجة تحبه ومتعلقة به؟ ألهذه الدرجة متقبلة حاله ومزاجه؟ علم بأنها هذه هي الفتاة التي ستهتم به وتنسيه ألم الماضي الذي مر به، ابتسم لها ابتسامة واسعة واقترب منها ليلتقط شفتيها ويهيم بها وبحبها أكثر فاكثر.

أنقاط متفرقة، متناثرة، تشكل سوياً اللوحة مكتملة، أجزاء متفرقة تتشابك لتصنع لوحة، قصيدة، لحناً، أو حياة أحداث متباعدة تتقارب، مواقف تتلاحم، قصاصات تتناثر فى الهواء، نفحات تحمل خبراً، نسمات تعبر الروح، ودقات تنبىء القلب بما يريد أو لا يريد، نقول عنها صدفة، علامة، نقول نصيب، والأصل فيها قدر، والحدوثة مكتملة تشكل لنا جميعاً كل الأقدار، قدر يسعدنا أو يشقينا، يفرحنا اليوم ويبكينا غداً، فما ترى حلكته اليوم قد يزداد بياضه مع الايام، وماترى فيه النور قد تشتد ظلمته، وماترى فيه الحياة يأتى لك بالفناء، وماتأمل فى زواله يمسى لك كل الحياة، مجموعة صدف متناثرة، علامات على الطريق، إشارات غامضة لاندركها فى حينها، قصاصة ورق صغيرة تغير مجرى الحياة، غريب على الطريق، لحن خافت يحمل وميضاً فى اتجاه معاكس، مجرد صدفة تجعل الغريب قريباً والحلم وهماً والأيام مجرد حياة، وصدفة ستجمعك بها فتأتى أجيالاً من بعدها، والأصل فى القدر أن نستمتع به إلى أن يتبدل، وعند أكتمال الصورة نرى الوجود جميلاً ولم ندركه فى حينه، والربيع صحواً وكنا ننتظر الخريف والشتاء قارصاً فى انتظار نسمات الصيف، فلا رأينا جمال الصقيع، ولا أدركنا نفحات الربيع، ولا استوعبنا سر الحياة.

" حينَ سأتحدثُ عن جمالِ الصُدف

سأكتفي بـِ تلكَ الصدفة

التي جمعتني بكِ "

ممددة على سريرها، تنام بعشوائية، منذ أن تزوجت وهي لم تبطل عادة نومها العجيبة هذه، وذلك الروميو يتابع تفاصيل وجهها بابتسامة هائمة، حركها بخفة لكي تستيقظ ولكن لا حياة لمن تنادي، تمتعض بوجهها ويضحك عليها زوجها، اقترب من أذنها ليتحدث بنبرة هائمة:

"أعشقكِ يافتاة"

ابتسمت وهي مغمضة العينين لتتسع ابتسامة باسل ويردف لها:

"هيا انهضي أريد قبلتي"

نهضت بنصف جسدها وبعينان نصف مفتوحة لتقول:

"أنت لا تشبع أبداً، لن أعطيك أية قبلة ابتعد"

جاءت لتنهض ولكن يده التي أمسكت بها منعتها من ذلك، تعلق بها وكأنها أمه ليقترب ويقبلها قبلة صغيرة على رقبتها لترتعش إثر قبلته، ابتسم وهو يدفن وجهه برقبتها ويستنشق عطرها، تحدث بصوتٍ خافت:

"هيا أريد قبلتي"

ابتسمت واقتربت وأمسكت وجهه بكلتا يديها لتقبله ولكن صوت أحد صغير جعلهما ينتفضان ويبتعدان عن بعضهما، شهقت ماريا عندما رأت ابنتها لين ذات الثلاث سنوات أمامها والتي أخذت تفاصيل وجمال والدتها، بينما باسل كز على أسنانه وتمتم بحنق:

"يا إلهي ما الذي جاء بكِ أيتها القردة"

ضحكت ماريا ضحكة رنانة لتجعل ابنتها تقترب شيئاً فشيئاً وترتمي في أحضانها، تحدثت الطفلة بنبرة ناعمة:

"مامي أريد الحليب"

ابتسمت ماريا ابتسامة واسعة بينما باسل ظل محتقن الوجه لتقول:

"حسناً ياروح مامي وقلبها"

نظر لها باسل بغيظ ليقول:

"هيا أريد أن أتناول الفطور"

ضحكت ماريا لتقول:

"حسناً حبيبي ولكن ليس قبل أن أعطيها الحليب ياقلب ماريا"

نظر لها بغيظ وكز على أسنانه، بينما تلك الطفلة تنظر لوالديها ببراءة وتتابع الحديث وهي غير مستوعبة شيء، نهضت ماريا لتحضر لابنتها الحليب الخاص بها، بينما باسل كان يتابعها ويتابع حركتها بنظرات هائمة، استغل عدم وجود ابنته والتي كانت تجلس في الصالة تتابع الرسوم المتحركة الكرتونية ليقترب منها ويحاوط خصرها وهي معطية له ظهره، جفلت ماريا ومن بعدها ابتسمت، ليتحدث بجانب أذنها:

"هيا أريد قبلتي، تلك القردة أتت في الوقت الخطأ عندما كنا في غرفتنا"

استدارت له وهي عابسة لتقول:

"لا تقول عن ابنتي هكذا أفهمت"

همهم لها ليقول:

"حسناً والآن أريد قبلتي"

ابتسمت له واقتربت لتطبع قبلة على شفتيه ولكن ابنتها جعلتها تبتعد فوراً، جاءت لين لهما وتحدثت:

"ماذا تفعلان"

ابتلعت ماريا ريقها بينما باسل كتلة الغضب كاد أن يقتلها، كور قبضته وعض على يده وأخرج صوت معبراً عن حنقه وغضبه، التفت لابنته ونظر لها بغضب بينما هي كانت تنظر له ببرائة وتضع إبهامها الصغير في فمها، احتقن وجهه وخرج من المطبخ بالكامل، بينما ماريا كانت تحاول كتم ضحكتها، وما إن خرج حتى انفجرت ضاحكة وقد شاركتها لين بالضحك وهي لا تعلم شيء فقط تضحك مع ماريا.

" شفتاكِ تُثملني كعشرينَ كأسِ خمر

فـَ حينَ تمرُ على أطرافِ شفتي تذوبُ وتتمزق

فـَ بِشفتيكِ ينسكبُ هذيانِ جنوني

سأمارسُ شريعةِ العشق بينَ شفتيكِ

وسأغتالُ أنفاسكِ وأرويها من سِحر رجولتي

فـَ حينَ أشتاقُكِ أركضُ بشوقي وأغمُركِ بقبلةٍ عميقةٍ منبعها الشوق

أدمنتُ شفتيكِ "

يوسف وشهد

ذلك العاشق الولهان الذي يبث محبوبته كل أنواع الغزل والحب والرومانسية، لم يحزنها يوماً، كان دائماً يساندها ويساعدها بكل شيء، يحمد الله ويشكره على هذه النعمة التي وهبه إياها، تنام في أحضانه كل ليلة، لا يغمض له جفن إلا عندما يتأكد بأنها نامت وذهبت في نوم عميق، يتأمل تفاصيل وجهها وبراءتها، منذ أربعة

سنوات وهو لم يفارقها أو يجرحها بكلمة واحدة، ينظر لها وهو يكاد لا يصدق بأن محبوبته معه منذ أربع سنوات، وطبعاً اليوم عيد زواجهما وقد جهز يوسف وآسر كل شيء من أجل الاحتفال في هذه الليلة المميزة.

اقترب منها وطبع قبلة صغيرة على وجنتها وهو مبتسم، ولكنه عبس عندما لم يرى منها أية ردة فعل فهي نائمة، حركها بخفة لكي تستيقظ ولكن لم تستيقظ، خطرت على باله فكرة لينهض ويجلب كتلة البرائة من غرفتها وهي ابنته الصغيرة جوري ذات السنتين ونصف، وضع ابنته على السرير وهسهس في أذنها بأن توقظ والدتها، لتقترب جوري من والدتها وتضرب على وجنة شهد بيدها الصغيرة، عقدت شهد حاجبيها وبدأت تهمهم، فتحت عيناها ببطئ لترى ابنتها أمامها تجلس وتبتسم لها ببلاهة، ابتسمت لها شهد ابتسامة واسعة لتقول لها:

"كيف جئتي إلى هنا يا حلوة"

نظرت لها جوري ببرائة وأشارت إلى والدها الذي كان يتابع الموقف بابتسامة واسعة، التفتت له شهد لتبتسم وتنهض وتتجه إليه، وضعت يديها على رقبته لتقول:

"دائماً تفعل ذلك لن تبطل عادتك"

اتسعت ابتسامته ووضع يديه على خصرها ليقترب ويطبع قبلة سطحية على شفتيها ويقول:

"صباح الخير يا أجمل امرأة في حياتي"

ضحكت بلطف لتقول:

"صباح الخير على رجلي وسندي"

تحدث بنبرة هائمة:

"لدينا سهرة طويلة اليوم"

أخفضت رأسها بخجل وعضت على شفتها السفلى ليبتسم لها ويقبلها قبلة سطحية غير مباليين بتلك الطفلة التي تتابعهما، اقتربت منهما ليبتعدان عن بعضهما وتشهق شهد كونها نسيت أمر ابنتها، نظرت لها ونزلت لمستواها لتقول:

"حبيبتي مابكِ"

تحدثت الطفلة ببرائة:

"أنا أيضاً أريد اممواه"

انفجر يوسف وشهد بالضحك عليها، ليقترب يوسف ويرفعها ليهبط هو وشهده وابنته الصغيرة إلى الأسفل كي يتناولان فطورهم بسعادة تامة ونظرات هائمة.

" حبيبتـــي

أنتِ الدُنيا وما فيها

أنتِ المعنى لكلمةُ همسٍ

أنتِ رحيقُ الزهور ونورِ الفجر

أنتِ الندى بالمطر ونسيمكِ عطرٌ آخاذ

أنتِ شـــراعُ النجاةِ بقلبِ البحر

أنتِ الملاكُ البريئ بين البشر

أنتِ صدفةٌ من ترتيبِ القدر

أنتِ التي برموشي أُداريها

أنتِ شمسي تُضيئُ لي الظلمات

حبيبتـــي يا أجملُ نِساءِ الأرض "

كان ليث غارقاً في النوم

شعر بأحد يوقظه ولكنه لم يبالي، عقد حاجبيه باستغراب من ذاك الطفل الذي يقف عند مستوى قدماه ويشد بنطاله وهو يبكي، فزع وظن بأن ابنه حدث له شيء اقترب منه والتقطه ليجلسه بحضنه وينظر له بعيون ناعسة، نظر له الطفل ببرائة وبأعين دامعة ليحدثه ليث:

"ما بك صغيري"

تحدث جود ذو الثلاث سنوات والذي أخذ جمال عيني أبيه ليقول بنبرة طفولية:

"ماما"

عقد ليث حاجبيه ليقول:

"حسناً أين ماما"

قلب شفته السفلى ومد يده وحركها في الهواء ليرفعه ليث ويمسك جود بخصلات شعر أبيه ويشدها، تأوه ليث بخفة ليقول بانزعاج:

"ماذا تريد أيها القرد؟ وأين والدتك زوجتي وحبيبتي؟ وكم الساعة الآن"

وضع الطفل إبهامه بفمه ونظر له ببراءة وهو غير مستوعب كلام أبيه تماماً، بينما ليث ينظر له بتعجب لينفخ خديه بقوة، حمله وهبط به إلى الأسفل ليرى محبوبته تعد الفطور لهما، ابتسم وتقدم منها وبيده يحمل طفله ليقترب منها ويطبع قبلة دافئة على رقبتها، شهقت رنيم بقوة لتلتفت إلى زوجها وتقول:

"يا إلهي لقد أرعبتني، ما بك ليث؟ حمحم على الأقل"

ضحك ليقترب ويطبع قبلة صغيرة على وجنتها ويقول:

"صباح الخير جميلتي"

ابتسمت باتساع لتقول:

"صباح الخير حبيبي، هل جود أوقظك"

همهم لها ليقول:

"أجل هذا القرد كان يبكي ويشد لي بنطالي أيضاً"

ضحكت ضحكة خفيفة بينما جود كان ومازال بيد أبيه، ويحمل رضاعة الحليب الخاصة به كطفل ويشرب منها، ابتسم ليث ليترك جود من يده وينزله أرضاً ويحدثه:

"هيا اذهب إلى الصالة وسنأتي أنا ووالدتك بعد قليل"

نظر له جود ليقول بنبرة طفولية:

"ماذا ستفعلان"

ابتسم ليث بمكر ونظر لرنيم التي كانت ملتفتة لإعداد الفطور، ليقترب منه ويحدثه بهمس:

"سنجلب لك ولد صغير، سيصبح لك أخ اتفقنا"

ضحك الطفل ضحكة بريئة وحرك رأسه بإيجاب ليركض إلى الصالة، بينما ليث نهض وابتسم بمكر ليقترب من محبوبته ويحتضنها وهي معطية له ظهرها، ابتسمت ووضعت يداها على يديه، اتسعت ابتسامتها عندما شعرت بأنه يقبل رقبتها قبل متفرقة لتقول ضاحكة:

"ابتعد كي لا تفسد أخلاق الطفل"

تحدث ليث بهمس:

"أريده أن يكون مثل أبيه في الانحراف، ثم أنه هو ليس هنا لقد صرفته لا تقلقي"

همهمت رنيم لتستدير له وتحاوط رقبته لتقول:

"مم وماذا تريد الآن"

ابتسم بمكر ليقول:

"أنتِ تعلمين ماذا أريد"

ادعت البراءة وعدم الفهم لتقول:

"لا، لا أعلم"

همهم ليث بمكر واقترب ليطبع قبلة على شفتيها الوردية ويقول:

"أريد مانفعله كل يوم مساءاً"

شهقت لتقول:

"ابتعد لا أريد ثم أن جود مستيقظ"

تحدث ليث بهمس:

"لا تقلقي هو مشغول الآن بمشاهدة التلفاز"

أنهى جملته وحملها بينما هي شهقت وبدأت تركل أرجلها بالهواء، طبعاً ليث غير مبالي لحنقها وعدم رغبتها ليصعد بها إلى الغرفة ويتوجه بها إلى السرير، وضعها بخفة بينما هي ضربته بخفة على كتفه لتقول بحنق:

"لا تكن هكذا، لن أترك جود بمفرده هيا ابتعد"

لم يبتعد وإنما انقض على شفتيها بقبلة عميقة لتستسلم له وتتهدم حصونها أمامه لتبادله القبلة برحابة صدر، تعمقا أكثر فأكثر ليرحلان سوياً لعالمهما الخاص.

"حبيبتي لا أجدْ لِوصفَها حَداً يُرام

فلِمثل جمَالها خُلق الغَرامْ."

آسر وآسيل

ذاك العاشق الولهان المتيم بمجنونته، حياته كانت عبارة عن كتلة برود وجفاء، ولكن من بعد دخولها لحياته لونتها له بألوان الطيف السبعة، وصل إلى حد الهوس بعشقه لها، لا يستطيع فراقها، هي حياته بأكملها، هي نبض قلبه، هي عروق يديه، هي عمره الماضي والحاضر والمستقبلي، يظهر محبته لها في الكلام وتظهر محبتها في الدموع والقبلات، وإن هبطت دموعها تجده يمسحها لها، تحبه وكأن الحب عندها ديناً وكأن حبيبها وزوجها موضع التقديس والعبادة، يغار من كلماته حينما يهديها لها خوفاً أن تعجبها كلماته ولا يعجبها هو، لا يحبها لإنها مصدر راحته وإنما يحب راحته لإنها مصدرها، أحبها حباً لا يوصف، تربعت في قلبه وجعلت حبه وساماً على صدرها، أهداها حبه وقلبه وعمره، أصبحت كل شيء في حياته، أقسم على أنه لم ولن يستطيع على أن يشعر ويعيش إذا كانت الحياة خالية منها، هي أيضاً لا تنفك عن عشقه، فـ لو كانت تملك أن تهديه عيناها لوضعتها بين يديه، لو كانت تملك أن تهديه قلبها لنزعته من صدرها وقدمته إليه، لو كانت تملك أن تهديه عمرها لسجلت أيامها بإسمه، حياتها معه كالأحلام كأنها في الجنة ذاتها، أجل هناك بعض الشجارات من أجل غيرة ومرض آسر من ابنه الصغير، يغار منه على زوجته، يهزأها ويغضب منها فقط لأنها تقبله لدرجة أنها تبكي في بعض الأحيان، تحزن منه وتلومه بجفائها وبرودها، يبكيها ويبكي لبكائها، ولكنها تعود لأحضانه بهمسة منه تجعلها تذوب فيه، يستقبل عنفها وغضبها برحابة صدر.

يحدق بها وهي مشغولة بتوضيب بعض الأمور، يراقب تحركاتها وأدق تفاصيلها، يبتسم بين الحين والآخر على تذمرها في بعض الأشياء، تنهد بقوة ليقترب منها ويسحق عظامها في عناق قوي، لتبتسم بشدة علماً أنها تتألم من عناقه ولكن تستقبل عنفه برحابة صدر، فصل العناق ليمسك وجهها بكلتا يديه ويلامس شفتيه بشفتيها، يعلم بنقطة ضعفها ويعلم كم تكره هذه الحركة ولكنه يحب أن يرى غيظها، يحب أن يرى ضعفها أمامه، ابعدت وجهها قليلاً لتعقد حاجبيها بغضب وتقول:

"آسر لا أحب ذلك"

ابتسم لها ليقول:

"ولكن أحب ان أرى غيظكِ"

مطت شفتيها وامتعضت وهي تنظر للجهة الأخرى، تعلم جيداً إذا نظرت لعيناه ستتوه حتماً، مد يده ليداعب رقبتها وهو متعمد إغاظتها، لتصرخ صرخة صغيرة تعبيراً عن غيظها وحنقها منه، عبست وابتعدت عنه لتجلس على السرير مكتفة الأيدي وعابسة الوجه، ضحك على شكلها ليقترب منها ويجلس بجانبها ليلتصق بها وهي معطية ظهرها له، طبع قبلة رقيقة على رقبتها الصغيرة بينما هي ابتسمت وصرخت بطفولية لينفجر ضحكاً على ضحكتها الصغيرة، تغار جداً عندما يقبلها من رقبتها، التفتت له وقرصته من وجنته لتقول:

"حبيبي كفاك مشاكسة"

رفع حاجبيه وهمهم فقط لتردف له بترقب:

"حبيبي كم بالشهر اليوم"

ابتسم من عيناه وقد علم إلى ماذا تريد الوصول ليدعي البلاهة ويعقد حاجبيه ليقول:

"مم اثنان وعشرون لماذا"

رفعت حاجبها لتتحدث بغيظ:

"مم ولا تذكر شيء في هذا اليوم مثلاً"

ظل على حالة متعجباً ليقول باستغراب:

"لا، لا أذكر، لماذا حبيبتي؟ ماذا هناك"

نهضت واقفة واحتقن وجهها وتحدثت بغضب مكتوم:

"لا شيء"

أرادت المشي ولكن يده منعتها، أمسكها ليشدها إليه ويحتضنها وهو يدفن وجهه برقبتها ليقول:

"هل تظنين بأنني سأنسى يوم سعادتي"

ابتسمت في العناق لتبتعد قليلاً وتقول:

"ظننتك نسيت"

تحدث بهمس:

"أخطئتي"

ابتسمت بخجل ليقترب ويقبلها ولكن طرقات الباب جعلته يتوقف عن فعلته، احتقن وجهه ونفخ خديه بغضب لتتعالى طرقات الباب، تحدث بصراخ:

"اللعنة ألا يمكنني أن أمضي بعض الوقت مع زوجتي"

فتح الباب وقد راى شيئاً صغيراً يمر من جانبه راكضاً إلى أمه، ابتسمت آسيل باتساع عندما رأت ابنها تيم ذو الثلاث سنوات يركض لها ويحتضنها، احتضنته وبثته حنانها، بينما هناك من يغلي من غيظه وكأن أذناه سيخرج منها الدخان، صرخ آسر بولده ليقول:

"هيا أيها الصغير، نريد الجلوس أنا ووالدتك بمفردنا، هيا اخرج"

عبس الطفل بوجه أبيه ليتحدث بنبرة طفولية غاضبة:

"لا لن أخرج"

مسح وجهه بكفه ليتحكم بأعصابه كي لا يركل ابنه خارج الغرفة، بينما آسيل شعرت بحنقه وغيرته وهي تعلم علم اليقين عندما يغار آسر سيبدأ بركان غضبه، تحدثت موجهة حديثها لطفلها:

"حبيبي هيا اخرج وسنلحق بك بعد قليل وسأعطيك شوكولا كثير اتفقنا"

حرك تيم رأسه بإيجاب وطبع قبلة صغيرة على وجنة والدته، نظر له آسر بغيظ وتابعه بنظراته وهو يتوجه إلى الخارج، أمسك آسيل وعانقها بقوة، عناق حب، تملك، عشق، فصلا العناق ليقول:

"ابتعدي عن ذلك الصغير، لا تقتربي منه من أجلي حبيبتي اتفقنا"

ابتسمت ابتسامة هادئة لتقول:

"حسناً حبيبي كما تريد"

لانت ملامحه ليقترب ويلتقط شفتيها بقبلة قوية، فصلا القبلة فجأة عندما سمعا صوت ذلك الطفل وهو يقول:

"بابا يقبل ماما، سأقول لجدي"

أنهى الطفل جملته وركض بسرعة خارجاً من الغرفة، صدم كل منهما ليحتقن وجه آسر ويصرخ به:

"اللعنة عليك سأريك أيها القرد الصغير"

ما إن أنهى جملته حتى انفجرت آسيل ضاحكة على شغب ابنها وغيرة زوجها.

في المساء كان الجميع مجتمعين في ساحة كبيرة، مزينة بأبهى الزينة وتخطف الأنظار، كان الحفل من النوع الفاخر، شعرت آسيل بالدهشة من جمال الحفل والزينة وكل شيء، فرحة الدنيا بالنسبة لآسيل استهلت بالسعادة والوصال، عيدها الغالي يشرح الخاطر من أربع سنين، زوجها الحاني حنو العطف والحب الحلال، ميلاد من حبه في قلبها تربع، ودعت به عام مضى وأقبلت به عام جديد.

أما شهد تلك التي عذبت فؤاد محبوبها ومنحته الانتظار الطويل لكي ينال وصالها، حياتها كالأحلام معه، زوجها وحبيبها بقربها، طفلتها بأحضانها، هذه هي السعادة بالنسبة لها، في كل يوم تعانق عينها بعيناه، ترتشف شفتها بشفتاه، تخبره نبضات قلبها كم تهواه، وكم تعشقه، تبتسم بسعادة كونه لم ينسى هذه الذكرى التي جمعتهما وهذا اليوم الخاص بهما، كل شيء جميل، كل شيء يخطف الأنظار، يحتلفون وهم في أشد سعادتهم، يرقصون، يفرحون، يضحكون من قلوبهم، كانت سهرة مميزة تشوبها السعادة والحب.

انتهت السهرة على خير ليعود كل منهم وبرفقته زوجته، كان يوسف يشعر بسعادة بالغة، لإن هذا اليوم بالذات مميز عنده بشكلٍ كبير، كما أنه يكاد لا يصدق بأن حبيبته وزوجته معه منذ أربعة سنوات، دخل برفقة زوجته إلى منزله ليتجهان إلى غرفتهما، كما أنهما قد تركا ابنتهما عند والدة شهد، اقترب منها ليحاوط خصرها بيديه ويدفن وجهه برقبتها، ابتسمت عندما شعرت بأنفاسه تلفح رقبتها، بدأ يوزع قبلات دافئة على رقبتها بينما هي قد فقدت حصونها بالكامل وتملكتها الرغبة مثله، ابتعد قليلاً لينظر بعينيها ويقول:

"أحبكِ"

لم تستطع شهد التحدث أو أن ترفع نظرها حتى، مازالت تخجل منه إلى حد الآن، مددها على السرير واعتلاها لتبدأ جولتهما التي لا يكلان ولا يملان منها.

بينما عند آسر وصل إلى منزله برفقة زوجته، وأول شيء فعله آسر هو أنه نيم ابنه الصغير لإنه يعلم كم يعشق أن يخرب عليهما لحظتهما الرومانسية، انتظر قليلاً بالأسفل لإنه كان يتحدث على الهاتف مع أحد الضباط لأمر هام، بينما آسيل توجهت لغرفتها ومن ثم بدلت ثيابها لترتدي ثوب حريري وناعم باللون الأبيض، توجه آسر إلى غرفته ليرى ملاكه البريء تجلس على السرير تنتظره، ابتسم لها وتوجه إليها ليجلس بقربها ويمرر يده على طول ذراعها لتسري قشعريرة بجسدها من لمسته التي تذوب منها، ظلا ينظران لبعضهما مدة ليست بطويلة، جو من الحب والعشق والجنون يغلفهما، يتناغمان ويعزفان أجمل سمنفونيات الحب بعالمهما الذي لا يملان منه برفقة بعضهما.

" لأجلكِ أنتِ

نسيتُ الماضي وتركتُ المستقبل

ولا أُدركُ نفسي إلا أمامَ حُسنُكِ الفتان

لأجلكِ أنتِ

أعلنتُ في مُدنِ العشق

أني أحببتُ أجملُ امرأةٍ

في الكون بِلا وعي وبِلا حرمان

لأجلكِ أنتِ

قدمتُ لكِ قلبي بينَ يديكِ

وبعثرتُ روحي بينَ شفراتِ شفتيكِ

وسكبتُ حُبي في قلبكِ

ونثرتُ دمعي على عينيكِ "

النهاية

تمت بإذن الله